موسوعة

الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين

الفصول المهمة
أبو هريرة

إعداد وتحقيق

مركز العلوم والثقافة الإسلامية
قسم إحياء التراث الإسلامي

الجزء الثالث

دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

موسوعة
الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين

الفصول المهمة
أبو هريرة

إعداد وتحقيق

مركز العلوم والثقافة الإسلامية
قسم إحياء التراث الإسلامي

الجزء الثالث

دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان - ص.ب: ٢٤/١٢٤ - تلفاكس: ٥٤١٤٣١ هاتف: ٥٤٤٨٠٥

Email: al_mouarekh@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

دليل
موسوعة الإمام شرف الدين

المدخل

حياة الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي

الجزء الأوّل

١ . المراجعات

الجزء الثاني

٢ . النصّ والاجتهاد

الجزء الثالث

٣ . الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة

٤ . أبوهريرة

الجزء الرابع

٥ . كلمة حول الرؤية

٦ . فلسفة الميثاق والولاية

٧ . أجوبة مسائل موسى جار الله

٨ . إلى المجمع العلمي العربي بدمشق

٩ . مسائل فقهيّة

الجزء الخامس

١٠ . الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام

١١ . المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة

الجزء السادس

١٢ . تأليف الأُمّة

١٣ . مودّة أهل البيت عليهم السلام فريضة

١٤ . عصمة أهل البيت عليهم السلام بنصّ الكتاب

١٥ . الصلاة على أهل البيت عليهم السلام فريضة

١٦ . ثبوت الإمامة لعليّ عليه السلام بنصّ الكتاب

١٧ . بيّنة الوحي وشهادتها بأنّ عليّاً عليه السلام وشيعته خير البريّة

١٨ . فريضة ما أدّاها إلّا عليّ عليه السلام

١٩ . عقيلة الوحي زينب بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

٢٠ . صلح الحسن عليه السلام

٢١ . زكاة الأخلاق

٢٢ . بغية الفائز في جواز نقل الجنائز

٢٣ . ثبت الأثبات في سلسلة الرواة

٢٤ . تحفة المحدّثين

٢٥ . الفضائل الملفّقة

٢٦ . مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام

الجزء السابع

٢٧ . بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين

الجزء الثامن

ملحقات بغية الراغبين

الجزء التاسع

الوثائق، الخطب، المراسلات، الإجازات والتقريظات

الجزء العاشر

الفهارس

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يصطفي من عباده ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة، والصلاة والسلام على نبيّه وخاتم رسله، سيّد الأنبياء محمّد المختار وآله البررة الخيرة.

يعتبر الإمام السيّد عبدالحسين شرفالدين الموسوي من الرجال النوادر، وقد امتاز بمواهب شتّى جعلته نجماً لامعاً ومناراً شامخاً في العالم الإسلامي والعربي، وبذكائه ونبوغه المتميّز أصبح فذّاً بين الأفذاذ، وعَلَماً من أعلام الصحوة الإسلاميّة، حيث دان لعظمة هذا الشخص الكبير القاصي والداني، والمخالف والمؤالف.

لقد شاءت الإرادة الإلهيّة أن تكون هذه الشخصية نجم هداية يطلّ في سماء العالم الإسلامي والعربي أكثر من نصف قرن، ليُهتدى به من ظلمات الجهل والحيرة إلى رحاب العلم والمعرفة، وليُنتهل من علومه ما ينقشع به رين القلوب، وما يزيح غشاوة الشكوك، وما ينير بنور اليقين والهداية.

وإذا أردنا أن نعطي لهذه الشخصية البارزة منزلتها التأريخية، جعلناها في عِداد سلسلة أئمّة وروّاد إصلاح الفكر الديني النيّرين الذين برزوا وتألّقوا عبر العصور والأزمنة بأفكارهم الغنيّة المعطاءة للمسلمين إلى زماننا الحاضر.

فقد كان ـ رضوان اللّه تعالى عليه ـ في سيرته الذاتية وعمله الرسالي الذي اضطلع به طوال حياته المباركة قدوة مثلى للإسلاميّين، فهو لم يكن إلّا انعكاساً لظلال أئمّة أهل البيت عليهم السلام في جهادهم وجهودهم، ومدافعاً صلباً لإمامتهم ومنهجهم، حيث أخذ على

نفسه ما أخذ آباؤه الكرام عليهم السلام على أنفسهم من النهوض بأعباء الدعوة لهذا الدين الحنيف، والقيام بما يفرضه الواجب الديني من التبليغ بمبادئ الإسلام المحمّدي، ومنهج أهل البيت عليهم السلام السويّ.

كان الإمام شرف‌الدين في جميع الميادين ـ السياسية والاجتماعية والعلمية ـ فارسها المجلّي وبطلها المغوار. وحسبك شاهداً على بطولته آثاره الخالدة التي تركها غرّة في جبين الدهر، لا تفتأ تشعّ بالخير والجمال والنور، تحمل مشعل الهداية ساطعاً وهّاجاً في غمرة من الظلمات الحالكة، تضيء السبيل لمن ضلّ السبيل، وتكشف غياهب الشكوك والشبهات عن آفاق الحقّ والحقيقة، وتهدي التائهين إلى موطن الأمن والسلامة.

وقد جرى على يراعه من الدلائل والبيّنات والبراهين النيّرات ما يجعله آية من آيات اللّه الباهرة، وينبوعاً من ينابيعه الزاخرة، التي لا ينضب معينها الفيّاض ما بقي في دنيا الإسلام اسم للإسلام، وما بقي على وجه هذه البسيطة ظلّ للحقّ والإيمان.

وممّا يؤسف له أشدّ الأسف أنّ قسماً كبيراً من كتبه ومؤلّفاته ضاع ونهب وأحرق في هجوم الاستعمار الفرنسي على بيته ومكتبته.

غير أنّ المتبقّى من كتبه ـ كان ولا يزال ـ فيه كلّ الخير والبركة والعطاء المستمرّ للأجيال التي عاصرته وتلته حتّى يومنا هذا.

ولو أردنا أن نقف عند أهمّ هذه الآثار الموجودة ـ التي طبع أكثرها في حياته أو بعد وفاته ـ لقلنا إنّ ما أنتجه يراع هذا المفكّر العبقري هو مشروع فكريّ كامل، وإنجاز رساليّ جدير بالاهتمام.

مشروع تحقيق موسوعة الإمام شرف الدين

وحيث إنّ هذه الآثار كانت متفرّقة بعيدة عن أيدي القرّاء والباحثين من جهة، وقد طبع كثير منها مراراً طبعات غير محقّقة، مليئة بالأخطاء المطبعية من جهة أُخرى، مضافاً إلى التغييرات غير المناسبة التي قام بها بعض الناشرين على النصوص الأصلية، لهذا قرّر قسم إحياء التراث الإسلامي التابع لمركز العلوم والثقافة الإسلاميّة نشر مؤلّفات وتراث السيّد

عبدالحسين شرف الدين الموسوي الذي واكب حياة جيلنا الإسلامي المعاصر ، وذلك ضمن مشروعه الكبير المتضمّن نشر تراث العلماء الذين عاشوا في قرننا الحالي والقرون القريبة التي سبقته والذين أسّسوا حركة الإصلاح في الفكر الديني المعاصر .

ولا يخفى على علمائنا الأجلّة وقرّائنا الكرام أهميّة وفائدة نشر هذه الموسوعات الشاملة المحقّقة والمنقّحة واللائقة بمنزلة هؤلاء الروّاد، حيث سيتمّ نشر المؤلّفات الكاملة لكلّ شخصيّةٍ علميّة في مجموعةٍ متكاملة، تسهم في الاطّلاع على آرائه العلمية ، وعلى ما جدّ في زمنه من المسائل التي لم يبتلِ بها السلف الصالح ، وعلى مدى تطوّر العلوم الاسلاميّة في ذلك الحين ، وفوائد أُخرى كثيرة لا تخفى على الباحثين في حقل التراث الإسلامي .

عملنا

منذ أن تقرّر البدء بمشروع تحقيق تراث الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين وكتبه كلّها في موسوعة شاملة، قام قسم إحياء التراث الإسلامي بالخطوات التالية:

١. جمع كتب السيّد شرف الدين المطبوعة، ولا سيّما الطبعة الأُولى لكلّ كتاب والطبعات التي تتميّز فيها طبعة عن طبعة، مثل: الطبعة الأُولى للمراجعات والطبعة الثانية لها، حيث تختلف الطبعة الثانية عن الطبعة الأُولى في بعض الألفاظ والعبارات، وكلّها من ثمرات قلم السيّد شرف الدين وفي حياته.

ويدخل ضمن مهمّة جمع كتبه ﷺ التواصل مع أُسرة السيّد شرف الدين في لبنان حيث حصلنا منهم على بعض صور المخطوطات وبعض الإجازات التي لم تنشر من قبل، فضلاً عن المقالات المنشورة في مجلّة العرفان وغيرها.

ومع هذا فقد بقي من آثار السيّد شرف الدين ما لم تصل أيدينا إليه، وسنظلّ نتابع آثاره وتراثه وننشر ونصحّح ما استجدّ لنضيفه في الطبعات القادمة إن شاء اللّه تعالى .

٢. تخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال والأشعار وما يحتاج إلى توثيقه.

٣. ضبط النصّ مع ملاحظة بعض الاختلافات فيما بين طبعات الكتاب الواحد، ووضع

أصحّها في المتن، وشرح الألفاظ الصعبة، وتوزيع النصّ، وتنظيم الهوامش.

٤. مقابلة المطبوع على الحاسوب مع النسخة المقوّمة النصّ.

٥. المراجعة الفنّيّة، حيث يلاحظ المطبوع على الحاسوب فنّيّاً من حيث حجم المكتوب في الصفحة، ووضع رؤوس الأسطر، والعناوين داخل المتن، والعناوين في أعلى الصفحات، وما شاكل ذلك.

٦. المراجعة النهائيّة، حيث يلاحظ الكتاب ملاحظة كاملة من كافّة النواحي: الإملائيّة والنحويّة واللغويّة، وما شاكل ذلك.

٧. الفهرسة حيث تفهرس الآيات والأحاديث والأقوال والأشعار والأمثال والأعلام والأماكن وما إلى ذلك، والفهارس كما هو معروف مفاتيح الكتب.

٨. علّق السيّد شرف الدين على كلّ كتاب من كتبه بتعليقة يفسّر بها الغامض ويفصّل المجمل ويزيد في الاستشهاد بالحديث وغيره. وعلّق محقّقونا ما حصل من عمليّة التحقيق والتخريج وما قاموا به من توضيح وبيان.

وقد جعلنا متن الكتاب أوّلاً ووضعنا تحته خطّاً قصيراً، وتحت ذلك الخطّ تعليقة المؤلّف ﷺ، ثمّ جعلنا خطّاً أطول تحته هوامش محقّقينا. وميّزنا أعداد علامة هوامش شرف الدين بأن جعلناها بين قوسين، بينما أوردنا أعداد علامة هوامش المحقّق خالية من الأقواس.

هذا وقد رتّبنا الآثار الخالدة للإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين على حسب الأهميّة موضوعاً ودراسة ومنهجاً في مجلّدات، بحيث يشتمل بعضها على كتابين أو أكثر، ومجلّد يختصّ بالمقالات، ومجلّد يختصّ بالخطب والرسائل والإجازات والتقريظات.

وفرزنا كتاب بغية الراغبين عمّا ألحقه به ولده العلّامة السيّد عبدالله شرف الدين، فجعلنا الأصل مجلّداً، والملحقات مجلّداً مستقلاً، وجعلنا مجلّداً خاصّاً بالفهارس.

شكر وثناء

يتقدّم مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة إلى جميع الإخوة المحقّقين في قسم إحياء التراث الإسلامي المشاركين في تحقيق وإخراج موسوعة الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين

بالشكر الوافر والثناء الجميل، مثمّناً جهودهم الكبيرة الجادّة، وداعياً الله عزّ وجلّ لهم بالتوفيق، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

وقد رتّبنا أسماء الذوات العاملين في هذه الموسوعة حسب حروف المعجم، وذكرنا أمام اسم كلّ منهم العمل الذي قام به:

مجموعة المحقّقين:

أسعد الطيّب، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، المراجعة النهائيّة.

إسماعيل بيك المندلاوي، عضو لجنة المقابلة.

جواد الفاضل، عضو مساعد في تخريج بغية الراغبين.

السيّد حسين بني هاشمي، تحقيق كلمة حول الرؤية، عضو لجنة المقابلة.

السيّد خليل العابديني، سكرتير اللجنة المشرفة على التحقيق، تحقيق إلى المجمع العلمي العربي بدمشق، وفلسفة الميثاق والولاية.

رضا المختاري، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، وله شرف اقتراح تحقيق موسوعة شرف الدين.

طه النجفي، عضو لجنة المقابلة.

عباس المحمّدي، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، وتحقيق قسم من النصّ والاجتهاد، وتقويم وتكميل تخريجات بغية الراغبين وملحقاته.

السيّد عبدالرسول الحامدي، عضو لجنة المقابلة.

عبدالرسول المهاجر، عضو مساعد في مقابلة النصّ وتخريج بغية الراغبين.

علي أوسط الناطقي، مسؤول قسم إحياء التراث الإسلامي، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، تحقيق قسم من النصّ والاجتهاد، والمراجعة النهائيّة، والمراجعة الفنيّة.

السيّد علي الحسيني لرگاني، عضو مساعد للمحقّقين.

غلامحسين قيصريه‌ها، تحقيق الفصول المهمّة، وأجوبة مسائل موسى جار الله.

غلام رضا النقي، تحقيق المجالس الفاخرة، والمساعد في تخريج المجاهيل.

محمّد إسلامي پناه، تحقيق ثبت الأثبات.

محمّد الباقري، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق.

محمّدحسين المولوي، تحقيق مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام.

محمّد الربّاني ﷺ، تحقيق مسائل فقهيّة.

محمّد مهدي عادلنيا، المساعد في تخريج بغية الراغبين.

منصور الإبراهيمي، تحقيق المراجعات، وأبو هريرة، والكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، وقسم من المجالس الفاخرة، وستّة من المقالات.

السيّد مهدي الطباطبائي، المسؤول السابق لقسم إحياء التراث الإسلامي، وعضو اللجنة المشرفة على التحقيق.

السيّد منذر الحكيم، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، تأليف حياة الإمام شرف الدين، ومقدّمات التحقيق لأجزاء الموسوعة. وله شرف التواصل مع أُسرة شرف الدين.

نعمة الله الجليلي، تحقيق خمسة من المقالات، والمراجعة النهائيّة.

ولي الله القرباني، عضو لجنة المقابلة.

محسن النوروزي، المراجعة الفنّيّة قبل النشر.

مجموعة الإخراج الفنّي:

رمضان علي القرباني ومحمّد الخازن.

مسك الختام

ويسرّنا هنا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الخالص إلى كافّة مسؤولي مكتب الإعلام الإسلامي خصوصاً مدير المكتب فضيلة السيّد حسن الربّاني، ومسؤولي مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة خصوصاً فضيلة الشيخ محمّدتقي السبحاني وفضيلة الشيخ محمدحسن النجفي، حيث جعلوا هذا العمل المبارك نصب أعينهم، ومنحوه جهدهم ووقتهم وقدّموا ما في وسعهم من عون منذ كان بذرة صغيرة أيّام اقتراحه ليكون أحد أعمال قسم إحياء التراث الإسلامي إلى أن أصبح بحمد اللّه تعالى شجرة باسقة وارفة الظلال تسرّ الناظرين.

مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة

قسم إحياء التراث الإسلامي

مقدّمة التحقيق

يشتمل الجزء الثالث من موسوعة الإمام شرف الدين
على سفرين جليلين من آثاره الخالدة، نلقي الضوء
عليهما في بابين:

١. الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة
٢. أبو هريرة

١ . الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة

الفصول المهمّة وتأليف الأُمّة في الميزان

١ ـ الوحدة شعار ومنهج ومدرسة

لقد بُني الإسلام على كلمتين: «كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة»[1].

فالوحدة الإسلاميّة والتآلف بين المسلمين والوئام بين مختلف الطوائف والمذاهب الإسلاميّة غاية كُبرى وهَمٌّ رساليّ قد تحمّل أعباءه الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيت الرسالة صلوات الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان وتربّى في مدرستهم وورث تراثهم واستظلّ بدوحة المجد التي أسّسوها ورووها بدمائهم الزاكية، فهي شعار عظيم، ومنهج حياة، ومدرسة شامخة البناء، كثيرة الخير، فيّاضة بالهدى، وشجرة مثمرة زاخرة بالعطاء عبر القرون والأجيال.

لقد انفردت مدرسة أهل بيت الرسالة بالالتزام الحقيقي بهذا الشعار الذي أسّست أُصوله آيات الكتاب الكريم ونصوص السنّة الشريفة، واحتوت الفطرة الإنسانيّة والعقل البشري على جذوره وقيمه، ورسمت الشريعة الإسلاميّة الخالدة أبعاده وأهدافه وخطوطه، وفقه الصحابة والتابعون معالمه ولوازمه.

والإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين هو أحد روّاد الإصلاح والوحدة الذين تلألأت

---

١. هذه الكلمة مأثورة عن الإمام محمّد حسين كاشف الغطاء قدس سره.

سيرتهم العطرة ـ تأليفاً وخطابةً ونهجاً وسلوكاً ـ بالمواقف الوحدويّة الرساليّة والتأليف بين قلوب المسلمين فضلاً عن غيرهم ممّن سمحت الرسالة بمراعاتهم والاهتمام بشؤونهم، فأصبحت الوحدة عنده شعاراً ومنهجاً، كما أصبحت مدرسته متميّزة بهذه الميزة الرساليّة التي تميّزت بها سيرة أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم، حيث أحدثت نقلة نوعيّة وأنشأت أجيالاً تعمل على ترسيخ دعائم الوحدة الإسلاميّة وتحرسها بالوعي والفكر، والقلم والعمل، والبرمجة والتخطيط بكلّ جدٍّ وإخلاص.

٢ ـ معالم منهج «تأليف الأمّة» في تراث وسيرة شرف الدين

إنّ المنهج العامّ للإمام شرف الدين في حقل تأليف الأُمّة وتحقيق الوحدة الإسلاميّة ومشروعها ـ الذي يمثّل مدرسة متحرّكة طافحة بالحيويّة والنشاط ـ منهجٌ مستلهم من كتاب الله وسنّة رسوله الكريم وأهل بيته الطاهرين. كما أنّه يجمع بين القول والعمل، ويجنّد طاقاته للإصلاح الشامل على أساس الوحدة، ويفكّر ويكتب ويخطب منطلقاً من مبدأ الوحدة والتأليف بين القلوب.

ويمكن الإشارة إلى معالم هذا المنهج بالإجمال بما يلي:

١ ـ التأصيل بالاعتماد على آيات الكتاب البيّنة والسنّة الشريفة الصريحة والمفسّرة لكتاب الله تعالى.

٢ ـ التوعية على قيم الكتاب والسنّة.

٣ ـ المقارنة العلميّة، إذ تعرف الأشياء بأضدادها.

٤ ـ الصراحة والوضوح في العرض.

٥ ـ الموضوعيّة والأمانة والدقّة في النقل.

٦ ـ رفعة الخطاب والأدب وعدم النبز بالآخرين.

٧ ـ تطابق الرأي والعمل وتوافق السلوك والنظر.

ولكلّ من هذه المعالم والسمات شواهد ونماذج في مؤلّفاته ورسائله ومواقفه التي جعلته في الطليعة من علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في عصرنا هذا، فأكسبته مقام

الصدارة وأعطته الريادة الحقّة في مجال إرساء قواعد الوحدة الإسلاميّة في القرن الحاضر.

٣ ـ دور الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة

يعتبر كتاب «الفصول المهمّة» أوّل كتاب رائد في هذا الموضوع الخطير للأُمّة الإسلاميّة في عصرنا الحاضر، كما يعبّر عن مبدأ إسلامي أصيل بالرغم من تغافل بعض المذاهب والفرق الإسلاميّة عنه، أو تجاوزه بشكلٍ سافر خلال عهود التاريخ الإسلامي المختلفة والتي حمّلت الأُمّة الإسلاميّة تبعات هذا التجاوز، إذ انتهى بها إلى أن تصبح اُلعوبة بيد المستعمرين الصليبيّين.

وهو أوّل كتاب من الآثار الخالدة للإمام شرف الدين إذا غضضنا الطرف عن نفائسه المفقودة، وقد أرّخ تأليفه له بسنة (١٣٢٧ هـ) وباشر نشر بحوثه في مجلّة «العرفان» العامليّة التي تأسّست في نفس السنة، وإن كانت همومه وبحوثه قد اختمرت قبل تأليفه بسنين. وكانت فكرة الكتاب تعبّر عن همٍّ رساليّ كبير كان يحمله العلّامة شرف الدين بين جوانحه كما كتب معبّراً عن ذلك بقوله:

> كانت تلتمع في صدري منذ شرخ الشباب التماع البرق في طيّات السحاب، وتغلي في دمي غليان الغيرة، تتطلّع إلى سبيل سويّ يوقف المسلمين على حدّ يقطع دابر الشغب بينهم، ويكشف هذه الغشاوة عن أبصارهم، لينظروا إلى الحياة من ناحيتها الجدّيّة، راجعين إلى الأصل الديني المفروض عليهم ... ضِقت ذرعاً بهذا، وامتلأت بحمله همّاً، فهبطت مصر أواخر سنة ١٣٢٩ هـ مؤمّلاً في نيله نيل الاُمنية التي أنشدها، وكنت اُلهِمت أنّي موفّق لبعض ما اُريد ... [١].

وهكذا كان الإمام شرف الدين يحمل همّ هذا المشروع الفكري العميق الشامل، من أجل تحقيق الوحدة بأرفع مستوياتها، وقد أوقف نفسه وقلمه من أجل رفع التعصّب بين المذاهب وإحلال الحوار العلمي والأخوي الصادق محلّه.

---

١. اُنظر الموسوعة ج ١، مقدّمة شرف الدين للمراجعات.

المنهج في الفصول المهمّة

يجد الباحث المتعمّق في بحوث هذا الكتاب القيّم منهج المؤلّف فيه كما يلي:

١ ـ الدعوة إلى الوحدة كمبدأ إسلامي أصيل من خلال النصوص المؤكّدة للوحدة في الكتاب والسنّة.

٢ ـ بيان أُصول الوحدة.

٣ ـ بيان طريق الوحدة.

٤ ـ ضرورة نبذ الفرقة، وبيان نتائجها الفظيعة على الأُمّة.

٥ ـ بيان أسباب الفرقة وعواملها وعامليها ومصاديقها.

كلّ ذلك بشكل علمي موضوعي وبأُسلوب أدبي جميل يجمع بين رفعة الأدب ودقّة التعبير وعدم الخروج عن ما تسالم عليه المسلمون، وطالَبَ كلّ فريق وحاججه بما يلتزم به من الأدلّة وما يعتمد عليه من المصادر.

وقد رتّب الكتاب في اثني عشر فصلاً كما يلي:

١ ـ الحثّ على الاجتماع والتنديد بالنزاع.

٢ ـ أُخوّة أهل الشهادتين.

٣ ـ حرمة أهل الأركان الخمسة: «الشهادتان، الصلاة، الصوم، الحجّ، الزكاة».

٤ ـ اعتراف أهل البيت بإسلام أهل المذاهب الإسلاميّة.

٥ ـ نجاة الموحّدين «أهل الأركان الخمسة».

٦ ـ فتاوى علماء المسلمين بنجاة أهل الأركان الخمسة.

٧ ـ بشائر السنّة للشيعة.

٨ ـ تأويلات السلف وعدم قدح ذلك في عدالتهم.

٩ ـ مناقشة فتاوى التكفير.

١٠ ـ دور الكذّابين في التفرقة.

١١ ـ دور بعض الكتّاب في التفرقة.

١٢ ـ أسباب الفرقة بشكلٍ تفصيلي.

الدور التأسيسي لكتاب الفصول المهمّة

وقد لعب هذا الكتاب دوراً مهمّاً في التأسيس العلمي والمنهجي لتأليف الأُمّة وتوحيدها، حتّى ظهرت آثاره ومعطياته خلال قرن من الزمن تقريباً ١٣٢٧ ـ ١٤٢٥هـ واستطاع أن يمدّ المصلحين والمفكّرين بالعطاء العلمي، لأنّه قد أسّس لفقه الوفاق الذي غفل عنه كثير من أرباب المذاهب حين غرقوا في تفاصيل الخلاف فيما بينهم لتتميّز كلّ فرقة عمّا سواها، رغم أنّ القرآن الكريم لا زال ينادي بكلّ صراحة: ﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1].

وقد غاب عن كثيرٍ من الباحثين أنّ فقه الخلاف إنّما تصحّ ممارسته ويصحّ طرحه وتداوله بعد أن تتّضح أُصول الوحدة ومعالمها لئلّا يخرج الباحثون عن إطار الوحدة وآدابها ولا يتقاطع منهج البحث الخلافي مع أُصول الوحدة والوفاق التي تتقدّم على كلّ خلاف.

ومن هنا لم يخرج الإمام شرف الدين على أُصول الوحدة رغم ممارسته لأعمق بحث خلافي وأخطره في كتبه: المراجعات، وأبي هريرة، والنصّ والاجتهاد، وأجوبة مسائل موسى جار الله، وإلى المجمع العلمي العربي بدمشق، وكلمة حول الرؤية، وفلسفة الميثاق والولاية، ومسائل فقهيّة خلافيّة.

ولم يبتعد عن محكمات الكتاب والسنّة ولم يتغافلها، ولم يتجاوزها كما تجاوزها كثير ممّن يدّعي الحرص على الدين، فيغرق في أعماق الخلاف وتفاصيله ويتصوّر أنّ من مقتضيات الاحتياط في الدين أن يكفّر من لا يعتقد بعقيدته ولا يلتزم بكلّ ما يلتزم به من التفاصيل.

وهكذا التزم الإمام شرف الدين بمنهج علميّ وحدوي يقرّب وجهات النظر ويؤلّف بين القلوب بشكلٍ فريد أخّاذ، ورَسَمَ طريقاً لاحباً لكلّ من يحرص على فهم الشريعة فهماً

---

١. الأنبياء (٢١): ٩٢.

صحيحاً والعمل بمحكماتها وأُصولها. وقد وفّق في هذا الطريق إلى أبعد حدّ وأصبح أُسوة لمن جاء من بعده ونموذجاً للنيّة الصادقة والمنهج السليم.

طبعات الكتاب وترجماته

وقد طبع الفصول المهمّة بشكلٍ مستقلّ عن ما نشرته مجلّة العرفان من مقالات في حياة الإمام شرف الدين ثلاث طبعات، كانت طبعتان منها قبل طبع المراجعات لأوّل مرّة وطبعة واحدة بعدها. وقد طبع بعد حياته عدّة طبعات أُخرى يزيد على خمسة عشرة طبعة.

وترجم إلى الفارسية ثلاث ترجمات بأسماء: در راه تفاهم مسلمانان، ومباحثى پيرامون وحدت اسلامى، ومباحث عميق در جهت وحدت امّت اسلامى.

وترجم إلى اللغة الأُورديّة باسم إرشاد الأمّة ونشر في مُلتان ـ باكستان.

ورغم أنّ الطبعة المحقّقة التي نشرها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة بطهران قد امتازت بتحقيق الدكتور عبد الجبّار شرارة، غير أنّ توحيد منهج عرض هذه الموسوعة التي يقوم بتحقيقها ونشرها مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة لأوّل مرّة كمشروع موسوعي قد اقتضى رعاية الأُصول المتّبعة فيها.

وقد تصدّى الأخ الفاضل الشيخ غلام حسين قيصريه‌ها لإنجاز مهمّة التحقيق، فجزاه الله خير الجزاء.

ونشكر الله تعالى على أخذه بأيدينا لإنجاز هذا العمل المبارك، إنّه خير ناصرٍ ومعين.

٢ . أبوهريرة

منع تدوين السنّة رأي أم رواية ؟

قصّة الصحاح ومداليلها التاريخيّة

لقد أنزل الله كتابه الحكيم وقرآنه المجيد هدىً للناس وبياناً لهم وتبياناً لكلّ شيء ورحمةً لقومٍ يؤمنون، وجعله بلسانٍ عربيٍّ مبين.

وفي الوقت نفسه قال لرسوله الكريم ـ وهو أفصح من نطق بالضاد ـ: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]. وقال للناس ما يبيّن لهم دور الرسول الأعظم في بيان مقاصد كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وشرح آياته وبيان تفاصيل أحكامه، وهو الذي قال لهم عن كتابه بأنّا قد فصّلناه على علمٍ، وفيه آيات مفصّلات، ومع ذلك كلّه فقد أمر الناس باتّباع ما يقوله الرسول عن ربّه وعن كتاب ربّه: ﴿ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا﴾[2] بعد أن قال عنه: ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىٰ * إنْ هُوَ إلّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[3].

وقد قام الرسول العظيم بدور الإرشاد والتفسير والتفصيل، وعلّم الصحابة ما استطاعوا استيعابه من بيانه، وأودع علم ما لم يستوعبوه عند عترته وأهل بيته، وهم أهل بيت الرسالة

---

١. النحل (١٦): ٤٤.

٢. الحشر (٥٩): ٧.

٣. النجم (٥٣): ٣ـ ٤.

والنبوّة الذين أكرمهم الله بوعي الكتاب وفهم مقاصده ومراميه وبيّناته وتأويله وتنزيله، فخصّهم بهذا العلم دون غيرهم، حيث قال الله تعالى عن سرّ هذا الاختصاص: ﴿لا يَمَسُّهُ إلّا المُطَهَّرُونَ﴾[١] ثمّ ذكر لهم المصداق الواقعي للمطهّرين في قوله تعالى: ﴿إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾[٢]. وبذلك أخرج الصحابة وأُمّهات المؤمنين من هذا الاختصاص وحصره في أهل بيت الرسالة الذين رعوها حقّ رعايتها.

إيداع علم الشريعة عند عليٍّ عليه السلام

وقد كان هذا الترشيد الربّاني مناراً للرسول صلى الله عليه وآله لإيداع علم الشريعة الكاملة والخالدة على مرّ العصور والدهور إلى من يستوعب هذا العلم ويرعاه حقّ رعايته، فأخذ يخصّ ابن عمّه وسيّد عترته عليّ بن أبي طالب بعلم الكتاب تفصيلاً وتأويلاً، وأفصح عن ذلك لأُمّته فقال لهم: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» فمن أراد المدينة فليأتها من بابها، وعلّم عليّاً من العلم الخاصّ بأهل بيته ما أفصح عنه عليّ بن أبي طالب بقوله: «علّمني رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لي من كلّ باب ألف باب». بل صرّح للأُمّة بأنّه ما نزلت آية من كتاب الله إلّا علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله تفسيرها وتأويلها ومتى نزلت وفيمن نزلت، كما علّمه الآيات: عامّها وخاصّها ومحكمها ومتشابهها.

ولم يألُ الرسول صلى الله عليه وآله جهداً في هذا المضمار بعد أن كانت كلّ قطّاعات الأُمّة لا تستوعب أو لا تريد أن تتعلّم كلّ شيء عن الرسالة، كما تفصح عن هذه الحقيقة تلك الآيات التي نزلت آمرةً بدفع الصدقات حين يريدون مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله فأحجم الصحابة إلّا عليّاً وقد كان فيهم الموسرون! فلم يدفعوا صدقة لذلك ولم يناجوا الرسول سوى عليّ بن أبي طالب الذي بذل ما عنده من المال فاختار النجوى مع الرسول العظيم على المال الزهيد، ممّا دلّ على البون الشاسع في ثقافة الصحابة أنفسهم، فمنهم من يزهد في العلم حتّى يقول: ما لم تعرفوه فَدَعُوه، ولا تكلّفوا أنفسكم بالسؤال عنه، ومنهم من يقول للناس:

---

١. الواقعة (٥٦): ٧٩.

٢. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

«سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّي أعلم بطرق السماء من طرق الأرض»، متّبعاً في ذلك هدي القرآن الكريم الذي يأمر بسؤال أهل الذكر بقوله: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1] فما أبعد البون ما بين هذين الصحابيّين!

إنّ هذا التفاوت الكبير بين المستويات في تحمّل العلم والمعرفة واستيعابها ونشرها قد لمسه الرسول الأعظم ﷺ وهو سيّد المرسلين وخاتم النبيّين والأرأف بالأُمّة والأرحم بها من نفسها. ومن هنا كان تأكيده البليغ لأُمّته ـ وهي لا تستوعب كلّ ما يقوله في عصره ـ تأكيداً بيّناً على العترة النبويّة لترجع إلى أهل بيته لتأخذ منهم ما استودعه إيّاهم من سنّته التي هي ثاني مصدر من مصادر التشريع والثقافة الرساليّة.

حديث الثقلين من محكمات السنّة النبويّة

وكان من بليغ تأكيداته الحثّ على التمسّك بالثقلين: كتاب الله وعترته أهل بيته، وهم أهل بيت الرسالة، والعلماء بالكتاب، وبما لا تبلغه عقول سائر الرجال من الصحابة. وكان هذا الحثّ يتكرّر كلّما سنحت الفرصة واقتضت الحاجة، حتّى وهو يعاني من الألم وفي اللحظات الأخيرة من وداعه لأُمّته ومفارقته لصحابته وأحبّته، وهو على فراش الموت الذي يستدرّ الدموع وترجف له القلوب، وهو متوجّه إلى لقاء ربّه، وإذا به يفتح شفتيه طالباً ممّن حضر: «ائتوني بكتفٍ ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا من بعدي» وكان قد صدر منه ما ينبغي من الإرشادات والأوامر الملزمة بالرجوع إلى أهل بيته من بعده، ولكن تأكيداً وإبراماً للأمر وإحكاماً له ومزيداً من تقديم الحجج والبيّنات.

المواقف تجاه حديث الثقلين

وإذا بواحد من الصحابة يردّ على الرسول الرحيم ـ في هذا الظرف الحرج الذي تهتزّ لهوله النفوس ـ بما يزعجه فطرح مقولتين ورفع شعارين عجيبين، حتّى لقد بدا الغضب على ملامح هذا الرسول الرحيم بأُمّته والأرأف بهم من غيره، نعم لقد باغت هذا الصحابي

---

١. الأنبياء (٢١): ٧.

سيّد المرسلين الذي لا ينطق عن الهوى بقوله: حسبنا كتاب الله ![١] وكأنّ الرسول ﷺ لا يعلم ـ والعياذ بالله ـ بأنّ الكتاب وحده يغني عمّا قدّمه لأُمّته من تفاصيل سنّته أم لا!

والأنكى من ذلك ما جرح به فؤاد الرسول، إذ قال أمامه وأمام صحابته رادّاً على ما طلبه من كتفٍ ودواة: قد غلب عليه الوجع! أو كلاماً هو أشدّ إيلاماً من هذه الكلمة الجارحة وأعظم شرراً منها، فكانت سهماً مسدّداً إلى قلب الرسول الرحيم في أحرج وقت وأصعبه، فتنازع الصحابة عند الرسول بعد أن آذوه بهذه الكلمات الجارحة والتي حقّ أن يقول عنها القائل:

جراحات السنان لها التيام　　　ولا يلتام ما جرح اللسانُ

السنّة النبويّة والأخطار التي تحيط بها

وبهذا قد عرف الرسول ﷺ قبل رحيله ما سوف يجري على سنّته من بعده، حيث أوضح هذا الصحابيّ الجريء موقفه الذي سيقفه من سنّة الرسول ﷺ وهو بعد لم يذهب إلى ربّه، وذلك في مواجهة حاسمة ومباغتة عارمة تحدّى بها عظمة الرسول القائد وسائر الصحابة وأهل بيته الذين كانوا يحفّون به.

إنّها المأساة التي سوف تلقاها السنّة النبويّة على يدي رجال من الصحابة حين يزعمون أنّهم يحرصون على كتاب الله حرصاً لم يصدر من الرسول مثله عليه، ويخشون من السنّة أن تختلط بالكتاب فتضيع حدوده ومعالمه، وهو الكتاب المعجز الذي لا يمكن تقليد آية من آياته، كما لا يمكن تحريفها بعد أن حفظه الله والتزم بحفظه قائلاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[٢].

ومن هنا نعلم أنّ السنّة النبويّة قد أخذت في واقع الأُمّة مساراً جديداً حيث لم يسمح الحاكمون بتداولها أو كتابتها، خشية اختلاطها بآيات الكتاب وضياعها بذلك! وما

---

١. ورد هذا الحديث في ستّة مواطن من كتاب البخاري.

٢. الحجر (١٥): ٨.

لم يُتداول ولا يُكتب ولا يُحدَّث به، فسوف يضيع بالتدريج. وبهذا بيّن هؤلاء الصحابة أنّ حديث الثقلين لا يمكن أن يكون مراداً به السنّة الممنوع كتابتها وتداولها؛ لأنّها كيف تصون الأُمّة من الانحراف والضلال بعد أن كانت مغيّبة عن الأمّة وغير معمول بها وغير مسموحٍ للناس بكتابتها ونشرها؟!

كما بيّنوا لنا موقفهم الواقعي من السنّة النبويّة في حياة الرسول الأعظم ﷺ فضلاً عمّا بعده؛ إذ منعوا من أن تكتب سنّة الرسول وحديثه بحضرته وهو بعد على قيد الحياة، وهو الشاهد على أُمّته والشهيد الذي قال عنه: ﴿وَجِئْنا بِكَ عَلَى هؤُلاءِ شَهِيداً﴾[1].

فيا تُرى ماذا ستكون شهادته على أُمّته عند ربّه؟

وقد بيّن القرآن ذلك إذ أخبر العالمين جميعاً بهذه المواقف اللامبدأيّة تجاه كتاب الله من بعد الرسول، حيث قال تعالى: ﴿وَقالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً﴾[2]. فقد هجروا كتاب الله تعالى حين هجروا السنّة التي تكفّلت ببيان كثير ممّا أمر الكتاب بأخذه عن الرسول ﷺ.

أهل البيت والسنّة النبويّة

غير أنّ جمعاً من الصحابة وعلى رأسهم سيّد العترة قد عكفوا على الالتزام بكتاب الله وتعاليمه وهديه تجاه سنّة الرسول ﷺ فقاوموا الحكّام حين قاموا بتدوينها ونشرها وتداولها تداولاً فوّت الفرصة على الخطّ المائل الذي رأى في المنع من تدوين السنّة أغراضاً يمكن تحقيقها على المدى القريب، حيث لا تعرف الأجيال القادمة كثيراً من توصيات الرسول ﷺ، وإن كان جيل الصحابة يعرفها لكنّ الأفواه قد كمّت بالمنع من نشرها[3].

---

١. النساء (٤): ٤١.

٢. الفرقان (٢٥): ٣٠.

٣. أُنظر عامّة ما كتب عن تاريخ الحديث والسنّة مثل: السنّة قبل التدوين.

وقد سبق أهلُ بيت الرسالة وأتباعهم وحواريّوهم سائرَ الصحابة المتحكّمين في رقاب المسلمين آنذاك، وغلبوهم على أمرهم حين بادروا لتدوين السنّة ونشرها وتداولها، رغم المحاذير والمنع الحكومي الذي لم يكن عندهم حجّة عليه؛ لأنّه تحذير مضادّ لأوامر الله والرسول[١]، وهو مخالف لصريح ما جاء في حديث الثقلين الذي يجعل السنّة عدلاً للقرآن كما يزعمون؛ ولهذا كان المنع من التدوين رأياً يراه الخلفاء الثلاثة، ولم يكن هذا المنع رواية يروونها عن الرسول، ومن الواضح أنّ تداول مثل هذه الرواية لو كانت لكان يكفي لهدم رأي الحاكمين بمنع تداول الحديث وكتابته.

وهكذا فتح الخلفاء الثلاثة ومن تبعهم على المسلمين وعلى أنفسهم بعد الرسول ﷺ باباً من الشرّ لم يمكنهم غلقه ولا التخلّص منه، حتّى رأى الخلفاء فيما بعد حاجة الناس الماسّة إلى السنّة، وهي لا توجد إلّا عند أهل بيت الرسالة في الوقت الذي كان منعُ تداول الحديث وتدوينه يستهدف هدم مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام وسلب هذا الوسام الكبير منهم، وإذا بهم بعد قرن من الزمن يسودون المسلمين ببركة ما عندهم من ودائع السنّة النبويّة المباركة حيث لم يكن عند غيرهم مثلها.

وهنا كانت المفاجأة الكبرى، إذ رجع الناس إليهم وأخذوا برواياتهم التي رووها عن جدّهم سيّد المرسلين ﷺ وهم هم، فأصبحوا مناراً هادياً للأمّة بعد أن حاول المناوئون لهم من الصحابة التعتيم عليهم، وتضييع منزلتهم الاجتماعيّة والقياديّة حيث أهملوهم وحاولوا سلب مرجعيّتهم فعاد الأمر إلى نصابه.

وهنا قد ربح أهل البيت الموقف في نهاية المطاف؛ إذ لم تنجح محاولات تغييب دورهم بمنع المسلمين من تدوين الحديث وتداوله، بل على العكس من ذلك قد أصبح زمام المبادرة بأيديهم لحرصهم على حفظ سنّة الرسول تدويناً وتحديثاً، وبذلك عادت مرجعيّتهم الدينيّة والعلميّة من حيث لم يحتسب الحاكمون.

---

١. فهل القرآن والسنّة أقلّ شأناً من الدين وسائر العقود التي أمر الوحي بكتابتها قائلاً: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾؟!. البقرة (٢): ٢٨٢.

الكيد الجديد لأهل بيت الرسالة

لقد حاول معاوية بدهائه ومكره أن يرأب الصدع الذي كانت ملامحه قد بدت بعد عقود ثلاثة من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله فأمر عدداً من الصحابة ـ مثل أبي هريرة وغيره ممّن سار في دربه وحقّق له بعض خططه ومآربه ـ فشجّعهم على وضع أحاديث في فضائل الخلفاء من غير أهل البيت عليهم السلام بما يرفعهم ويجعلهم في القمّة التي اختصّ بها أهل البيت في العلم والورع والتقوى وغيرها من مكارم الصفات وحميد الخصال وجمال القيم، حتّى صرّح بضرورة سلب كلّ فضيلة كانت لأبي تراب على لسان الرسول ونسبتها إلى غيره من الخلفاء.

ألم يجعل كيدهم في تضليل؟

غير أنّ هذا الكمّ الهائل من الفضائل المختلَقَة ـ والتي دخلت فيما بعد في ما سُمّي بالصحاح من كتب الحديث ـ لم يكن بقادر على أن يغيّر الواقع، بالرغم من أنّه استطاع أن ينشئ ثقافة جديدة عند المسلمين تجاه هؤلاء الصحابة، وذلك لأنّ هذه الأحاديث المجعولة التي تداولها هؤلاء الوضّاعون بالإضافة إلى ارتباطهم بالبلاط وسبق منع تداول الحديث من قبل الخلفاء بحظر حكومي، قد زرع آيات من التشكيك في قلوب من آمن منهم بمنع تدوين الحديث وتداوله أيضاً، كما لم يؤثّر على من كان يرفض مهزلة منع تدوين الحديث من أساسها، بل كان محفّزاً آخر لهم على ضرورة التدوين للحديث النبوي ونشره بسرعة.

لقد جاءت هذه الأحاديث الموضوعة التي عكفوا على نشرها معارضةً لمبادئ أصحاب تيّار المنع من تداول الحديث ونشره؛ لأنّها تتقاطع مع مبدأ حظر تدوين الحديث ونشره، وهي أيضاً لم تصدر إلّا ممّن كان يُشكّ في صلاحيّته لنشر الحديث، وذلك لقصر زمان صحبته مع رسول الله من جهة، وكثرة ما كان ينقله من أحاديث[1]، ووجود دعم حكومي

---

١. أُنظر كتاب شيخ المضيرة وكتاب أضواء على السنّة المحمّديّة للأُستاذ محمود أبو ريّة، وكتاب أكثر أبو هريرة للدكتور مصطفى بوهندي وقد سبقهما الإمام شرف الدين في هذا المضمار في كتابه أبو هريرة.

لما ينشره بالإضافة إلى الفضائل الغريبة على العقلاء والنابهين من المسلمين.

وهذه كلّها كانت تثير الشكّ والريب في ما ينقل من أحاديث في فضائل الصحابة، ولا سيّما وهم يرون أنّهم ينسبون كلّ قضيّة ومكرمة لأهل البيت عامّة وللإمام عليّ خاصّة إلى واحد أو غير واحد من الخلفاء والصحابة.

إنّ حصيلة هذه الخطّة ـ التي نفذّها معاوية بواسطة اللجنة المتخصّصة بوضع الأحاديث في نسبة فضائل إلى الصحابة وتلفيقها من فضائل أهل البيت عليهم السلام أو نسبة فضائل غريبة إليهم ـ لم تكن قادرة على تغييب دور أهل البيت عليهم السلام الذين استأمنهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على حفظ تراثه ونشر سنّته وهو يرى كيفيّة التعامل السلبي من بعض صحابته تجاه سنّته. وقد وعد الله تعالى نبيّه بحفظه وعصمته من الناس الذين لا يريدون انتشار سنّته وهديه واستقرار ثقافته في المجتمع العربي آنذاك.

ومن هنا كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد استودع أهل بيته الأُمناء سنّتَه، وحثّ صحابته على اتّباعهم ولزوم مودّتهم وعدم مفارقتهم، كلّ ذلك لتتوفّر الضمانات اللازمة للوقوف أمام تيّار منع تدوين الحديث النبوي الشريف.

أهل البيت عليهم السلام ومواجهة المسخ الثقافي

لقد حاول الأُمويّون مسخ الأمّة مسخاً ثقافياً مريعاً؛ إذ أخذوا على أجهزة الإعلام لتعلن أنّ ابن رسول الله وفلذّة كبده السبط الشهيد عليه السلام خرج عن دين جدّه! وكان معاوية قبل ذلك يراوغ الناس ويفرض عليهم خلافة ابنه يزيد المنحرف، ويزعم جدارته للحكم وللخلافة وذلك باسم الرسول والرسالة.

ويا للعجب من هذا المسخ الثقافي والتلاعب بقيم الرسالة، ذلك التلاعب الذي لا يمكن نسخه ومحوه إلّا بالاستبسال والشهادة. فجاءت الثورة الحسينيّة التي غيّرت كلّ ما كرّسته الخطّة الأمويّة الخبيثة ضدّ الرسالة وأبناء الرسول الميامين والأُمناء على سنّته وشريعته.

وهكذا سقطت الأقنعة الأُمويّة السفيانيّة ثمّ المروانيّة أمام عظمة الشهادة والدماء الطاهرة التي أُريقت في ساحة كربلاء سنة ٦١ هـ وبعد كربلاء في المدينة وفي العراق وسائر

الأمصار ضدّ الطغيان الأُموي على مدى عدّة عقود. فقد أوضحت هذه التضحيات للناس مكانة أهل البيت عليهم السلام الرساليّة، وبلورت سلوكهم المبدئي، وبيّنت مدى الزيف والدجل الذي كان يمارسه الحكّام باسم الخلافة للرسول صلى الله عليه وآله.

المخطّط الأموي الجديد

وكادت الثورة الحسينيّة وتداعياتها الإيجابيّة أن تقضي على الوجود الأُموي المتغطرس لولا أنّ الخليفة الأُموي عمر بن عبد العزيز قد تدارك الأمر بتخطيط جديد ومدروس حيث فوّت فيه الفرصة على تألّق أهل البيت عليهم السلام، فقد منع سبّ الإمام عليّ عليه السلام الذي كان قد أسّسه معاوية وفرضه على خطباء البلاط في جُمَعهم وجماعاتهم، كما أرجع فدكاً لآل أبي طالب، فكان ذلك للعامّة مظهراً من مظاهر إحقاق الحقّ فخفّف النقمة ضدّ الأُمويّين إلى حدٍّ بعيد.

ثمّ أمر بكتابة السنّة لئلّا تضيع السنّة بعد قرنٍ من الإهمال والتضييع والتزوير الذي مارسه صحابة جريئون، كما سوف تلاحظ ذلك في أحاديث أبي هريرة وغيره.

إنّ هذا الإجراء الذي قام به عمر بن عبد العزيز قد ترتّب عليه ضرران كبيران للسنّة النبويّة المباركة:

الأوّل: إنّه قد سحب بساط المرجعيّة الدينيّة من أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا قد تميّزوا على من ناوأهم بتدوينهم سنّة الرسول صلى الله عليه وآله ونشرها، فأوجد البديل لهم في هذا السبيل، رغم وجود فرق كبير بين ما يرويه أهل البيت عليهم السلام عن جدّهم وبين غيرهم، لكنّ عامّة الناس تراهم يقنعون بهذا البديل، ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.

الثاني: إنّه لم يقنّن عمليّة التدوين التي كانت تحتاج إلى تقنين دقيق بعد اختلاط الأوراق واستحكام عمليّة وضع الأحاديث. ومن هنا لم تقم عمليّة تدوين الحديث على أُسس علميّة موضوعيّة وإنّما قامت على أُسس سياسيّة مذهبيّة حين أصبح الحديث المدوّن يُنتقىٰ انتقاءً يتلاءم مع سياسة الحاكمين المعادين لأهل بيت الرسالة، بشكلٍ عام.

ويشهد لذلك كثرة النقل عن أعدائهم ومخالفيهم وقلّة النقل عنهم إلّا بما هو شائن لهم ومخالف لمذهبهم وسيرتهم وهديهم.

التشويه والتغييب

وهكذا رُسمت لأهل البيت عليهم السلام في الصحاح المعروفة صورة لم تكن متطابقة مع ما هم عليه من الهدي النبوي والمواقف الرساليّة التي تصوّر طبيعة العلاقة بينهم وبين المنحرفين من الحكّام.

إنّ ما عرف فيما بعد بالصحيح من الحديث ـ انطلاقاً ممّا أُشيع حول بعض كتب الحديث من عناوين لامعة حتّى أصبح كتاب البخاري عند بعض الناس أصحّ كتاب بعد كتاب الله بحيث لا يشوبه الريب عندهم ولا تحوم حوله الظنون لديهم ـ كان مأساة جديدة للسنّة النبويّة التي أُريد تثقيف المسلمين من خلالها، فلا يتداول المسلمون إلّا ما يروق للسلطان الحاكم، ولا تتضمّن كتب الحديث إلّا ما يرتضيه الحاكمون ووعّاظهم من علماء البلاط.

منهج البخاري في انتقاء الحديث

إنّ دراسة واعية لرجال البخاري واعتماده على مثل الخوارج وإعراضه عن روايات أهل البيت عليهم السلام لَيشير إلى سياسة الانتقاء المدروس لمواجهة خطّ أهل البيت عليهم السلام أوّلاً، ولتعميم الثقافة المشوبة بما يتلاءم مع توجّهات الحكّام ثانياً.

وأدلّ دليل على التخطيط الواعي لمثل البخاري ـ فيما انتقاه من أحاديث من بين أحاديث كثيرة كانت متداولة لدى الحفّاظ ـ هو إحجامه عن نقل أحاديث كثيرة كانت موجودة حتّى استدركها عليه من تلاه من الحفّاظ، وهي على شروطه ومبانيه وأُصوله في قبول الحديث.

فلِمَ أعرض عنها البخاري ولم يدخلها في كتابه وهي صحيحة على ما شرط هو لنفسه؟!

أبو هريرة في كتاب شرف الدين

يأتي كتاب أبي هريرة للسيّد عبد الحسين شرف الدين كمبادرة جادّة لتكشف النقاب عن هذه الثغرة الكبيرة في طبيعة ما رواه البخاري ومسلم عن صحابي جريء في وضع

الحديث على رسول الله ﷺ ومتاجرته بالحديث النبويّ حتّى غصّت الصحاح بمرويّاته، وأصبح متّهماً بهذه الكثرة وهو لم يصاحب رسول الله إلّا دون زمن الصحبة لمثل الخلفاء الأربعة وكثير من سائر الصحابة الذين سبقوه في إعلان إسلامهم منذ بدء الدعوة، ولم تنقل كتب الصحاح عنهم إلّا عُشراً وأقلّ من العشر من أحاديث الرسول ﷺ إذا ما قيست مرويّاتهم إلى مرويّاته.

ومن هنا نعرف معنى مصطلح الصحيح و«الصحاح» بدقّة حيث يشير هذا المصطلح إلى ما صحّ عند الحاكمين تدوينُه ونقلُه وتداوله وإن لم يصحّ سنده ومضمونه بالمعايير الدقيقة.

كما سوف نقف على قيمة الجهد العلمي الذي بذله الإمام شرف الدين لكشف النقاب عن شخصيّة أبي هريرة كمحدّث عن رسول الله ﷺ، ومدى ما اخترعه أو ألّفه من أحاديث غريبة عن قيم الرسالة واُصول الشريعة ومبادئ القرآن وآياته البيّنات، والتي لا يعرفها أحد بشكلٍ صحيح إلّا حين يعرضها على القرآن الكريم. وقد قال النبيّ ﷺ: «قد كثرت عليَّ الكذّابة» وكان هذا في عصره، فكيف بالكذب والوضع بعد وفاته وعدم حضوره ليدافع عمّا كان يُجعل على لسانه؟ وهو الذي أمر المسلمين بعرض حديثه على كتاب الله وترك ما خالف الكتاب المجيد.

دعوة جادّة لدراسة تاريخ تدوين الحديث النبويّ

وهكذا يدخل المسلمون اليوم في مرحلة جديدة تدعوهم إلى التأمّل في تاريخ تدوين الحديث وما رافق تدوينه من ملابسات كانوا قد غفلوا عنها، فأصبحت مصادر ثقافتهم عرضةً لسخريّة المستشرقين، بل العقلاء من المسلمين، وتدعوهم هذه أيضاً لإعادة النظر في صحاحهم ومسانيدهم وعدم الاعتماد على المصادر التي كانت مؤيّدة من قبل الحاكمين، بل عليهم أن يراجعوا كلّ المصادر الحديثيّة التي اُثرت عن أهل بيت الرسالة الاُمناء على الرسالة والمستأمنون من قبل الرسول الأعظم ﷺ على تراثه وسنّته، وقد أثبتت للمسلمين سيرتهم مدى صدقهم وإخلاصهم للرسول الأعظم ﷺ ومدى تفانيهم في الدفاع عن رسالة جدّهم سيّد المرسلين.

طبعات الكتاب وترجماته

طبع كتاب أبو هريرة لأوّل مرّة في صيدا سنة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م، ثمّ توالت طبعاته في صيدا والنجف وبيروت وقم، وتجاوزت الاثنتي عشرة طبعة.

وترجم إلى الفارسيّة بعنوان ابوهريره واحاديث ساختگى وطبع في قم، وترجم إلى الأورديّة وطبع في كراجى ـ باكستان.

وترك آثاراً كبيرة في الساحة الإسلاميّة حتّى صدر للأُستاذ الشيخ محمود أبوريّة ـ من علماء الأزهر الشريف ـ كتابان جليلان: أضواء على السنّة المحمّديّة، وشيخ المضيرة. وصدر مؤخّراً للدكتور مصطفى بوهندي كتابه القيّم: أكثر أبوهريرة. وهزّ الأوساط العلميّة بحقائقه التاريخيّة.

والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصالحات؛ إذ أنعم علينا بتحقيق ونشر هذا السفر القيّم ضمن موسوعة الإمام شرف الدين. ونتقدّم بالشكر لفضيلة الشيخ منصور الإبراهيمي الذي أنجز تحقيق هذا الكتاب القيّم، كما نشكر كلّ الأفاضل الذين ساهموا في إخراجه إلى عالم النور، والله وليّ التوفيق.

مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة
قسم إحياء التراث الإسلامي

(٣)

الفصول المهمّة

في تأليف الأُمّة

تحقيق

غلامحسين قيصريه‌ها

تنبيه

توسّعنا بالفصول المهمّة في هذه الطبعة، إكمالاً لفوائدها، وإتماماً لمقاصدها، فظهرت اليوم بغير مظهرها أمس حتّى كأنّها غير الأُولى، فننبّه المطّلعين على تلك إلى أنّها لا تغنيهم عن هذه. وفي الحُميّة معنى ليس في العنب[1].

وما أحقّ كتابي هذا بأن أُخاطبه بقول وليّ الدين يكن:

كتابِيَ سِرْ في الأرضِ واسلك فِجاجَها وخلّ عبادَ الله تتلوك ما تتلو

فما بك من أُكذوبَةٍ فأخافُها ولا بك من جهلٍ فيُزري بك الجهلُ

* * *

تنبيهٌ آخر

لمّا كانت الكتب المتكرّر طبعها مختلفة في عدد الصفحات، لم نقتصر في مقام النقل عنها في هذا الكتاب وغيره على تعيين الصفحة فقط، بل عيّنّا معها الباب أو الفصل مثلاً، ليرجع إليه من لم تكن صفحات النسخ التي عنده موافقة لصفحات النسخ التي عندنا، فاحفظ هذه الجملة وانتبه.

---

١. مثل سائر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآله الميامين(١).

لا تتّسق أُمور العمران، ولا تستتبّ أسباب الارتقاء، ولا تنبث روح المدنيّة، ولا تَبْزُغُ شموسُ الدَعَة من أبراج السعادة، ولا نرفع عن أعناقنا نِيْر[١] العبوديّة بيد الحرّيّة إلّا باتّفاق الكلمة، واجتماع الأفئدة، وترادف القلوب، واتّحاد العزائم، والاجتماع على النهضة بنواميس الأُمّة ورفع كيان الملّة. وبذلك تهتزّ الأرضُ طرباً، وتمطر السماء ذهباً، وتتفجّر ينابيع الرحمة من قلب المواساة، فتجري في سهوب الترقّي، وتتفرّق في بيد(٢) العمران وأخاديد الحنان والاتّحاد، فتنتشر روح الإنسانيّة من أجداثها، وتحشر الملّة الفطريّة من رفاتها، ويتبلّج القسط بازغة أنواره، ويستوسق نظام العدل خافقة

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم. يقول ناظم عقد هذه الفصول عبد الحسين شرف الدين الموسوي: لمّا نفدت الطبعة الأُولى من هذا الكتاب، التمس منّي مَن لا تسعني مخالفتهم من المؤمنين من أهل سوريا والعراق وغيرهما أن أُعيد طبعه، وأن أتوسّع فيه ليتضاعف نفعه، فأجبتهم إلى ذلك، وعلّقت في أسفل صفحات الكتاب تعليقة نافعة جدّاً. والله نسأل أن يكون الكتاب وتعليقته خالصين لوجهه الكريم، إنّه الرؤوف الرحيم.

(٢) جمع بيداء، كبيض جمع بيضاء[٢].

---

١. النِيْرُ: الخشبة التي تكون على عنق الثور بأداتها. راجع لسان العرب ٥: ٢٤٧، «ن. ي. ر».

٢. لسان العرب ٣: ٩٧، «ب. ي. د».

بنوده، ويتفقّد الحاكم أمر رعيّته تفقّد الوالد العطوف أمر ولده.

وعندها تجب مؤازرته في إحياء مواتها، وعمارة فلواتها، ورتق ما انفتق، وإصلاح ما فسد، وإرشاد من ضلّ، وجهاد من بغى، وإعانة من ضعف، وتعليم من جهل.

أمّا إذا كانت الأُمّة أوزاعاً متباينة، وشيعاً متباغضة، لاهية بعبثها، غافلة عن رقيها، لتكوننّ حيث مَنابِتِ الشِّيح، ومَهافي الريح، أذلّ الأمم داراً، وأجدبها قَراراً[١]، مَذْقَة الشارب، ونهزة الطامع، وهدف السهام، وقبسة العجلان[٢]، في باحة ذُلٍّ، وحَلْقة ضِيقٍ، وعرصةِ موتٍ، وحومة بلاء[٣]. لا تأوي إلى جَناح دَعوة، ولا تعتصم بظلّ مَنْعة[٤].

فَحَذارِ حذارِ من بَقاءِ الفُرقة، وتشتّت الأُلفة، واختلاف الكلمة، وتنافر الأفئدة. ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٥]، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[٦]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٧].

ألا وإنّا في عصر العلم ودور الذكاء والفطنة، قد تفجّر لذوي العصر ينبوع الحكمة، وتقشّعت عن أبصارهم غياهب العُشْوَة، فزهر كهرباء النور من أفكارهم، وأشرقت شموس الفضل من وجوههم، فهلّا شرعوا خطّيَّ أقلامهم، وجرّدوا صوارمها، ووتّروا قِسيَّ أفكارهم، وناضلوا بثواقبها، فأزهقوا نفس العصبيّة، ومحقوا آثارها، وصدعوا

---

١. اقتباس من كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: ٢٩٧، الخطبة ١٩٢.

٢. اقتباس من خطبة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام المرويّة في بحار الأنوار ٢٩: ٢٣٦، كتاب الفتن والمحن، خطبة الزهراء سلام الله عليها، ح ٩.

٣. اقتباس من كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: ٢٨٨، الخطبة ١٩٢.

٤. المصدر: ٢٩٧، الخطبة ١٩٢.

٥. آل عمران (٣): ١٠٥.

٦. آل عمران (٣): ١٠٣.

٧. الأنعام (٦): ١٥٩.

بوظائف الإنسانيّة، ورفعوا منارها، وهتفوا بدعوة التمدّن، واعتنوا باتّحاد التشيّع والتسنّن، بخطابة تملأ مَسْمع الدهر، ومَلامةٍ تُقلقل جَلاميد الصخر.

فمتى يطلقون عنان براعتهم، ويحملون على جيوش التوحّش بيراعتهم، وينهضون باجتماع الأملاء، ويصدعون بأسباب التمدّن والارتقاء، ويحذّرون الأُمّة ممّا يصطلم حوزتها، ويفرّق جماعتها؟! فإنّ الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾[1].

وإنّي صادق بهذه المقالة، شارع بعون الله تعالى في تصنيف رسالة سمّيتُها: «الفصول المهمّة في تأليف الأمّة». ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2].

---

١. الأنفال (٨): ٤٦.

٢. هود (١١): ٨٨.

فصل ١

في نبذة ممّا جاء في الكتاب العزيز والسنّة المقدّسة من الترغيب في الاجتماع والألفة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[2]، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ إلى أن قال ـ عزّ اسمه ـ في وصفهم: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[3]، ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4]، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[5]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[6]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[7]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

---

١. الحجرات (٤٩): ١٠.

٢. التوبة (٩): ٧١.

٣. الفتح (٤٨): ٢٩.

٤. آل عمران (٣): ١٠٥.

٥. آل عمران (٣): ١٠٣.

٦. الأنعام (٦): ١٥٩.

٧. الحجرات (٤٩): ١٣.

وقال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنّة حتّى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتّى تحابّوا. أوَ لا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[١].

وقال ﷺ: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين ولعامّتهم»[٢]. «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»[٣].

وقال ﷺ: «ذمّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وهم يد على من سواهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل»[٤].

وقال ﷺ: «إيّاكم والظنّ؛ فإنّ الظنّ أكذبُ الحديث، ولا تحسّسوا ولا تجسّسوا، ولا تناجشوا ولا تحاسدوا، ولا تدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً»[٥]. «ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيّام»[٦].

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه كربةً من كربات

---

١. صحيح مسلم ١: ٧٤، كتاب الإيمان، ح ٩٣؛ سنن أبي داود ٤: ٣٥٠، ح ٥١٩٣؛ الجامع الصحيح ٥: ٥٢، ح ٢٦٨٨.

٢. مسند أحمد ٦: ٣٤ ـ ٣٥، ح ١٦٩٣٨ و ١٦٩٤٣ و ١٦٩٤٤؛ سنن الدارمي ٢: ٣١١، باب الدين النصيحة؛ روضة الواعظين ٢: ٣٦٦، ح ١٣٥٠.

٣. صحيح البخاري ١: ١٤، ح ١٣؛ صحيح مسلم ١: ٦٨، كتاب الإيمان، ح ٧٢؛ شعب الإيمان ٣: ٢٦١، ح ٣٤٨٥، بتفاوت في الأخيرين.

٤. صحيح البخاري ٣: ١١٦٠ ـ ١١٦١، ح ٣٠٠٨؛ مسند أحمد ٣: ٣٥٨ ـ ٣٥٩، ح ٩١٨٤؛ صحيح مسلم ٢: ٩٩٩، كتاب الحجّ، ح ٤٦٩؛ عمدة عيون صحاح الأخبار: ٣٧٦، ح ٥٥٢، الفصل ٣٦. وليست فيها جملة: «وهم يد على من سواهم».

٥. صحيح البخاري ٥: ٢٢٥٣، ح ٥٧١٧ ـ ٥٧١٩؛ مسند أحمد ٣: ١٣٤، ح ٧٨٦٣؛ صحيح مسلم ٤: 1985، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٢٨ ـ ٣١، بتفاوت يسير في المصادر.

٦. صحيح مسلم ٤: ١٩٨٤، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٢٦؛ سنن أبي داود ٤: ٢٧٨ ـ ٢٧٩، ح ٤٩١١.

يوم القيامة، ومن ستر مؤمناً، ستره الله يوم القيامة»[١].

وقال الصادق عليه السلام: «المسلم أخو المسلم، هو عينه ومرآته ودليله، لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه»[٢].

وقال عليه السلام لجماعة من شيعته: «اتّقوا الله وكونوا إخوةً بَرَرةً، مُتحابّين في الله، متواصلين متواضعين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وأحيوا أمرَنا»[٣].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ أقربكم منّي مجلساً أحاسنكم أخلاقاً، الموطّؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: «المؤمن إلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[٥].

وفي حديث آخر: «إنّ أحبّكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون، وإنّ أبغضكم إلى الله المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الإخوان»[٦].

وقال صلى الله عليه وآله: «المتحابّون في الله على عمود من ياقوتة حمراء، [في][٧] رأس العمود سبعون ألف غُرفة، يشرفون على الجنّة، يضيء حسنهم كما تضيء الشمس، عليهم

---

١. صحيح البخاري ٢: ٨٦٢ـ٨٦٣، ح ٢٣١٠؛ صحيح مسلم ٤: ١٩٩٦، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٥٨؛ الجامع الصحيح ٤: ٣٤، ح ١٤٦٢ بتفاوت يسير.

٢. الكافي ٢: ١٦٦، باب أُخوّة المؤمنين بعضهم لبعض، ح ٥؛ وسائل الشيعة ١٢: ٢٠٤، الباب ١٢٢ من أبواب أحكام العشرة، ح ٤.

٣. الكافي ٢: ١٧٥، باب التراحم والتعاطف، ح ١؛ الأمالي للطوسي: ٦٠، المجلس ٢، ح ٥٦؛ وسائل الشيعة ١٢: ٢٢، الباب ١٠ من أبواب أحكام العشرة، ح ٨.

٤. إحياء علوم الدين ٢: ١٧٢. وقريب منه في الكافي ٢: ١٠٢، باب حسن الخلق، ح ١٦؛ وسائل الشيعة ١٢: ١٥٧ـ١٥٨، الباب ١٠٥ من أبواب أحكام العشرة، ح ١. وراجع: أيضاً المعجم الأوسط ٨: ٣٤٠ـ٣٤١، ح ٧٦٩٣؛ الترغيب والترهيب ٣: ٤١٠، باب الترغيب في الخلق الحسن وفضله، ح ٣٣.

٥. إحياء علوم الدين ٢: ١٧٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٣٩.

٦. إحياء علوم الدين ٢: ١٧٤؛ عوالي اللآلئ ١: ١٠٠، ح ٢١؛ مستدرك الوسائل ٩: ١٥٠، الباب ١٤٤ من أبواب أحكام العشرة، ح ٥.

٧. أضفناه من المصدر.

ثياب سندس خضر، مكتوب على جباههم: المتحابّون في الله»[١].

وقال ﷺ: «ينصب لطائفة من الناس كراسيّ حول العرش يوم القيامة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزع الناس وهم لا يفزعون، ويخاف الناس وهم لا يخافون، أُولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون». فقيل: من هم يا رسول الله؟ فقال: «هم المتحابّون في الله»[٢].

وقال ﷺ: «إنّ الله تعالى يقول: حقّت محبّتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقّت محبّتي للذين يتحابّون من أجلي، وحقّت محبّتي للذين يتباذلون من أجلي، وحقّت محبّتي للذين يتناصرون من أجلي»[٣].

وقال ﷺ: «إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابّون بجلالي؟ اليوم أُظلّهم في ظلّي»[٤].

وعن باقر علوم النبيّين، عن آبائه الخلفاء الراشدين، عن جدّهم سيّد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، من حديث طويل قال: «إذا كان يوم القيامة، ينادي منادٍ: أين جيران الله ـ جلّ جلاله ـ في داره؟ فيقوم عُنُق من الناس، فتستقبلهم زُمرة من الملائكة، فيقولون لهم: ماذا كان عملكم فصرتم به جيران الله في داره؟ فيقولون: كنّا نتحابّ في الله، ونتباذل في الله، ونتزاور في الله عزّ وجلّ. قال:

---

١. إحياء علوم الدين ٢: ١٧٤. وقريب منه في المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٦٩، ح ٣٤٠٩٠، الكامل في ضعفاء الرجال ٢: ٢٧٣، الرقم ٤٣٦؛ الأمالي للمفيد: ٧٥، المجلس ٩، ح ١١؛ بحار الأنوار ٧١: ٣٩٩، كتاب العشرة، الباب ٢٨، ح ٣٧.

٢. إحياء علوم الدين ٢: ١٧٣.

٣. إحياء علوم الدين ٢: ١٧٣. وقريب منه في مسند أحمد ٧: ١١٣، ح ١٩٤٥٥؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ١٠: ٤٩٥، ح ١٠٨١٣؛ مستدرك الوسائل ١٢: ٢٢٥، باب ١٤ من أبواب الأمر والنهي، ح ٢٣.

٤. مسند أحمد ٣: ٢٢، ح ٧٢٣٥؛ سنن الدارمي ٢: ٣١٣، باب في المتحابّين في الله؛ صحيح مسلم ٤: ١٩٨٨، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٣٧؛ مستدرك الوسائل ١٢: ٢٢٤ ـ ٢٢٥، الباب ١٤ من أبواب الأمر والنهي، ح ٢٣.

فينادي منادٍ: صدق عبادي، خلّوا سبيلهم لينطلقوا إلى جوار الله بغير حساب»[١].

وعن عبد المؤمن الأنصاري قال: دخلت على الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام وعنده محمّد بن عبد الله الجعفري فتبسّمت إليه، فقال عليه السلام: «أتحبّه؟»، قلت: نعم، وما أحببته إلّا لكم، فقال عليه السلام: «هو أخوك، والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه، ملعونٌ ملعونٌ من اتّهم أخاه، ملعون ملعون من غَشَّ أخاه، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه، ملعون ملعون من استأثر على أخيه، ملعون ملعون من اغتاب أخاه»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء على الأُخوّة في الدين: «من أراد الله به خيراً، رزقه خليلاً صالحاً، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه»[٣]. «ومثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأُخرى، وما التقى مؤمنان قطّ إلّا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً»[٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «عليكم بالإخوان؛ فإنّهم عُدّة في الدنيا والآخرة، ألا تسمعون إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾»[٥].

وعن جرير بن عبد الله قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكلّ مسلم[٦].

والأخبار في هذا متواترة، والصحاح متظافرة، وإذا راجعت حديث الفريقين، رأيت الصبح قد أسفر لذي عينين، وفي هذا كفاية لمن له من الله هداية.

---

١. الأمالي للطوسي: ١٠٢، المجلس ٤، ح ١٢؛ وسائل الشيعة ١٦: ١٧٠، الباب ١٥ من أبواب الأمر والنهي، ح ١٥.

٢. عدّة الداعي: ٢١٩؛ وعنه في وسائل الشيعة ١٢: ٢٣١، الباب ١٣٠ من أبواب أحكام العشرة، ح ٥؛ وبحار الأنوار ٧١: ٢٣٦ـ٢٣٧، كتاب العشرة، الباب ١٥، ح ٣٨.

٣. إحياء علوم الدين ٢: ١٧٢. للمزيد راجع أيضاً سنن أبي داود ٣: ١٣١، ح ٢٩٣٢.

٤. إحياء علوم الدين ٢: ١٧٢.

٥. مشكاة الأنوار: ١٨٧، الباب ٤، الفصل ١؛ مستدرك الوسائل ٨: ٣٢٣، الباب ٧ من أبواب أحكام العشرة، ح ٦؛ والآية في سورة الشعراء (٢٦): ١٠٠ـ١٠١.

٦. صحيح البخاري ١: ٣١، ح ٥٧؛ صحيح مسلم ١: ٧٥، كتاب الإيمان، ح ٩٧.

فصل ٢

في بيان معنى الإسلام والإيمان اللذَين بهما ينال العبد غايةَ الرضوان، وعليهما يكون المدار، وبوجودهما تترتّب الآثار

دعاني إلى بيانهما إقناع أهل العصبيّة، والتنديد بهؤلاء المرجفين على حميّة الجاهليّة، **فأقول:**

أجمع إخواننا أهل السنّة على أنّ الإسلام والإيمان عبارة عن الشهادتين، والتصديق بالبعث، والصلوات الخمس إلى القبلة، وحجّ البيت، وصيام الشهر، والزكاة والخمس المفروضين(١). وبهذا تُعلن الصحاح الستّة وغيرها[١].

(١) وربما بعضهم فرّق بين الإسلام والإيمان بفارق اعتباري، والذي يظهر من قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[٢] أنّ الإسلام عبارة عن مجرّد الدخول في الدين والتسليم لسيّد المرسلين، وأنّ الإيمان عبارة عن اليقين الثابت في قلوب المؤمنين مع الاعتراف به في اللسان، فيكون على هذا أخصّ من الإسلام، ونحن نعتبر فيه الولاية مضافاً إلى ذلك، فافهم.

١. للمزيد راجع كنز العمّال ١: ٢٧٠ ـ ٢٨٤، ح ١٣٥٥ ـ ١٣٨٥.

٢. الحجرات (٤٩): ١٤.

ففي البخاري بسنده قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلّا الله، واستقبل قبلتنا، وصلّى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم»[١].

وفيه أيضاً بالإسناد إلى أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى صلاتنا، واستقبل قِبْلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمّة الله وذمّة رسوله، فلا تُخْفِروا الله في ذمّته»[٢].(١)

وفيه بالإسناد إلى طلحة بن عبيد الله(٢) قال: جاء إلى رسول الله ﷺ رجلٌ من أهل نجد، ثائر الرأس نسمع دويّ صوته، ولا نفقه ما يقول حتّى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة». قال: هل عليَّ غيرها؟(٣) قال: «لا، إلّا أن تطوّع». قال رسول الله ﷺ: «وصيام رمضان». قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «لا، إلّا أن تطوّع». قال: وذكر له الزكاة قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا، إلّا أن تطوّع». قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله، لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»[٣].

---

(١) الإخفار نقض العهد[٤]. وهذا الحديث والذي قبله مقيّدان بما يدلّ على اشتراط الصوم والزكاة والحجّ، كما لا يخفى.

(٢) هذا الحديث موجود في صحيح مسلم[٥] بهذا الإسناد أيضاً.

(٣) يعني من جنسها، وكذلك المراد من قوله: «هل عليّ غيرها» بعد ذكر الصيام والزكاة.

---

١. صحيح البخاري ١: ١٥٣، ح ٣٨٥.

٢. المصدر، ح ٣٨٤.

٣. المصدر: ٢٥، ح ٤٦.

٤. أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وذمامه، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٥٢، «خ. ف. ر».

٥. صحيح مسلم ١: ٤٠ ـ ٤١، كتاب الإيمان، ح ٨.

وفي صحيح البخاري أيضاً بالإسناد إلى نافع، أنّ رجلاً أتى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، ما حملك على أن تحجّ عاماً وتعتمر عاماً، وتترك الجهاد في سبيل الله وقد علمت ما رغّب الله فيه؟ قال: يا ابن أخي، بُني الإسلام على خمس: إيمانٍ بالله ورسوله، والصلاة الخَمس، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وحجّ البيت[١].

وفيه أيضاً بالإسناد إلى أبي هريرة قال: كان النبيّ ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل فقال: ما الايمان؟ قال ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته [ورسله ولقائه]، وتؤمن بالبعث». قال: ما الإسلام؟ قال ﷺ: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». الحديث. وآخره ثمّ أدبر ـ يعني السائل ـ فقال ﷺ: «ردّوه»، فلم يروا شيئاً، فقال: «هذا جبرائيل، جاء يعلّم الناس دينهم»[٢].

قلت: وأخرج هذا الحديث مسلم أيضاً في صحيحه بطرق مختلفة، وأسانيد متعدّدة، بعضها عن عمر بن الخطّاب، وبعضها عن ابنه عبد الله، وبعضها عن أبي هريرة، وفيه شيء ما من زيادة أو نقصان[٣].

وأخرج البخاري في عدّة مواضع من صحيحه بالإسناد إلى ابن عبّاس أنّ النبيّ ﷺ قال لوفد عبد القيس ـ لمّا أمرهم بالإيمان بالله وحده ـ: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان،

---

١. صحيح البخاري ٤: ١٦٤١، ح ٤٢٤٣.

٢. المصدر: ١٧٩٣، ح ٤٤٩٩. وفيه: «رُدّوا عليّ» بدل «ردّوه».

٣. راجع صحيح مسلم ١: ٣٦ ـ ٣٩، كتاب الإيمان، ح ١ ـ ٧.

وأن تعطوا من المغنم الخمس»[١](١). الحديث.

والأحاديث في هذا المعنى لا تكاد تحصى، فمن أرادها، فعليه بمظانّها من الصحاح الستّة وغيرها[٢]، ولا سيّما كتاب الإيمان من صحيح مسلم، فإنّ فيه أبواباً كثيرة تفيد القطع بأنّ الإسلام والإيمان عند أهل السنّة ليس إلّا ما ذكرناه، على أنّ ما سنورده في الفصلين الآتيين صريح في ذلك أيضاً، فتدبّر ولا تذهل.

(١) وأخرجه مسلم أيضاً في عدّة مواضع من صحيحه[٣]. ولا يخفى ما فيه من الدلالة على أنّ الخمس ركن من أركان الإسلام كالصلاة والزكاة، فيكون هذا الحديث مقيّداً لجميع الأحاديث المطلقة بالنسبة إلى الخمس، ولا غرو، فإنّ الكتاب والسنّة يقيّد بعضها بعضاً.

١. صحيح البخاري ١: ٢٩، ح ٥٣، و ٤٥، ح ٨٧، و ١٩٥، ح ٥٠٠؛ و٢: ٥٠٦، ح ١٣٣٤؛ و٣: ١١٢٨، ٢٩٢٨، ١٢٩٢، ح ٣٣١٩. وغير هذه المواضع.
٢. للمزيد راجع كنز العمّال ١: ٨٨ـ ٩٠، ح ٣٧٤ ـ ٣٨٥.
٣. صحيح مسلم ١: ٤٦ ـ ٥٠، كتاب الإيمان، ح ٢٣ ـ ٢٨.

فصل ٣

في نبذة ممّا صحّ عند أهل السنّة والجماعة
من الأحاديث الدالّة على أنّ من قال:
«لا إله إلّا الله محمّد رسول الله» محترم دمه وماله وعرضه

أوردناها لينتبه الغافل، ويقنع الجاهل، وليعلما أنّ أمر المسلمين ليس كما يزعمه إخوان العصبيّة، وأبناء الهمجيّة[1]، وحُلفاء الحميّة، حميّة الجاهليّة، الذين شقّوا عصا المسلمين، وأضرموا نار الفتن بينهم حتّى كانوا أوزاعاً وشيعاً، يكفّر بعضهم بعضاً، ويتبرّأ بعضهم من بعض، من غير أمر يوجب ذلك، إلّا ما نفخته الشياطين، أو نفثته أبالسة الإنس الذين هم أنكى للإسلام من نسل آكلة الأكباد.

وهذا عصر العلم، عصر الإنصاف، عصر النور، عصر التأمّل في حقائق الأُمور، عصر الإعراض عن كلّ تعصّب ذميم، والأخذ بكتاب الله العظيم، وسنّة نبيّه الكريم، وإليك منها ما عقد الفصل لذكره.

أخرج البخاري في الصحيح عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ أنّ رسول الله ﷺ

---

١. الهمج: جمع همجة، وهي ذباب صغير يقع على وجوه الغنم والحمير،... وشبّه به الرذال من الناس فقيل لهم: همج. راجع الفائق في غريب الحديث ٢: ٢٩، «هـ. م. ج».

قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنّك ستأتي قوماً أهل كتابٍ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، فإنْ هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإيّاك وكرائم أموالهم»[1] .[(1)] الحديث.

وتراه ينادي بثبوت الإسلام لهم بمجرّد طاعتهم له بذلك، بحيث تكون أموالهم حينئذٍ ـ فضلاً عن أعراضهم ودمائهم ـ محترمة كغيرهم من أفضل أفراد المؤمنين.

ومثله في باب فضائل عليّ عليه السلام من الجزء الثاني من صحيح مسلم[(2)] قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لأُعطينّ هذه الراية رجلاً يحبُّ الله ورسولَه ـ وفي رواية أُخرى هي في الصحاح أيضاً «ويحبّه الله ورسوله»[2] ـ يفتح الله على يديه». قال: قال عمر بن الخطّاب: ما أحببتُ الإمارة إلّا يومئذٍ، فتساورتُ لها رجاء

---

(١) وأخرجه مسلم في صحيحه بالإسناد إلى ابن عبّاس أيضاً[3]. ولا يخفى تقييده بما دلّ على اشتراط طاعتهم له في الصوم والحجّ والخمس من الصحاح الأُخر[4].

(٢) وهو موجود في باب غزوة خيبر من الجزء الثالث من صحيح البخاري[5]، وفي باب مناقب عليّ عليه السلام من الجزء الثاني منه أيضاً بنوعٍ ما من التغيير في الألفاظ[6].

---

١. صحيح البخاري ٢: ٥٤٤، ح ١٤٢٥؛ و٤: ١٥٨٠، ح ٤٠٩٠.

٢. مسند أحمد ١: ٣٩١، ح ١٦٠٨؛ صحيح مسلم ٤: ١٨٧٢، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٤؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٣٨، ح ٣٧٢٤.

٣. صحيح مسلم ١: ٥٠، كتاب الايمان، ح ٢٩ و ٣١.

٤. راجع صحيح مسلم ١: ٤٦، كتاب الايمان، ح ٢٣ـ٢٦.

٥. صحيح البخاري ٤: ١٥٤٢، ح ٣٩٧٢ و٣٩٧٣.

٦. المصدر ٣: ١٣٥٧، ح ٣٤٩٨.

أن أُدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، فأعطاه إيّاها وقال: «امش، ولا تلتفت [حتّى يفتح الله عليك]». قال: فسار عليّ شيئاً ثمّ وقف ولم يلتفت، فصرخَ: يا رسول الله، على ماذا أُقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك، فقد منعوا منك دماءهم»[١].

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أُسامة بن زيد، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقَة، فصبَّحْنا القوم فهزمناهم، ولحقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلمّا غشِيناه، قال: لا إله إلّا الله، فكفّ الأنصاري عنه، فطعنتُه برمحي حتّى قتلتُه، فلمّا قدمنا، بلغ النبيّ ﷺ ذلك، فقال: «يا أُسامة، أقتلته بعدما قال: لا إله إلّا الله؟» قلت: كان مُتعوِّذاً. قال: فما زال يكرّرها حتّى تمنّيت أنّي لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم[٢].

قلت: ما تمنّى ذلك حتّى اعتقد أنّ جميع ما عمله قبل هذه الواقعة، من إيمان وصحبة وجهاد وصلاة وصوم وزكاة وحجّ وغيرها لا يُذهِب عنه هذه السيّئة، وأنّ أعماله الصالحة بأجمعها قد حبطت بها.

ولا يخفى ما في كلامه من الدلالة على أنّه كان يخاف أن لا يُغفر له، ولذلك تمنّى تأخّر إسلامه عن هذه الخطيئة؛ ليكون داخلاً في حكم قوله ﷺ: «الإسلام يجبُّ ما قبله»[٣]. وناهيك بهذا دليلاً على احترام لا إله إلّا الله وأهلها.

---

١. صحيح مسلم ٤: ١٨٧١ ـ ١٨٧٢، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٣.

٢. صحيح البخاري ٤: ١٥٥٥، ح ٤٠٢١؛ و٦: ٢٥١٩، ح ٦٤٧٨؛ صحيح مسلم ١: ٩٧، كتاب الإيمان، ح ١٥٨ ـ ١٥٩.

٣. السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٢٠٦، ح ١٨٢٩٠؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٥٨٦، ح ١٥٨٩٠؛ تفسير القمّيّ ١: ١٤٨، ذيل الآية ٩٣ من سورة النساء (٤)؛ و٢: ٢٧، ذيل الآية ٩٠ ـ ٩٣ من سورة الإسراء (١٧)؛ وبلفظ: «يهدم ما قبله» في صحيح مسلم ١: ١١٢، كتاب الإيمان، ح ١٩٢.

وإذا كانت هذه حال من يقولها متعوّذاً، فما ظنّك بمن انعقدت بها نطفته ثمّ رضعها من ثديَي أُمّه، فاشتدّ عليها عظمه، ونبت بها لحمه، وامتلأ من نورها قلبه، ودانت بها جميع جوارحه؟ فلينته أهل العناد عن غيّهم، وليحذروا غضب الله تعالى وسخط نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي الصحيحين بالإسناد إلى المقداد بن عمرو أنّه قال: يا رسول الله، أرأيت إن لقيتُ رجلاً من الكفّار فاقتتلنا فضرب إحدى يديّ بالسيف فقطعها، ثمّ لاذَ مِنّي بشجرة فقال: أسلمت لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقتله، فإن قتلته فإنّه بمنزلتك قبل أن تقتله(١)، وإنّك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»[١](٢).

قلت: ليس في كلام العرب ولا غيرهم عبارة هي أدلّ على احترام الإسلام وأهله من هذا الحديث الشريف، وأيّ عبارة تكايله في ذلك أو توازنه؟ وقد قضى بأنّ المقداد على سوابقه وحسن بلائه لو قتل ذلك الرجل، لكان بمنزلة الكافرين، المحاربين لله ولرسوله، وكان المقتول بمنزلة واحد من أعاظم السابقين، وأكابر البدريّين الأُحديّين، وهذه أقصى غاية يؤمّها المبالغ في احترام أهل التوحيد، فليتّق الله كلّ مجازف عنيد.

وأخرج البخاري[٢] في باب بعث عليّ عليه السلام وخالد إلى اليمن: أنّ رجلاً قام فقال: يا رسول الله، اتّق الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ويلك ألستُ أحقّ أهل الأرض أن يتّقي الله؟»،

---

(١) يعني أنّه يكون من عدول المؤمنين؛ لأنّ المقداد كان كذلك.

(٢) يعني أنّه يكون بمنزلة الكافر الحربيّ؛ لأنّ المقتول كان كذلك قبل أن يقول كلمته التي قالها.

---

١. صحيح البخاري ٤: ١٤٧٤، ح ٣٧٩٤؛ ٦: ٢٥١٨، ح ٦٤٧٢؛ صحيح مسلم ١: ٩٥، كتاب الإيمان، ح ١٥٥.

٢. صحيح البخاري ٤: ١٥٨١، ح ٤٠٩٤.

فقال خالد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال ﷺ: «لا، لعلّه أن يكون يصلّي»(١).

قلت: أعظِم بهذا الحديث ودلالته على احترام الصلاة وأهلها، وإذا كان احتمال كونه يصلّي مانعاً من قتله، وقد اعترض على النبيّ ﷺ جهرة وكاشَفهُ علانية، فما ظنّك بمن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم الشهر ويحجّ البيت ويحلّل الحلال ويحرّم الحرام، ويتعبّد بقول النبيّ ﷺ وفعله وتقريره، ويتقرّب إلى الله تعالى بحبّه وبموالاة أهل بيته، ويرجو رحمة الله ـ عزّ وجلّ ـ بشفاعته متمسّكاً بثقليه، معتصماً بحبليه، ويوالي وليّه وإن كان قاتل أبيه، ويعادي عدوّه وإن كان من خاصّته وأهليه؟

---

(١) وأخرجه أحمد بن حنبل من حديث أبي سعيد الخُدري في صفحة ٤ من الجزء الثالث من مسنده[١].

ومثله ما نقله العسقلاني في الإصابة[٢] في ترجمة سرحوق المنافق من أنّه:

لمّا أُتي به ليقتل قال رسول الله ﷺ: «هل يصلّي؟»، قالوا: إذا رآه الناس، قال: «إنّي نهيت أن أقتل المصلّين». انتهى.

وكذلك ما أخرجه الذهبي في ترجمة عامر بن عبد الله بن يساف من ميزانه[٣] بسند ضعيف عن أنس، قال:

ذُكر عند النبيّ ﷺ رجلٌ فقيل: ذلك كهف المنافقين، فلمّا أكثروا فيه، رخّص لهم في قتله، ثمّ قال: «هل يصلّي؟»، قالوا: نعم، صلاة لا خير فيها، قال ﷺ: «إنّي نُهيت عن قتل المصلّين».

قلت: إذا كانت هذه حاله مع المنافقين المرائين بصلاتهم، فما ظنّك بالمحافظين عليها، والخاشعين المخلصين لله فيها؟

---

١. مسند أحمد ٤: ١٠ ـ ١١، ح ١١٠٠٨.

٢. الإصابة ٣: ٧٠، الرقم ٣١١٥.

٣. ميزان الاعتدال ٢: ٣٦١، الرقم ٤٠٨٤.

وأخرج البخاري في باب قصّة البيعة والاتّفاق على عثمان، حيث ذكر مقتل عمرﷺ، والحديث طويل، وفيه: يا ابن عبّاس، اُنظر من قتلني؟ فجال ساعة ثمّ جاء فقال: غلام المغيرة. قال: الصَنَعُ؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل مَنِيّتي[1] بيد رجل يدّعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبّان أن تكثر العُلُوج بالمدينة. فقال: إن شئت قتلناهم. قال: كذبت بعد أن تكلّموا بلسانكم ـ أي أقرّوا بالشهادتين ـ وصلّوا إلى قبلتكم، وحجّوا حجّتكم[2]. الحديث.

والظاهر من قوله: «الحمد لله الذي لم يجعل مَنِيّتي بيد رجل يدّعي الإسلام» ـ بقرينة ما ستسمعه من رواية ابن قتيبة وابن عبد البرّ ـ أنّه كان يخشى أن يكون قاتله مسلماً فيغفر له بسبب إسلامه، فلمّا عرف أنّه ممّن لا يدّعي الإسلام، علم أنّ الله آخذ بحقّه على كلّ حال. وفي هذا من الدلالة على حسن عواقب المسلمين ما لا تسعه عبارة.

ثمّ إذا نظرت إلى إنكاره على ابن عبّاس، وقوله له مع جلالته: «كذبت» إلى آخر كلامه، دلّك ذلك على احترام أهل الشهادتين والصلاة والحجّ كيف كانوا.

وفي صفحة ٢٦ من كتاب الإمامة والسياسة ـ للإمام المجمع على فضله ابن قتيبة المتوفّى سنة مائتين وسبعين ـ: أنّ عمر لمّا اُخبر أنّ قاتله غلام المغيرة، قال: الحمد لله الذي لم يقتلني رجل يحاجّني بلا إله إلّا الله يوم القيامة[3].

وروى الحافظ أبو عمرو يوسف بن عبد البرّ القرطبي في ترجمة عمر من

---

١. في المصدر: «ميتتي».

٢. صحيح البخاري ٣: ١٣٥٣ ـ ١٣٥٧، ح ٣٤٩٧.

٣. الإمامة والسياسة ١: ٢٢.

الاستيعاب أنّه قال لولده عبد الله: الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد رجل يحاجّني بلا إله إلّا الله[١].

قلت: إذا كان صاحب لا إله إلّا الله بحيث لو قتل عمر بن الخطّاب وهو الخليفة الثاني لحاجّه بها، فأمر أهل التوحيد إذن سهل يسير. فليتّق الله أهل الشقاق، ولينهض رجال الإصلاح بأسباب الوئام والوفاق، فقد نصب الغرب لنا حبائله، ووجّه نحونا قنابله، وأظلّنا مُنطاده بكلّ صاعقة، وأقلّنا نفقه بكلّ بائقة، وأحاط بنا أُسطوله، وضربت في أطلالنا طُبوله. ولئن لم يعتصم المسلمون بحبل الاجتماع، ويبرّأوا إلى الله من هذا النزاع، ليكوننّ أذلّاء خاسئين، وأرقّاء صاغرين، أينما ثقفوا أُخذوا وقتّلوا تقتيلاً.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله، فإذا قالوها وصلّوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، حرمت علينا دماؤهم وأموالهم»[٢].

قلت: هل بقي بعد هذه الأحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة ملتمس لشغب المشاغب، أو مطمع يتشبّث به الناصب؟ كلّا وربّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، إنّ دين الإسلام بريء ممّا يزعمه المرجفون، مناقض لما يحاوله المجحفون ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾[٣].

وفي الصحيحين بالإسناد إلى ابن عمر رضي الله عنه قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمنى قد أشار إلى مكّة المعظّمة: «أتدرون أيّ بلد هذا؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنّ هذا بلد حرام، أتدرون أيّ يوم هذا؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إنّه يوم حرام،

---

١. الاستيعاب ٣: ١١٥٥، الرقم ١٨٧٨.

٢. صحيح البخاري ١: ١٥٣، ح ٣٨٥.

٣. المائدة (٥): ٤٤.

أتدرون أيّ شهر هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهر حرام، قال: فإنّ الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»[١]. انتهى.

والصحاح الستّة وغيرها مشحونة من هذه الأخبار[٢]، وهي أشهر من الشمس في رائعة النهار.

فليت شعري أيّ عذر لمن اعتمد عليها، وانحصر رجوعه في أحكام الدين إليها، ثمّ خالف في ذلك أحكامها، ونبذ وراء ظهره كلامها(١) بل إنّهم مرجفون، والأمر على خلاف ما يظنّون.

---

(١) كالشيخ نوح الحنفي[٣] حيث أفتى ـ مع وجود هذه الصحاح وأمثالها ـ بتكفير الشيعة، وأوجب قتالهم، وأباح قتلهم وسبي ذراريهم ونسائهم، سواء تابوا أم لم يتوبوا، فراجع فتواه هذه في باب الردّة والتعزير، من كتاب الفتاوى الحامديّة الشهير، وسنذكرها بعين لفظه في الفصل التاسع من هذه الفصول، مزيّفين لها بالأدلّة القاطعة والبراهين الناصعة، فراجع ذلك الفصل، واعلم أنّ الفصول الثمانية التي قبله إنّما هي مقدّمة للردّ على هذه الفتوى القاسية، وما ألّفنا هذا الكتاب إلّا لهذه الغاية؛ إذ لم أجد أحداً قام بهذا الواجب. والحمد لله على التوفيق لأدائه كما يجب.

---

١. صحيح البخاري ٢: ٦٢٠ ـ ٦٢١، ح ١٦٥٥؛ ولم أجده بالإسناد إلى ابن عمر في صحيح مسلم، ولكن رواه عن أبي بكرة في ٣: ١٣٠٥ ـ ١٣٠٧، كتاب القسامة، ح ٢٩ ـ ٣١.

٢. للمزيد راجع كنز العمّال ١: ٨٦ ـ ٩٣، ح ٣٦٥ ـ ٤٠٧.

٣. هو نوح بن مصطفى الرومي الحنفي، فقيه متصوّف، ولد وتعلّم في أماسية، وكان مفتي قونية. سكن القاهرة وتوفّي بها سنة ١٠٧٠ هـ. له عدّة كتب ورسائل. راجع الأعلام للزركلي ٨: ٥١.

فصل ٤

في يسير من نصوص أئمّتنا ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في الحكم بإسلام أهل السنّة، وأنّهم كالشيعة في كلّ أثر يترتّب على مطلق المسلمين

وهذا في غاية الوضوح من مذهبنا لا يرتاب فيه ذو اعتدال منّا؛ ولذا لم نستقصِ ما ورد من هذا الباب؛ إذ ليس من الحكمة توضيح الواضحات، وهاك ما عقد الفصل للإشارة إليه:

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام في خبر سفيان بن السِمْط: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس، شهادةُ أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإقامُ الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجُّ البيت، وصيامُ شهر رمضان»[1]. الحديث.

وقال ـ سلام الله عليه ـ في خبر سَماعة: «الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله، والتصديقُ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبه حُقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس»[2]. الحديث.

---

١. الكافي ٢: ٢٤، باب أنّ الإسلام يحقن به الدم و...، ح ٤؛ وسائل الشيعة ١: ١٨ ـ ١٩، الباب ١ من أبواب مقدّمة العبادات، ح ١٣.

٢. الكافي ٢: ٢٥، باب أنّ الإيمان يشرك الإسلام و...، ح ١.

وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام في صحيح حمران بن أعين من جملة حديث: «والإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة من الناس من الفِرَق كلّها، وبه حُقنت الدماء، وعليه جرت المواريث وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ، فخرجوا بذلك عن الكفر وأُضيفوا إلى الإيمان»[1]. انتهى.

إلى آخر ما هو مأثور عنهم في هذا المعنى ممّا لا يمكنني استيفاؤه، ولا يسعني استقصاؤه، وهذا القدر كافٍ لما أردناه، موضح لما قصدناه.

١. الكافي ٢: ٢٦، باب أنّ الإيمان يشرك الإسلام و...، ح ٥.

فصل ٥
في طائفة ممّا صحّ عند أهل السنّة
من الأحاديث الحاكمة بنجاة مطلق الموحّدين

أوردناها ليُعلم حكمها بالجنّة على كلّ من الشيعة والسنّة. والغرض بعث المسلمين على الاجتماع، والتنديد بهم على هذا النزاع، والتنبيه لهم على أنّ هذا التدابر بينهم عبث محض وسفه صرف، بل فساد في الأرض، وإهلاك للحرث والنسل؛ ضرورة أنّه متى كان الدين حاكماً على كلّ منهما بالإيمان، معلناً بفوزهما في أعلى الجنان، لا يبقى لنزاعهما غرض تقصده الحكماء، أو أمر يليق بألباب العقلاء، لكن مُني المسلمون بجماعة ذهلوا عن صلاحهم، وغفلوا عن حديث صحاحهم، وإليك منه ما عقد الفصل لذكره.

أخرج البخاري(١) في صحيحه عن أبي أيّوب الأنصاري ﷺ أنّ رجلاً قال

---

(١) وفي صحيح مسلم من هذا النوع أحاديث وافرة، فراجع منه باب الإيمان الذي يدخل به الجنّة، في الجزء الأوّل منه[1]، وباب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاكّ فيه دخل الجنّة وحرم على النار[2]. وهو في الجزء الأوّل أيضاً، تجد فيه من البشائر ما تقرّ به عين المؤمن بالله واليوم الآخر.

---

١. صحيح مسلم ١: ٤٢، كتاب الإيمان، الباب ٤.

٢. لم أجده في صحيح مسلم، ولعلّه أراد: باب الدليل على أنّ من مات على التوحيد دخل الجنّة قطعاً في ١: ٥٥، كتاب الإيمان، الباب ١٠.

للنبيّ ﷺ: أخبرني بعمل يُدخلني الجنّة. فقال القوم: مالَه مالَه؟ فقال النبيّ ﷺ: «إرَبٌ ماله» فقال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم. ذرها». قال: كأنّه كان على راحلته[1].

وأخرج أيضاً بسنده أنّ أعرابيّاً أتى النبيّ ﷺ فقال: دُلّني على عمل إذا عملتُه دخلتُ الجنّة، قال ﷺ: «تعبد الله ولا تشركُ به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدّي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»، قال: والذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا، فلمّا ولّى قال النبيّ ﷺ: «من سَرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة، فلينظر إلى هذا»[2]. انتهى.

قلت: ظهر لي من أخبار أُخر أنّ هذا الأعرابي إنّما هو مالك بن نويرة بن حمزة التميمي(١).

---

(١) وكان رجلاً سَريّاً نبيلاً يردف الملوك، وهو الذي يضرب به المثل فيقال: «مرعى ولا كالسعدان، وماء ولا كصدّاء، وفتى ولا كمالك». وكان فارساً شاعراً مطاعاً في قومه، وكان فيه خُيلاء وتقدّم، وكان ذا لِمّة كبيرة، وكان يقال له: الجَفُول.
قدم على النبيّ ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، فولّاه ﷺ صدقة قومه، وحجّ معه حجّة الوداع، وشهد خطبته يوم غدير خمّ بالولاية لعليّ، فكان بعدها من المتفانين في ولايته.
قتله خالد بن الوليد يوم البطاح، ونكح زوجته وكانت في غاية الجمال، وجعل رأسه أثفية لقدر، فكانت القدر على رأسه حتّى نضج الطعام وما خلصت النار إليه. نصّ على ذلك وثيمة بن موسى بن الفرات، كما في ترجمته من وفيات ابن خلّكان[3]. ←

---

١. صحيح البخاري ٥: ٢٢٣١، ح ٥٦٣٧.
٢. المصدر ٢: ٥٠٦، ح ١٣٣٣.
٣. وفيات الأعيان ٦: ١٣ ـ ١٤، الرقم ٧٦٩.

وفي صحيح البخاري بالإسناد إلى عُبادة قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنّة حقّ، والنار حقّ، أدخله الله الجنّة على ما كان من العمل»[1](1).

وفي البخاري أيضاً عن جُنادة مثله إلّا أنّه زاد فيه «من أبواب الجنّة الثمانية أيّها شاء دخل»[2].

وفيه عن أبي ذرّ ؓ قال: أتيتُ النبيّ ﷺ، وعليه ثوب أبيض، وهو نائم، ثمّ أتيته وقد استيقظ، فقال: «ما من عبد قال: لا إله إلّا الله ثمّ مات على ذلك إلّا دخل الجنّة». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذرّ»[3].

وفيه عن أبي ذرّ أيضاً قال: قال لي النبيّ ﷺ: «قال جبرائيل: من مات من اُمّتك

← وذكره الواقدي[4] وكثير من أهل السير والأخبار[5]. وعلّلوا عدم خلوص النار إلى شواه بكثرة شعر رأسه، وهو كما ترى.

وقد أشرنا إلى هذه القضيّة حيث ذكرنا خالد بن الوليد في فصل المتأوّلين، وهو الفصل الثامن من هذه الفصول، فراجع.

(١) أي مع ما كان منه من الأعمال، سواء كانت مرضيّة لله تعالى أو غير مرضيّة.

---

١. صحيح البخاري ٣: ١٢٦٧، ح ٣٢٥٢.

٢. المصدر ٣: ١٢٦٧، ذيل الحديث ٣٢٥٢.

٣. المصدر ٥: ٢١٩٣، ح ٥٤٨٩.

٤. حكاه عنه ابن خلّكان في وفياته ٦: ١٥، الرقم ٧٦٩.

٥. كالطبري في تاريخه ٣: ٢٧٦ ـ ٢٨٠، حوادث سنة ١١؛ وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢: ٣٥٧ ـ ٣٦٠، حوادث سنة ١١.

لا يشركُ بالله شيئاً دخل الجنّة ـ أو ـ لم يدخل النار». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن»[١]. انتهى.

وفيه عنه أيضاً قال: خرجت ليلةً من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده، وليس معه إنسان، قال: فظننتُ أنّه يكره أن يمشي معه أحد، فجعلت أمشي في ظلّ القمر، فالتفت فرآني، فقال: «من هذا؟»، قلت: أبوذرّ، جعلني الله فداءك، قال: «يا أبا ذرّ تعال»، قال: فمشيت معه ساعةً، فقال: «إنّ المُكثرين في الدنيا هم المُقِلّون يوم القيامة إلّا من أعطاه الله خيراً، فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه، وعمل فيه خيراً». قال: فمشيت معه ساعةً، فقال لي: «اجلس ها هنا» [قال: فأجلسني في قاعٍ حوله حجارة، فقال لي: «اجلس هاهنا] حتّى أرجع إليك». قال: فانطلق في الحَرّةِ حتّى لا أراه، فلبث عنّي، فأطال اللبث، ثمّ إنّي سمعته وهو مقبل وهو يقول: «وإن سرق، وإن زنى». فلمّا جاء لم أصبر حتّى قلتُ له: يا نبيّ الله جعلت فداءك، من تُكلِّم في جانب الحَرَّة؟ ما سمعت أحداً يُرجع إليك شيئاً؟ قال: «ذلك جبرائيل، عرض لي في جانب الحَرَّة، فقال: بشِّر اُمّتك أنّه من مات لا يشركُ بالله شيئاً، دخل الجنّة. قلت: يا جبرائيل، وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر»[٢]. انتهى.

قلت: الظاهر أنّ الزنا والسرقة وشرب الخمر هنا كناية عن مطلق الكبائر، فيكون المراد: أنّ من مات على التوحيد دخل الجنّة، أو لم يدخل النار وإن ارتكب الكبائر، على حدّ قوله في الحديث السابق، أعني حديث عُبادة: «على ما كان من العمل»[٣].

---

١. صحيح البخاري ٣: ١١٧٨، ح ٣٠٥٠، وفيه: «قال: قال النبيّ ﷺ: قال لي جبريل».

٢. المصدر ٥: ٢٣٦٦، ح ٦٠٨٧.

٣. المصدر ٣: ١٢٦٧، ح ٣٢٥٢.

تنبيه

يجب أن يُعلم أنّ عُصاة المؤمنين يعذّبون يوم القيامة على قدر ذنوبهم، ثمّ ينالون الكرامة في دار المُقامة، على ذلك إجماع أهل البيت وشيعتهم، بل هو من الضروريّات عندهم[1].

فالأخبار الحاكمة بنجاة أهل القبلة على ما كان من العمل[2] ليست ناظرة إلى أنّ العصاة منهم لا يرون العذاب أصلاً، وإنّما المراد أنّهم لا يخلّدون كما يخلّد الكفّار. وبهذا لا يبقى لهم تمسّك بهذه الأحاديث ونحوها، وليس لهم بما اجترحوا إلّا التوبة والندم، أو العذاب في جهنّم على قدر ما يستحقّون، أو يتداركهم الله بعفوه وغفرانه وشفاعة الشافعين عليهم السلام.

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل قال: بينا أنا رديف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليس بيني وبينه إلّا آخِرَةُ الرحل، قال: «يا معاذ»، قلت: لبّيك يا رسول الله وسعديك، ثمّ سار ساعةً، ثمّ قال: «يا معاذ»، قلت: لبّيك رسول الله وسعديك، ثمّ قال: «يا معاذ»، قلت: لبّيك رسول الله وسعديك، قال: «هل تدري ما حقّ الله على عباده؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حقُّ الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»، ثمّ سار ساعة فقال: «يا معاذُ بن جبل»، قلت: لبّيك رسول الله وسعديك، قال: «هل تدري ما حقّ العباد على الله إذا فعلوه؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حقّ العباد على الله أن لا يعذّبهم»[3].

وفي صحيح البخاري عن عتبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لن يوافي عبد يوم

---

١. راجع بحار الأنوار ٨: ٣٥١ ـ ٣٧٤، كتاب العدل والمعاد، باب آخر في من يخلد في النار و....

٢. كالمرويّ في من لا يحضره الفقيه ٤: ٤١١، ح ٥٨٩٦.

٣. صحيح البخاري ٥: ٢٢٢٤، ح ٥٦٢٢؛ صحيح مسلم ١: ٥٨، كتاب الإيمان، ح ٤٨.

القيامة يقول: لا إله إلّا الله، يبتغي به وجهَ الله إلّا حرّم [الله] عليه النار»[1].

وفيه عن عتبان بن مالك الأنصاري أيضاً أنّه أتى النبيّ ﷺ، فسأله أن يأتي بيته فيصلّي فيه ليتّخذه مصلّى(١)، قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ فصلّى بنا ركعتين وحبسناه على خزيرةٍ ـ إلى أن قال: ـ فثاب في البيت رجالٌ ذوو عدد، فقال قائل منهم: أين مالك بن الدُخشُن؟(٢) فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحبّ الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلّا الله، يريد بذلك وجه الله؟». قال: فإنّا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين، قال رسول الله ﷺ: «فإنّ الله قد حرّم على النار من قال: لا إله إلّا الله، يبتغي بذلك وجه الله»[2].

وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بطرق متعدّدة، وآخره عنده: أليس يشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّي رسول الله؟ قالوا: إنّه يقول ذلك وما هو في قلبه. قال ﷺ: «لا يشهد أحد أنّه لا إله إلّا الله، وأنّي رسول الله، فيدخل النار أو تُطعمه». قال أنس: فأعجبني هذا الحديث، فقلت لابني: اكتُبه فكَتَبه[3]. انتهى.

---

(١) ما يقول الوهّابيّة في هذا الحديث الصحيح ومنافاته لمذهبهم؟

(٢) هكذا في النسخة التي تحضرني من صحيح البخاري[4]، والظاهر أنّه ابن الدخشم بالميم، ابن مالك بن الدخشم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف، شهد بدراً وما بعدها، وهو الذي أسر يوم بدر سهيل بن عمرو، ومع هذا فقد كان معروفاً بالنفاق. والله أعلم بحاله.

---

١. صحيح البخاري ٥: ٢٣٦٠، ح ٦٠٥٩.

٢. المصدر: ٢٠٦٣، ح ٥٠٨٦؛ ١: ١٦٤، ح ٤١٥. وفي الموضع الثاني: «مالك بن الدُخَيشن أو ابن الدُخْشُن».

٣. صحيح مسلم ١: ٦١ـ٦٢، كتاب الايمان، ح ٥٤.

٤. وأيضاً في النسخة التي تحضرنا من صحيح مسلم.

قلت: أيّ عبارة أدلّ على نجاة كافّة الموحّدين من هذه العبارة؟ وأيّ بشارة في الجنّة لمطلق المسلمين أعظم من هذه البشارة؟ والعجب ممّن لا يرتاب في صحّتها وهو مع ذلك يحكم بنقيض دلالتها: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

وأخرج البخاري في الصحيح عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى لأهْونِ أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أنّ لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول الله تعالى: أردت منك أهون من هذا وأنت في صُلب آدم: أن لا تشرك بي شيئاً فأبيتَ إلّا أن تشرك بي»[٢].

قلت: ظاهر هذا أنّه إنّما ابتلي بعذاب النار؛ لأنّه أبى إلّا أن يشرك، ولولا ذلك لنجا، فعلم أنّ أهل التوحيد ناجون.

وأيضاً دلّ الحديث على أنّ أهونَ أهل النار عذاباً هذا المشرك، فعلم أن ليس فيها موحّد؛ إذ لو كان هناك موحّد، لكان أهون عذاباً من هذا المشرك(١) وهذا خلاف صريح الحديث.

وفي الصحاح الستّة و مسند أحمد وكتب الطبراني وغيرها من هذا كثير، ولا سيّما أحاديث الشفاعة حتّى يقال لرسول الله ﷺ ـ فيما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين ـ: «أخرج من النار من في قلبه أدنى من مثقال حبّةِ خَردلٍ من إيمان»[٣].

---

(١) لأنّ الموحّد من المسلمين ـ وإن جاء بأعظم الجرائم ـ لا يعذّب عذاب المشرك وإن لم يأتِ بغير الإشراك من الذنوب.

---

١. النور (٢٤): ٦٣.

٢. صحيح البخاري ٥: ٢٣٩٩، ح ٦١٨٩. وروي أيضاً في صحيح مسلم ٤: ٢١٦٠، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ح ٥١.

٣. صحيح البخاري ٦: ٢٧٢٨، ح ٧٠٧٢؛ صحيح مسلم ١: ١٨٣، كتاب الإيمان، ح ٣٢٢.

ولو أردنا إيراد ما في الصحيحين من أحاديث الشفاعة المشتملة على أعظم البشائر، لطال المقام، لكنّا أشرنا إليها ليراجعها من أرادها.

على أنّ الشيخين: البخاري ومسلماً أخرجا في صحيحيهما عن عثمان بن عفّان أنّ رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلّا الله، دخل الجنّة»[1].

وهذا ظاهر بأنّ مجرّد العلم بالوحدانيّة موجب لدخول الجنّة.

ومثله ما أخرجه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «من علم أنّ الله ربّه وأنّي نبيّه صادقاً عن قلبه، حرّم الله لحمه على النار»[2].

وهذه الأخبار أجلى من الشمس في رائعة النهار، وصحّتها أشهر من نار على عَلَم، فيها من البشائر ما ربما هوّن على المسلم موبقات الكبائر، فدونك أبوابها في كتب أهل السنّة لتعلم حكمها عليك وعليهم بالجنّة(١).

وكلّ ما ذكرناه شذر من بذر، ونقطة من لجج بحر، اكتفينا منها بما ذكره البخاري في كتابه وكرّره بالأسانيد المتعدّدة في كثير من أبوابه، ولم نتعرّض لما في باقي الصحاح؛ إذ انشقّ بما ذكرناه عمود الفجر، واندلع لسان الصباح.

---

(١) لأنّ كلّاً من الإماميّة والسنّيّة يؤمنان بالله، ويصدّقان رسول الله ﷺ، ويقيمان الصلاة، ويؤتيان الزكاة، ويحجّان البيت، ويصومان الشهر، ويوقنان بالبعث، ويحلّلان الحلال، ويحرّمان الحرام، كما تشهد به أقوالهما وأفعالهما، وتحكم به الضرورة من كتبهما القديمة والحديثة، مختصرة ومطوّلة.

---

١. صحيح مسلم ١: ٥٥، كتاب الإيمان، ح ٤٣، ولم أجده في صحيح البخاري.

٢. المعجم الكبير ١٨: ١٢٤، ح ٢٥٣.

وإنّ عندنا صحاحاً أُخر، فُزنا بها من طريق أئمّتنا الاثني عشر:

روتــها هــداةٌ قــولُهم وحــديثهم روى جدّنا عن جبرئيل عن الباري[1]

فهي السنّة التالية للكتاب، وهي الجُنّة الواقية من العذاب، وإليكها في أُصول الكافي وغيره[2]، تعلن بالبشائر لأهل الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، لكنّها تـخصّص مـا سمعته من تلك العمومات المتكاثرة بولاية آل رسول الله وعترته الطاهرة، الذين قرنهم بمحكم الكتاب، وجعلهم قدوة لأُولي الألباب، ونصّ على أنّهم سُفُن النجاة إذا طغى زخّار الفتن، وأمان الأُمّة إذا هاج إعصار المحن، ونجوم الهداية إذا ادلهمّ[3] ليل الغواية، وباب حطّة لا يُغفر إلّا لمن دخلها، والعروة الوثقى لا انفصام لها[4].

ولا غرو؛ فإنّ ولايتهم من أُصول الدين، وقد أقمنا عـلى ذلك قـواطـع الحـجج، وسواطع البراهين، أدلّة عقليّة وحججاً نقليّة، نلفت الباحثين إلى الوقوف عـليها فـي كتابنا سبيل المؤمنين؛ إذ أوضحنا فيه المسالك، وأمـطنا بـقوّة بـرهانه كـلّ دَيْـجُورٍ[5] حالِك[6]، والحمد لله ربّ العالمين.

---

١. بحار الأنوار ١٠٥ : ١١٧، كتاب الإجازات، الإجازة ٤٧.

٢. الكافي ٢ : ٢٤ ـ ٢٨، باب أنّ الإسلام يحقن به الدم؛ أنّ الإيمان يشرك الإسلام ولا يشرك الإيمان؛ أنّ الإسلام قبل الإيمان؛ معاني الأخبار : ١٨٦، باب معنى الإسلام والإيمان.

٣. ادلهمّ الليل والظلام: كثف واسودّ. وليلة مُدلَهِمَّة، أي مُظلمة. لسان العرب ١٢ : ٢٠٦، «د. ل. هـ. م».

٤. راجع بحار الأنوار ٢٣ : ١٠٤ ـ ١٠٦، كتاب الإمامة، باب ٧، جملة من خبر الثقلين، والسـفينة، وبـاب حـطّة وغيرها.

٥. الدَيْجُور: الظلمة. لسان العرب ٤ : ٢٧٨، «د. ج. ر».

٦. يقال للأسود الشديد السواد: حالك. لسان العرب ١٠ : ٤١٥، «ح. ل. ك».

فصل ٦

في لُمعة ممّا أفتى به علماء أهل السنّة، من إيمان أهل التوحيد مطلقاً، ونجاة أصحاب الشهادتين جميعاً

أوردناها ليعلم الناس توافق النصّ والفتوى في ذلك. والغرض لَمُّ شعث المسلمين باجتماعهم، ورتق ما انفتق بتدابرهم ونزاعهم؛ لأنّ العاقل إذا رأى نصوص صحاحه وفتاوى علمائه تحكم بالإيمان على مطلق أهل التوحيد، وتُعلن نجاة جميع أصحاب القبلة، لا يبقى بعدها أمر يدعوه إلى هذه النفرة، أو يصدّه عن الوئام والألفة ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[1] فما بالهم ـ وهم في الدين إخوة ـ قد انشقّت عصاهم، واختلفت مذاهبهم، فهاج بينهم قَسْطل[2] الشرّ، وتعلّقت أهواؤهم بفواقر الفتن؟ ولو رجعوا إلى ما أفتى به المنصفون من علمائهم، لأيقنوا أنّ الأمر على خلاف ما زعم المرجفون. وإليك منه ما عقد الفصل لبيانه.

ذكر العارف الشعراني في المبحث ٥٨ من اليواقيت والجواهر أنّه:

رأى بخطّ الشيخ شهاب الدين الأذرعي صاحب القوت، سؤالاً قدّمه إلى شيخ الإسلام

---

١. التوبة (٩): ٧١.

٢. في خبر وقعة نهاوند: «لمّا التقى المسلمون والفُرس غشيهم ريحٌ قسطلانيّة» أي كثيرة الغبار، وهي منسوبة إلى القسطل: الغبار. النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٦١، «ق. س. ط. ل».

تقيّ الدين السبكي، وصورته: ما يقول سيّدنا ومولانا شيخ الإسلام في تكفير أهل الأهواء والبدع ؟

قال: فكتب إليه: اعلم يا أخي أنّ الإقدام على تكفير المؤمنين (١) عسرٌ جدّاً، وكلّ من في قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير أهل الأهواء والبدع، مع قولهم «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله»؛ فإنّ التكفير أمر هائل عظيم الخطر [١].

إلى آخر كلامه. وقد أطال في تعظيم التكفير وتفظيع خطره.

ودونك يواقيت الشعراني، فإنّها تنقل الجواب عن خطّ السبكي على طوله، وفي آخره ما هذا لفظه:

فالأدب من كلّ مؤمن أن لا يُكفِّر أحداً من أهل الأهواء والبدع ...، اللهمّ إلّا أن يخالفوا النصوص الصريحة التي لا تحتمل التأويل عناداً وجحوداً، فللعلماء في ذلك نظر [٢].

هذا كلامه. ولا يخفى تصريحه بقصر التكفير على مخالف النصوص الصريحة؛ عناداً لله وجحوداً لما عُلم حكمه بالضرورة من دين الإسلام، وقد دقّ في هذه الفتوى أصلاب المرجفين، واستلّ ألسنة المتشدّقين، وقطع أمل من يبتغي تفريق المسلمين، من كلّ أفّاك أثيمٍ.

وفي الصفحة العاشرة من طبقات الشعراني ما لفظه:

وسئل سيّدنا ومولانا شيخ الإسلام تقيّ الدين السبكي عن حكم تكفير غلاة المبتدعة، وأهل الأهواء، والمتفوّهين بالكلام على الذات المقدّسة، فقال ﷺ: اعلم أنّ كلّ من خاف الله عزّ وجلّ استعظم القول بالتكفير لمن يقول: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله [٣].

---

(١) أُنظر كيف أطلق لفظ: «المؤمنين» على أهل الأهواء والبدع بدون تكلّف.

---

١. اليواقيت والجواهر: ٥٣٠، المبحث ٥٨.

٢. المصدر: ٥٣١، المبحث ٥٨.

٣. الطبقات الكبرى: ٢١ ـ ٢٢.

ثمّ أورد جواب السبكي وهو طويل، جاء في آخره ما هذه ألفاظه:

فما بقي الحكم بالتكفير إلّا لمن [صرّح بالكفر و] اختاره ديناً، وجحد الشهادتين، وخرج عن دين الإسلام جملةً[١]. انتهى.

قلت: الظاهر من اختلاف عبارة السؤالين والجوابين كونهما متعدّدين، كما لا يخفى. وإذا كان كلام هذا الإمام الكبير مُعلناً باختصاص الكفر بمن جحد الشهادتين، ومنادياً بالتنزيه لأهل الأهواء والبدع، والمتفوّهين بالكلام على الذات المقدّسة من أهل القبلة، فأيّ وقْعٍ بعده لكلام المرجفين، وتحكّم المشاغبين؟ وإذا كان هذا حكمه في المتفوّهين بالكلام على الله ـ عزّ وجلّ ـ فما ظنّك بمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى؟

وقال الشيخ الأكبر ابن العربي في باب الوصايا من فتوحاته:

إيّاكم ومعاداة أهل لا إله إلّا الله؛ فإنّ لهم الولاية العامّة، فهم أولياء الله ولو أخطؤوا وجاؤوا بقراب الأرض من الخطايا وهم لا يشركون بالله شيئاً، فإنّ الله يتلقّى جميعهم بمثلها(١) مغفرة، ومن ثبتت ولايته، حرمت محاربته. وأطال ـ إلى أن قال ـ: وإذا عمل أحدكم عملاً توعّد الله عليه بالنار، فليمحه بالتوحيد؛ فإنّ التوحيد يأخذ بناصية صاحبه، لا بدّ من ذلك[٢].

---

(١) هذا مأخوذ من حديث أخرجه الترمذي وصحّحه، رواه بالإسناد إلى أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا بن آدم، إنّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالي. يابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثمّ استغفرتني، غفرت لك. يابن آدم، إنّك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثمّ لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لآتيتك بقرابها مغفرة»[٣]. انتهى. وهذا الحديث ذكره الفاضل النووي في أربعينه[٤]، وهو الحديث الأخير ممّا انتخبه من الأحاديث الصحيحة.

---

١. المصدر: ٢٢.

٢. الفتوحات المكّيّة ٤: ٤٤٨، الباب ٥٦٠.

٣. الجامع الصحيح ٥: ٥٤٨، ح ٣٥٤٠.

٤. شرح الأربعين حديثاً النوويّة: ١٦٣، الحديث ٤٢.

هذا كلامه. وفيه ما تراه من الحكم على جميع أهل التوحيد بالولاية لله ـ عزّ وجلّ ـ والبشارة للمخطئين والمجرمين منهم بالمغفرة، والجزم بأنّ التوحيد يمحو الكبائر، ويأخذ بناصية صاحبه. والحمد لله ربّ العالمين.

وقال الفاضل الرشيد في صفحة ٤٤ من المجلّد السابع عشر من مناره:

إنّ من أعظم ما بُليت به الفرق الإسلاميّة رمي بعضهم بعضاً بالفسق والكفر، مع أنّ قصد كلٍّ الوصول إلى الحقّ بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده والدعوة إليه، فالمجتهد وإن أخطأ معذور[١].

وقد أطال الكلام في هذا الموضوع حتّى بلغ الصفحة ٥٠ من ذلك المجلّد، فراجع.

وقال المعاصر النبهاني البيروتي في أوائل كتابه شواهد الحقّ(١):

اعلم أنّي لا أعتقد ولا أقول بتكفير أحد من أهل القبلة، لا الوهّابيّة ولا غيرهم، وكلّهم مسلمون، تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والإيمان بسيّدنا محمّد ﷺ، وما جاء به من دين الإسلام[٢]. إلى آخر كلامه.

وعقد العارف الشعراني في الجزء الثاني من اليواقيت والجواهر مبحثاً مسهباً لثبوت الإيمان لكلّ موحّد يصلّي إلى القبلة، وهو المبحث ٥٨، قال في آخره:

فقد علمت يا أخي ممّا قرّرناه لك في هذا المبحث أنّ جميع العلماء المتديّنين أمسكوا عن القول بالتكفير لأحدٍ من أهل القبلة [بذنب] فبهداهم اقتده[٣]. انتهى.

ونقل جماعة كثيرون منهم الشعراني في المبحث المتقدّم ذكره عن أبي المحاسن

---

(١) طبع هذا الكتاب وفي هامشه رسالة النبهاني أيضاً في فضائل معاوية سمّاها: البديعة في إقناع الشيعة، وقد نقضناها بكتاب يكون بحجمها ثلاث مرّات، سمّيناه: الذريعة إلى نقض البديعة.

---

١. مجلّة المنار ١٧: ٤٤ ـ ٥٠.

٢. شواهد الحقّ: ٥٠.

٣. اليواقيت والجواهر: ٥٣٢، المبحث ٥٨.

الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة أنّهم كانوا يقولون:

لا يكفّر أحد من المذاهب الإسلاميّة؛ لأنّ رسول الله ﷺ قال: من صلّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فله ما لنا، وعليه ما علينا [1]. انتهى.

قلت: وقد ذكرنا في الفصول السابقة جملة من النصوص في هذا المعنى. والصحاح مشحونة به، فراجع.

وقد بالغ الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول بإثبات الإسلام لكلّ فرد من أهل القبلة، وجزم بنجاة الجميع من كلّ فرق الإسلام، وأوّلَ الحديث المشهور، أعني حديث: «تفترق أُمّتي ثلاثاً وسبعين فِرقة، فرقةٌ ناجية، والباقون في النار». بل قال: إنّه روي في بعض طرق هذا الحديث ما نصّه: «كلّها في الجنّة إلّا واحدة(١)» [2].

وأطال في إثبات الإيمان لكلّ مصدّق بالشهادتين من أهل الأهواء والبدع، كالمعتزلة والنجّاريّة والروافض(٢) والخوارج والمشبّهة ونحوهم، وحكم بنجاة الجميع يوم القيامة. ونقل القول بإسلام الجميع عن جمهور العلماء والخلفاء من أيّام الصحابة إلى زمنه، قال: وهم من أهل الإجابة بلا شكّ، فمن سمّاهم كَفَرة، فقد ظلم وتعدّى، إلى آخر كلامه، وهو طويل نقله لي بعض مشايخي مشافهة عن سراج العقول، وأورده الشعراني بتمامه في المبحث ٥٨ من يواقيته نقلاً عن ذلك الكتاب أيضاً، فراجع [3].

---

(١) أخرجه ابن النجّار. ونقل الشعراني عند إيراده في المبحث ٥٨ من اليواقيت [4] عن العلماء أنّ المراد بهذه الواحدة التي هي في النار إنّما هي الزنادقة.

(٢) هذه عبارته نقلناها بدون تصرّف.

---

١. اليواقيت والجواهر: ٥٣٢، المبحث ٥٨.

٢. الحديث مرويّ بعبارات شتّى، للمزيد راجع: الفردوس بمأثور الخطاب ٢: ٦٣ ـ ٦٤، ح ٢٣٥٨ ـ ٢٣٦١؛ ميزان الاعتدال ١: ٦٦٣، الرقم ٢٥٤٩؛ لسان الميزان ١: ١٢٨، الرقم ٣٩٥.

٣ و ٤. اليواقيت والجواهر: ٥٢٧، المبحث ٥٨.

وقال ابن تيمية في أوائل رسالة الاستغاثة ـ وهي الرسالة ١٢ من مجموعة الرسائل الكبرى(١) ـ ما هذا لفظه:

ثمّ اتّفق أهل السنّة والجماعة على أنّه ﷺ يشفع في أهل الكبائر، وأنّه لا يخلّد في النار من أهل التوحيد أحد(٢). انتهى.

وقال ابن حزم حيث تكلّم فيمن يُكفَّرُ ولا يُكفّر في صفحة ٢٤٧ من أواخر الجزء الثالث من كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ما هذه ألفاظه:

وذهبت طائفة إلى أنّه لا يكفّر ولا يفسّق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا، وأنّ كلّ من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنّه الحقّ، فإنّه مأجور على كلّ حال، إن أصاب [الحقّ] فأجران، وإن أخطأ فأجر واحد. قال: وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن عليّ، وهو قول كلّ من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً[1].

قلت: هذه الفتوى من هؤلاء الأئمّة تقطع دابر المشاغبين، وتنقض أساس المهوّلين؛ لأنّ خصومهم من أهل القبلة لم يقولوا قولاً، ولم يعتقدوا أمراً إلّا بعد الاجتهاد التامّ، واستفراغ الوسع والطاقة، وبذل الجهد في الاستنباط من الكتاب والسنّة وكلام أئمّة الهدى من آل محمّد صلّى الله عليه وعليهم وسلّم، ولم يدينوا إلّا بما رأوا أنّه الحقّ، واعتقدوا أنّه عين الصواب، فيكونون بحكم هؤلاء الأعلام ـ وهم أئمّة السلف والخلف ـ مأجورين، إن أصابوا أو أخطأوا، على رغم من يبتغي تكفير المؤمنين، ويدأب مجتهداً في تفريق المسلمين.

---

(١) في صفحة ٤٧٠ من الجزء الأوّل[2].

(٢) فعلى هذا تكون أهل السنّة مجمعة على أنّ مصير الشيعة إلى الجنّة؛ ضرورة أنّهم من أهل التوحيد والإيمان بكلّ ما جاء به النبيّ ﷺ.

---

١. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣: ٢٩١.

٢. مجموعة الرسائل الكبرى ١: ٤٨١.

وكان أحمد بن زاهر السرخسي ـ وهو أجلّ أصحاب الإمام أبي الحسن الأشعري ـ يقول ـ فيما نقله الشعراني عنه في أواخر المبحث ٥٨ من يواقيته[1] ـ:

لمّا حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعري الوفاة بداري في بغداد، أمرني بجمع أصحابه، فجمعتُهم له، فقال: اشهدوا ـ عَليَّ ـ أنّني لا أُكفّر أحداً من أهل القبلة بذنب؛ لأنّي رأيتهم كلّهم يشيرون إلى معبود واحدٍ، والإسلام يشملهم ويعمّهم.

هذا كلام إمام السنّيّين، وكفى به حجّة تدحض أقاويل المبطلين، وقد تواتر القول بعدم تكفير أهل الأهواء والبدع من أهل القبلة عن الإمام الشافعي، حتّى قال ـ كما في خاتمة الصواعق[2] ـ: أقبلُ شهادة أهل البدع [والأهواء] إلّا الخطّابيّة (١).

---

(١) الخطّابيّة أصحاب أبي الخطّاب محمّد بن مقلاص الأجدع، عليه وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. كان ـ قبّحه الله ـ مغالياً في الصادق عليه السلام، فاسد العقيدة، خبيث المذهب، لا ريب في كفره وكفر أصحابه، وقد تبرّأ منه الصادق عليه السلام ولعنه، وأمر الشيعة بالبراءة منه، وشدّد القول في ذلك، وبالغ في التبرّئ منه واللعنة عليه. ومن أراد الوقوف على كلام الصادق عليه السلام في شأن هذا الملعون فعليه بكتاب الكشّي وغيره من كتب التراجم لأصحابنا[3].

ولهذا الكافر بدع كثيرة: منها تأخير صلاة المغرب حتّى تستبين النجوم، وقد نسب الجاهلون هذه البدعة إلينا، على أنّا نبرأ إلى الله منها وممّن ابتدعها. والذي نذهب إليه: أنّ أوّل وقت صلاة المغرب غروب الشمس من جميع أُفق المصلّي، ويتحقّق ذلك بارتفاع الحمرة المشرقيّة، كما لا يخفى على من راجع فقهنا[4].

---

١. اليواقيت والجواهر: ٥٣٢، المبحث ٥٨.

٢. الصواعق المحرقة: ٢٥٤، الخاتمة.

٣. راجع: اختيار معرفة الرجال: ٢٩٠ ـ ٣٠٨، الرقم ٥٠٩ ـ ٥٥٦؛ خلاصة الأقوال: ٣٩٢، الرقم ١٥٨١، و٤٢٣، الرقم ١٧٧٢.

٤. للمزيد راجع مفتاح الكرامة ٥: ٧٧ ـ ٨٤.

وقال شيخ الإسلام المخزومي ـ فيما نقله الشعراني عنه في المبحث ٥٨ من يواقيته [١] ـ:

قد نصّ الإمام الشافعي على عدم تكفير أهل الأهواء في رسالته، فقال: لا أُكفّر أهل الأهواء بذنب ـ قال ـ: وفي رواية عنه: ولا أُكفّر أحداً من أهل القبلة بذنب ـ قال ـ: وفي رواية أُخرى عنه: ولا أُكفّر أهل التأويل المخالف للظاهر بذنب. انتهى.

وأجمع الشافعيّة على عدم تكفير الخوارج، واعتذروا عنهم ـ كما في خاتمة الصواعق [٢] ـ بأنّهم تأوّلوا، فلهم شبهة غير قطعيّة البطلان (١).

---

(١) هذا مع ما أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدّين والمعاندين وقتالهم، في الجزء الرابع من صحيحه، بالإسناد إلى أبي سعيد الخُدري من حديث ذكر فيه الخوارج فقال ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَمِيّة، ينظر في قُذَذِه فلا يوجد فيه شيء، ثمّ ينظر في نَصله فلا يوجد فيه شيء، ثمّ ينظر في رِصافه فلا يوجد فيه شيء، ثمّ ينظر في نَضيِّه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفَرْث والدم، آيتُهم رجل إحدى يديه ـ أو قال: ثدييه ـ مثل ثدي المرأة، أو قال: مثل البَضْعة تَدَرْدَر، يخرجون على حين فُرقة من الناس».
قال البخاري: قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبيّ ﷺ، وأشهد أنّ عليّاً قتلهم، وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نَعَته النبيّ ﷺ [٣]. الحديث.
وأخرجه مسلم أيضاً في باب ذكر الخوارج وصفاتهم في أواخر كتاب الزكاة من الجزء الأوّل من صحيحه [٤].
وأخرجه أحمد من حديث أبي سعيد في مسنده [٥] ورواه كافّة المحدّثين [٦]. ←

---

١. اليواقيت والجواهر: ٥٣٢، المبحث ٥٨.
٢. الصواعق المحرقة: ٢٥٤، الخاتمة، باب التخيير والخلافة.
٣. صحيح البخاري ٦: ٢٥٤١، ح ٦٥٣٤.
٤. صحيح مسلم ٢: ٧٤٤ ـ ٧٤٥، كتاب الزكاة، ح ١٤٨.
٥. مسند أحمد ٤: ١١٣، ح ١١٥٣٧.
٦. سنن أبي داود ٤: ٢٤٣، ح ٤٧٦٤ ـ ٤٧٦٥؛ الجامع الصحيح ٤: ٤٨١، ح ٢١٨٨؛ سنن ابن ماجة ١: ٦٠، ح ١٦٧ ـ ١٦٩.

وقال العلّامة ابن عابدين في باب المرتدّ من حاشيته الشهيرة الموسومة بـ ردّ المحتار ما هذا لفظه:

وذكر في فتح القدير: أنّ الخوارج الذين يستحلّون دماء المسلمين وأموالهم، ويكفّرون الصحابة حكمهم عند جمهور الفقهاء وأهل الحديث حكم البُغاة(١) قال: وذهب بعض أهل الحديث إلى أنّهم مرتدّون. قال: قال ابن المنذر: ولا أعلم أحداً وافق أهل الحديث على تكفيرهم. قال: وهذا يقتضي نقل إجماع الفقهاء [على عدم تكفير الخوارج][1]. انتهى.

هذا مع أنّ النبيّ ﷺ نصّ على أنّهم: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، وأنّهم شرّ الخلق والخليقة، وأنّهم ليسوا من الله في شيء، وأنّ طوبى لمن قتلهم أو قتلوه».

← وأخرج مسلم في باب الخوارج شرّ الخلق والخليقة، من كتاب الزكاة من صحيحه[2] بالإسناد إلى أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ بعدي من أُمّتي قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حَلاقِيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرَمِيّة، ثمّ لا يعودون فيه، هم شرّ الخلق والخليقة». الحديث.

وأخرج أحمد بن حنبل في صفحة ٢٢٤ من الجزء الثالث من مسنده[3] عن أنس بن مالك وأبي سعيد عن النبيّ ﷺ قال: «سيكون في أُمّتي حين اختلاف بينها وفُرقة قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل ـ إلى أن قال ﷺ: ـ يمرقون من الدين مروق السهم من الرَمِيّة، لا يرجعون حتّى يرتدّوا على فُوقِه، هم شرّ الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء». الحديث.

(١) يعني أنّهم إن خرجوا على سلطان المسلمين، يجب قتالهم حتّى يفيئوا إلى طاعته، فإن بخعوا لأوامره، كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

---

١. حاشية ردّ المحتار ٤: ٢٣٧. ما بين المعقوفين ليس في المصدر.

٢. صحيح مسلم ٢: ٧٥٠، كتاب الزكاة، ح ١٥٨.

٣. مسند أحمد ٤: ٤٤٦، ح ١٣٣٣٧.

وإذا كان هؤلاء مسلمين بالإجماع، فما ظنّك بمن دخل باب حطّة، وركب سفينة النجاة، واعتصم بحبل الله، وتمسّك بثقلي رسول الله، ودخل مدينة علمه من بابها، ولجأ إلى أمان أُمّته من اختلافها وعذابها؟ وإذا كان الخوارج مسلمين، فمن غيرُهم من أهل القبلة يكون كافراً؟ وأيّ ذي نحلة من أهل الإسلام ليس له كشبهتهم؟

ورأيت كلاماً في هذا المعنى ناجعاً لشيخ السادة الحنفيّة محمّد أمين المعروف بابن عابدين في باب المرتدّ من كتاب الجهاد في صفحة ٣٠٢ من الجزء الثالث من ردّ المحتار، يحكم فيه قاطعاً بإسلام من يتأوّل في سبّ الصحابة، مصرّحاً بأنّ القول بتكفير المتأوّلين بذلك مخالف لإجماع الفقهاء، مناقض لما في متونهم وشروحهم، وأنّ ما وقع في كلام أهل المذهب من تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون، بل من غيرهم ـ قال: ـ ولا عبرة بغير الفقهاء، والمنقول عن الفقهاء ما ذكرناه[1]. إلى آخر كلامه.

وقد اشتمل على أدلّة وافية، وشواهد كافية، فليطلبه من أراده. وله كلام آخر في هذا المعنى أبسط ممّا أشرنا إليه، نلفت الطالبين له إلى كتابه تنبيه الولاة والحكّام على أنّ ما في ردّ المحتار مقنع لأولي الأبصار.

وقد ألّف العلّامة الكبير الملّا علي القاري الحنفي رسالة في الردّ على من يكفّر المتأوّلين بذلك، كما نصّ عليه ابن عابدين فيما تقدّمت إليه الإشارة من كلامه.

وقال ابن حزم في صفحة ٢٥٧ من أواخر الجزء الثالث من فصله ما هذا لفظه:

وأمّا من سبّ أحداً من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فإن كان جاهلاً فمعذور، وإن قامت عليه الحجّة فتمادى غير معاند، فهو فاسق، كمن زنى أو سرق، وإن عاند الله تعالى في ذلك ورسوله ﷺ، فهو كافر ـ قال: ـ وقد قال عمر رضي الله عنه بحضرة النبيّ ﷺ عن حاطب ـ وحاطب مهاجري بدري ـ: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً، بل كان مخطئاً متأوّلاً[2]. انتهى.

---

١. حاشية ردّ المحتار ٤: ٢٣٧.

٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣: ٣٠٠.

قلت: لا يخفى أنّه جعل الملاك في التكفير إنّما هو العناد لله ورسوله، وهذا لا وجود له فيمن ينتحل دين الإسلام. نعم قد يكون السابّ ـ والعياذ بالله ـ جاهلاً أو ذا شبهة أوردته ذلك المورد، فيكون معذوراً.

ويدلّ على عدم كفر المسلم به إطلاق الأحاديث التي سمعتها في كلّ من الثاني والثالث والرابع والخامس من هذه الفصول، فراجع.

وأيضاً يدلّ على عدم الكفر مضافاً إلى ذلك ما أورده القاضي عياض في الباب الأوّل من القسم الرابع من كتاب «الشفا» نقلاً عن القاضي إسماعيل وغير واحد من الأئمّة:

أنّ رجلاً سبّ أبا بكر بمحضر منه ﷺ فقال له أبو برزة الأسلمي: يا خليفة رسول الله، دعني أضرب عنقه، فقال: اجلس، ليس ذلك لأحد إلّا لرسول الله ﷺ[١] (١).

وفي ذلك الباب من «الشفا» أيضاً:

إنّ عامل عمر بن عبد العزيز بالكوفة استشاره في قتل رجل سبّ عمر ﷺ فكتب إليه: لا يحلّ قتل امرئٍ مسلم بسبّ أحد من الناس إلّا رجلاً سبّ رسول الله ﷺ، فمن سبّه، فقد حلّ دمه[٢]. انتهى.

قلت: أفضى بنا الكلام إلى ما هو غير مقصود بالذات، وليس الغرض إلّا تأليف المسلمين وإعلامهم بأنّهم إخوان في الدين، ولا نرتاب في أنّ سبّ رجل من عرض المؤمنين ـ فضلاً عن سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ـ موبقة وفسق،

---

(١) وروى النسائي بالإسناد إلى أبي برزة الأسلمي قال: أتيت أبا بكر وقد أغلظ لرجل فردّ عليه، فقلت: يا خليفة رسول الله، دعني أضرب عنقه، فقال: اجلس فليس ذلك لأحد إلّا لرسول الله ﷺ[٣].

---

١ و ٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

٣. سنن النسائي ٧: ١١٥، ح ٤٠٨٢.

وقد قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسق، وقتاله كفر»[١].

ولنرجع إلى ما كنّا فيه فنقول: نقل عليّ بن حزم الظاهري عن الأشاعرة ما لا يتسنّى معه القول بتكفير أحد أصلاً. وإليك عبارته بحروفها، قال في أثناء شنع المرجئة في صفحة ٢٠٦ من الجزء الرابع من فصله:

وأمّا الأشعريّة فقالوا: إنّ شتم من أظهر الإسلام لله تعالى ولرسوله بأفحش ما يكون من الشتم، وإعلان التكذيب لهما باللسان بلا تقيّة ولا حكاية، والإقرار بأنّه يدين بذلك ليس شيء من ذلك كفراً[٢]. انتهى.

وفي صفحة ٢٠٤ من الجزء الرابع من الفصل أيضاً نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري وجميع أصحابه القول بـ:

أنّ الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقيّة، وعبد الأوثان، أو لزم اليهوديّة أو النصرانيّة في دار الإسلام، وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله ـ عزّ وجلّ ـ من أهل الجنّة[٣]. انتهى.

ولا يخفى أنّه إذا ثبت هذا عن الإمام الأشعري وأصحابه ـ وهم جميع إخواننا السنّيّين في هذه الأعصر ـ هان الأمر في مسألتنا، إذ لا يمكنهم حينئذٍ تكفير من يجاهرهم بصريح الكفر، فكيف يتسنّى لهم تكفير من انطوى ضميره على تقديس الله ـ عزّ وجلّ ـ وانعقد قلبه على تنزيهه، ونبضت شرايينه بتسبيحه، ونبت لحمه واشتدّ عظمه على توحيده، وخالط الإيمان مخّه ودمه، وامتزج بجميع عناصره، فشهد به لسانه، وبخعت له أركانه، واعترفت به حركاته، وأقرّت به سكناته، مؤمناً برسوله، موقناً بجميع ما جاء به من عند الله عزّ وجلّ، يُحيي ما أحياه الكتاب والسنّة، ويميت

---

١. صحيح مسلم ١: ٨١، كتاب الإيمان، ح ١١٦؛ صحيح البخاري ١: ٢٧، ح ٤٨؛ الكافي ٢: ٣٥٩ ـ ٣٦٠، باب السباب، ح ٢؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٦٩، ح ٤٩٤٦.

٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥: ٧٤.

٣. المصدر: ٧٣.

ما أماتاه، لكن منينا بقوم همّهم تفريق المسلمين، ودأبهم بثّ العداوة بين الموحّدين. وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون.

وعن الأوزاعي: والله لئن نشرت لا أقول بتكفير أحد من أهل الشهادتين.

وعن ابن سيرين: أهل القبلة كلّهم ناجون.

وسئل الحسن البصري عن أهل الأهواء، فقال: جميع أهل التوحيد من أمّة نبيّنا ﷺ يدخلون الجنّة ألبتّة.

وسئل الزهري عمّن لابس الفتن وقاتل فيها، فقال: القاتل والمقتول في الجنّة؛ لأنّهم من أهل لا إله إلّا الله.

وعن سفيان الثوري: لا تحلّ عداوة موحّد وإن مال به الهوى عن الحقّ؛ لأنّه لا يهلك بذلك.

وعن سعيد بن المسيّب: لا تعادِ منتحلاً لدين الإسلام وإن أخطأ، فكلّ مسلم مغفور له.

وعن ابن عيينة: لأن تأكل السباع لحمي أحبّ إليّ من أن ألقى الله تعالى بعداوة من يدين له بالوحدانيّة، ولمحمّد ﷺ بالنبوّة.

قلت: أيّ حكمة في عداوته إلّا إعلانه فيما يسيئك، ومجاهرته فيما يخالفك، وحرّيّة المذاهب والأديان تخوّل ذلك، ولو تحبّبت إليه ثمّ ناظرته، فعسى أن يتبيّن له صوابك فيتبعه، أو يريك الحقّ فتوافقه.

على أنّه ما صار إلى خلافك عناداً للحقّ، أو رغبة في الباطل؛ ضرورة أنّ ذلك لا يفعله ـ في مقام التقرّب إلى الله تعالى ـ عاقل.

أجل سيق قسراً إلى مخالفتك في بعض ما تعبره من الفروع بسياط الأدلّة القاطعة، ومقارع الحجج الساطعة، وهبها شبهاً ـ كما تزعم ـ لكنّها توجب العذر لمن غلبت عليه؛ لأنّها مع كونها من الكتاب والسنّة أفادته القطع بما قادته إليه، فإن كان مصيباً فله أجران، وإلّا فقد أجمع المسلمون على معذرة من تأوّل في غير أُصول الدين وإن أخطأ، كما تشهد به أخبارهم، وتفصح عنه أسفارهم، وتعلنه أفعالهم وأقوالهم.

فصل ٧
في بشائر السنّة الشيعة

وهي صحاح متظافرة من طريق العترة الطاهرة، وإليك منها ما أخرجه محدّثو أهل السنّة بأسانيدهم وطرقهم:

روى الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عبّاس ـ كما في صفحة ٩٦ من الصواعق المحرقة لابن حجر(١) ـ أنّه قال: لمّا أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ قال رسول الله ﷺ لعليّ: «هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين، ويأتي عدوّك غضاباً مقمحين»[1].

وأخرج الحاكم في شواهد التنزيل عن ابن عبّاس أيضاً، قال: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ

---

(١) راجع النسخة المطبوعة بالمطبعة الميمنيّة بمصر سنة ١٣٢٤ هـ، وكلّ ما ننقله عن الصواعق فإنّما ننقله عن هذه النسخة.

---

١. نظم درر السمطين: ٩٢ ـ ٩٣، مناقب أمير المؤمنين...؛ الصواعق المحرقة: ١٦١، الباب ١١، الفصل ١. راجع أيضاً فرائد السمطين ١: ٨٠، الباب ١٤، ح ٥١، والآية في سورة البيّنة (٩٨): ٧ ـ ٨.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ في عليّ وأهل البيت[1].

وعدّها ابن حجر في الفصل الأوّل من الباب ١١ من صواعقه في جملة الآيات النازلة فيهم عليهم السلام، فراجع الآية الحادية عشرة من الآيات التي أوردها هناك(١).

وأخرج الحاكم في كتابه شواهد التنزيل بالإسناد إلى عليّ قال: «قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مسنده إلى صدري، فقال: يا عليّ، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ هم [أنت و] شيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، يُدعَون غرّاً محجّلين»[2].

وأخرج الديلمي ـ كما في ص ٩٦ من الصواعق المحرقة ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ، إنّ الله قد غفر لك، ولولدك ولذرّيّتك، ولأهلك، ولشيعتك، ولمحبّي شيعتك، فابشر فإنّك الأنزع البطين»[3].

وأخرج الطبراني وغير واحد من المحدّثين أنّ عليّاً أُتي يوم البصرة بذهب وفضّة، فقال: «أبيضاء وصفراء غرّي غيري، غرّي أهلَ الشام غداً إذا ظهروا عليك»، فشقّ قوله هذا على الناس، فذكر ذلك له، فأذّن في الناس فدخلوا عليه، فقال: «إنّ خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا عليّ، إنّك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيّين، ويقدم عليه عدوّك غضاباً مُقمحين ـ قال ـ: ثمّ جمع عليّ يده إلى عنقه يُريهم الإقماح»[4].

---

(١) في صفحة ٩٦ من الصواعق[5].

---

١. شواهد التنزيل ٢: ٣٦٦، ح ١١٤٦.

٢. المصدر: ٣٥٦، ح ١١٢٥.

٣. الفردوس بمأثور الخطاب ٥: ٣٢٩، ح ٨٣٣٧؛ الصواعق المحرقة: ١٦١، الباب ١١، الفصل ١.

٤. المعجم الأوسط ٤: ٥٥٥، ح ٣٩٤٦؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ١٧٧، ح ١٣٧٤٦؛ كنز العمّال ١٣: ١٥٦، ح ٣٦٤٨٣.

٥. الصواعق المحرقة: ١٦١، الباب ١١، الفصل ١.

وقد أورد ابن حجر هذا الحديث في صفحة ٩٢ من صواعقه وعلّق عليه كلاماً يضحك الثكلى[١]، ونحن نأخذ بما روى، ونُعرض عمّا رأى.

وأخرج الطبراني ـ كما في صفحة ٩٦ من الصواعق أيضاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: «أوّل أربعة يدخلون الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وذرّيّتنا خَلْف ظهورنا، [وأزواجنا خلف ذرارينا] وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا»[٢].

وأخرج أحمد بن حنبل في المناقب ـ كما في صفحة ٩٦ من الصواعق أيضاً ـ أنّ رسول الله عليه السلام قال لعليّ: «أما ترضى أنّك معي في الجنّة، والحسن والحسين وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا»[٣].

وأخرج الحاكم ـ كما في تفسير آية المودّة في القربى من مجمع البيان ـ بالإسناد إلى أبي أُمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخُلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعليّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أنّ عبداً عبد الله [بين الصفا والمروة] ألف عام، ثمّ ألف عام، ثمّ ألف عام حتّى يصير كالشنّ البالي وهو لا يحبّنا كبّه الله على منخريه في النار، ثمّ تلا: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾»[٤].

---

١. الصواعق المحرقة: ١٥٣ ـ ١٥٤، الباب ١١، الفصل ١.

٢. المعجم الكبير ١: ٣١٩، ح ٩٥٠؛ ٣: ٤١، ح ٢٦٢٤؛ الصواعق المحرقة: ١٦١، الباب ١١، الفصل ١.

٣. الصواعق المحرقة: ١٥٣ ـ ١٥٤، الباب ١١، الفصل ١.

٤. شواهد التنزيل ٢: ١٤٠ ـ ١٤٢، ح ٨٣٧؛ مجمع البيان ٩: ٢٨ ـ ٢٩، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

تنبيه

لا يخفى أنّ شيعة عليّ وأهل البيت هم أتباعهم في الدين وأشياعهم من المسلمين، ونحن ـ والحمد لله ـ قد انقطعنا إليهم في فروع الدين وعقائده، وأُصول الفقه وقواعده، وعلوم السنّة والكتاب، وفنون الأخلاق والسلوك والآداب؛ بخوعاً لإمامتهم، وإقراراً بولايتهم. وقد والينا أولياءهم وجانبنا أعداءهم؛ عملاً بقواعد المحبّة، وطبقاً لأُصول الأخلاق في المودّة، فكنّا بذلك لهم شيعة، وكانوا لنا وسيلة وذريعة. والحمد لله على هدايته لدينه، والتوفيق لما دعا إليه الرسول من التمسّك بثقليه والاعتصام بحبليه، ودخول مدينة علمه من بابها، باب حطّة وأمان أهل الأرض، وسفينة نجاة هذه الأُمّة، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأخرج ابن سعد ـ كما في صفحة ٩١ من الصواعق ـ عن عليّ: «أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّ أوّل من يدخل الجنّة أنا وفاطمة والحسن والحسين. قلت: يا رسول الله فمحبّونا؟ قال: من ورائكم»[١].

وأخرج الديلمي ـ كما في الصواعق أيضاً ـ مرفوعاً: إنّما سمّيت ابنتي فاطمة؛ لأنّ الله فطمها ومحبّيها عن النار[٢](١).

وأخرج ابن حنبل والترمذي ـ كما في صفحة ٩١ من الصواعق ـ أنّه صلى الله عليه وآله أخذ بيد

(١) وأخرج النسائي نحوه، كما في صفحة ٩٦ من الصواعق[٣].

١. الصواعق المحرقة: ١٥٣، الباب ١١، الفصل ١. رواه أيضاً المتّقي الهندي في كنز العمّال ١٣: ٦٣٩، ح ٣٧٦١٤ ولم نعثر عليه في الطبقات لابن سعد.

٢. الفردوس بمأثور الخطاب ١: ٣٤٦، ح ١٣٨٥؛ الصواعق المحرقة: ١٥٣، الباب ١١، الفصل ١.

٣. الصواعق المحرقة: ١٦٠، الباب ١١، الفصل ١.

الحسنين وقال: «من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما، كان معي في درجتي يوم القيامة»[١](١).

وأخرج الثعلبي في تفسيره الكبير بالإسناد إلى جرير بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن مات على حبّ آل محمّد(٢) مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ

(١) وأخرجه أيضاً أبو داود، كما في صفحة ١٠٣ من الصواعق[٢]، وزاد فيه: «ومات متّبعاً لسنّتي». وبها يعلم أنّ اتّباع سنّته لا يكون إلّا بمحبّتهم عليهم السلام.

(٢) المراد من آل محمّد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع، باعتبار أئمّتهم الذين هم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصياؤه، ووارثو حكمه، وأولياؤه، وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن، ونصّ على أنّهما لا يفترقان فلا يضلّ من تمسّك بهما، ولا يهتدي من تخلّى عن أحدهما، وليس المراد هنا من الآل جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكلّ فرد فرد؛ لأنّ هذه المرتبة السامية ليست إلّا لأولياء الله القوّامين بأمره خاصّة بحكم الصحاح المتواترة من طريق العترة الطاهرة[٣].

نعم، تجب محبّة جميع أهل بيته وذرّيّته كافّة؛ لتفرّعهم من شجرته الطاهرة صلى الله عليه وآله، وبذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من جدّهم بأبي هو وأُمّي. وكنت أوصيتُ أولادي أن يكتبوا هذا الحديث على كفني بعد الشهادتين؛ لألقى الله تعالى بذلك، والآن أُكرّر وصيّتي هذه إليهم، ولتكن الكتابة على العمامة.

١. مسند أحمد ١: ٧٧، ح ٥٧٦؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٤١ ـ ٦٤٢، ح ٣٧٣٣؛ الصواعق المحرقة: ١٥٣، الباب ١١، الفصل ١.

٢. الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١١، الفصل ١.

٣. كالمرويّ في الكافي ١: ٢٢٣ ـ ٢٢٤، باب أنّ الأئمّة ورثوا علم النبيّ و...، ح ١.

آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة، كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومَن مات على بُغْض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله»[1]. الحديث.

وقد أرسله الزمخشري في تفسير آية المودّة في القربى من سورة الشورى من كشّافه إرسال المسلّمات[2]. ورواه المؤلّفون في المناقب والفضائل مرسلاً مرّة ومسنداً تارات[3].

وأنت تعلم أنّ هذه المنزلة السامية إنّما ثبتت لهم أنّهم حجج الله البالغة، ومناهل شرائعه السائغة، وأُمناؤه بعد النبيّ ﷺ على وحيه، وسفراؤه في أمره ونهيه، فالمحبّ لهم بسبب ذلك محبّ لله، والمبغض لهم مبغض لله. ومن هنا قال فيهم الفرزدق:

من معشر حُبّهم دينٌ وبُغْضُهم ... كُفر وقُربُهم مَنْجىً ومُعْتَصَم

إن عُدّ أهل التُقى كانوا أئمّتَهم ... أو قيل: مَن خير أهل الأرض؟ قيل: هم[4]

وأخرج أحمد ـ كما في أواخر الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق(1) ـ عن عليّ قال: «طلبني النبيّ ﷺ فوجدني في حائطٍ فقال: قم والله لأرضيك، أنت أخي

(١) صفحة ٧٥.

١. الكشف والبيان ٨: ٣١٤ ذيل الآية ٢٣ من الشورى (٤٢).

٢. الكشّاف ٤: ٢٢٠ ـ ٢٢١، ذيل الآية.

٣. كما في تفسير القرطبي ١٦: ٢٣، ذيل الآية.

٤. ديوان الفرزدق: ٤٥٦؛ اختيار معرفة الرجال: ١٣١، الرقم ٢٠٧؛ الاختصاص: ١٩٣.

وأبو ولديّ، تقاتل على سنّتي، من مات على عهدي فهو في كنز الجنّة، ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه، ومن مات يحبّك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت»[١].

وأورد ابن حجر في أواخر المقصد الثاني من المقاصد التي ذكرها في آية المودّة في القربى من صواعقه حديثاً هذا لفظه(١): إنّ النبيّ ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم ووجهه مُشرق كدائرة القمر، فسأله عبد الرحمن بن عوف عن ذلك، فقال ﷺ: «بشارة أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي وابنتي، بأنّ الله زوّج عليّاً من فاطمة، وأمر رَضوان خازن الجنان، فهزّ شجرة طوبى فحملت رقاقاً ـ يعني صكاكاً ـ بعدد محبّي أهل بيتي، وأنشأ تحتها ملائكة من نور دفع إلى كلّ ملك صكّاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق، فلا يبقى محبّ لأهل البيت إلّا دفعت إليه صكّاً فيه فكاكه من النار، فصار أخي وابن عمّي وابنتي فكّاك رقاب رجال ونساء من أُمّتي من النار»[٢].

والأخبار في هذا لا يحتملها هذا الإملاء، وفي هذا القدر كفاية لمن كانت لله تعالى فيه عناية.

فعسى أن يعرف الشيعي بعد هذا أنّ أهل السنّة قد أنصفوا واعترفوا، وعسى أن يعرف السنّي أن لا وجه بعد هذه المبشّرات لشيء من الضغائن أو الهَنات. والسلام على من اتّبع السنن، وجانب الفتن ورحمة الله وبركاته.

---

(١) راجعه في صفحة ١٠٣ من الصواعق، ورواه غير واحد ممّن كتب في المناقب والفضائل[٣].

---

١. الصواعق المحرقة: ١٢٦، الباب ٩، الفصل ٣.

٢. المصدر: ١٧٣، الباب ١١، المقصد ١.

٣. راجع: تاريخ بغداد ٤: ٢١٠، الرقم ١٨٩٧؛ الموضوعات لابن الجوزي ١: ٣٩٩ ـ ٤٠٠؛ تنزيه الشريعة ١: ٣٦٧، ح ٧٨.

فصل ٨
نضمّنه طائفة ممّن تأوّلوا من السلف فخالفوا الجمهور، ولم يقدح ذلك في عدالتهم

وغرضنا الذي نرمي إليه إنّما هو إيضاح معذرة المتأوّلين من المسلمين، وذلك أنّك إذا رأيت صالح سلفك، ومن أخذت عنه دينك، واتّخذته واسطة بينك وبين نبيّك ﷺ يخالفك مجتهداً، وينحو غير نحوك متأوّلاً، فلا جرم أنّك تقطع حينئذٍ بمعذرة من يتأوّل من معاصريك نحو تأوّله، أو يخالفك مثل خلافه.

وأنا أرجو ممّن خدمتهم من إخواني المسلمين بهذه الرسالة أن ينظروا بعين الإنصاف هل كان بين الله ـ عزّ وجلّ ـ وبين أحد من الناس قرابة فيحابيه؟ كلّا، ما كان الله ليعاقب قوماً بأمر يثيب به آخرين، إنّ حكمه في الأوّلين والآخرين لواحد، وما بين الله تعالى وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمىً حرّمه على العالمين.

إنّ المتأوّلين بما يخالف الجمهور من الصحابة والتابعين وتابعيهم كثيرون لا يسعنا استقصاؤهم وإنّما نذكر منهم ما يحصل به الغرض:

هذا أبو ثابت سعد بن عبادة العقبي البدري سيّد الخزرج ونقيبهم وجواد الأنصار وعظيمهم، تخلّف عن بيعة الخليفتين، وخرج مغاضباً إلى الشام فقتل غيلة بحوران سنة ١٥ للهجرة، وله كلام يوم السقيفة وبعده نلفت الطالبين له إلى كتاب

الإمامة والسياسة لابن قتيبة[١]، أو إلى تاريخ الطبري، أو كامل ابن الأثير[٢]، أو غيرها من كتب السير والأخبار[٣].

فإنّي لا أظنّه يخلو من كتاب يشتمل على ذكر السقيفة، وكلّ من ذكر سعداً من أهل التراجم ذكر تخلّفه عن البيعة، ومع ذلك لم يرتابوا في كونه من أفاضل المسلمين وعدول المؤمنين، وما ذاك إلّا لكونه متأوّلاً، فهو معذور عندهم وإن كان مخطئاً.

وهذا حباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري البدري الأُحدي، تخلّف عن البيعة أيضاً، كما هو معلوم بحكم الضرورة من تاريخ السلف[٤]، فلم يقدح ذلك في عدالته ولا أنقص من فضله، وهو القائل: أنا جُذيلها المحكّك، وعُذيقها المرجَّب(١)، أنا أبو شبل في عرينة الأسد، والله لئن شئتم لنعيدنّها جذعة[٥]. وله كلام آخر رأينا الإعراض عنه أولى، ولولا معذرة المتأوّلين ما كان أهل السنّة ليقطعوا بأنّ هذا الرجل من أفاضل أهل الجنّة، مع مكاشفته للخليفتين بما هو مبسوط في كتب الفريقين.

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام، وعمّه العبّاس وبنوه، وعتبة بن أبي لهب، وسائر بني هاشم، وسلمان الفارسي، وأبو ذرّ، والمقداد وعمّار، والزبير، وخزيمة بن ثابت، وأُبيّ بن كعب، وفروة بن عمرو بن ودقة الأنصاري، وخالد بن سعيد بن العاص، والبراء بن عازب، ونفر غيرهم تخلّفوا عن البيعة أيضاً بحكم ما تواتر من

(١) «الجذيل» مصغّر جذل: عود ينصب للجرباء لتحتك به. و «العذيق» مصغّر عذق: قنو النخلة. و «المرجّب»: المبجّل، والتصغير هنا للتعظيم.

١. الإمامة والسياسة ١: ١٠.

٢. تاريخ الطبري ٣: ٢١٨ ـ ٢٢٣، حوادث سنة ١١؛ الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٥ ـ ٣٣٢، حوادث سنة ١١.

٣. السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ٣٠٧ وما بعده؛ المنتظم ٤: ٦٧ ـ ٦٨، حوادث سنة ١١.

٤. الطبقات الكبرى ٣: ١٨٢.

٥. تاريخ الطبري ٣: ٢٢٠ ـ ٢٢١ و ٢٢٣، حوادث سنة ١١؛ الاستيعاب ١: ٣١٦، الرقم ٤٥٨.

الأخبار[١]، واتّضح اتّضاح الشمس في رائعة النهار.

وقد نصَّ الشيخان: البخاري ومسلم في صحيحيهما(١) على تخلّف عليّ عن البيعة حتّى لحقت سيّدة النساء بأبيها ﷺ، وانصرفت عنه وجوه الناس[٢].

وصرّح بتخلّفه المؤرّخون كابن جرير الطبري في موضعين من أحداث السنة الحادية عشرة من تاريخه المشهور[٣]، وابن عبد ربّه المالكي في حديث السقيفة من الجزء الثاني من العقد الفريد[٤](٢)، وابن قتيبة في أوائل كتابه الإمامة والسياسة[٥]، وابن الشحنة حيث ذكر بيعة السقيفة في كتابه روضة المناظر(٣)، وأبي الفداء حيث أتى

---

(١) راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء الثالث من صحيح البخاري المطبوع في مصر سنة ١٣٠٩، وفي هامشه تعليقة السندي، أو باب قول النبيّ ﷺ: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة» من كتاب الجهاد والسير من صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من الجزء الثاني طبع مصر سنة ١٣٢٧ تجد التصريح بتخلّفه عن البيعة مسنداً إلى أُمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) في ص ١٩٧ من النسخة المطبوعة في مصر سنة ١٣٠٥ وفي هامشها زهر الآداب.

(٣) هذا الكتاب ومروج الذهب مطبوعان في الهامش من كامل ابن الأثير. أمّا مروج الذهب فمطبوع مع الخمس الأول من مجلّدات الكامل، وهذا الكتاب ـ أعني تاريخ ابن الشحنة ـ في هامش المجلّد الأخير المشتمل على جزء ١١ وجزء ١٢، وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١١٢ من الجزء الحادي عشر، فراجع.

---

١. راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢١؛ بحار الأنوار ٢٨: ٣١٠، كتاب الفتن والمحن، الباب ٤، ذيل الحديث ٥٠.

٢. صحيح البخاري ٤: ١٥٤٩، ح ٣٩٩٨؛ صحيح مسلم ٣: ١٣٨٠، كتاب الجهاد والسير، ح ٥٢.

٣. تاريخ الطبري ٣: ٢٠٣ و ٢٠٨، حوادث سنة ١١.

٤. العقد الفريد ٥: ١٣.

٥. الإمامة والسياسة ١: ١١ ـ ١٤.

على ذكر أخبار أبي بكر وخلافته في تاريخه الموسوم بـ المختصر في أخبار البشر[١]، ونقله المسعودي في مروج الذهب عن عروة بن الزبير في مقام الاعتذار عن أخيه عبدالله[(١)] إذ همَّ بتحريق بيوت بني هاشم عليهم حين تخلّفوا عن بيعته[٢]، ورواه الشهرستاني عن النظام عند ذكره للفرقة النظاميّة في كتابه الملل والنحل[٣]، وأورده ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي في أوائل الجزء السادس من شرح النهج[(٢)]، ونقله العلّامة في نهج الصدق عن كتاب المحاسن وأنفاس الجواهر، و غرر ابن خزابة، وغيرها من الكتب المعتبرة[٤]. وأفرد أبو مخنف لبيعة السقيفة كتاباً على حدة، فيه تفصيل ما أجملناه من تخلّف عليّ عن البيعة وعدم إقراره لهم بالطاعة.

وهذا من أدلّ الأمور على معذرة المتأوّلين، ومن يجترئ على أخي النبيّ ووليّه ووارثه ووصيّه. وإنّه في أُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم فيقول: إنّه كان حينئذٍ عاصياً لله سبحانه، وهو أوّل من آمن به وأطاعه من هذه الأُمّة. أو يقول: إنّه كان مخالفاً للسنّة، وهو قيّمها ووارثها وصاحب العناء بتأييدها، وقد انتهى إليه ميراثها. أو يزعم: أنّه كان مفارقاً لشقيقه القرآن وقد نصّ النبيّ ﷺ على أنّهما

---

(١) عرفت أنّ مروج الذهب مطبوع في هامش ابن الأثير، وما نقلناه الآن عنه موجود في آخر صفحة ٢٥٩ من الجزء السادس، فراجع.

(٢) في أوائل الصفحة الخامسة من المجلّد الثاني من الشرح طبع مصر[٥].

---

١. المختصر في أخبار البشر ١: ١٥٦.

٢. راجع مروج الذهب ٣: ٨٤ و ٨٦، ذكر لمع من أخبار يزيد و....

٣. أُنظر الملل والنحل ١: ٥٧.

٤. نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٧١ ـ ٢٧٢، فيه: «ابن خيزرانة» بدل «ابن خزابة».

٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٤٦.

لا يفترقان(١)، أو يتوهّم: أنّه كان مجانباً للصواب، وقد أذهب عنه الرجس وطهّره نصّ الكتاب[١]. أو يقول: إنّه كان متنكّباً عن الحقّ، وقد قال رسول الله ﷺ: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، يدور معه كيف دار»[٢]. أو يقول: إنّه قعد به الجهل بحكم هذه البيعة، وهو أقضى الأُمّة، وباب مدينة العلم، ومن عنده علم الكتاب.

وهذا أبو سفيان صخر بن حرب تخلّف عن البيعة أيضاً، وهو القائل يومئذٍ(٢):إنّي أرى غبرة لا يطفئها إلّا دم، وجعل يطوف في أزقّة المدينة ويقول:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ... ولا سيّما تيم بن مُرّة أو عديّ

فما الأمرُ إلّا فيكمُ وإليكمُ ... وليس لها إلّا أبو حسن عليّ

وقال(٣) فما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش؟ ثمّ قال لعليّ: ابسط يدك أُبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنّها عليه خيلاً ورِجلاً،

---

(١) أخرج الطبراني في الأوسط ـ كما في الفصل الثاني من الباب التاسع من الصواعق صفحة ٧٤ ـ عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض»[٣].

(٢) هذا وما بعده حتّى البيتان موجودة في حديث السقيفة من العقد الفريد، فراجع[٤].

(٣) هذا وما بعده حتّى البيتان الأخيران موجودة في حديث السقيفة من كامل ابن الأثير[٥].

---

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. راجع: الأمالي للطوسي: ٤٧٩، ح ١٠٤٦، المجلس ١٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٧٢ بتفاوت يسير؛ الفضائل: ١٤٥؛ بحار الأنوار ٢٨: ٣٦٨، كتاب الفتن والمحن، الباب ٤، ذيل تنبيه.

٣. المعجم الأوسط ٥: ٤٥٥، ح ٤٨٧٧؛ الصواعق المحرقة: ١٢٣ ـ ١٢٤، الباب ٩، الفصل ٢.

٤. العقد الفريد ٥: ١١. حكاه اليعقوبي أيضاً في تاريخه ٢: ١٠، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٦: ١٧.

٥. الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٦، حوادث سنة ١١.

فأبى أمير المؤمنين عليه السلام، فتمثّل بقول المتلمّس:

ولن يُـقيم عـلى خَسْفٍ يُـرادُ بـه إلّا الأذلّان عَـير الحـيّ والوَتِـدُ

هذا على الخَسْـفِ مـربوط بـرُمّته وذا يُشَـجُّ فـلا يَـبْكي له أحـدُ

هذا بعض ما كان منه يومئذٍ، ونحن الإماميّة لا نحمل فعله هذا إلّا على إرادة الفتنة، وشقّ عصا المسلمين؛ ولذا زجره أمير المؤمنين عليه السلام وقال له(١): «والله إنّك ما أردت بهذا إلّا الفتنة، وإنّك والله طالما بغيتَ للإسلام شرّاً».

وإنّما ذكرناه في عداد المتأوّلين؛ مجاراةً لمن يحمل أفعاله على الصحّة، لتتمّ حجّتنا عليهم به في معذرة المتأوّلين؛ ضرورة أنّه لا يمكن أن يكون معذوراً عندهم في هذا التخلّف إلّا بناءً على ذلك الأصل.

وهذه سيّدة نساء العالمين، وبَضْعة خاتم النبيّين والمرسلين صلى الله عليه وآله، قد علم الناس ما كان بينها وبين أبي بكر إذ هجرته فلم تكلّمه حتّى ماتت ودفنها أمير المؤمنين ليلاً، ولم يؤذِن بها إلّا نفراً من شيعته لئلّا يصلّي عليها غيرهم، وهذا من المسلّمات أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين(٢)، ورواه الإمام أحمد من حديث أبي بكر في أواخر صفحة ٦ من الجزء الأوّل من مسنده[١]. وذكره أهل الأخبار، ونصّ عليه أرباب السير،

---

(١) نقلناه عن كامل ابن الأثير[٢].

(٢) راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء ٣ من صحيح البخاري، أو أوّل كتاب الفرائض في صفحة ١٠٥ من الجزء الرابع من صحيحه أيضاً، أو باب قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة» من كتاب الجهاد في صفحة ٧٢ من الجزء ٢ من صحيح مسلم[٣].

---

١. مسند أحمد ١: ٢٥، ح ٢٥.

٢. الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٦، حوادث سنة ١١.

٣. صحيح البخاري ٤: ١٥٤٩، ح ٣٩٩٨؛ و٥: ٢٤٧٤، ح ٦٣٤٦؛ صحيح مسلم ٣: ١٣٨٠، ح ١٧٥٩، كتاب الجهاد والسير، ح ٥٢.

وحسبك من ذلك ما أودعه الإمام ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة [١]، ونقله العلّامة المعتزلي عن ثقات المؤرّخين في شرحه لنهج البلاغة [٢].

ولها خطبتان تفرغ فيهما عن لسان أبيها ﷺ، إحداهما في ميراثها، والثانية في أمر الخلافة. أوردهما أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه، والعلّامة المعتزلي في الجزء ١٦ من شرح النهج (١) وإليكهما في كتاب بلاغات النساء (٢) و الاحتجاج، و البحار [٣]، وغيرها من كتب الفريقين [٤] لتكون على يقين من معذرة المتأوّلين.

وهذا أبو سليمان خالد بن الوليد المخزومي، قَتل يوم البطاح مالك بن نويرة بن حمزة بن شدّاد بن عبد بن ثعلبة بن يربوع التميمي، ونكح زوجته أُمّ تميم بنت المنهال وكانت من أجمل النساء، ثمّ رجع إلى المدينة وقد غرز في عمامته أسهماً، فقام إليه عمر رضي الله عنه فنزعها وحطمها، وقال له ـ كما في تاريخ ابن الأثير وغيره [٥] ـ: قتلت امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، والله لأرجمنّك بأحجارك. ثمّ قال لأبي بكر ـ كما في ترجمة وثيمة بن موسى

(١) أمّا الأُولى فموجودة في صفحة ٧٩، والثانية في صفحة ٨٧ من المجلّد الرابع من شرح النهج طبع مصر [٦].

(٢) لمؤلّفه أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المتوفّى سنة ٢٨٠، فراجع منه صفحة ١٦ و ٢٣ [٧].

١. الإمامة والسياسة ١: ١٣ ـ ١٤.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١٨.

٣. الاحتجاج ١: ٩٧ ـ ١٠٩، احتجاج فاطمة الزهراء عليها السلام على القوم لمّا منعوا فدك و...؛ بحار الأنوار ٢٩: ٢١٥ وما بعدها، كتاب الفتن والمحن، خطبة الزهراء سلام الله عليها.

٤. كما في الشافي في الإمامة ٤: ٦٩ ـ ٧٥. راجع أيضاً الغدير ٧: ١٩٢، حيث ذكر العلّامة الأميني جملة من مصادر الخطبة.

٥. ستأتي مصادره قريباً.

٦. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١١ و ٢٣٣.

٧. بلاغات النساء: ٢٣ ـ ٣٣.

من وفيات ابن خلّكان[١] ـ: إنّ خالداً قد زنى فارجمه. قال: ما كنت لأرجمه، فإنّه تأوّل فأخطأ. قال: إنّه قتل مسلماً فاقتله به. قال: ما كنت لأقتله به، إنّه تأوّل فأخطأ.

فلمّا أكثر عليه، قال: ما كنت لأشيم سيفاً سلّه الله تعالى. وودى مالكاً من بيت المال، وفكّ الأسرى والسبايا من آله.

وهذه الواقعة من المسلّمات، لا ريب في صدورها من خالد(١) وقد ذكرها محمّد بن جرير الطبري في تاريخه، وابن الأثير في كامله[٢]. ووثيمة بن موسى بن الفرات

(١) وله واقعة أُخرى أيّام رسول الله ﷺ، وذلك أنّه بعثه إلى بني جذيمة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، وكانت جذيمة قتلت في الجاهليّة عمّه الفاكة بن المغيرة، فلمّا ورد عليهم قال لهم: ضعوا سلاحكم فإنّ الناس قد أسلموا، فوضعوا سلاحهم فأمر بهم فكتفوا، ثمّ عرضهم على السيف وقتل منهم مقتلة عظيمة، فلمّا انتهى الخبر إلى النبيّ ﷺ، رفع يده إلى السماء فقال ـ كما في باب بعث خالد بن الوليد إلى جَذِيمة من كتاب المغازي من صحيح البخاري في صفحة ٤٧ من جزئه الثالث[٣] ـ: «اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد» مرّتين.
ثمّ أرسل عليّاً ـ كما في كامل ابن الأثير وغيره[٤] ـ ومعه مال، وأمره أن ينظر في أمرهم فودى لهم الدماء والأموال حتّى أنّه ليدي مِيْلَغَة الكلب، وبقي معه من المال فضلة، فقال لهم: «هل بقي لكم مال أو دم لم يود؟» قالوا: لا. قال: «فإنّي أعطيكم هذه البقيّة احتياطاً لرسول الله ﷺ»، ففعل، ثمّ رجع فأخبر النبيّ ﷺ فقال: «أصبت وأحسنت».
هذا ما نقله جميع المؤرّخين، وكلّ من ترجم خالداً، حتّى قال ابن عبد البرّ بعد أن ذكر هذا الخبر عنه في ترجمته من الاستيعاب، ما هذا لفظه: وخبره في ذلك من صحيح الأثر[٥]. انتهى.

١. وفيات الأعيان ٦: ١٥، الرقم ٧٦٩.
٢. تاريخ الطبري ٣: ٢٧٦ ـ ٢٨٠، حوادث سنة ١١؛ الكامل في التاريخ ٢: ٣٥٧ ـ ٣٦٠، حوادث سنة ١١.
٣. صحيح البخاري ٤: ١٥٧٧، ح ٤٠٨٤.
٤. الكامل في التاريخ ٢: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، حوادث سنة ٨؛ تاريخ الطبري ٣: ٦٦ ـ ٦٧، حوادث سنة ٨.
٥. الاستيعاب ٢: ٤٢٨، الرقم ٦٠٢.

والواقدي في كتابيهما[١]، وسيف بن عمر في كتاب الردّة والفتوح، والزبير بن بكّار في الموفّقيّات، وثابت بن قاسم في الدلائل[٢]، وابن حجر العسقلاني في ترجمة مالك من إصابته[٣]، وابن الشحنة في روضة المناظر، وأبو الفداء في المختصر[٤]، وخلق كثير من المتقدّمين والمتأخّرين[٥]، والكلّ ذكروا اعتذار أبي بكر عن خالد بأنّه تأوّل فأخطأ.

وإذا كان أبو بكر أوّل من نصّ على معذرة المتأوّلين، فمن ذا يرتاب في ذلك من جمهور المسلمين.

وليت شعري، متى كان التأوّل في الفروع شيئاً نُكراً؟ أم كيف لا يكون عند الله والمؤمنين عذراً، وقد تأوّل السلف كثيراً من ظواهر الأدلّة لأُمور ظنّوا فيها صلاح الملّة؟ فبخع لتأوّلهم جمهور المسلمين، وانقطع إليهم في كلّ ما يتعلّق بالدين، تقديساً لتأوّلهم واجتهادهم، وتنزيهاً لغرضهم ومرادهم، وإليك مضافاً إلى ما تلوناه تلميحاً إلى بعض تأوّلاتهم، وإشارةً إلى اليسير من اجتهاداتهم، أذكر ذلك مختصراً في العبارة. والحرّ تكفيه الإشارة.

فمنها: تأوّلهم في الطلاق الثلاث، وحكمهم فيه بخلاف ما كان عليه زمن النبيّ ﷺ وأبي بكر كما هو مقرّر معلوم.

ففي باب طلاق الثلاث من كتاب الطلاق من صحيح مسلم في صفحة ٥٧٤ من جزئه الأوّل عن ابن عبّاس بطرق مختلفة قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، قال: فقال عمر بن الخطّاب:

---

١. حكاه عنهما ابن خلّكان في وفياته ٦: ١٥، الرقم ٧٦٩.

٢. حكاه عنهم ابن حجر في الإصابة ٥: ٥٦٠ ـ ٥٦١، الرقم ٧٧١٢.

٣. المصدر.

٤. المختصر في أخبار البشر ١: ١٥٧ ـ ١٥٨.

٥. راجع: تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٨٠؛ سير أعلام النبلاء ١: ٣٧٠، الرقم ٧٨.

إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، قال: فأمضاه عليهم[١]. انتهى.

ونقله قاسم بك أمين في صفحة ١٧٣ من كتابه تحرير المرأة عن صحيح البخاري[٢].

ونقله الفاضل الرشيد في صفحة ٢١٠ من المجلّد الرابع من مناره عن أبي داود والنسائي والحاكم والبيهقي[٣]، ثمّ قال ما هذا لفظه:

ومن قضاء النبيّ بخلافه ما أخرجه البيهقي عن ابن عبّاس (١) قال: طلّق ركانة امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديداً، فسأله رسول الله ﷺ: كيف طلّقتها؟ قال: ثلاثاً. قال: في مجلس واحد؟ قال: نعم. قال: فإنّما تلك واحدة فارجعها إن شئت. انتهى.

قلت: وهذا مذهبنا في المسألة، ويدلّ عليه ـ مضافاً إلى ما سمعت (٢) وكونه مقتضى

---

(١) وذكره ابن إسحاق في صفحة ١٩١ من الجزء ٢.

(٢) ويدلّ عليه أيضاً ما نقله قاسم بك أمين في صفحة ١٧٢ من كتابه تحرير المرأة عن النسائي والقرطبي والزيلعي بالإسناد إلى ابن عبّاس قال: أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلّق امرأته ثلاثاً جمعاً، فقام غضبان ثمّ قال: «أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟». انتهى.

قلت: وفي تفسير سورة الطلاق من الكشّاف[٤] نحوه. وربما قيل: إنّ هذا الحديث دالّ على فساد الطلاق الثلاث بالمرّة؛ لكونه لعباً. وبذلك قال سعيد بن المسيّب وجماعة من التابعين[٥]. لكنّ الحقّ أنّ اللعب إنّما هو في قوله: «ثلاثاً» فيلغى، وأمّا قوله: «أنت طالق» فيؤثّر أثره؛ إذ لا لعب فيه، كما هو واضح.

---

١. صحيح مسلم ٢: ١٠٩٩، كتاب الطلاق، ح ١٥.

٢. تحرير المرأة: ١٣٨ ـ ١٣٩، الطلاق.

٣. سنن أبي داود ٢: ٢٦١، ح ٢١٩ ـ ٢٢٠؛ سنن النسائي ٦: ١٤٥؛ المستدرك على الصحيحين ٢: ٢١٤، ح ٢٧٣٩؛ السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٥٥٠، ح ١٤٩٧٢.

٤. الكشّاف ٤: ٥٥٣، ذيل الآية ١ من سورة الطلاق (٦٥).

٥. حكاه عنهم الزمخشري في الكشّاف ٤: ٥٥٤، ذيل الآية ١ من سورة الطلاق (٦٥).

الأصل ـ قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ﴾ الذي تحلّ المطلّقة من بعده إنّما هو ﴿مَرَّتَانِ﴾ فإن طلّقها مرّتين فالواجب عليه بعد ذلك ما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ بعد التطليقتين المتفرّقتين ﴿بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ حينئذٍ ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ إلى أن قال عزّ اسمه: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي مرّة ثالثة بعد المرّتين المتفرّقتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ ذلك التطليق الثالث ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾[١].

وعلى هذا فلو قال لزوجته: «أنت طالق ثلاثاً» ولم يكن طلّقها من قبل أصلاً، أو كان قد طلّقها مرّة واحدة، فلا مانع لَهما أن يتراجعا وإن لم ينكحها غيره؛ لأنّ المنفيّ في الآية إنّما هو حلّ إرجاعها من بعد التطليق الثالث المسبوق بتطليقتين، كما لا يخفى. بَيْدَ أنّ أبا حفص ﷺ تأوّل الآية وسائر أدلّة المسألة(١) عقوبة للمستعجلين، وردعاً لأهل الطيش والجاهلين، وهذا كافٍ لك في معذرة المتأوّلين. فتدبّر ولا تكن من الغافلين.

ومنها: **تأوّلهم في متعة الحجّ ومتعة النساء**، وحكمهم فيهما بخلاف ما كانتا عليه أيّام النبيّ ﷺ، كما هو مقرّر معلوم.

وبيان ذلك على التفصيل يستوجب **مباحث**:

المبحث الأوّل: في أصل مشروعيّتهما

اعلم أنّ هذا المقدار ثابت بإجماع المسلمين، وبكلّ من الكتاب والسنّة:

أمّا الإجماع: فلأنّ أهل القبلة كافّة متّفقون على أنّ الله تعالى قد شرع هاتين

---

(١) وفي الصفحة ٢١٢ من المجلّد ٤ من المنار تصريح بأنّ عمر قد اجتهد في هذه المسألة.

---

١. البقرة (٢): ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

المتعتين في دين الإسلام، وأهل التوحيد من هذه الأُمّة قاطبة متصافقون على ذلك، بحيث لا ريب فيه لأحدٍ من المتقدّمين والمتأخّرين من كافّة المسلمين، بل لعلّ ذلك ملحق لدى أهل العلم بالضروريّات الثابتة عن سيّد النبيّين ﷺ فلا ينكره أحد من أهل المذاهب الإسلاميّة مطلقاً.

وأمّا الكتاب العزيز: فآيتان محكمتان: إحداهما في تشريع متعة الحجّ، والأُخرى في تشريع متعة النساء(١).

---

(١) متعة النساء ـ التي هي موضوع الخلاف بين الشيعة والسنّة ـ أن تزوّجك المرأة نفسها حيث لا يكون لك مانع في دين الإسلام عن نكاحها من نسب أو سبب أو رضاع أو إحصان أو عدّة أو غير ذلك من الموانع الشرعيّة، ككونها منكوحة لأبيك، أو كونها أُختاً لزوجتك، أو غير ذلك. تزوّجك نفسَها بمهر معلوم إلى أجل مسمّى، بعقد نكاح جامع لشرائط الصحّة الإسلاميّة. فتقول لك بعد الاتّفاق والتراضي: زوّجتك، أو أنكحتك، أو متّعتك نفسي بمهر قدره كذا، يوماً أو شهراً أو سنة، أو تذكر مدّة أُخرى معيّنة على الضبط. فتقول أنت لها على الفور: قبلت.

وتجوز الوكالة في هذا العقد كغيره من العقود، وبتمامه تكون زوجة لك، وأنت تكون زوجاً لها إلى منتهى الأجل المسمّى في العقد، وبمجرّد انتهائه تبين من غير طلاق كالإجارة. وللزوج فراقها قبل انتهائه بهبة المدّة المعيّنة لا بالطلاق؛ عملاً بالنصوص الخاصّة الدالّة على ذلك[1].

ويجب عليها مع الدخول وعدم بلوغها سنّ اليأس أن تعتدّ بعد هبة المدّة أو انقضائها بقُرءين إذا كانت ممّن تحيض وإلّا فبخمسة وأربعين يوماً كالأمة؛ عملاً بالأدلّة الخاصّة أيضاً[2]. فإذا وهبها المدّة أو انقضت قبل أن يمسّها فما له عليها من عدّة، كالمطلّقة قبل الدخول. ←

---

١. كالمرويّ في وسائل الشيعة ٢١: ٦٣، الباب ٢٩ من أبواب المتعة، ح ١، و ٧٥ ـ ٧٦، الباب ٤١، ح ١.

٢. راجع وسائل الشيعة ٢١: ٥١ ـ ٥٤، الباب ٢٢ من أبواب المتعة.

. . . .

← وولد المتعة ـ ذكراً كان أو أنثى ـ يلحق كغيره من الأبناء بأبيه، فإنّه أشرف الأبـوين، ولا يدعى إلّا له؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾[1]، وله من الإرث ما أوصى به الله سبحانه حيث يقول: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾[2]. ولا فرق عند مبيحي المتعة بين ولديك: المولود أحدهما منها، والآخر من النكاح المألوف بـين عـامّة المسلمين. وجميع العمومات الواردة في الأبناء والآباء والأُمّهات شاملة لأبناء المتعة وآبائهم وأمّهاتهم، وكذا القول في العـمومات الواردة في الإخـوة والأخـوات وأبـنائهما والأعـمام والعمّات والأخوال والخالات وأبنائهم ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾[3] مطلقاً.

نعم، عقد نكاح المتعة لا يوجب توارثاً بين الزوجين المتمتّعين، ولا ليلة، ولا نفقة للمتمتّع بها. وللزوج أن يعزل عنها؛ عملاً بالأدلّة الخاصّة المخصّصة[4] للعمومات الواردة في أحكام الزوجات. هذه هي متعة النساء التي فهم الإماميّة من الكتاب والسنّة دوام إباحتها، وأهل المذاهب الأربعة قالوا بتحريمها، مع اعترافهم بأنّ الله تعالى شرعها في دين الإسلام، وليس عندنا متعة نساء غيرها بحكم الضرورة الأوّليّة من مذهبنا المدوّن في أُلوف من مصنّفات علمائنا المنتشرة بفضل الطبع في أكثر بلاد الإسلام. لكن محمود شكري الآلوسي ـ غفر الله له ـ لفّق رسالة بذيئة شحنها بإفكه الواضح وبهتانه الفاضح، وقد وقفت عليها في الجزء ٦ من المجلّد ٢٩ من المنار، فإذا هي كذب وسباب وتنابز بالألقاب ـ نعوذ بالله السميع العليم من الأفّاك الأثيم ـ إذ يقول غير متأثّم: إنّ عند الشيعة متعة أُخرى يسمّونها المتعة الدوريّة ويروون في فضلها ما يروون، وهي أن يتمتّع جماعة بامرأة واحدة، فتقول لهم: من الصبح إلى الضحى في متعة هذا، ومن الضحى إلى الظهر في متعة هذا، ومن الظهر إلى العصر في متعة هذا، ←

---

١. الأحزاب (٣٣): ٥.

٢. النساء (٤): ١١.

٣. الأنفال (٨): ٧٥.

٤. راجع وسائل الشيعة ٢١: ٦٨، ٧١، ٧٩، الباب ٣٢، ٣٤، ٤٥ من أبواب المتعة.

أمّا آية متعة الحجّ: فهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ﴾ إلى قوله ـ عزّ اسمه ـ: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الحَرَامِ﴾[١]؛ إذ لا خلاف بين المسلمين في نزولها في متعة الحجّ، كما لا يخفى.

← ومن العصر إلى المغرب في متعة هذا، ومن المغرب إلى العشاء في متعة هذا، ومن العشاء إلى نصف الليل في متعة هذا، ومن نصف الليل إلى الصبح في متعة هذا، إلى آخر بهتانه المبين.

فراجعه في صفحة ٤٤١ من المجلّد ٢٩ من المنار.

وليت المنار سأل هذا المرجف المجحف فقال له: من الذي سمّاها من الشيعة بهذا الاسم؟ وأيّ راوٍ منهم روى في فضلها شيئاً أو أتى في رواياته على ذكرها؟ وما تلك الروايات التي زعمت أنّهم رووها في فضلها؟ ومن أخرج تلك الروايات من محدّثيهم؟ وأيّ عالم أو جاهل منهم أفتى بها أو ذكرها؟ وأيّ كتاب من كتب حديثهم أو فقههم أو تفسيرهم يشتمل على ذكرها؟

ولو تقدّم المنار بهذا السؤال،لعرف حقيقة الحال، ونحن الآن نحيله على مصنّفات الإماميّة في الفقه والحديث والتفسير وسائر الفنون، وقد انتشر منها بفضل المطابع عشرات الألوف، مختصرة ومطوّلة، متوناً وشروحاً، بعضها للمتقدّمين وبعضها للمتأخّرين، فليتتبّعها المنار كتاباً كتاباً، وليتصفّحها حرفاً حرفاً؛ ليعلم أنّ الآلوسي وأمثاله من المرجفين الظالمين لأحياء المؤمنين ولأمواتهم. وقد بهت السلف الصالح بما تستك به المسامع، وترتعد منه الفرائص:

من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة[٢]

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[٣].

---

١. البقرة (٢): ١٩٦.

٢. نسبه الباقلاني إلى بشّار في إعجاز القرآن: ١٥٢.

٣. آل عمران (٣): ١٨٦.

أمّا آية متعة النساء: فهي قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[١]، حتّى أنّ كلّاً من أُبيّ بن كعب وابن عبّاس(١) وسعيد بن جبير والسدّي وغيرهم كانوا

---

(١) أرسل الزمخشري في كشّافه[٢] هذه القراءة عن ابن عبّاس إرسال المسلّمات. والرازي ذكر في تفسير الآية أنّه:

روي عن أُبيّ بن كعب أنّه كان يقرأ: «فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى فآتوهنّ أُجورهنّ». قال: وهذا أيضاً هو قراءة ابن عبّاس. قال: والأُمّة ما أنكروا عليهما في هذه القراءة. قال: فكان ذلك إجماعاً من الأُمّة على صحّة هذه القراءة[٣].

هذا كلامه بلفظه، فراجعه في صفحة ٢٠١ من الجزء ٣ من تفسيره الكبير.

ونقل القاضي عياض عن المازري ـ كما في أوّل باب نكاح المتعة من شرح صحيح مسلم للفاضل النووي ـ أنّ ابن مسعود قرأ: «فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل»[٤]. والأخبار في ذلك كثيرة[٥].

وصرّح عمران بن حصين الصحابي بنزول هذه الآية في المتعة، وأنّها لم تنسخ حتّى قال رجل فيها برأيه ما شاء[٦].

ونصّ على نزول الآية في المتعة مجاهد أيضاً فيما أخرجه عنه الطبري في تفسيره بإسناده إليه، فراجع الصفحة ٩ من الجزء ٥ من تفسيره الكبير[٧]. ويشهد لنزولها في ذلك بالخصوص: أنّ الله سبحانه قد أبان في أوائل السورة حكم نكاح الدائم بقوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ ←

---

١. النساء (٤): ٢٤.

٢. الكشّاف ١: ٤٩٨، ذيل الآية.

٣. التفسير الكبير ٥ (الجزء العاشر): ٥٤، ذيل الآية.

٤. شرح صحيح مسلم للنووي ٩: ١٨٩.

٥. للمزيد راجع الدرّ المنثور ٢: ٤٨٤، ذيل الآية.

٦. صحيح البخاري ٤: ١٦٤٢، ح ٤٢٤٦؛ التفسير الكبير ٥ (الجزء العاشر): ٥٥، ذيل الآية.

٧. تفسير الطبري ٤: ١٤، ح ٩٠٣٥، ذيل الآية.

يقرؤونها: «فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى». أخرج ذلك عنهم الإمام الطبري في تفسير الآية من أوائل الجزء الخامس من تفسيره الكبير[١].

ورواه عنهم وعن ابن مسعود جماعة كثيرون من ثقات الأمّة وحفظتها[٢]، لا يسعنا استقصاؤهم.

وأمّا نصوص السنّة في أصل مشروعيّة المتعتين فمتواترة، ولا سيّما من طريقنا عن العترة الطاهرة[٣].

← مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[٤] فلو كانت هذه الآية في بيان الدائم أيضاً، للزم تكرار ذلك في سورة واحدة. أمّا إذا كانت لبيان المتعة المشروعة بالإجماع، فإنّها تكون لبيان معنى جديد.

وأهل النظر ـ ممّن تدبّر القرآن الحكيم ـ يعلمون أنّ السورة قد اشتملت على بيان الأنكحة الإسلاميّة كلّها، فالدائم وملك اليمين تبيّنا بقوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

والمتعة مبيّنة بآيتها هذه ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾[٥].

ونكاح الإماء مبيّن بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٦].

---

١. تفسير الطبري ٤: ١٤ـ١٥، ذيل الآية ٢٤ من سورة النساء (٤).

٢. كالشيخ الطوسي في التبيان ٣: ١٦٦؛ والطبرسي في مجمع البيان ٣: ٣٢، ذيل الآية ٢٤ من سورة النساء (٤).

٣. راجع في مشروعيّة متعة النكاح وسائل الشيعة ٢١: ٥ ـ ٢٢، الباب ١ ـ ٥ من أبواب المتعة، وفي مشروعيّة متعة الحجّ ١١: ٢١١، أبواب أقسام الحجّ.

٤. النساء (٤): ٣ـ٤.

٥ و٦. النساء (٤): ٢٤ـ٢٥.

وحسبك في ثبوت متعة الحجّ واستمرارها ما أخرجه الشيخان: البخاري ومسلم في التمتّع والإفراد والقِران من كتاب الحجّ من صحيحيهما، فراجع[١].

على أنّ متعة الحجّ قد انعقد الإجماع بعد الخليفة الثاني على استمرارها ولم يعملوا بنهيه عنها، فهي ممّا لا كلام في دوامه، وإنّما الكلام في متعة النساء، وقد أخرج الشيخان في أصل مشروعيّتها أحاديث في صحيحيهما كثيرة عن كلّ من سلمة بن الأكوع، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن مسعود، وابن عبّاس، وسبرة بن معبد الجهني، وأبي ذرّ الغفاري، وعمران بن حصين، والأكوع بن عبد الله الأسلمي[٢].

وأخرجها أحمد بن حنبل في مسنده من حديث هؤلاء كلّهم، ومن حديث عبدالله بن عمر[٣].

وأخرج مسلم في باب نكاح المتعة من كتاب النكاح من الجزء الأوّل من صحيحه عن جابر بن عبد الله، وسلمة بن الأكوع، قالا: خرج علينا منادي رسول الله ﷺ فقال: «إنّ رسول الله أذِن لكم أن تستمتعوا يعني متعة النساء»[٤]. انتهى.

والصحاح في هذا المعنى كثيرة، وفيما أشرنا إليه كفاية.

المبحث الثاني: في دوام حلّها واستمرار إباحتها

وقد ذهب إلى ذلك أئمّتنا الاثنا عشر من أهل البيت ـ وأهل البيت أدرى بالذي فيه ـ وتبعهم في ذلك شيعتهم وأولياؤهم.

---

١. راجع: صحيح البخاري ٢: ٥٦٦ و ٥٦٩، الباب ٣٣، ٣٥ من أبواب كتاب الحجّ؛ صحيح مسلم ٢: ٨٧٠، ٨٨٥، ٨٩٦، الباب ١٧، ١٨، ٢٣ من أبواب كتاب الحجّ.

٢. راجع: صحيح البخاري ٥: ١٩٦٧، ح ٤٨٢٦، ٤٨٢٧؛ صحيح مسلم ٢: ١٠٢٢، الباب ٣ من كتاب النكاح.

٣. مسند أحمد ١: ١١٦ ح ٣٦٩؛ و ٢: ١٠٠، ح ٣٩٨٦، و ٤٠٩، ح ٥٦٩٨؛ و ٥: ٢٣٣، ح ١٥٣٤٥، و ٥٥٥، ح ١٦٥٣٤؛ و ٧: ٢١٢، ح ٨، ٩.

٤. صحيح مسلم ٢: ١٠٢٢، كتاب النكاح، ح ١٣.

وحسبك حجّة لهم ما قد سمعته من إجماع المسلمين على أنّ الله تعالى شرعها في دينه القويم، وصدع بإباحتها في الذكر الحكيم، وأذّن في الإذن بها منادي رسول الله ﷺ، ولم يثبت نسخها عن الله تعالى، ولا عن رسوله ﷺ حتّى انقطع الوحي باختيار الله تعالى لنبيّه دار كرامته، ومأوى أصفيائه[1]، بل ثبت عدم نسخها بحكم صحاحنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة، فراجعها في كتاب وسائل الشيعة إلى أحكام الشريعة[2].

وإن ابتغيتَ صحاحاً سواها فإليك ما أخرجه محدّثوك ـ أيّها القائل بتحريمها ـ أنقله إليك بعين ألفاظهم فأقول:

أخرج مسلم في باب نكاح المتعة من صحيحه(١) عن عطاء قال: قدم جابر بن عبد الله معتمراً، فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثمّ ذكروا المتعة، فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر. انتهى.

وأخرج مسلم في الباب المذكور أيضاً عن أبي نضرة قال: كنت عند جابر بن عبدالله فأتاه آتٍ فقال: ابن عبّاس وابن الزبير اختلفا في المتعتين. فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ﷺ، ثمّ نهانا عنهما عمر، فلم نَعُد لهما[3]. انتهى.

وأخرج مسلم في الباب المذكور أيضاً عن أبي الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنّا نستمتع بالقبْضَة من التمر والدقيق الأيّامَ على عهد رسول الله ﷺ

---

(١) في صفحة ٥٣٥ من جزئه الأوّل[4].

---

١. راجع ما تقدّم في المبحث الأوّل.

٢. وسائل الشيعة ٢١: ٥ ـ ٢٢، الباب ١ ـ ٥ من أبواب المتعة.

٣. صحيح مسلم ٢: ١٠٢٣، كتاب النكاح، ح ١٥ و ١٧.

٤. المصدر، ح ١٦.

وأبي بكر، حتّى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حُرَيث[١].

وأنت تعلم أن ليس المراد من قول جابر في هذه الأحاديث: «استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ». مرّة، و «فعلناهما مع رسول الله ﷺ» أُخرى، و «كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله ﷺ» تارة، إلّا بيان أنّهم كانوا يستمتعون بمرأى منه ﷺ ومَسمع، فيقرّهم على ذلك، وأنّه لم ينههم عنها حتّى اختار الله له لقاءه. وناهيك بهذا برهاناً على دوام الإباحة.

وإذا نظرت إلى قوله: «تمتّعنا»، و «استمتعنا»، و «كنّا نستمتع»، و «فعلناهما مع رسول الله ﷺ» تجده ظاهراً في نسبة فعلهما أيّام النبيّ ﷺ وأبي بكر إلى عموم الصحابة لا إلى نفسه بالخصوص.

ولو كان ثَمّةَ ناسخ، ما فعلوهما بعد النبيّ ﷺ، ولا يجوز أن يخفى الناسخ عليهم مع ملازمتهم للرسول في حضره وسفره ليلاً ونهاراً، وكيف يخفى عليهم ثمّ يظهر للمتأخّرين عنهم؟!

على أنّ قول جابر: «حتّى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث» صريح بأنّ النهي عنها لم يكن من الله تعالى ولا من رسوله ﷺ، وإنّما كان من عمر لقضيّة وقعت من عمرو بن حريث.

وقوله: «ثمّ نهانا عمر» دالّ على أنّ النهي كان متوجّهاً منه إلى كافّة الصحابة لا إلى شخص منهم مخصوص.

وأمّا قوله: «فلم نعد لهما» فإنّما هو للتقيّة والخوف من العقوبة.

والأخبار الدالّة على دوام إباحة المتعة واستمرار حلّها لا تستقصى في هذه العجالة، وسأتلو عليك في المبحث الرابع، والمبحث الخامس لُمعة من الصحاح تدلّ على ذلك أيضاً.

---

١. صحيح مسلم ٢: ١٠٢٣، كتاب النكاح، ح ١٥ و ١٧.

المبحث الثالث: في الأحاديث التي زعموا أنّها ناسخة لحكم المتعة

أمعنّا النظر فيها فوجدناها أحاديث ملفّقة وضعها المتأخّرون عن زمن الخلفاء الأربعة تصحيحاً لرأي من حرَّمها، وقد استقصيناها في رسالتنا الموسومة بالنجعة في أحكام المتعة، فأثبتنا من طريق خصومنا تضعيف تلك الأحاديث وإن أخرجها الشيخان، ونقلنا كلمات البعض من أئمّتهم في الجرح والتعديل الدالّة على ذلك.

على أنّ تلك الأحاديث الملفّقة تناقض صحاحنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة[١]، بل تناقض ما سمعته من صحاحهم الدالّة على دوام حلّها واستمرار إباحتها، ومن تدبّرها وجدها تناقض نفسها بنفسها، وقد فصّلنا ذلك كلّه في نُجعتنا بما لا مزيد عليه.

وأنت ـ هداك الله ـ سمعت النصّ من جابر بن عبد الله على أنّ التحريم والنهي إنّما كان من عمر في بادرة بدرت من ابن حريث[٢]، وستسمع كلام عمران بن حُصين، وعبدالله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبّاس، وأمير المؤمنين، فتراه صريحاً بأنّ التحريم لم يكن بناسخ شرعي، وإنّما كان بنهي الخليفة الثاني[٣]. ومحال أن يكون ثَمّة ناسخ فيجهلونه، وهم من علمت منزلتهم من رسول الله، وملازمتهم له ﷺ، وحرصهم على أخذ العلم منه.

على أنّه لو كان هناك ناسخ، لنبّههم إليه بعض المطّلعين عليه؛ وحيث لم يعارضهم أحد من الصحابة فيما كانوا ينسبونه من التحريم إلى عمر، علمنا أنّهم أجمع معترفون بذلك، مقرّون بأن لا ناسخ من الله تعالى، ولا من رسوله ﷺ كما لا يخفى.

على أنّ عمر نفسه لم يدّعِ النسخ، كما ستسمع من كلامه الصريح في إسناد التحريم

---

١. راجع وسائل الشيعة ٢١: ٥ ـ ١٢، الباب ١ من أبواب المتعة.

٢. تقدّم في المبحث الثاني.

٣. سيأتي في المبحث الرابع.

والنهي إلى نفسه[١]، ولو كان هناك ناسخ، لأسند التحريم إلى الله تعالى أو إلى الرسول ﷺ فإنّ ذلك أبلغ في الزجر، وأولى بالذكر.

ومن غرائب الأُمور دعواهم النسخ بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾[٢]. بزعم أنّها ليست بزوجة ولا ملك يمين. قالوا: أمّا كونها ليست بملك يمين، فمسلّم، وأمّا كونها ليست بزوجة، فلأنّها لا نفقة لها ولا إرث ولا ليلة[٣].

والجواب: أنّها زوجة شرعيّة بعقد نكاح شرعي. أمّا عدم النفقة والإرث والليلة، فإنّما هو بأدلّة خاصّة تخصّص العمومات الواردة في أحكام الزوجات، كما بيّنّاه فيما علّقناه على صفحة ٥٤ من هذه الفصول[٤].

على أنّ هذه الآية مكّيّة نزلت قبل الهجرة بالاتّفاق[٥]، فلا يمكن أن تكون ناسخة لإباحة المتعة المشروعة في المدينة بعد الهجرة بالإجماع.

ومن عجيب أمر هؤلاء المتكلّفين أن يقولوا بأنّ آية «المؤمنون» ناسخة للمتعة؛ إذ ليست بزوجة ولا ملك يمين. فإذا قلنا لهم: ولِمَ لا تكون ناسخة لنكاح الإماء المملوكات لغير الناكح، وهنّ لسن بزوجات للناكح ولا ملك يمين له؟ قالوا حينئذٍ: إنّ آية المؤمنين ونكاح الإماء المذكورات إنّما شرع بقوله تعالى في سورة النساء وهي مدنيّة: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[٦]

---

١. سيأتي في المبحث الرابع.

٢. المؤمنون (٢٣): ٥ـ٦.

٣. راجع: المبسوط للسرخسي ٥: ١٥٢، باب نكاح المتعة؛ الجامع لأحكام القرآن ٥: ١٣٠، ذيل الآية ٢٤ من النساء (٤).

٤. تقدّم في بداية المبحث الأوّل.

٥. اتّفق المفسّرون على أنّ سورة المؤمنون مكّيّة. راجع مجمع البيان ٧: ٩٧؛ الكشّاف ٣: ١٧٤، تفسير سورة المؤمنون.

٦. النساء (٤): ٢٥.

الآية، والمكّي لا يمكن أن يكون ناسخاً للمدني، لوجوب تقدّم المنسوخ على الناسخ. يقولون هذا وينسون أنّ المتعة إنّما شرّعت في المدينة بقوله تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[١]. وقد منينا بقوم لا يتدبّرون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

المبحث الرابع: في يسير من الأحاديث الدالّة على أنّ التحريم إنّما كان من الخليفة الثاني رضي الله عنه

أخرج مسلم في باب المتعة بالحجّ والعمرة من صحيحه(١) بالإسناد إلى أبي نضرة قال: كان ابن عبّاس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكرت ذلك لجابر، فقال: «على يديّ دارَ الحديثُ، تمتّعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا قام عمر، قال: إنّ الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، فأتمّوا الحجّ والعمرة، وأبتّوا نكاح هذه النساء، فلن أُوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلّا رجمته بالحجارة». انتهى.

وهذا كما ترى صريح بما قلناه، ولا تنس ما ذكرناه في المبحث الثاني من حديث جابر؛ فإنّه صريح بذلك أيضاً، فراجعه وتأمّل.

وقد استفاض قول الخليفة الثاني ـ وهو على المنبر ـ: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما: متعة الحجّ ومتعة النساء[٢]. حتّى نقل الرازي

---

(١) في صفحة ٤٦٧ من جزئه الأوّل[٣].

---

١. النساء (٤): ٢٤.

٢. شرح معاني الآثار ٢: ١٤٤، باب ما كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم به محرماً في حجّة الوداع؛ التمهيد لابن عبد البرّ ٢٣: ٣٥٧ و ٣٦٥، حديث موفي أربعين ليحيى بن سعيد.

٣. صحيح مسلم ٢: ٨٨٥، كتاب الحجّ، ح ١٤٥.

هذا القول عنه محتجّاً به على حرمة متعة النساء، فراجع تفسير آيتها من تفسيره الكبير[١].

والذي نقله متكلّم الأشاعرة وحكيمهم الإمام القوشجي في أواخر مبحث الإمامة من شرح التجريد:

أنّ عمر قال وهو على المنبر: أيّها الناس، ثلاث كنّ على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهنّ وأُحرّمهنّ وأُعاقب عليهنّ: متعة النساء، ومتعة الحجّ، وحيّ على خير العمل ـ ثمّ اعتذر عنه ـ بأنّ هذا إنّما كان منه على تأوّل واجتهاد[٢].

والأخبار في ذلك كثيرة تضيق هذه الفصول عن استقصائها.

وقد استمتع في أيّامه ربيعة بن أُميّة بن خلف القرشي الجمحي ـ وهو أخو صفوان ـ فيما أخرجه الإمام مالك في باب نكاح المتعة من موطّئه عن عروة بن الزبير: أنّ خولة بنت حكيم السلميّة دخلت على عمر فقالت: إنّ ربيعة بن أُميّة استمتع بامرأة فحملت منه، فخرج عمر يجرّ رداءه ـ من العجلة والغضب ـ فقال: هذه المتعة ولو كنت تقدّمت فيها، لرجمت[٣]. انتهى.

أي لو كنت تقدّمت في تحريمها والإنذار برجم فاعلها قبل هذا، لرجمتُ؛ إذ كان هذا القول منه قبل نهيه عنها. نصَّ على ذلك ابن عبد البرّ، كما في شرح الزرقاني لهذا الحديث من الموطّأ[٤].

وربما يكون المراد بقوله: «لو كنت تقدّمت فيها، لرجمت» أنّه لو تقدّم بإقامة الحجّة من الكتاب والسنّة على نسخها، لرجم، وحيث لا حجّة على تحريمها، فلا رجم.

وكيف كان، فكلامه هذا ظاهر بأنّ التصرّف في حكمها إنّما هو منه لا من سواه، وخطبته تلك على المنبر نصّ صريح بذلك، حيث روى كون المُتعتين كانتا على عهد النبيّ ﷺ

---

١. التفسير الكبير ٥ (الجزء العاشر): ٥٢، ذيل الآية ٢٤ من سورة النساء (٤).

٢. شرح تجريد العقائد للقوشجي: ٤٠٨.

٣. الموطّأ لمالك ٢: ٥٤٢، كتاب النكاح، ح ٤٢.

٤. شرح الزرقاني على الموطّأ ٣: ٢٠٠.

ولم يَروِ نهيه عنهما، بل أسند النهي عنهما إلى نفسه، فقال: «وأنا أنهى عنهما» مقدّماً للمسند إليه ليكون النهي عنهما مقصوراً عليه، ولو كان هناك ناسخ لذكره، كما لا يخفى.

المبحث الخامس: في الإشارة إلى يسير ممّن تسنّى لهم أن يبوحوا ببعض ما تكنّه نفوسهم من الإنكار على تحريمها.

وهم كثيرون:

فمنهم: جابر بن عبد الله الأنصاري، وقد سمعت حديثه[1].

ومنهم: أمير المؤمنين عليه السلام فيما أخرجه الإمامان: الطبري والثعلبي عند بلوغهما في تفسيريهما الكبيرين إلى آية المتعة من سورة النساء بالإسناد إلى عليّ(١) قال: «لولا أنّ عمر نهى عن المتعة، ما زنى إلّا شقيّ»[2]. هذا المعنى متواتر عنه من طريق أبنائه الميامين[3].

ومنهم: عبدالله بن عبّاس حيث قال: ما كانت المتعة إلّا رحمة رحم الله بها أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، لولا نهيه ـ يعني عمر ـ عنها، ما احتاج إلى الزنى إلّا شفَي. أي إلّا قليل من الناس.

نقل ذلك عنه ابن الأثير في مادّة «شفي» من النهاية[4]. ورواه عنه خلق كثير[5].

---

(١) ونقله الرازي في صفحة ٢٠٠ من الجزء ٣ من تفسيره[6] عن تفسير الطبري.

---

١. في المبحث الثاني.

٢. تفسير الطبري ٤: ١٥، ح ٩٠٤٣؛ الكشف والبيان ٣: ٢٨٦، ذيل الآية ٢٤ من سورة النساء (٤).

٣. الكافي ٥: ٤٤٨، أبواب المتعة، ح ٢؛ تهذيب الأحكام ٧: ٢٥٠، ح ١٠٨٠؛ الاستبصار ٣: ١٤١، ح ٥٠٨؛ وسائل الشيعة ٢١: ٥، الباب ١ من أبواب المتعة، ح ٢ و ٣.

٤. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٤٩٣، «ش. ف. ي».

٥. كعبد الرزّاق في المصنّف ٧: ٤٩٧، ح ١٤٠٢١؛ وابن عبد البرّ في التمهيد ١٠: ١١٤.

٦. التفسير الكبير ٥ (الجزء العاشر): ٥٢، ذيل الآية ٢٤ من سورة النساء (٤).

وقوله في إباحة المتعة والإنكار على من حرّمها متواتر. وله في ذلك مع ابن الزبير وغيره نوادر يطول المقام بذكرها، وقد أخرج مسلم بعضها عن جابر، فراجع صفحتي ٥٨ و ٦١ من كتابنا هذا.

ومنهم: عبدالله بن عمر، كما هو ثابت عنه. أخرج الإمام أحمد في صفحة ٩٥ من الجزء الثاني من مسنده من حديث عبد الله بن عمر، قال: سأل رجل ابن عمر عن متعة النساء فقال: والله ما كنّا على عهد رسول الله ﷺ زانين ولا مسافحين. ثمّ قال: والله، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليكوننّ قبل يوم القيامة المسيح الدجّال وكذّابون ثلاثون أو أكثر»[1]. انتهى.

ونقل العلّامة في نهج الصدق، والشهيد الثاني في نكاح المتعة من روضته البهيّة عن صحيح الترمذي: أنّ رجلاً من أهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء، فقال: هي حلال، فقال: إنّ أباك قد نهى عنها، فقال ابن عمر: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ أنترك السنّة ونتّبع قول أبي؟[2] انتهى.

ومنهم: عبد الله بن مسعود، كما هو مقرّر معلوم. أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين ـ واللفظ للأوّل في الصفحة الثانية أو الثالثة من كتاب النكاح ـ عن عبدالله بن مسعود، قال: كنّا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس لنا شيء(١) فقلنا: ألا

(١) يعني ليس لنا شيء من المال، ولفظه في صحيح مسلم: «وليس لنا نساء» فيكون الظاهر من رواية البخاري أنّ المرخّص به إنّما هو كون الثوب أُجرة المتعة بدلاً عن النقود، وتكون المتعة مشروعة قبل ذلك، والظاهر من رواية مسلم أنّ المرخّص به نفس المتعة، ويمكن دعوى ظهور الروايتين بهذا المعنى.

١. مسند أحمد ٢: ٤٠٩، ح ٥٦٩٨.

٢. الجامع الصحيح ٣: ١٨٥ ـ ١٨٦، ح ٨٢٤، وفيه: «متعة الحجّ»؛ نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٨٣؛ الروضة البهيّة ٥: ٢٨٣.

نستخصي؟ فنهانا عن ذلك ثمّ رخّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب، ثمّ قرأ علينا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1]. انتهى.

وأنت تعلم أنّ استشهاده بالآية دالّ على قوله بإباحة المتعة، وإنكاره على من حرّمها، كما صرّح به كلّ مَن شرح صحيح البخاري[2].

ومنهم: عمران بن حصين فيما صحّ عنه، وقد نقل فخر الدين الرازي أثناء بحثه عن حكم متعة النساء في تفسير آيتها من تفسيره الكبير عن عمران بن حصين، قال: أنزل الله في المتعة آية وما نسخها بآية أُخرى، وأمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة وما نهانا عنها، ثمّ قال رجل برأيه ما شاء. قال الرازي: يريد عمر[3]. انتهى.

وأخرج البخاري عن عمران بن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله، ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرّمها ولم ينهَ عنها حتّى مات ﷺ قال رجل برأيه ما شاء[4]. انتهى.

وأخرج أحمد(١) في مسنده من طريق عمران القصير، عن أبي رجاء، عن عمران بن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالى، وعملنا بها مع رسول الله ﷺ فلم تنزل آية تنسخها، ولم ينهَ عنها النبيّ حتّى مات ﷺ[5]. انتهى.

---

(١) في صفحة ٤٣٦ من الجزء ٤، وأخرج أيضاً في صفحة ٤٣٨ من الجزء ٤ من طريق حميد عن الحسن عن عمران مثله[6].

---

١. صحيح البخاري ٥: ١٩٥٣، ح ٤٧٨٧؛ صحيح مسلم ٢: ١٠٢٢، كتاب النكاح، ح ١١، والآية في سورة المائدة (٥): ٨٧.

٢. راجع: فتح الباري ٩: ١٤٨؛ شرح صحيح مسلم للنووي ٩: ١٩٥.

٣. التفسير الكبير ٥ (الجزء العاشر): ٥٥، ذيل الآية ٢٤ من النساء (٤).

٤. صحيح البخاري ٤: ١٦٤٢، ح ٤٢٤٦.

٥. مسند أحمد ٧: ٢١٢، ح ١٩٩٢٨.

٦. المصدر: ٢١٦، ح ١٩٩٥٣.

وأمر المأمون أيّام خلافته فنودي بتحليل المتعة، فدخل عليه محمّد بن منصور وأبوالعيناء، فوجداه يستاك ويقول(١) وهو متغيّظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد أبي بكر وأنا أنهى عنهما، ومن أنت يا جعل حتّى تنهى عمّا فعله رسول الله ﷺ وأبوبكر؟! فأراد محمّد بن منصور أن يكلّمه، فأومأ إليه أبوالعيناء وقال: رجل يقول في عمر بن الخطّاب ما يقول، نكلّمه نحن، فلم يكلّماه. ودخل عليه يحيى بن أكثم فخوّفه من الفتنة، وذكر له: أنّ الناس يرونه قد أحدث في الإسلام بسبب هذا النداء حدثاً عظيماً، لا ترتضيه الخاصّة، ولا تصبر عليه العامّة؛ إذ لا فرق عندهم بين النداء بإباحة المتعة والنداء بإباحة الزنى، ولم يزل به حتّى صرف عزيمته، احتياطاً على ملكه، وإشفاقاً على نفسه[١].

خاتمة

قال العسكري فيما نقله السيوطي عنه في ترجمة عمر من كتابه تاريخ الخلفاء:

> هو أوّل من سمّي أمير المؤمنين، وأوّل من كتب التاريخ من الهجرة، وأوّل من اتّخذ بيت المال، وأوّل من سنّ قيام شهر رمضان بالتراويح، وأوّل من عسّ بالليل، وأوّل من عاقب على الهجاء، وأوّل من ضرب في الخمر ثمانين، وأوّل من حرّم المتعة[٢]. إلى آخره.

والذين صرّحوا بهذا من أعلام السلف والخلف لا يحيط بهم هذا الإملاء. وفي هذا القدر كفاية؛ إذ تبيّن به أنّ تحريم المتعتين إنّما كان عن اجتهاد محض وتأوّل صرف.

---

(١) فيما نقله ابن خلّكان في ترجمة يحيى بن أكثم من وفيات الأعيان، لكنّه لم ينقل حديث يحيى بن أكثم مع المأمون على وجهه، والصحيح ما نقلناه.

---

١. تاريخ بغداد ١٤: ١٩٩، الرقم ٧٤٨٩؛ وفيات الأعيان ٦: ١٤٩ ـ ١٥٠، الرقم ٧٩٣ بتفاوت.

٢. الأوائل للعسكري: ١٠٣ وما بعدها؛ تاريخ الخلفاء: ١٣٦ ـ ١٣٧.

وقد قوبل بالإذعان، ولم يندّد به من الجمهور إنسان، فثبت ما أردناه في هذه العجالة، وتمّ ما أفردنا له هذه الرسالة من معذرة المجتهدين، ونجاة المتأوّلين من المسلمين. والحمد لله ربّ العالمين.

ولنرجع إلى ما كنّا فيه من موارد تأوّلهم، فنقول عطفاً على ما سبق:

ومنها: تأوّلهم في أذان الصبح؛ حيث تصرّفوا فيه فنظموا في سلك فصوله فصلاً لم يكن أيّام رسول الله ﷺ، ألا وهو نداء مؤذّنهم: «الصلاة خيرٌ من النوم»، بل لم يكن أيّام أبي بكر، وإنّما أمر به الخليفة الثاني فيما دلّت عليه الأحاديث المتواترة من طريق العترة الطاهرة[1].

وحسبك من غيرها ما أخرجه الإمام مالك في باب ما جاء في النداء للصلاة من موطّئه من:

أنّه بلغه أنّ المؤذّن جاء إلى عمر بن الخطّاب يؤذِنُه لصلاة الصبح، فوجده نائماً. فقال: الصلاة خيرٌ من النوم، فأمره عمر، أن يجعلها في نداء الصبح[2]. انتهى بلفظه.

وقال العلّامة الزرقاني عند بلوغه إلى هذا الحديث من شرح الموطّأ ما هذا لفظه:

هذا البلاغ أخرجه الدارقطني في السنن من طريق وكيع في مصنّفه، عن العمري، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر ـ قال: ـ وأخرج عن سفيان عن محمّد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر أنّه قال لمؤذّنه: إذا بلغت حيّ على الفلاح في الفجر فقل: «الصلاة خيرٌ من النوم، الصلاة خيرٌ من النوم»[3].

---

١. راجع وسائل الشيعة ٥: ٤٢٥ ـ ٤٢٨، الباب ٢٢ من أبواب الأذان والإقامة.

٢. الموطّأ لمالك ١: ٧٢، كتاب الصلاة، ح ٨.

٣. شرح الزرقاني على الموطّأ ١: ٢١٧.

قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة من حديث هشام بن عروة[١]. ورواه جماعة آخرون يطول المقام بذكرهم[٢].

وأنت تعلم أن لا عين ولا أثر لهذه الكلمة فيما هو مأثور عن رسول الله ﷺ من كيفيّة الأذان، فراجع إن شئت كتاب الأذان في الجزء الأوّل من صحيح البخاري[٣]، وباب صفة الأذان وهو في أوّل كتاب الصلاة من صحيح مسلم[٤]، تعلم حقيقة ما نقول.

وأيضاً ذكروا في أصل مشروعيّة الأذان(١) قضيّةً تمنعها الإماميّة، حاصلها: أنّ عبدالله بن زيد بن ثعلبة الأنصاري رأى ليلةً فيما يراه النائم شخصاً علّمه الأذان والإقامة، فلمّا انتبه قبل الفجر وقصّ الرؤيا على النبيّ ﷺ أمره أن يلقّن بلالاً ما حفظه في تلك الرؤيا، وأمر بلالاً أن ينادي به أوّل الفجر، ففعلا ذلك. وشرّع الأذان بهذا الطيف فيما زعموا.

ونحن نظرنا فيما نقلوه من تلقين عبد الله لبلال فلم نجد فيه مع كونه أذاناً للفجر «الصلاة خيرٌ من النوم». والأدلّة على كون هذه الكلمة ليست من الله تعالى ولا من

---

(١) ذكر هذه القضيّة مالك في موطّئه[٥] على سبيل الإجمال، وفصّلها كلّ من ابن عبد البرّ والزرقاني في شرحيهما[٦]. وأوردها الحلبي في باب بدء الأذان ومشروعيّته من الجزء الثاني من سيرته[٧]. وكلّ من ذكر عبد الله بن زيد من أهل التراجم أشار إلى هذه القضيّة[٨]، وربما سمّوه صاحب الأذان. وأصحابنا ينكرونها ويعدّونها من المحال.

---

١. المصنّف لابن أبي شيبة ١: ١٨٩، ح ٢١٥٩.
٢. كما في المصنّف لعبد الرزّاق ١: ٤٧٤، ح ١٨٢٩.
٣. صحيح البخاري ١: ٢١٩ ـ ٢٣٠.
٤. صحيح مسلم ١: ٢٨٧، كتاب الصلاة، ح ٦.
٥. الموطّأ لمالك ١: ٦٧، كتاب الصلاة، ح ١.
٦. التمهيد ٢٤: ٢٠، ح ٥٥؛ شرح الزرقاني على الموطّأ ١: ١٩٦ ـ ١٩٧.
٧. السيرة الحلبيّة ٢: ١٥٠، خبر الأذان.
٨. كابن عبد البرّ في الاستيعاب ٣: ٩١٢، الرقم ١٥٣٩.

رسوله ﷺ كثيرة، وما ذكرناه كافٍ لإثبات تأوّلهم في الأذان، وافٍ بمعذرة المتأوّلين في كلّ زمان.

ومنها: تأوّلهم في إسقاط «حيَّ على خير العمل» من الأذان والإقامة

وذلك أنّهم كانوا يرغبون في إعلام العامّة بأنّ خير العمل إنّما هو الجهاد في سبيل الله ليشتاقوا إليه، وتعكف هممهم عليه، والنداء على الصلاة بخير العمل في كلّ يوم خمس مرّات(١) ينافي ذلك.

بل ربما رأوا أنّ في بقاء هذه الكلمة في الأذان والإقامة تثبيطاً للعامّة عن الجهاد؛ إذ لو عرفوا أنّ الصلاة خير العمل مع ما فيها من الدعة والسلامة، لاقتصروا في ابتغاء الثواب عليها، وأعرضوا عن خطر الجهاد المفضول بالنسبة إليها، وكانت همم وليّ الأمر يومئذٍ ـ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ـ مصروفة إلى الاستيلاء على ممالك الأرض، وعزائمه مقصورة على امتلاكها في الطول والعرض.

وفتح الممالك لا يكون إلّا بتشويق الجند إلى التورّط في سبيله بالمهالك، بحيث يُشرَبون في قلوبهم الجهاد حتّى يعتقدوا أنّه خير عمل يرجونه يوم المعاد.

ولذا ترجّح في نظره إسقاط هذه الكلمة تقديماً لتلك المصلحة على التعبّد بما جاء به الشرع الأقدس، فقال وهو على المنبر ـ كما نصّ عليه القوشجي أواخر مباحث الإمامة من شرح التجريد، وهو من أئمّة المتكلّمين على مذهب الأشاعرة ـ: ثلاث كُنَّ على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهنّ وأُحرّمهنّ وأُعاقب عليهنّ: متعة النساء، ومتعة الحجّ، وحيّ على خير العمل[١] (٢).

(١) بل كلّ مسلم ملتزم بالسنّة يقولها كلّ يوم عشر مرّات.

(٢) واعتذر بعد أن أرسله عنه إرسال المسلّمات بأنّه قد اجتهد في ذلك.

١. شرح تجريد العقائد للقوشجي: ٤٠٨.

وتبعه في إسقاطها عامّة من تأخّر عنه من المسلمين، حاشا أهل البيت ومن يرى رأيهم، فإنّ «حيّ على خير العمل» من شعارهم، كما هو بديهيّ من مذهبهم، حتّى أنّ شهيد فخّ الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين عليهم السلام لمّا ظهر بالمدينة أيّام الهادي(١) من ملوك العبّاسيّين، أمر المؤذّن أن ينادي بها ففعل.

نصّ على ذلك أبو الفرج الإصفهاني حيث ذكر صاحب فخّ ومقتله في كتابه مقاتل الطالبيّين[1].

وذكر العلّامة الحلبي في باب بدء الأذان ومشروعيّته في صفحة ١١٠ من الجزء الثاني من سيرته:

أنّ ابن عمر رضي الله عنهما والإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام كانا يقولان في الأذان بعد حيّ على الفلاح: حيّ على خير العمل[2]. انتهى.

قلت: وهذا متواتر عن أئمّة أهل البيت، فراجع حديثهم في كتاب وسائل الشيعة إلى أحكام الشريعة[3]؛ لتكون على بصيرة من مذهبهم.

ونحن الآن في أنّ السلف تأوّلوا، فأسقطوا فصلاً من الأذان والإقامة، فلم يقدح ذلك عند الجمهور في تبوّئهم منصّة الخلافة وأريكة الإمامة، فكيف لا يكون المتأوّل بعدهم معذوراً؟ أم كيف لا يكون مثاباً مأجوراً؟ فاحكموا بالعدل أيّها المنصفون.

---

(١) مضلّ الناس قد سمّوه هادياً كما قد سمّي الأعمى بصيراً

---

١. مقاتل الطالبيّين: ٢٩٧.

٢. السيرة الحلبيّة ٢: ٣٠٥.

٣. وسائل الشيعة ٥: ٤٢٥، الباب ٢٢ من أبواب الأذان والإقامة.

ومنها: صلاة التراويح(١)؛ إذ لم تكن أيّام رسول الله ﷺ ولا في ولاية أبي‌بكر، وإنّما سنّها الخليفة الثاني سنة ١٤ للهجرة بالإجماع، نصّ العسكري على ذلك في الأوائل[١]، ونقله السيوطي في الفصل الذي عقده لخلافة عمر من كتابه تاريخ الخلفاء(٢).

وقال ابن عبد البرّ في ترجمة عمر من الاستيعاب: وهو الذي نوّر شهر الصوم بصلاة الأشفاع فيه[٢].

وقال العلّامة أبو الوليد محمّد بن الشحنة ـ حيث ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٢٣ من تاريخه: روضة المناظر(٣) ـ: هو أوّل من نهى عن بيع أُمّهات الأولاد، وجمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنائز، وأوّل من جمع الناس على إمام يصلّي بهم التراويح. إلى آخره.

ولمّا ذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء أوّليّات عمر ـ نقلاً عن العسكري ـ قال:

> هو أوّل من سمّي أميرالمؤمنين ـ إلى أن قال ـ: وأوّل من سنّ قيام شهر رمضان بالتراويح ...، وأوّل من حرّم المتعة ...، وأوّل من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات[٣].

---

(١) هي نافلة رمضان جماعة، وإنّما سمّيت تراويح؛ للاستراحة فيها بعد كلّ أربع ركعات، ونحن نصلّي نافلة رمضان فرادى كما كانت على عهد النبيّ ﷺ.

(٢) في صفحة ٥١[٤].

(٣) عرفت سابقاً أنّه مطبوع في هامش ابن الأثير، وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١٢٢ من جزء ١١.

---

١. الأوائل للعسكري: ١٠٥.

٢. الاستيعاب ٣: ١١٤٥، الرقم ١٨٧٨.

٣. تاريخ الخلفاء: ١٣٦ ـ ١٣٧، لفظ: «بالتراويح» إضافة من المصنّف وليس في المصدر.

٤. المصدر: ١٣٦ ـ ١٣٧. راجع أيضاً الأوائل للعسكري: ١٠٣ ـ ١٠٦.

وقال محمّد بن سعد ـ حيث ترجم عمر في الجزء الثالث من الطبقات ـ:

وهو أوّل من سنّ قيام شهر رمضان ـ بالتراويح ـ وجمع الناس على ذلك وكتب به إلى البلدان. وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة، وجعل للناس بالمدينة قارئين: قارئاً يصلّي ـ التراويح ـ بالرجال، وقارئاً يصلّي بالنساء[1]. إلى آخره.

وأخرج البخاري في أواخر الجزء الأوّل من صحيحه في كتاب صلاة التراويح: أنّ رسول الله ﷺ قال: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدّم من ذنبه». قال: فتوفّي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، ثمّ كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وصدراً من خلافة عمر[2]. انتهى.

وأخرج مسلم في باب الترغيب في قيام رمضان من الجزء الأوّل من صحيحه أنّ رسول الله ﷺ كان يرغّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمةٍ، فيقول: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدّم من ذنبه». قال: فتوفّي ﷺ والأمر على ذلك، ثمّ كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر، وصدراً من خلافة عمر على ذلك[3]. انتهى.

وأخرج البخاري في كتاب صلاة التراويح من صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد القاريّ(١) قال: خرجت مع عمر ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع

(١) «عبدٍ القاريّ» بتنوين عبد وتشديد ياء القاري نسبة إلى قارة، وهو ابن ديش بن مُحلِّم بن غالب المدني. كان عبد الرحمن هذا عامل عمر على بيت المال، وهو حليف بني زهرة، روى عن عمر، وأبي طلحة، وأبي أيّوب، وأبي هريرة، وروى عنه ابنه محمّد، والزهري، ويحيى بن جعدة بن هبيرة. مات سنة ثمانين، وله ثمان وسبعون سنة[4].

١. الطبقات الكبرى ٣: ٢٨١، لفظ: «التراويح» في الموضعين إضافة من المصنّف وليس في المصدر.

٢. صحيح البخاري ٢: ٧٠٧، ح ١٩٠٥.

٣. صحيح مسلم ١: ٥٢٣، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ح ١٧٣.

٤. للمزيد راجع تهذيب الكمال ١٧: ٢٦٢ ـ ٢٦٤، الرقم ٣٨٩٠.

متفرّقون ـ إلى أن قال ـ: فقال عمر: إنّي أرى لو جمعتُ هؤلاء على قارئٍ واحد كان أمثل. ثمّ عزم فجمعهم على أُبيّ بن كعب. قال: ثمّ خرجتُ معه ليلةً أُخرى والناس يصلّون بصلاة قارئهم، قال عمر ﷺ: نعمت البدعة هذه[1]. الحديث.

وقال العلّامة القسطلاني ـ في أوّل الصفحة الرابعة من الجزء الخامس من إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري عند بلوغه إلى قول عمر في هذا الحديث «نعمت البدعة هذه» ـ ما هذا نصّه:

سمّاها بدعة؛ لأنّ رسول الله ﷺ لم يسنّ لهم الاجتماع لها، ولا كانت في زمن الصدّيق، ولا أوّل الليل، ولا كلّ ليلة، ولا هذا العدد[2]. إلى آخره.

وفي تحفة الباري مثله، فراجع. وهذا أمر لا يناقش فيه أحد من المسلمين، وحسبك به دليلاً على معذرة المتأوّلين.

ومنها: تأوّلهم آية الزكاة؛ إذ أسقطوا منها سهم المؤلّفة قلوبهم مع نصّ الكتاب[3] والسنّة[4] على ثبوته، وكونه معلوماً بحكم الضرورة من دين الإسلام. وقد أجمعت كلمة المسلمين واتّفقت جميع طوائفهم على أنّ رسول‌الله ٦ كان يعطيهم منها حتّى لحق بربّه ـ عزّ وجلّ ـ وأنّه لم يعهد إلى أحد من بعده بإسقاط سهمهم، وقد ذكر(١)

---

(١) وذكر المؤرّخون نظير هذه الحكاية أيضاً؛ إذ قالوا: جاء عيينة بن حصين والأقرع بن حابس إلى أبي بكر، فقالا له: إنّ عندنا أرضاً سَبِخة ليس فيها كلأ ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعناها لعلّ الله أن ينفع بها بعدَ اليوم؟ فقال أبو بكر لمن حوله: ما تقولون؟ قالوا: لا بأس، فكتب لهما بها كتاباً فانطلقا إلى عمر ليشهد لهما فيه، فأخذه منهما ثمّ تفل فيه ←

---

١. صحيح البخاري ٢: ٧٠٧، ح ١٩٠٦.

٢. إرشاد الساري ٣: ٤٢٦.

٣. التوبة (٩): ٦٠.

٤. راجع صحيح مسلم ٢: ٧٣٣، الباب ٤٦ من أبواب كتاب الزكاة.

صاحب كتاب الجوهرة النيّرة على مختصر القدوري(١) في الفقه الحنفي في صفحة ١٦٤ من جزئه الأوّل:

أنّ المؤلّفة قلوبهم جاؤوا بعد النبيّ ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه ليكتب لهم بعادتهم، فكتب لهم بذلك فذهبوا بالكتاب إلى عمر رضي الله عنه ليأخذوا خطّه على الصحيفة، فمزّقها، وقال: لا حاجة لنا بكم فقد أعزّ الله الإسلام وأغنى عنكم، فإن أسلمتم وإلّا فالسيف بيننا وبينكم، فرجعوا إلى أبي بكر فقالوا له: أنت الخليفة أم هو؟ فقال: بل هو إن شاء الله، وأمضى ما فعله عمر واستقرّ الأمر من يومها عند الجمهور على إسقاط هذا السهم، بحيث لا تبرأ الذمّة عندهم بإعطاء المؤلّفة قلوبهم من الزكاة.

← فمحاه، فتذمّرا وقالا له مقالة سيّئة، ثمّ ذهبا إلى أبي بكر وهما يتذمّران فقالا: والله ما ندري أأنت الخليفة أم عمر؟ فقال: بل هو، وجاء عمر حتّى وقف على أبي بكر وهو مغضب فقال: أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين: أهي لك خاصّة، أم بين المسلمين؟ فقال: بل بين المسلمين. فقال: ما حملك على أن تخصّ بها هذين؟ قال: استشرت الذين حولي. فقال: أوَ كلّ المسلمين وسعتهم مشورة ورضىً؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: فقد كنت قلت لك: إنّك أقوى على هذا الأمر منّي لكنّك غلبتني.

نقل هذه القضيّة ابن أبي الحديد في الجزء الثاني عشر من شرح النهج في صفحة ١٠٨ من المجلّد الثالث[١]، والعسقلاني في ترجمة عيينة من إصابته[٢]، وغيرهما[٣]. وليته كان يوم السقيفة وسع كلّ المسلمين مشورة، ويا حبّذا لو تأنّى حتّى يفرغ بنو هاشم من أمر النبيّ ﷺ.

(١) هو من أشهر الكتب الحنفيّة، يتبرّكون به، ولمصنّفه شأن عظيم، وما نقلناه هنا عنه مصرّح به في كلمات المحدّثين والفقهاء[٤]، كما لا يخفى.

---

١. الجوهرة النيّرة ١: ١٢٨، باب من يجوز دفع الصدقة إليه ومن لا يجوز؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٥٨ـ٥٩.

٢. الإصابة ٤: ٦٤٠ـ٦٤١، الرقم ٦١٦٦.

٣. كما في السنن الكبرى ٧: ٣٢، ح ١٣١٨٩.

٤. راجع: أحكام القرآن للجصّاص ٣: ١٢٤؛ الدرّ المنثور ٤: ٢٢٤، ذيل الآية ٦٠ من سورة التوبة (٩).

ومنها: **تأوّلهم آية الخمس**، وهي قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ(١) مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ(٢) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] حيث صرفوا الخمس إلى خلاف منطوقها.

فذهب الإمام مالك ـ كما هو معلوم من مذهبه ـ إلى أنّ الخمس بأسره مفوّض إلى السلطان يصرفه كيف شاء، وأنّه لا حقّ لأحدٍ بالمطالبة فيه[٢].

وذهب الإمام أبو حنيفة ـ كما هو بديهيّ من مذهبه ـ إلى أنّه يقسّم ثلاثة أسهم: فيعطى لمطلق أيتام المسلمين سهم، ولمطلق مساكينهم سهم، ولمطلق أبناء السبيل منهم سهم. ولا فرق عنده في ذلك بين ذي القربى منهم وغيره[٣].

وأنت ترى نصّ الكتاب قد فرض لذي القربى في الخمس حقّاً قصره عليهم، وتعلم أنّ السنّة المطهّرة قد جعلت لهم فيه سهماً لن تبرأ الذمّة إلّا بدفعه إليهم.

---

(١) «الغنيمة» لغة هي الفوز بالشيء، وذلك أعمّ من غنائم دار الحرب. وبهذا تعلم دلالة الآية على مذهبنا في الخمس.

(٢) معنى هذا الشرط أنّ الخمس مصروف إلى هذه الوجوه الستّة. فاقطعوا عنه أطماعكم، وأدّوه لأربابه إن كنتم آمنتم بالله. وفيه من البعث على أداء الخمس والإنذار لتاركيه ما لا تسع بيانه عبارة.

---

١. الأنفال (٨): ٤١.

٢. الموطّأ لمالك ٢: ٤٥٦، ذيل لحديث ٢٠ من كتاب الجهاد؛ وحكاه عنه الفخر الرازي في التفسير الكبير ٨ (الجزء الخامس عشر): ١٧٠، ذيل الآية.

٣. المبسوط للسرخسي ٣: ١٧ ـ ١٨؛ بدائع الصنائع ٧: ١٢٥؛ وحكاه عنه الفخر الرازي في التفسير الكبير ٨ (الجزء الخامس عشر): ١٧٠، ذيل الآية.

وقد أجمع كافّة أهل القبلة من أهل كلّ مذهب منهم ونحلة على أنّ رسول الله ﷺ كان يختصّ بسهم من الخمس، ويخصّ منه أقاربه بسهم آخر، ولم يعهد بتغيير ذلك إلى أحد حتّى لحق بربّه عزّ وجلّ، فلمّا ولي أبو بكر رضي الله عنه تأوّل الأدلّة فأسقط سهم النبيّ ﷺ وسهم ذوي القربى، ومنع ـ كما في تفسير هذه الآية من الكشّاف[1] وغيره[2] ـ بني هاشم من الخمس.

وفي أواخر باب غزوة خيبر من صحيح البخاري في صفحة ٣٦ من جزئه الثالث: أنّ فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فأبى أبو بكر أن يدفع إليها شيئاً، فَوَجِدت عليه فهجرته، فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النبيّ ﷺ ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يُؤذِن بها أبا بكر وصلّى عليها[3]. الحديث.

وهو موجود أيضاً في باب قول النبيّ: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» من صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من جزئه الثاني[4]. وفي مواضع أُخر من الصحيحين، كما لا يخفى[5].

وأخرج مسلم في أواخر كتاب الجهاد والسير من الجزء الثاني من صحيحه عن قيس بن سعد، عن يزيد بن هرمز قال: كتب نجدةُ بن عامر ـ الحروري الخارجي ـ إلى ابن عبّاس. قال يزيد بن هرمز: فشهدتُ ابن عبّاس حين قرأ كتابه، وحين كتب جوابه. قال: فقال ابن عبّاس: والله لولا أن أرُدَّه عن نتنٍ يقع فيه ما كتبت إليه ولا نُعْمَةَ عَيْنٍ. قال: فكتب إليه: إنّك سألتَ عن سهم ذي القربى الذين ذَكر الله مَن هُم؟ وإنّا كنّا

---

١. الكشّاف ٢: ٢٢٢، ذيل الآية.

٢. تفسير الطبري ٦: ٢٥٣، ح ١٦١٣٨، ذيل الآية.

٣. صحيح البخاري ٤: ١٥٤٩، ح ٣٩٩٨ بتفاوت يسير.

٤. صحيح مسلم ٣: ١٣٨٠، كتاب الجهاد والسير، ح ٥٢.

٥. صحيح البخاري ٣: ١١٢٦، ح ٢٩٢٦؛ صحيح مسلم ٣: ١٣٨١، كتاب الجهاد والسير، ح ٥٢.

نرى أنّ قرابة رسول الله ﷺ هم نحن، فأبى ذلك علينا قومُنا(١). الحديث.

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد من حديث ابن عبّاس في أواخر صفحة ٢٩٤ من الجزء الأوّل من مسنده[١].

ورواه المحدّثون بطرق كلّها صحيحة[٢].

وهذا هو مذهب أهل البيت، والمتواتر عن أئمّتهم عليهم السلام[٣].

ومنها: اقتصارهم في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات، كما هو معلوم من فقه أهل المذاهب الأربعة وسيرتهم، وأوّل من جمع الناس على ذلك عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كما نصّ عليه جماعة كثيرون، منهم السيوطي حيث ذكر أوّليّات عمر في تاريخ الخلفاء[٤]، وابن الشحنة حيث ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٢٣ من تاريخه روضة المناظر(٢)، وغيرهما من أهل الأخبار[٥].

---

(١) فراجعه في أوّل صفحة ١٠٥ من ج ٢ من صحيح مسلم[٦] المطبوع سنة ١٣٢٧ على نفقة الحلبي وأخويه.

(٢) وهو مطبوع في هامش ابن الأثير، وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١٢٢ من جزء ١١.

---

١. مسند أحمد ١: ٦٣١، ح ٢٦٨٥.

٢. كالمرويّ في المصنّف لعبدالرزّاق ٥: ٢٢٨، ح ٩٤٥٥، والمعجم الكبير ١٠: ٣٣٤ ـ ٣٣٥، ح ١٠٨٢٨ ـ ١٠٨٣٠.

٣. راجع: الكافي ١: ٥٣٨ ـ ٥٣٩، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس و...، ح ١ و ٢؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ٤٢، ح ١٦٥١؛ تهذيب الأحكام ٤: ١٢٥ ـ ١٢٦، ح ٣٦٠ ـ ٣٦٢؛ وسائل الشيعة ٩: ٥٠٩، الباب ١ من أبواب الخمس.

٤. تاريخ الخلفاء: ١٣٧.

٥. كالبيهقي في السنن الكبرى ٤: ٦٠، ح ٦٩٤٦ و ٦٩٤٧، وابن عبد البرّ في التمهيد ٦: ٣٣٩.

٦. صحيح مسلم ٣: ١٤٤٦، كتاب الجهاد والسير، ح ١٤٠.

ويدلّك على تأوّلهم في هذه المسألة ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث زيد بن أرقم في صفحة ٣٧٠ من الجزء الرابع من مسنده عن عبد الأعلى قال: صلّيت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبّر خمساً، فقام إليه أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى فأخذ بيده فقال: نسيت؟ قال: لا، ولكن صلّيت خلف أبي القاسم خليلي ﷺ فكبّر خمساً، فلا أتركها أبداً[١]. انتهى.

ومنها: تأوّلهم في البكاء على الميّت؛ حيث حرّمه الخليفة الثاني، حتّى أخرج الطبري عند ذكر وفاة أبي بكر في حوادث سنة ١٣ من الجزء الرابع من تاريخه بالإسناد إلى سعيد بن المسيّب قال:

لمّا توفّي أبو بكر، أقامت عليه عائشة النَوْح، فأقبل عمر بن الخطّاب حتّى قام ببابها، فنهاهنّ عن البكاء على أبي بكر، فأبين أن ينتهين، فقال عمر لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج إليّ ابنة أبي قُحافة، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إنّي أُحرّج عليك بيتي. فقال عمر لهشام: ادخل فقد أذنتُ لك. فدخل هشام فأخرج أُمّ فروة أُخت أبي بكر إلى عمر، فعلاها بالدِرّة، فضربها ضربات، فتفرّق النوح حين سمعوا ذلك[٢]. انتهى.

هذا، مع ما أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عبّاس في صفحة ٣٣٥ من الجزء الأوّل من مسنده من جملة حديث ذكر فيه موت رقيّة بنت رسول الله ﷺ وبكاء النساء عليها، قال: فجعل عمر يضربهنّ بسوطه فقال النبيّ: «دعهنّ يبكين»، وقعد على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي، قال: فجعل النبيّ يمسح عين فاطمة بثوبه رحمةً لها[٣]. انتهى.

---

١. مسند أحمد ٧: ٨٢، ح ١٩٣١٩.

٢. تاريخ الطبري ٣: ٤٢٣، حوادث سنة ١٣.

٣. مسند أحمد ١: ٧١٧ـ٧١٨، ح ٣١٠٣.

وأخرج أحمد أيضاً من حديث أبي هريرة في صفحة ٣٣٣ من الجزء الثاني من مسنده حديثاً جاء فيه: أنّه مرّ على رسول الله جنازة معها بواكي فنهرهنّ عمر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «دعهنّ؛ فإنّ النفس مُصابة، والعين دامِعة»[1].

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عمر في صفحة ٤٠ من مسنده قال: رجع رسول الله من أُحد فجعلت نساءُ الأنصار يبكين على من قُتل من أزواجهنّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ولكن حمزةُ لا بواكِيَ له» ـ قال ـ: ثمّ نام فانتبه وهنّ يبكين حمزة، قال: «فهنّ اليوم إذا بكين يندُبن حمزة»[2]. انتهى.

وهذا الحديث مستفيض بين المسلمين، وقد ذكره ابن جرير، وابن الأثير، وصاحب العقد الفريد[3]، وجميع أهل السير والأخبار[4].

وفي ترجمة حمزة من الاستيعاب نقلاً عن الواقدي، قال: لم تبكِ امرأة من الأنصار على ميّت بعد قول رسول الله: «لكن حمزة لا بواكِيَ له» إلى اليوم إلّا بدأت بالبكاء على حمزة[5].

وذكر ابن عبد البرّ في ترجمة جعفر من استيعابه قال:

لمّا جاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نَعي جعفر، أتى امرأته أسماء بنت عُمَيس فعزّاها. قال: ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: «وا عمّاه»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «على مثل جعفر فلتبكِ البواكي»[6].

١. المصدر ٣: ٢٣٠، ح ٨٤٠٩.
٢. المصدر ٢: ٢٨٧، ح ٤٩٨٤.
٣. تاريخ الطبري ٢: ٥٣٢، حوادث سنة ٣؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٦٣، حوادث سنة ٣؛ العقد الفريد ٣: ١٩١.
٤. كالطبراني في المعجم الكبير ١١: ٣١٠، ح ١٢٠٩٦، والحلبي في السيرة الحلبيّة ٢: ٥٤٦. والدحلاني في السيرة النبويّة ٢: ٦٩.
٥. الاستيعاب ١: ٣٧٤، الرقم ٥٤١.
٦. المصدر: ٢٤٣.

وأخرج البخاري في الصفحة الثالثة من أبواب الجنائز من صحيحه أنّه ﷺ بكى على زيد وجعفر[١].

وذكر ابن عبد البرّ في ترجمة زيد من استيعابه أنّه بكى على جعفر وزيد، وقال: «أخواي ومؤنساي ومحدّثاي»[٢].

وبكى على ولده إبراهيم فقال له عبد الرحمن بن عوف ـ كما في الجزء الأوّل من صحيح البخاري ـ: وأنت يا رسول الله؟ قال: «يا بن عوف إنّها رحمةٌ». ثمّ أتبعها ـ يعني عبرته ـ بأُخرى قال: «إنّ العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[٣].

وقد علم الناس كافّة بكاءه على عمّه حمزة حتّى قال ابن عبد البرّ في ترجمته من الاستيعاب: لمّا رأى النبيّ حمزة قتيلاً، بكى، فلمّا رأى ما مُثّل به، شهق[٤].

وذكر الواقدي ـ كما في أواخر صفحة ٣٨٧ من المجلّد الثالث من شرح النهج ـ: أنّ النبيّ ﷺ كان يومئذٍ إذا بكت صفيّة يبكي، وإذا نشجت ينشج. قال: وجعلت فاطمة تبكي فلمّا بكت، بكى رسول الله[٥].

وبكى ﷺ على صبيّ مات لإحدى بناته، فقال له سعد ـ كما في صحيحي البخاري ومسلم ـ: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنّما يرحم الله من عباده الرُحماء»[٦]. انتهى.

---

١. صحيح البخاري ١: ٤٢٠، ح ١١٨٩.

٢. الاستيعاب ٢: ٥٤٦، الرقم ٨٤٣.

٣. صحيح البخاري ١: ٤٣٩، ح ١٢٤١.

٤. الاستيعاب ١: ٣٧٤، الرقم ٥٤١.

٥. المغازي للواقدي ١: ٢٩٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ١٧.

٦. صحيح البخاري ١: ٤٣١، ح ١٢٢٤؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٥ ـ ٦٣٦، كتاب الجنائز، ح ١١.

إلى ما لا يحصى من قبيل هذه الأحاديث المشهورة، ممّا لا يمكن استقصاؤه، وفي هذا المقدار كفاية.

وأمّا ما جاء في الصحيحين من أنّ: «الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه»[١]. وفي رواية: «ببعض بكاء أهله عليه»[٢]. وفي رواية: «ببكاء الحيّ»[٣]. وفي رواية: «يعذّب في قبره بما نيح عليه»[٤]. وفي رواية: «من يُبك عليه يعذّب»[٥]. فإنّه خطأ من الراوي بحكم العقل والنقل.

قال الفاضل النووي عند ذكر هذه الروايات في باب الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه من شرح صحيح مسلم:

هذه الروايات كلّها من رواية عمر بن الخطّاب وابنه عبد الله. ـ قال: ـ وأنكرت عائشة عليهما، ونسبتْهما إلى النسيان والاشتباه، واحتجّت بقوله تعالى: ﴿وَلا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٦].

قلت: وأنكر هذه الروايات أيضاً ابن عبّاس، واحتجّ على خطأ راويها. والتفصيل في الصحيحين و شروحهما[٧]. وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة على طرفي نقيض حتّى ناحت على أبيها يوم مات، فكان بينها وبين عمر ما قد سمعت[٨].

---

١. صحيح مسلم ٢: ٦٣٨، كتاب الجنائز، ح ١٦.
٢. صحيح البخاري ١: ٤٣٢، ح ١٢٢٦؛ صحيح مسلم ٢: ٦٤١، كتاب الجنائز، ح ٢٢.
٣. صحيح مسلم ٢: ٦٤٢، كتاب الجنائز، ح ٢٤.
٤. صحيح البخاري ١: ٤٣٤، ح ١٢٢٩؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٩، كتاب الجنائز، ح ١٧.
٥. صحيح مسلم ٢: ٦٣٩ ـ ٦٤٠، كتاب الجنائز، ح ٢٠.
٦. شرح صحيح مسلم للنووي ٦: ٤٨٢، بتفاوت يسير، والآية في سورة الأنعام (٦): ١٦٤.
٧. راجع: صحيح البخاري ١: ٤٣٢ ـ ٤٣٣، ح ١٢٢٦؛ صحيح مسلم ٢: ٦٤٠ ـ ٦٤٢، كتاب الجنائز، ح ٢٢؛ فتح الباري ٣: ١٩٧ ـ ١٩٩؛ شرح صحيح مسلم للنووي ٦: ٤٨٢ ـ ٤٨٣.
٨. تقدّم في ص ٩٣.

والتفصيل في رسالتنا: الأساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة، وفي مقدّمة مجالسنا الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة(١).

وللسلف تأوّلات غير الذي ذكرناه:

كتأخيرهم مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم(٢) وكان ملصقاً بالبيت.

وتوسِعتهم المسجد الحرام سنة ١٧ للهجرة بإضافة دور جماعة من حوله إليه، وكانوا أبوا بيعها فهدمها الخليفة الثاني عليهم(٣) ووضع أثمانها في بيت المال حتّى أخذوها.

وكحكمه على اليمانيين بدية أبي خراش الهذلي الشاعر الصحابي المشهور(٤) إذ باتوا ضيوفاً عنده، فذهب يستقي لهم فمات من حيّة نهشته في الطريق.

---

(١) المطبوعة سنة ١٣٣٢.

(٢) أخّره الخليفة الثاني، كما هو مستفيض عنه، فراجع صفحة ١١٣ من المجلّد الثالث من شرح النهج الحديدي طبع مصر، ومادّة «الديك» من حياة الحيوان للفاضل الدميري. وقال ابن سعد في ترجمة عمر من طبقاته ما هذا لفظه: وهو الذي أخّر مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم وكان ملصقاً بالبيت. انتهى. ونقل السيوطي ذلك في أحوال عمر من تاريخ الخلفاء[1].

(٣) نصّ على ذلك جميع أرباب السير، كابن الأثير في حوادث تلك السنة من كامله وغيره[2].

(٤) ذكر هذه القضيّة ابن عبد البرّ في ترجمة أبي خراش من كتاب الكنى من الاستيعاب، ونقلها عنه الدميري في مادّة «الحيّة» من كتاب حياة الحيوان[3].

---

١. راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٧٥؛ حياة الحيوان ١: ٣١٤؛ الطبقات الكبرى ٣: ٢٨٤؛ تاريخ الخلفاء: ١٣٧.

٢. الكامل في التاريخ ٢: ٥٣٧، حوادث سنة ١٧؛ تاريخ الطبري ٤: ٦٨، حوادث سنة ١٧.

٣. الاستيعاب ٤: ١٦٣٩، الرقم ٢٩٢٨؛ حياة الحيوان ١: ٢٥٦.

وكنفيه نصر بن الحجّاج بن علابط السلمي إلى البصرة(١) إذ تغنّت بـه امـرأة فـي دارها وكان في غاية من الحسن والجمال(٢).

وكقضاياه المختلفة في ميراث الجدّ مع الإخوة(٣) حـتّى رجـع إلى رأي زيـد بـن ثابت الأنصاري.

وكتأوّله آية التجسّس؛ إذ رأى فيه صلاح المملكة ونفع الرعيّة، فكان يـتجسّس نهاراً، ويعسّ ليلاً، حتّى ذكر الغزالي في إحياء العلوم(٤).

أنّه سمع وهو يعسّ بالمدينة صوت رجل يتغنّى في بيته فتسوّر عليه، فوجد عنده امرأة وعنده خمر، فقال: يا عدوّ الله، أظننت أنّ الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال: إن كنت عصيتُ الله في واحدة، فقد عصيتَه أنت في ثلاث: قـال الله: ﴿وَلا تَـجَسَّسُوا﴾[١] وقـد تجسّست، وقال: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾[٢] وقد تسوّرتَ عليَّ،

---

(١) هذه القضيّة مستفيضة، فراجع صفحة ٩٩ من المجلّد الثالث من شرح ابن أبي الحديد طبع مصر تجد تفصيلها، وقد ذكرها ابن خلّكان في ترجمة نصر بن الحجّاج من وفياته[٣] تفصيلاً.

(٢) وكنفيه ضبيع التميمي إلى البصرة أيضاً بعد ضربه الضرب المبرح، إذ سأله عن تفسير آية من القرآن في قضيّة، ذكرها ابن أبي الحديد في صفحة ١٢٢ من المجلّد الثالث من شرح نهج البلاغة[٤].

(٣) روى ذلك طارق بن شهاب الزهري، والتفصيل في مـادّة «الحـيّة» مـن حياة الحيوان[٥] للدميري.

(٤) في صفحة ١٧٣ من الجزء الثاني المطبوع في هامشه كتاب عوارف المعارف.

---

١. الحجرات (٤٩): ١٢.

٢. البقرة (٢): ١٨٩.

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٢٧؛ وفيات الأعيان ٢: ٣١ ـ ٣٢، الرقم ١٤٩، ترجـمة الحـجّاج بـن يوسف.

٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ١٠٢.

٥. حياة الحيوان ١: ٢٥٥.

وقال: ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾[١] الآية، وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام.

فقال عمر رضي الله عنه: هل عندك من خير إن عفوتُ عنك؟ قال: نعم، فتركه وخرج[٢].

إلى غير ذلك من مصاديق اجتهاداته وموارد تأوّلاته التي عدل بها عن ظواهر الأدلّة؛ حرصاً على توطيد دعائم السياسة، وابتغاءً لتنظيم شؤونها، وتقديماً لمصلحة المملكة، وإيثاراً لتقوية الشوكة من وضعه الخراج على السواد، وكيفيّة ترتيبه للجزية، وعهده بالشورى على الوجه المعلوم. وقوله(١) يومئذٍ: لو كان سالم ابن معقل مولى أبي حذيفة حيّاً، استخلفته، مع انعقاد الإجماع(٢) نصّاً وفتوىً على عدم جواز عقد الإمامة لمثله؛ ضرورة أنّه من أهل فارس، إمّا من اصطخر، أو من كرمد. استرقّته زوجة أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكانت من الأنصار.

---

(١) هذا القول متواتر عنه، وهو موجود في كامل ابن الأثير[٣]، وغيره من كتب السير والأخبار[٤]، حتّى صرّح ابن عبد البرّ ـ حيث أورد هذه المقالة في ترجمة سالم من استيعابه[٥] ـ بأنّها عن رأي رآه عمر، واجتهاد أدّى إليه نظره. وأخرج أحمد من حديث عمر في صفحة ٢٠ من مسنده[٦] أنّه قال: لو أدركني أحد رجلين، لوثقت به سالم مولى أبي حذيفة وأبوعبيدة.

(٢) صرّح بانعقاد الإجماع على ذلك جماعة كثيرون، منهم النووي في أوّل كتاب الإمارة من شرحه لصحيح مسلم[٧]. ولو راجعت ذلك الكتاب في صحيح مسلم[٨]، لازددت بصيرة في أئمّتك الاثني عشر عليهم السلام.

---

١. النور (٢٤): ٢٧.

٢. إحياء علوم الدين ٢: ٢١٩ بتفاوت يسير.

٣. الكامل في التاريخ ٣: ٦٥، حوادث سنة ٢٣.

٤. تاريخ الطبري ٤: ٢٢٧، حوادث سنة ٢٣؛ العقد الفريد ٣: ٣٥٥.

٥. الاستيعاب ٢: ٥٦٨، الرقم ٨٨١.

٦. مسند أحمد ١: ٥٥، ح ١٢٩.

٧. شرح صحيح مسلم ١٢: ٢٠٠.

٨. صحيح مسلم ٣: ١٤٥١ وما بعدها، كتاب الإمارة.

تنبيه

[العرب واجتماع الخلافة والنبوّة في بني هاشم]

أفادتنا سيرة بعض الصحابة أنّهم إنّما كانوا يتعبّدون بالنصوص ويجمدون عليها إذا كانت متمحّضة للدين، مختصّة بالشؤون الأُخرويّة، كنصّه ﷺ على صوم شهر رمضان دون غيره، واستقبال القبلة في الصلاة لا غيرها، ونحو ذلك من أوامره المتمحّضة للنفع الأُخروي. أمّا ما كان منها متعلّقاً بالسياسة، كالولايات، والتأميرات، وتدبير قواعد الدولة، وتقرير شؤون المملكة، وتسريب الجيش، فإنّهم لم يكونوا يرون التعبّد به، والالتزام في جميع الأحوال بالعمل على مقتضاه، بل جعلوا لأفكارهم فيه مسرحاً للبحث، ومجالاً للنظر والاجتهاد، فكانوا إذا رأوا في خلافه رفعاً لكيانهم أو نفعاً في سلطانهم، عدلوا عنه إلى ما يرفعون به كيانهم أو ينتفعون به في سلطانهم، ولذلك عدل هؤلاء في الخلافة عن وليّها المنصوص عليه من نبيّها، فجعلوها للخلفاء الثلاثة ـ رضي الله عنهم ـ واحداً بعد واحد، مع عهد النبيّ ﷺ بها إلى أخيه ووليّه، ووارثه ووصيّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

لم يكونوا غائبين عن عهد النبيّ بها إليه، ولا جاهلين بنصوصه[1] المتواترة عليه، وكانت تترى من مبدأ أمره ـ بأبي هو وأمّي ـ إلى آخر عمره، كما أوضحناه في مراجعاتنا الأزهرية وفي سبيل المؤمنين. وإنّما غلب على ظنّهم أنّ العرب لا تخضع

---

(١) لم نذكر شيئاً من هذه النصوص هنا؛ اكتفاء بـ مراجعاتنا الأزهرية ومناظراتنا المصرية[1]، وقد استقصيتُها بأسانيدها المعتبرة عند أهل السنّة. وسنطبع تلك المناظرات. وكلّ قريب آت إلّا أن يشاء الله تعالى.

---

١. راجع الموسوعة ج ١، المراجعات، المراجعة ٤٨ وغيرها.

لعليّ، ولا ترتضيه مالكاً لأزمّة الحكم عليها؛ حيث إنّه وترها في سبيل الله، وسفك دماءها بسيفه في إعلاء كلمة الله، وكشف القناع منابذاً لها في نصرة الحقّ حتّى ظهر أمر الله على رغم كلّ عاتٍ كفور.

فهم لا يطيعونه إلّا عنوةً، ولا يخضعون لإمامته إلّا بالقوّة، وقد عصبوا به كلّ دم أراقه الإسلام أيّام النبيّ ﷺ جرياً على عادتهم في أمثال ذلك؛ إذ لم يكن بعد رسول الله ﷺ في عشيرته أحد يستحقّ أن تُعصب به تلك الدماء عند العرب غيره؛ لأنّه الأمثل في عشيرته، والأفضل في قبيلته؛ ولذلك تربّصوا به الدوائر، وقلّبوا له الأُمور، وأضمروا له ولذرّيّته كلّ حسيكة، ووثبوا عليهم كلّ وثبة، وكان ما كان ممّا طار في الأجواء، وطبّق رُزؤه الأرض والسماء.

وأيضاً فإنّ قريشاً خاصّة، والعرب عامّةً كانت تنقم من عليّ شدّة وطأته على أعداء الله، ونكال وقعته فيمن يتعدّى حدود الله أو يهتك حرماته عزّ وجلّ، وكانت ترهب من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وتخشى عدله في الرعيّة ومساواته بين الناس في كلّ قضيّة. ولم يكن لها فيه مطمع ولا لأحدٍ عنده هوادة، فالقويّ العزيز عنده ضعيف ذليل حتّى يأخذ منه الحقّ، والضعيف الذليل عنده قويّ عزيز حتّى يأخذ له بحقّه، فمتى تخضع الأعراب لمثله وهم ﴿أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[1] وفيها بطانة لا يألونها خبالاً؟

على أنّ قريشاً وسائر العرب كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله؛ حيث بلغ في علمه وعمله رتبةً عند الله ورسوله تقاصر عنها الأقران، وتراجع عنها الأكفاء. ونال من الله ورسوله بسوابقه وخصائصه منزلةً تَشْرَئِبُّ[2] إليها

١. التوبة (٩): ٩٧ و ١٠١.

٢. اشرَأبّ الرجل للشيء وإلى الشيء... مدّ عُنقَه إليه. لسان العرب ١: ٤٩٣، «ش. ر. ب».

أعناق الأماني، وشأواً[١] تنقطع دونه هوادي المطامع، وبذلك دبّت عقارب الحسد له في قلوب المنافقين، واجتمعت على نقض مجده كلمة الفاسقين والناكثين والقاسطين والمارقين، فاتّخذوا النصّ ظِهريّاً، وكان لديهم نسياً منسيّاً.

وكان ما كان مِمّا لستُ أذْكُرُه فَظُنَّ خَيْراً ولا تسأل عن الخَبَرَ[٢]

على أنّ قريشاً وسائر العرب كانوا قد تشوّفوا إلى تداول الخلافة بين قبائلهم واشرأبّت إلى ذلك أطماعهم، فأمضوا نيّاتهم عليه، ووجّهوا عزائمهم إليه، فتصافقوا على تناسي النصّ وعدم ذكره بالمرّة، وتبايعوا على صَرف الخلافة من أوّل أيّامها عن وليّها المنصوص عليه من نبيّها، فجعلوها بالاختيار والانتخاب ليكون لكلّ حيّ من أحيائهم أمل في الوصول إليها ولو بعد حين.

ولو عملوا بالنصّ فقدّموا عليّاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما خرجت الخلافة من عترته الطاهرة؛ حيث قرنها يوم الغدير وغيره بمحكم الكتاب، وجعلها قدوةً لأُولي الألباب إلى يوم الحساب. وما كانت العرب لتصبر على حصر الخلافة في بيت مخصوص بعد أن طمحت إليها الأبصار من كافّة قبائلها، وحامت عليها النفوس من جميع أحيائها.

وقد هزلت حتّى بدا من هَزالها كُلاها وحتّى استامها كلّ مُفْلسِ[٣]

ومن ألمَّ بتاريخ قريش والعرب في صدر الإسلام يعلم أنّهم لم يخضعوا للنبوّة الهاشميّة إلّا بعد أن تهشّموا ولم يبقَ فيهم من رمق، فكيف يرضون باجتماع النبوّة والخلافة في بني هاشم وقد قال الخليفة الثاني لابن عبّاس في كلام دار بينهما: إنّ

---

١. الشأو: السبق، شأوتُ القوم شأواً: سبقتهم. لسان العرب ١٤: ٤١٧، «ش. أ. ي».

٢. الشعر لابن المعتزّ، راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ٤٥.

٣. ذكره ابن كثير من أشعار عليّ بن أحمد في البداية والنهاية ١٢: ٨٨، حوادث سنة ٤٤٨.

قريشاً كرهت أن تجتمع فيكم النبوّة والخلافة فتجحفون على الناس؟[١].

والسلف الصالح لم يتسنَّ له أن يقهرهم يومئذٍ على التعبّد بالنصّ فَرَقاً من انقلابهم إذا قاومهم، وخشيةً من سوء عواقب الاختلاف في تلك الحال. وقد ظهر النفاق بموت رسول الله ﷺ، وقويت بفقده شوكة المنافقين، وعتت نفوس الكافرين، وتضعضعت أركان الدين، وانخلعت قلوب المسلمين، حيث صاروا بعده كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية بين ذئاب كاسرة، ووحوش ضارية، وقد ارتدّت طوائف من العرب، وهمّت بالردّة أُخرى، وعظم قلق السلف الصالح على الإسلام، واشتدّ فَرَقُهم على أُمّة سيّد الأنام، فصبروا على مخالفة النصّ بقياً على المسلمين، واحتياطاً على الدين ـ صبروا وفي أعينهم من ذلك قذى، وفي حلوقهم منه شجى كما قالوا عليهم السلام[٢] ـ وأشفق عليّ أمير المؤمنين أن يُظهر إرادة القيام بأمر الناس؛ مخافة البائقة، وفساد العاجلة والآجلة، والقلوب على ما وصفنا والمنافقون على ما ذكرنا، يعضّون عليهم الأنامل من الغيظ، وأهل الردّة على ما بيّنّا، والأنصار قد خالفوا المهاجرين وانحازوا عنهم يقولون: منّا أمير ومنكم أمير و... و... فدعاه النظر للدين إلى الكفّ عن الإظهار والتجافي عن الأُمور، وعلم أنّ طلب الخلافة والحال هذه يستوجب التغرير في الدين والخطر بالأمّة، فاختار الكفّ ضنّاً بالدين؛ وإيثاراً للآجلة على العاجلة.

غير أنّه قعد في بيته ـ ولم يبايع حتّى أخرجوه كرهاً ـ احتفاظاً بحقّه، واحتجاجاً على من عدل عنه. ولو أسرع إلى البيعة ما تمّت له حجّة، ولا سطع له برهان، لكنّه جمع فيما فعل بين حفظ الدين والاحتفاظ بحقّه من إمرة المؤمنين، فدلّ ذلك على أصالة رأيه، ورجاحة علمه، وسعة صدره، وشدّة زهده وفرط سماحه، وقلّة حرصه. ومتى

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٥٣؛ الكامل في التاريخ ٣: ٦٣، حوادث سنة ٢٣؛ بحار الأنوار ٣١: ٧١، كتاب الفتن والمحن، الطعن ١٨.

٢. كما في نهج البلاغة: ٤٩، الخطبة ٣.

سخت نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل والأمر الجزيل، ينزل من الله تعالى بـغاية منازل الدين، وإنّما كانت غايته ممّا فعل أربح الحالين له، وأعود المقصودين عليه.

أمّا الخليفة الأوّل وأتباعه ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ فقد تأوّلوا النصّ عليه بالخلافة للأسباب التي قدّمناها، ولا عجب منه في ذلك بعد الذي نبّهناك إليه من عدم تعبّدهم بما كان من نصوصه ﷺ متعلّقاً بالسياسات والتأميرات، وتدبير قواعد الدولة، وتقرير شؤون المملكة. وإليك ـ مضافاً إلى ما تلوناه ـ نبذة من موارد تأوّلهم تكـون نموذجاً لرأيهم في تلك النصوص، وحسبك بها أدلّة على معذرة المتأوّلين، وهي كثيرة:

فمنها: سريّة أُسامة بن زيد بن حارثة إلى غزو الروم

وهي آخر السرايا على عهد النبيّ ﷺ، وقد اهتمّ بها ـ بأبي هو وأُمّي ـ اهتماماً عظيماً، فأمر أصحابه بالتهيّؤ لها وحضّهم على ذلك، ثمّ عبّأهم بـنفسه الزكـيّة؛ إرهـافاً لعـزائـمهم، واستنهاضاً لهممهم، فلم يُبق أحداً من وجوه المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر (١)

(١) أجمع أهل السير والأخبار على أنّ أبا بكر وعمر كانا في الجيش، وأرسلوا ذلك في كتبهم إرسال المسلّمات، وهذا ممّا لم يختلفوا فيه. فراجع ما شئت من الكتب المشتملة على هذه السريّة كـ طبقات ابن سعد، و تاريخي الطبري و ابن الأثير، والسيرة الحلبيّة، والسيرة الدحلانيّة[1]، وغيرها[2] لتعلم ذلك.

وقد أورد الحلبي حيث ذكر هذه السريّة في الجزء الثالث من سيرته حكايةً ظريفة نوردها بعين لفظه. قال:

إنّ الخليفة المهديّ لمّا دخل البصرة، رأى إياس بن معاوية الذي يضرب به المثل في ←

١. الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٩؛ و ٤: ٦٨؛ تاريخ الطبري ٣: ٢٢٦، حوادث سنة ١١؛ الكامل في التاريخ ٢: ٣١٧، حوادث سنة ١١؛ السيرة الحلبيّة ٣: ٢٢٧؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٣٦٢.

٢. راجع البداية والنهاية ٦: ٣٣٥، حوادث سنة ١١.

وأبي عبيدة وسعد وأمثالهم إلّا وقد عبّأه بالجيش(١) وكان ذلك لأربع ليالٍ بقين من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة(٢) فلمّا كان من الغد دعا أُسامة فقال له: «سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد ولّيتك هذا الجيش فاغزُ صباحاً على أهل أُبنى(٣) وحرّق عليهم، أسرع السير لتسبق الأخبار، فإن أظفرك الله فأقلّ اللبث فيهم، وخذ معك الأدلّاء، وقدّم العيون والطلائع معك».

← الذكاء، وهو صبيّ وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة، فقال المهديّ: أفّ لهذه العثانين ـ أي: اللحى ـ أما كان فيهم شيخ يتقدّمهم غير هذا الحدث؟ ثمّ التفت إليه المهديّ وقال: كم سنّك يا فتى؟ فقال: سنّي ـ أطال الله بقاء أمير المؤمنين ـ سنّ أُسامة بن زيد بن حارثة لمّا ولّاه رسول الله ﷺ جيشاً فيه أبو بكر وعمر. فقال: تقدّم بارك الله فيك. قال الحلبي: وكان سنّه سبع عشرة سنة[1]. انتهى.

(١) كان عمر يقول لأسامة: مات رسول الله ﷺ وأنت عليّ أمير. نقل ذلك عنه جماعة من الأعلام كالحلبي في سريّة أُسامة من سيرته الحلبيّة[2]، وغير واحد من المحدّثين والمؤرّخين[3].

(٢) هذا بناءً على ما صرّح به كثير من أعلام السنّة كابن سعد في سريّة أُسامة من طبقاته، والحلبي والدحلاني في هذه السريّة من سيرتيهما، وقد اعتمدنا في شؤون هذه السريّة على هاتين السيرتين.

(٣) أُبنى[4] ـ بضمّ الهمزة وسكون الباء ثمّ نون مفتوحة بعدها ألف مقصورة ـ ناحية بالبلقاء من أرض سوريّا بين عسقلان والرملة، وهي قرب مؤتة التي استشهد عندها زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين في الجنّة عليه السلام.

---

١. السيرة الحلبيّة ٣: ٢٢٧.

٢. المصدر: ٢٣١.

٣. راجع: تاريخ مدينة دمشق ٨: ٧٠، الرقم ٥٩٦؛ تهذيب الكمال ٢: ٣٤٤، الرقم ٣١٥؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٣٦٢ـ٣٦٣.

٤. معجم البلدان ١: ٧٩، «أُبْنَى».

فلمّا كان يوم الثامن والعشرين من صفر، بدأ به ﷺ مرض الموت فحمَّ ـ بأبي هو وأُمّي ـ وصدع. فلمّا أصبح يوم التاسع والعشرين ووجدهم متثاقلين، خرج إليهم فحضّهم على السير، وعقد ﷺ اللواء لأُسامة بيده الشريفة؛ تحريكاً لحميّتهم وإرهافاً لعزيمتهم، ثمّ قال: «أُغز بسم الله وفي سبيل الله، وقاتل من كفر بالله»، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف، ثمّ تثاقلوا هناك فلم يبرحوا ـ مع ما وعوه ورأوه من النصوص الصريحة في وجوب إسراعهم كقوله ﷺ: «اغز صباحاً على أهل أبنى» وقوله: «وأسرع السير لتسبق الأخبار» إلى كثير من أمثال هذه الأوامر التي لم يعملوا بها في تلك السريّة ـ وطعن قوم منهم في تأمير أُسامة كما طعنوا من قبل في تأمير أبيه، وقالوا في ذلك فأكثروا مع ما شاهدوه من عهد النبيّ له بالإمارة، وقوله ﷺ يومئذٍ: «فقد ولّيتك هذا الجيش» ورأوه يعقد له لواء الإمارة وهو محموم بيده الشريفة، فلم يمنعهم ذلك من الطعن في تأميره حتّى غضب ﷺ من طعنهم غضباً شديداً فخرج ـ بأبي هو وأُمّي ـ مُعَصّب الرأس[1] مدّثراً بقطيفته، محموماً ألماً.

وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأوّل قبل وفاته ـ بأبي هو وأُمّي ـ بيومين[2] فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال ـ فيما أجمع أهل الأخبار على

---

(١) كلّ من ذكر هذه السريّة من المحدّثين وأهل السير والأخبار نقل طعنهم في تأمير أُسامة، وأنّه ﷺ غضب غضباً شديداً فخرج على الكيفيّة التي ذكرناها، فخطب الخطبة التي أوردناها، فراجع سريّة أُسامة من طبقات ابن سعد، وسيرتي الحلبي والدحلاني، وغيرها من المؤلّفات في هذا الموضوع[1].

(٢) هذا بناءً على ما ذكره الحلبي والدحلاني في سيرتيهما، ورواه المحدّثون من أهل السنّة كابن سعد في سريّة أُسامة من طبقاته، وهي في آخر القسم الأوّل من الجزء الثاني من الطبقات[2].

---

١ و ٢. راجع ما تقدّم قبيل هذا من المصادر.

نقله، واتّفق أُولو العلم على صدوره ـ: «أيّها الناس، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أُسامة؟ ولئن طعنتم في تأميري أسامة، لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة، وإنّ ابنه من بعده لخليق بها»[١].

وحضّهم على المبادرة إلى السير فجعلوا يودّعونه ويخرجون إلى العسكر بالجُرف، وهو يحضّهم على التعجيل، ثمّ ثقل ـ بأبي هو وأُمّي ـ في مرضه فجعل يقول: «جهّزوا جيش أُسامة، أنفذوا جيش أُسامة، أرسلوا بعث أُسامة». يكرّر ذلك وهم متّاقلون.

فلمّا كان يوم الإثنين، الثاني عشر من ربيع الأوّل، دخل أُسامة من معسكره على النبيّ ﷺ، فأمره بالسير قائلاً له: «اغد على بركة الله تعالى» فودّعه وخرج إلى العسكر، ثمّ رجع ومعه عمر وأبو عبيدة فانتهوا إليه ـ بأبي هو وأُمّي ـ وهو يجود بنفسه فتوفّي ـ روحي وأرواح العالمين له الفداء ـ في ذلك اليوم(١).

فرجع الجيش باللواء إلى المدينة الطيّبة، ثمّ عزموا على إلغاء البعث بالمرّة، وكلّموا أبا بكر في ذلك وأصرّوا عليه غاية الإصرار، مع ما رأوه بعيونهم من اهتمام النبيّ ﷺ في إنفاذه، وعنايته التامّة في تعجيل إرساله، ونصوصه المتوالية في الإسراع به على وجه يسبق الأخبار، وبذله الوسع في ذلك منذ عبّأه بنفسه، وعهد إلى أُسامة في أمره،

---

(١) وهذا أيضاً بناءً على ما في سيرتي الحلبي والدحلاني، ورواية المحدّثين من أهل السنّة كابن سعد[٢]، وغيره[٣]؛ والمأثور عندنا أنّه توفّي ﷺ لليلتين بقيتا من صفر[٤].

---

١. راجع أيضاً المغازي للواقدي ٢: ١١١٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٥٩.

٢. السيرة الحلبيّة ٣: ٢٢٨؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٣٦٣؛ الطبقات الكبرى ٢: ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

٣. كابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٣، حوادث سنة ١١.

٤. تهذيب الأحكام ٦: ٢، باب نسب رسول الله؛ الإرشاد للمفيد ١: ١٨٨.

وعقد لواءه بيده إلى أن احتضر ـ بأبي هو وأُمّي ـ فقال: «اغدُ على بركة الله تعالى» كما سمعت، ولولا الخليفة لأجمعوا يومئذٍ على ردّ البعث وحلّ اللواء لكنّه أبى عليهم ذلك، فلمّا رأوا منه العزم على إرسال البعث، جاءه عمر بن الخطّاب حينئذٍ يلتمس منه بلسان الأنصار أن يعزل أُسامة ويولّي غيره.

هذا، ولم يطل العهد منهم بغضب النبيّ وانزعاجه من طعنهم في تأمير أُسامة، ولا بخروجه من بيته بسبب ذلك محموماً مألوماً معصّباً مدّثّراً يرسف في مِشْيَتِه. ورِجْله لا تكاد تُقلّه ممّا كان به من لُغوب، فصعد المنبر وهو يتنفّس الصعداء ويعالج البرحاء فقال: «أيّها الناس، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أُسامة؟! ولئن طعنتم في تأميري أُسامة، لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة، وإنّ ابنه من بعده لخليق بها»[1].

فأكّد صلى الله عليه وآله وسلم الحكم بالقسم، و «إنّ»، واسميّة الجملة، ولام التأكيد ليقلعوا عمّا كانوا عليه، فلم يقلعوا.

لكنّ الخليفة أبى أن يجيبهم إلى عزل أُسامة، كما أبى أن يجيبهم إلى إلغاء البعث، ووثب فأخذ بلحية عمر(١) فقال: ثكلتك أُمّك وعدمتك يا بن الخطّاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأمرني أن أنزعه.

ولمّا سيّروا الجيش ـ وما كادوا يفعلون ـ خرج أُسامة في ثلاثة آلاف مقاتل فيهم

---

(١) نقله الحلبي والدحلاني في سيرتيهما، وابن جرير الطبري في أحداث سنة ١١ من تاريخه[2]، وغير واحد من أهل الأخبار[3].

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٥٩؛ السيرة الحلبيّة ٣: ٢٢٨.

٢. السيرة الحلبيّة: ٢٣٠؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٣٦٤؛ تاريخ الطبري ٣: ٢٢٦، حوادث سنة ١١.

٣. كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٣.

ألف فرس(١) وتخلّف عنه جماعة ممّن عبّأهم رسول الله ﷺ في جيشه، وقد قال ﷺ: «جهّزوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلّف عنه»(٢).

وأنت تعلم أنّهم إنّما تثاقلوا عن السير أوّلاً، وتخلّفوا عن الجيش أخيراً، ليحكّموا قواعد سياستهم، ويقيموا عمدها؛ ترجيحاً منهم لذلك على التعبّد بالنصّ، حيث رأوه أولى بالمحافظة، وأحقّ بالرعاية؛ إذ لا يفوت البعث بتثاقلهم عن السير، ولا بتخلّف من تخلّف منهم عن الجيش. أمّا الخلافة فإنّها تنصرف عنهم لا محالة إذا انصرفوا إلى الغزوة قبل وفاته ﷺ وكان ـ بأبي هو وأمّي ـ أراد أن تخلو منهم العاصمة، فيصفو الأمر من بعده لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب على سكون وطمأنينة، فإذا رجعوا وقد أبرم عهد الخلافة وأحكم لعليّ عقدها، كانوا عن المنازعة والخلاف أبعد.

---

(١) فشنّ الغارة على أهل «أُبنى» فحرق منازلهم، وقطع نخلهم، وأجال الخيل في عرصاتهم، وقتل من قتل منهم، وأسر من أسر. وقتل يومئذٍ قاتل أبيه ولم يقتل ـ والحمد لله ربّ العالمين ـ من المسلمين أحد، وكان أُسامة يومئذٍ على فرس أبيه شعارهم يا منصور أمِتْ[1]، وهو شعار النبيّ ﷺ يوم بدر[2]. وأسهم للفارس سهمين، وللراجل سهماً واحداً، وأخذ لنفسه مثل ذلك.

(٢) أرسل هذه الكلمة إرسال المسلّمات جماعة من أعلام الأثبات، كالإمام أبي الفتح محمّد بن عبدالكريم الشهرستاني في المقدّمة الرابعة من المقدّمات التي ذكرها في أوائل كتابه الملل والنحل. وأخرجها أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة بالإسناد المرفوع إلى رسول الله ﷺ. ونقلها عنه جماعة من أهل الأخبار كالعلّامة المعتزلي الحنفي في آخر صفحة ٢٠ من المجلّد ٢ من شرحه لنهج البلاغة طبع مصر[3].

---

١. السيرة الحلبيّة ٣: ٢٣٠؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٣٦٥.

٢. راجع: الكافي ٥: ٤٧، باب الشعار، ذيل الحديث ٢؛ بحار الأنوار ١٩: ١٦٤، تاريخ نبيّنا ﷺ، باب نوادر الغزوات وجوامعها، ح ٣.

٣. الملل والنحل ١: ٢٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٥٢.

وإنّما أمّر عليهم أُسامة وهو ابن سبع عشرة سنة[(١)] ليّاً لأعنّة البعض، وردّاً لجماح أهل الجماح منهم، واحتياطاً على الأمن في المستقبل من نزاع أهل التنافس لو أمَّر أحدهما، كما لا يخفى، لكنّهم فطنوا إلى كلّ ما دبّر ﷺ فطعنوا في تأمير أُسامة، وتثاقلوا عن السير معه، فلم يبرحوا من الجُرْف حتّى لحق النبيّ ﷺ بربّه، فهمّوا حينئذٍ بإلغاء البعث وحلّ اللواء تارةً، وبعزل أُسامة أُخرى، ثمّ تخلّف كثير منهم عن الجيش كما سمعت.

فهذه خمسة أُمور في هذه السريّة، لم يتعبّدوا فيها بالنصوص الجليّة؛ إيثاراً لرأيهم في الأُمور السياسيّة، وترجيحاً لاجتهادهم فيها على التعبّد بنصوصه ﷺ.

ومنها: رزيّة يوم الخميس

وهي من الرزايا الفادحة، والقضايا الثابتة، نقلها أهل السير والأخبار، وأخرجها المحدّثون كافّة بالطرق المجمع على صحّتها. وحسبك منها ما أخرجه البخاري في باب قول المريض: «قوموا عنّي» من كتاب المرضى من صحيحه[(٢)] بسنده إلى عبيدالله بن عبدالله عن ابن عبّاس قال: لمّا حضر رسول الله ﷺ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطّاب، قال النبيّ ﷺ: «هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا[(٣)] بعده». فقال عمر: إنّ

(١) على الأظهر، وقيل: كان ابن ثمان عشرة سنة، وقيل: ابن تسع عشرة سنة، وقيل: ابن عشرين سنة[١]. ولا قائل بأنّ عمره كان أكثر من ذلك.

(٢) راجع صفحة ٥ من الجزء ٤ من الصحيح[٢].

(٣) بحذف النون مجزوماً؛ لكونه جواباً ثانياً لِهلمّ.

١. حكى الأقوال ابن عبد البرّ في الاستيعاب ١: ٧٥، الرقم ٢١؛ والحلبي في سيرته ٣: ٢٢٧.

٢. صحيح البخاري ٥: ٢١٤٦، ح ٥٣٤٥.

النبيّ قد غلب عليه الوَجَع، وعندكم القرآن، حسبنا كتابُ الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبيّ كتاباً لن تضلّوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر. فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند النبيّ ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «قوموا». قال عبيد الله: فكان ابن عبّاس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولَغَطِهم. انتهى.

وهذا الحديث ممّا لا كلام في صحّته، وقد أورده البخاري في كتاب العلم أيضاً من صحيحه(١)، وفي مواضع أُخر يعرفها المتتبّعون[١].

وأخرجه مسلم في آخر الوصيّة من صحيحه(٢)، ورواه أحمد من حديث ابن عبّاس في مسنده(٣) وسائر المحدّثين[٢].

وقد تصرّفوا فيه إذ نقلوه بالمعنى، ولفظه الثابت عن عمر ﷺ «إنّ النبيّ يهجر» لكنّهم ذكروا أنّه قال: «إنّ النبيّ قد غلب عليه الوَجَع»؛ تهذيباً للعبارة، وتقليلاً لما يستهجن منها.

---

(١) في صفحة ٢٢ من جزئه الأوّل[٣].

(٢) في صفحة ١٤ من جزئه الثاني[٤].

(٣) راجع صفحة ٣٢ من جزئه الأوّل[٥].

---

١. صحيح البخاري ٣: ١١١١، ح ٢٨٨٨، و ١١٥٥، ح ٢٩٩٧؛ و ٤: ١٦١٢، ح ٤١٦٨، ٤١٦٩؛ و٦: ٢٦٨٠، ح ٦٩٣٢.

٢. كابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٤.

٣. صحيح البخاري ١: ٥٤، ح ١١٤.

٤. صحيح مسلم ٣: ١٢٥٩، كتاب الجنائز، ح ٢٢.

٥. مسند أحمد ١: ٢٩٥_٢٩٦، ح ٢٩٩٢، و٧١٩_٧٢٠، ح ٣١١١.

ويدلّ على ذلك ما أخرجه أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة(١) بالإسناد إلى عبد الله بن عبّاس قال: لمّا حضرت رسول الله الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطّاب، قال رسول الله ﷺ: «ائتوني بدواة وصحيفةٍ أكتب كتاباً لا تضلّوا بعده». قال: فقال عمر كلمة معناها أنّ الوَجَع قد غلب على رسول الله ﷺ. ثمّ قال: عندنا القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف من في البيت واختصموا، فمن قائل: قرِّبوا يكتب لكم النبيّ، ومن قائل ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللَغَط واللغو والاختلاف، غضب ﷺ فقال: «قوموا». الحديث.

وتراه صريحاً بأنّهم إنّما نقلوا معارضة عمر بالمعنى لا بعين لفظه.

ويدلّك على هذا أيضاً أنّ المحدّثين حيث لم يصرّحوا باسم المعارض يومئذٍ لرسول الله ﷺ، نقلوا الحديث بعين لفظه. قال البخاري في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير من صحيحه(٢): حدّثنا قبيصة، حدّثنا ابن عُيينة عن سلمان الأحول، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس أنّه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثمّ بكى حتّى خضب دَمعه الحَصْباء فقال: اشتدّ برسول الله ﷺ وَجَعُه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبيّ تنازع فقالوا: هجر رسول الله ﷺ قال: «دعوني، فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه». قال: وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا

---

(١) كما في صفحة ٢٠ من المجلّد الثاني من شرح النهج للعلّامة المعتزلي طبع مصر[١].

(٢) في صفحة ١١٨ من جزئه الثاني[٢].

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١٥.

٢. صحيح البخاري ٣: ١١١١، ح ٢٨٨٨.

الوَفْد بنحو ما كنت أُجيزهم. قال: ونسيت الثالثة(١).

وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضاً في آخر كتاب الوصيّة من صحيحه[١]، وأحمد من حديث ابن عبّاس في مسنده(٢)، ونقله كافّة المحدّثين[٢].

وأخرج مسلم في كتاب الوصيّة من الصحيح عن سعيد بن جبير من طريق آخر عن ابن عبّاس أنّه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثمّ جعل تسيل دموعه حتّى رئيت على خدّيه كأنّها نظام اللؤلؤ قال: قال رسول الله ﷺ: «ائتوني بالكتف والدواة، أو اللوح والدواة، أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً» فقالوا: إنّ رسول الله ﷺ يَهْجُر[٣](٣). انتهى.

ومن ألمَّ بمجموع ما حول هذه الرزيّة من الأحاديث، يعلم أنّ أوّل من قال يومئذٍ: هجر رسول الله ﷺ، إنّما هو الخليفة الثاني ﷺ، ثمّ نسج على منواله من

---

(١) الثالثة ليست إلّا الأمر الذي أراد ـ بأبي وأُمّي ـ أن يكتبه؛ حفظاً لهم من الضلال، فصدّوه عن كتابته، وهو العهد لعليّ بالخلافة من بعده، لكنّ السياسة في تلك الأوقات اضطرّت رواة الحديث إلى القول بأنّهم قد نسوا ذلك، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

(٢) راجع صفحة ٢٢٢ من جزئه الأوّل[٤].

(٣) وأخرج هذا الحديث بهذه الألفاظ أحمد في صفحة ٣٥٥ من الجزء الأوّل من مسنده[٥]، وغير واحد من الأثبات[٦].

---

١. صحيح مسلم ٣: ١٢٥٧ ـ ١٢٥٨، كتاب الوصيّة، ح ٢١ ـ ٢٢.

٢. كابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢: ٥٤ ـ ٥٥.

٣. صحيح مسلم ٣: ١٢٥٩، كتاب الوصيّة، ح ٢١.

٤. مسند أحمد ١: ٤٤٧، ح ١٩٣٥.

٥. المصدر: ٧١٩ ـ ٧٢٠، ح ٣١١١.

٦. كالطبراني في المعجم الكبير ١١: ٤٤٥، ح ١٢٢٦١.

الحاضرين من كانوا يرون رأيه ويؤثرون هواه، كما يدلّ عليه الحديث الأوّل الذي رواه البخاري بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عبّاس[١]، وقد سمعت قول ابن عبّاس فيه: فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبيّ كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر[٢].

وكيف كان، فإنّهم لم يتعبّدوا هنا بنصّه الذي لو تعبّدوا به لأمنوا من الضلال، بل لم يكتفوا بعدم الامتثال لأمره حتّى ردّوا عليه بقولهم: «حسبنا كتاب الله» كما يزيّف أحدُنا رأي الآخر، كأنّ رسول الله ﷺ لا يعلم بمكان كتاب الله منهم، أو أنّهم أعلم منه بخواصّ كتاب الله وفوائده، ولَيْتهم اكتفوا بهذا كلّه ولم يفاجئوه بكلمتهم تلك وهو محتضر ـ بأبي هو وأمّي ـ بينهم، وأيّ كلمة كانت منهم وداعاً له ﷺ.

وكأنّهم حيث لم يأخذوا بهذا النصّ اكتفاءً منهم بكتاب الله على ما زعموا، لم يسمعوا هُتاف[٣] الكتاب آناء الليل وأطراف النهار في أنديتهم قائلاً: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٤]. وكأنّهم حيث قالوا كلمتهم تلك، لم يقرأوا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[٥]، وقوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

---

١. تقدّم في ص ١١٠ ـ ١١١.

٢. راجع ص ١١٢.

٣. الهتف والهُتاف: الصوت الجافي العالي، وقيل: الصوت الشديد. لسان العرب ٩: ٣٤٤، «هـ. ت. ف».

٤. الحشر (٥٩): ٧.

٥. التكوير (٨١): ١٩ ـ ٢٢.

٦. الحاقّة (٦٩): ٤٠ ـ ٤٣.

يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾[1] إلى كثير من هذه الآيات المحكمة المنصوص فيها على عصمة قوله من الهجر ﷺ.

على أنّ العقل يستقلّ بذلك ويحكم جازماً به، كما لا يخفى على أُولي الألباب، لكنّ القوم علموا أنّه ﷺ يريد توثيق العهد إلى عليّ بالخلافة، وتأكيد النصّ بها عليه خاصّةً وعلى الأئمّة من عترته عامّةً؛ احتياطاً على أُمّته؛ ومبالغةً في النصح لها؛ واهتماماً في شأن خلفائه بتسجيل عهده إليهم بالخلافة خطّاً بعد أن أعلنه قولاً وفعلاً، فصدّوه عن هذه المهمّة بكلمتهم هذه، كما اعترف به الخليفة الثاني في كلام دار بينه وبين ابن عبّاس(١).

وأنت ـ هداك الله ـ إذا تأمّلت في قوله ﷺ: «ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده»[2]، وقوله في حديث الثقلين: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[3]، تعلم أنّ المرمى في الحديثين واحد، وأنّه ﷺ إنّما أراد في مرضه ـ بأبي هو وأمّي ـ أن يكتب لهم تفصيل ما أوجبه عليهم في حديث الثقلين، وإنّما عدل عن ذلك؛ لأنّ كلمتهم التي فاجأوه بها اضطرّته إلى العدول؛ إذ لم يبقَ بعدها أثر لكتابة الكتاب سوى اختلاف الأُمّة من بعده في أنّه هجر فيما كتبه فيه ـ والعياذ بالله ـ أو لم يهجر، كما اختلفوا في ذلك فاختصموا وأكثروا اللَغَط نصب عينيه،

(١) راجع الجزء ١٢ من شرح النهج الحديدي تجد ذلك في السطر ٢٧ من صفحة ١١٤ من المجلّد ٣ طبع مصر[4].

١. النجم (٥٣): ٢ ـ ٥.

٢. تقدّم في ص ١١٢.

٣. قد تواتر هذا الحديث بين العامّة والخاصّة، كالمرويّ في الكافي ١: ٢٩٤، باب الإشارة والنصّ على أميرالمؤمنين، والإرشاد للمفيد ١: ٢٣٣، والجامع الصحيح ٥: ٦٦٣، ح ٣٧٨٨.

٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٧٨ ـ ٧٩.

فلم يتسنّ له يومئذٍ أكثر من طردهم من مجلسه، فقال: «قوموا عنّي» كما سمعت[1].

ولو أصرّ فكتب الكتاب، للجّوا في قولهم: «هجر» ولأوغل أشياعهم في إثبات هجره ـ والعياذ بالله ـ فسطّروا به أساطيرهم، وملأوا منه طواميرهم؛ ردّاً على عليّ وشيعته إذا احتجّوا بذلك الكتاب.

لهذا اقتضت حكمته البالغة أن يضرب صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك الكتاب صفحاً؛ لئلّا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم باباً إلى الطعن في نبوّته ـ نستجير بالله ـ وقد رأى صلى الله عليه وآله وسلم أنّ أولياء عليّ خاضعون لخلافته، كتب ذلك الكتاب أو لم يكتب، وغيرهم لا يعمل به ولا يعتبره ولو كتب، فالحكمة والحال هذه توجب تركه؛ إذ لا أثر له بعد تلك المعارضة سوى وقوع الفتنة، كما لا يخفى.

[مخالفتهم لأوامر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم]

ومن تأمّل أحوالهم زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن أيّام خلافتهم، علم أنّهم كانوا كما نبّهناك إليه.

ألا تراهم يوم تبوك كيف أنكروا إذن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يومئذٍ بنحر إبلهم وأكل لحومها، إذ أملقوا في تلك الغزوة وجاعوا، فأنكر عمر رضي الله عنه ذلك، وقال: ما بقاؤكم بعد إبلكم.

والقضيّة ثابتة معروفة. أخرجها البخاري في باب حمل الزاد في الغزو من كتاب الجهاد والسير من الجزء الأوّل من صحيحه[2]، ورواها سائر المحدّثين[3].

وأنكروا عليه صلح الحديبيّة بتلك العبارات المزعجة، وكان صلى الله عليه وآله وسلم مأموراً به،

---

١. تقدّم في ص ١١٠ـ ١١٢.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٠٨٨، ح ٢٨٢٠.

٣. راجع شرح السنّة للبغوي ١٣: ٢٩٧.

والحكمة كانت فيه بالغة؛ إذ دخل بسببه في الدين أضعاف ما دخل فيه قبل ذلك، فكان في الواقع فتحاً مبيناً(١)، ونصراً عزيزاً، بيد أنّ أبا حفص ﷺ لم يدرك يومئذٍ حكمته، واعتقده خطّة خسف، فأنكره جهرة، وصادر به علانية.

والقضيّة مشهورة، وحسبك منها ما أخرجه مسلم في باب صلح الحديبيّة من الجزء الأوّل من صحيحه: أنّ عمر بن الخطّاب قال يومئذٍ: ألسنا على حقّ وهم على باطل؟ قال رسول الله ﷺ: «بلى». قال: أليس قَتْلانا في الجنّة وقَتْلاهم في النار؟ قال: «بلى». قال: ففيم نعطي الدَنِيّة في ديننا ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال ﷺ: «يا بن الخطّاب، إنّي رسول الله ولن يُضَيّعني الله أبداً».

قال: فانطلق عمر ﷺ فلم يصبر متغيّظاً، فأتى أبا بكر ﷺ فقال: يا أبا بكر، ألسنا على حقّ وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قَتْلانا في الجنّة وقَتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدَنيّة في ديننا ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يابن الخطّاب، إنّه رسول الله ولن يضيّعه الله أبداً[١]. الحديث.

وأخرجه غير واحد من المحدّثين بلهجة أشدّ ممّا سمعت[٢].

---

(١) وفيه أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾[٣] عن الشعبي وغيره، كما في الكشّاف، وغيره[٤].

وعن موسى بن عقبة ـ كما في الكشّاف أيضاً ـ: أقبل رسول الله ﷺ من الحديبيّة راجعاً، فقال رجل من أصحابه: ما هذا بفتح، لقد صدّونا عن البيت وصدّ هَدْينا، فبلغ النبيّ ﷺ ذلك فقال: «بئس الكلام هذا، بل هو أعظم الفتوح»[٥]. الحديث.

---

١. صحيح مسلم ٣: ١٤١١ ـ ١٤١٢، كتاب الجهاد والسير، ح ٩٤.

٢. راجع: صحيح البخاري ٣: ١١٦٢، ح ٣٠١١؛ المعجم الكبير ٦: ٩٠، ح ٥٦٠٤.

٣. الفتح (٤٨): ١.

٤. راجع: أسباب النزول: ٣٢٠ ـ ٣٢١؛ الكشّاف ٤: ٣٣٢؛ زاد المسير ٧: ١٥٩، ذيل الآية.

٥. الكشّاف ٤: ٣٣٢، ذيل الآية.

وأخرج البخاري في آخر كتاب الشروط[١] من صحيحه حديثاً جاء فيه: أنّ عمر رضي الله عنه قال: فقلت : ألستَ نبيّ الله حقّاً؟ قال: «بلى». قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: فَلِمَ نعطي الدنيّة في ديننا إذاً؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي رسول الله ولستُ أعصِيه وهو ناصري». قلت: أوَ ليس كنتَ تحدّثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، أفأخبرتُك أنّا نأتيه العام؟». قلت: لا. قال: «فإنّك آتيه ومطوِّف به».

قال: فأتيتُ أبا بكر، فقلت: أليس هذا نبيّ الله حقّاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى. قلتُ: فَلِمَ نعطي الدنيّة في ديننا إذاً؟ قال: أيّها الرجل، إنّه لرسول الله، وليس يَعصي ربّه وهو ناصره، فاستمسك بغَرْزِه[٢] فوالله إنّه على الحقّ. فقلتُ: أليس كان يحدّثنا أن سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنّك تأتيه العامَ؟ قلتُ: لا. قال: فإنّك آتيه ومطوِّف به. قال عمر رضي الله عنه: فعملت لذلك أعمالاً[٣].

قال: فلمّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قضيّة الكتاب الذي كتبه يومئذٍ في الصلح،

---

(١) في صفحة ٨١ من جزئه الثاني.

(٢) «الغَرْز» ركاب من جلد يضع الراكب رجله فيه[1]، فيكون المعنى اعتلق به وأمسكه واتّبع قوله وفعله ولا تخالفه، فاستعار له الغَرْز كالذي يمسك بركاب الراكب ويسير بسيره. وفي القاموس[2]: غرز كسمع، أطاع السلطان بعد عصيان. وعلى هذا فلفظ «غرزه» هنا مصدر «غرز» فيكون المعنى استمسك بطاعته بعد العصيان.

(٣) لا تخفى دلالة كلمته هذه على أنّ أعماله كانت عظيمة، وبسببها لم يمتثلوا أمره إيّاهم بالنحر حتّى أمرهم بذلك ثلاثاً، كما ستسمعه في الأصل.

---

١. النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٣٥٩، «غ. ر. ز».

٢. القاموس المحيط ٢: ١٩١، «غ. ر. ز».

قال ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثمّ احلِقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتّى قال ذلك ثلاث مرّات[١]. الحديث.

وأخرجه الإمام أحمد من حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم في مسنده(١).

وذكر الحلبي في غزوة الحديبيّة من سيرته(٢) أنّ عمر ﷺ جعل يردّ على رسول الله ﷺ الكلام، فقال له أبو عبيدة بن الجرّاح: ألا تسمع يا بن الخطّاب رسول الله ﷺ يقول ما يقول؟ نعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الحلبي: وقال رسول الله ﷺ يومئذٍ: «يا عمر، إنّي رضيت وتأبى».

وقال الحلبي وغيره: إنّ عمر ﷺ كان بعد ذلك يقول: مازلت أصوم وأتصدّق وأُصلّي وأعتق مخافة كلامي الذي تكلّمت به. إلى آخر ما هو مأثور عنه في هذه القضيّة[٢].

وأنكر ﷺ يوم بدر أخذ الفداء من الأسرى، وإطلاق سراحهم، وكان من رأيه أن يعمد حمزة إلى أخيه العبّاس فيقتله، ويأخذ عليّ أخاه عقيلاً فيقتله، وهكذا كلّ مسلم له قرابة في أسرى المشركين يقتله بيده حتّى لا يبقى منهم أحد[٣]، فأعرض

(١) راجع آخر الصفحة ٣٣٠ من جزئه الرابع[٤].

(٢) في الصفحة ١٩ من الجزء الثالث[٥].

١. صحيح البخاري ٢: ٩٧٨، ح ٢٥٨١ ـ ٢٥٨٢.

٢. السيرة الحلبيّة ٢: ٧٠٦. حكاه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده ٦: ٤٩٠، ح ١٨٩٣٢.

٣. للمزيد راجع: تفسير الطبري ٦: ٢٨٧ ـ ٢٨٨، ح ١٦٣٠٨، ذيل الآية ٦٧ ـ ٦٨ من سورة الأنفال (٨)؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ١٨٣؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢: ٣٣٨؛ السيرة الحلبيّة ٢: ٤٤٧.

٤. مسند أحمد ٦: ٤٩٦ ـ ٥٠١، ح ١٨٩٥٠.

٥. السيرة الحلبيّة ٢: ٧٠٦.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الرأي، تعبّداً بالوحي الموافق للرحمة وللحكمة ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[١] لكنّ الجاهلين بعصمته وحكمته ﴿لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا﴾[٢] كان الحقّ في هذه الواقعة مع عمر رضي الله عنه، معتمدين في ذلك على أحاديث اختلقها بعض المنافقين من أعداء الله ورسوله و﴿مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾[٣]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٤].

وقد أمعنوا في التيه، وأوغلوا في الجهل، وتسكّعوا في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٥] حيث اشتبهت عليهم في هذه الآية معالم القصد، وعميت لديهم فيها وجوه الرشد، فقالوا بنزولها في التنديد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، حيث آثروا بزعم هؤلاء الجُهلاء عَرَض الدنيا على الآخرة، فاتّخذوا الأسرى، وأخذوا منهم الفداء قبل أن يُثخنوا في الأرض، وزعموا أنّه لم يسلم يومئذٍ من الخطيئة إلّا عمر رضي الله عنه، وأنّه لو نزل العذاب لم يفلت منه إلّا ابن الخطّاب، ورووا في ذلك من الروايات الموضوعة ما شاءه جهلهم، واقتضاه نفاق الواضعين وعداوتهم[٦].

وكذب من زعم أنّه صلى الله عليه وآله وسلم اتّخذ الأسرى، وأخذ منهم الفداء قبل أن يثخن في الأرض؛ فإنّه ـ بأبي وأمّي ـ إنّما فعل ذلك بعد أن أثخن في الأرض، وقتل صناديد

١. النجم (٥٣): ٣ ـ ٥.

٢. البقرة (٢): ٢٧٥.

٣. يوسف (١٢): ٤٠.

٤. الزمر (٣٩): ٦٧.

٥. الأنفال (٨): ٦٧ ـ ٦٨.

٦. تفسير الطبري ٦: ٢٩١، ح ١٦٣٣٣؛ الجامع لأحكام القرآن ٨: ٤٧، ذيل الآية.

قريش وطواغيتها، كأبي جهل، وعتبة، وشيبة، والوليد، وحنظلة إلى سبعين من رؤوس الكفر وزعماء الضلال، كما هو معلوم بالضرورة الأوّليّة، فكيف يمكن بعد هذا أن يتناوله ﷺ اللوم المذكور في الآية؟! تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

والصواب: أنّ الآية إنّما نزلت في التنديد بالذين كانوا يودّون العير وأصحابه على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله في هذه الواقعة ـ عزّ من قائل ـ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ﴾[1].

وكان ﷺ قد استشار أصحابه، فقال لهم(١): «إنّ القوم قد خرجوا على كلّ صعب وذلول فما تقولون، العِير أحبّ إليكم أم النفير؟ قالوا: بل العِير أحبّ إلينا من لقاء العدوّ». وقال بعضهم حين رآه ﷺ مصرّاً على القتال: هلّا ذكرتَ لنا القتال لنتأهّب له إنّا خرجنا للعِير لا للقتال، فتغيّر وجه رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[2].

وحيث أراد الله ـ عزّ وجلّ ـ أن يقنعهم بمعذرة النبيّ ﷺ في إصراره على القتال وعدم مبالاته بالعِير وأصحابه قال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ من الأنبياء المرسلين قبل نبيّكم محمّد ﷺ: ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ فنبيّكم لا يكون له أسرى حتّى يثخن في الأرض على سنن غيره من الأنبياء عليهم السلام، ولذلك

(١) كما في السيرتين الحلبية، والدحلانية[3]، وغيرهما[4] من الكتب المشتملة على ذكر هذه الواقعة.

١. الأنفال (٨): ٧.

٢. الأنفال (٨): ٥ ـ ٦.

٣. السيرة الحلبيّة ٢: ٣٨٥؛ السيرة النبويّة للدحلاني ١: ٣٦٦.

٤. أُنظر البداية والنهاية ٣: ٣٢٢، حوادث سنة ٢.

لم يبالِ إذ فاته أسر أبي سفيان وأصحابه حين هربوا بعِيرهم إلى مكّة، لكنّكم أنتم ﴿تُرِيدُونَ﴾ إذ تودّون أخذ العير وأسر أصحابه ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ باستئصال ذات الشوكة من أعدائه ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]. والعزّة والحكمة تقتضيان يومئذٍ اجتثاث عزّ العدوّ وإطفاء جمرته.

ثمّ قال تنديداً بهم وتهديداً لهم: ﴿لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ﴾ في علمه الأزليّ بأن يمنعكم من أخذ العِير وأسر أصحابه، لأسرتم القوم وأخذتم عِيرهم، ولو فعلتم ذلك ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ قبل أن تثخنوا في الأرض ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]. هذا معنى الآية الكريمة(١) وحاشا لله أن يريد منها ما ذكره أُولئك الجهلاء.

بقي هنا أمر ننبّهك إليه لتكون على يقين بمعذرة المتأوّلين، وهو أنّ النبيّ ﷺ قال لأصحابه(٢) يوم التقى الجمعان في بدر: «قد عرفت رجالاً من بني هاشم وغيرهم أُخرجوا إكراهاً، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي العبّاس بن عبد المطّلب فلا يقتله، فإنّه أُخرج كُرهاً».

نهى عن قتل بني هاشم عموماً، وعن قتل العبّاس منهم بالخصوص حين كانوا في ساحة القتال؛ لكونهم مكرهين على ذلك. فالعجب ممّن اقترح بعدها عليه ـ بأبي هو

---

(١) يجوز أن يكون المعنى ﴿لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ﴾ في علمه الأزليّ بأن لا يعذّبكم والنبيّ فيكم، كما صرّحت به محكمات الفرقان ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ به من الرأي والعزم في شأن العير وأصحابه ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(٢) كما في تاريخي ابن جرير، وابن الأثير، وسيرتي الدحلاني، والحلبي، وغيرها[3].

---

١ و٢. الأنفال (٨): ٦٧ ـ ٦٨.

٣. تاريخ الطبري ٢: ٤٥٠، حوادث سنة ٢؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٢٨ ـ ١٢٩، حوادث سنة ٢؛ السيرة الحلبيّة ٢: ٤١٣؛ السيرة النبويّة للدحلاني ١: ٣٨٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ١٨٣.

وأُمّي ـ أن يقتل العبّاس وعقيلاً بيدي أخويهما: حمزة وعليّ، فهل هذا من مظاهر رفقه بالنبيّ وأهل بيته ﷺ، أو من موارد تعبّده بنصوصه المقدّسة؟! كلّا، بل هو من الشواهد على أنّه كان يؤثر رأيه على التعبّد بها، كما لا يخفى.

وقد استاء أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من نهي النبيّ ﷺ عن قتل العبّاس وسائر بني هاشم حتّى قال ـ كما في تاريخي ابن الأثير، وابن جرير، وسيرتي الحلبي، والدحلاني، وغيرهما[١] ـ: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العبّاس؟! والله لئن لقيته لألجمنّه بالسيف، فبلغ النبيّ ذلك فقال لعمر رضي الله عنه: «يا أبا حفص، أما تسمع قول أبي حذيفة؟ أيضرب وجه عمّ رسول الله بالسيف؟» فانظر كيف استنجده للدفاع عن عمّه، وأعجب من اقتراحه بعد ذلك عليه قتله.

وقد ذكر المؤرّخون كافّة أنّه لمّا أمسى العبّاس مأسوراً، بات رسول الله ـ بأبي هو وأُمّي ـ ساهراً، فقال له الصحابة: يا رسول الله، ما لك لا تنام؟ فقال: «سمعت تضوّر العبّاس في وثاقه فمنع منّي النوم» فقاموا إليه فأطلقوه، فنام رسول الله ﷺ[٢].

وإنّ رحمته ﷺ للعالمين، ورأفته بالمؤمنين، وإشفاقه على عشيرته الأقربين، وخصوصاً على أبي الفضل صنو أبيه، والبقيّة من أهليه لممّا هو غنيّ عن البيان. ومن ذا يجهل حرصه يومئذٍ على سلامتهم ورغبته التامّة في بقائهم ليفوزوا بعد ذلك بخدمته؟ وكانوا في الواقع مؤمنين لكنّهم لم يتمكّنوا من الهجرة إليه، فأُكرهوا على الخروج كما نصّ عليه النبيّ ﷺ. فاقتراح قتلهم ـ والحال هذه ـ أكبر شاهد على أنّهم كانوا يؤثرون إرادتهم في مثل هذا المقام على التعبّد بإرادته وأوامره عليه وآله الصلاة والسلام.

---

١. المصدر.

٢. راجع: الكامل في التاريخ ٢: ١٢٨، حوادث سنة ٢. ونحوه في الطبقات الكبرى ٤: ١٣. وبحار الأنوار ١٩: ٢٤٠ ـ ٢٤٢، تاريخ نبيّنا ﷺ، الباب ١٠.

ولهم في أُحد حالات تشهد بما قلناه؛ وذلك أنّ رسول الله ﷺ قد استقبل المدينة في هذه الغزوة وترك أُحداً خلف ظهره، وجعل الرماة وراءه وكانوا خمسين رجلاً أمّر عليهم عبد الله بن جبير ، وقال له ـ فيما نصّ عليه المؤرّخون والمحدّثون كافّة ـ: «انضح عنّا الخيل بالنَبل لا يأتونا من خلْفنا، واثبت(١) مكانك إن كانت لنا أو علينا». وحضّهم على ذلك بما لا مزيد عليه، وشدّد عليهم الأمر في طاعة أميرهم عبد الله.

لكنّهم ـ وا أسفاه ـ لم يتعبّدوا يومئذٍ بأوامره ونواهيه ﷺ ترجيحاً لآرائهم عليها، وذلك حيث حَمِيَ الوَطيس[1]، واشتدّ بأس المسلمين بسطوة حيدرة الكرّار على فيالق المشركين، وصولته على أصحاب لوائهم، وهم ثمانية من بني عبد الدار، كانوا أُسود الوقائع وأحلاس الخيل، وتاسعهم عبدهم: صواب، كان من طينتهم وعلى شاكلتهم فقتلهم أمير المؤمنين(٢) واحداً بعد واحد، وبقي لواؤهم مطروحاً على الأرض لا يدنو منه أحد.

---

(١) راجع تاريخي الطبري وابن الأثير[2] وغيرهما[3] تجد قوله ﷺ هذا بعينه. وكلّ من أرّخ وقعة أُحد ذكره أو أشار إليه.

(٢) نصّ ابن الأثير في غزوة أُحُد من كامله[4] على أنّ الذي قتل أصحاب اللواء يومئذٍ عليّ بن أبي طالب، وصرّح بذلك غير واحد من المؤرّخين والمحدّثين[5].

---

١. الوطيس: التنّور... وقيل: هي تنّور من حديد، وبه شبّه حرّ الحرب. وقال النبيّ ﷺ في حنين: الآن حَمِيَ الوَطيس. وهي كلمة لم تسمع إلّا منه. وهو من فصيح الكلام عبّر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق. لسان العرب ٦: ٢٥٥، «و. ط. س».

٢. تاريخ الطبري ٢: ٥٠٧، حوادث سنة ٣؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٥٢، حوادث سنة ٣.

٣. كما في السيرة النبويّة لابن هشام ٣: ٢٩.

٤. الكامل في التاريخ ٢: ١٥٤، حوادث سنة ٣.

٥. كما في بحار الأنوار ٢٠: ٢٦، تاريخ نبيّنا ﷺ، الباب ١١؛ وراجع أيضاً في قضيّة أصحاب اللواء الطبقات الكبرى ٢: ٤١؛ تاريخ الطبري ٢: ٥١٣ ـ ٥١٤، حوادث سنة ٣؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٤٠ ـ ٤١.

فانكشف الكفّار حينئذٍ عن المسلمين هاربين على غير انتظام، ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون ما تركوه من أسلحة وأمتعة وذخائر ومؤن. فلمّا نظر الرُماة إلى المسلمين وقد أكبّوا على الغنائم، دفعهم الطمع في النهب إلى مفارقة محلّهم(١) الذي أُمروا أن لا يفارقوه فنهاهم أميرهم عبد الله بن جبير ﷺ فلم ينتهوا، وقالوا: ما مقامنا هاهنا وقد انهزم المشركون. فقال عبد الله(٢): والله لا أُجاوز أمر رسول الله ﷺ، وثبت مكانه مع أقلّ من عشرة، فنظر خالد بن الوليد المخزومي إلى قلّة من في الجبل من الرُماة فكرّ بالخيل عليهم(٣) ومعه عكرمة بن أبي جهل، فقتلوهم ومثّلوا بعبدالله بن جبير فأخرجوا حشوة بطنه، وهجموا على المسلمين وهم غافلون، وتنادوا بشعارهم يا لَلعزّى، يا لَهبل، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون فكان البلاء، وقتل حمزة سيّد الشهداء وسبعون من صناديد المهاجرين والأنصار، وأُصيب النبيّ ـ بأبي هو وأُمّي ـ بجروح يقرح القلوب ذكرها، ويهيّج الأحزان بيانها، فجزاه الله عنّا خير ما جزى نبيّاً عن أُمّته. وإنّما كان هذا البلاء كلّه بعدم تعبّدهم بأوامره ونواهيه المقدّسة، عفا الله تعالى عنهم.

ولهم ثمّة واقعة ثانية قدّموا فيها رأيهم أيضاً، وهي أعظم من الأُولى، وذلك أنّه لمّا اشتدّ البلاء بهجوم خالد على المسلمين، تركوا سيّد الأنبياء بين أُولئك الأعداء،

---

(١) كما في غزوة أُحد من تاريخ ابن الأثير، وغيره من سائر كتب السير والأخبار[1].

(٢) كما في تاريخ ابن الأثير وغيره[2].

(٣) صرّح بهذا كلّ من أرّخ غزوة أُحد، فراجع ما شئت من كتب السير والأخبار[3].

---

١. راجع: الكامل في التاريخ ٢: ١٥٣ ـ ١٥٤، حوادث سنة ٣؛ الطبقات الكبرى ٢: ٤١؛ تاريخ الطبري ٢: ٥٠٧ ـ ٥٠٨، حوادث سنة ٣؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٤٢.

٢. راجع: الطبقات الكبرى ٢: ٤١؛ المغازي للواقدي ١: ٢٢٩ ـ ٢٣٠؛ السيرة الحلبيّة ٢: ٥٠٢.

٣. راجع المصادر المتقدّمة آنفاً.

وأسلموه لأحقادهم البدريّة، وضغائنهم الكفريّة، وفرّوا مُصعدين لا يلوون على أحد والرسول يدعوهم في أُخراهم فلا يلبّونه، كما حكاه الله ـ عزّ وجلّ ـ حيث يقول(١): ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ﴾[1]، ولم يثبت معه إلّا نفر يسير لا يزيدون على أربعة عشر رجلاً(٢) يحمل لواءهم عليّ بن أبي طالب(٣) وله ثمّة مواقف ـ شكرها الله له ورسوله وجبرئيل والمؤمنون ـ حيث قام في نصرة النبيّ ﷺ على ساقه، وشدّ لها حيازيمه، فحمل على جموع الأعداء حملته العظيمة فكشفهم عن النبيّ، وقد أثخن ـ بأبي هو وأمّي ـ فجعل تارة يدافع عنه الأعداء، وأُخرى ينقل له الماء من المهراس في دَرَقَته فيغسل جرحه(٤)، وجعل ﷺ

---

(١) أجمع المفسّرون والمحدّثون والمؤرّخون على نزول هذه الآية في هذه الواقعة[2].

(٢) كما في تاريخ ابن الأثير وغيره[3].

(٣) لا كلام في أنّ حامل لواء المسلمين يوم أُحُد إنّما كان أوّلاً مصعب بن عمير، فلمّا استشهد ﵁، حمله عليّ باتّفاق أهل الأخبار، ولم يزل يومئذٍ حاملاً له حتّى انتهى القتال[4].

(٤) كلّ من أرّخ غزوة أحد من الأوّلين والآخرين ذكر نقل عليّ الماء من المهراس بِدَرَقَته إلى رسول الله ﷺ، فراجع[5].

---

١. آل عمران (٣): ١٥٣.

٢. كما في الكشّاف ١: ٤٢٦ ـ ٤٢٧؛ الجامع لأحكام القرآن ٤: ٢٣٣، ذيل الآية؛ تاريخ الطبري ٢: ٥٠٨ ـ ٥٠٩ حوادث سنة ٣؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٤٧.

٣. راجع المصادر التي تقدّمت قبيل هذا.

٤. راجع: تاريخ الطبري ٢: ٥١٦، حوادث سنة ٣؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٥٥ ـ ١٥٦، حوادث سنة ٣؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٤٤.

٥. راجع: الكامل في التاريخ ٢: ١٥٧ حوادث سنة ٣؛ تاريخ الطبري ٢: ٥١٩، حوادث سنة ٣؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٥٥.

كلّما أبصر جماعة من الأعداء يقول: «اكفنيهم يا عليّ»(١)، فيشدّ عليهم بسيفه فلا يرجع حتّى يفرّق شملهم ويمزّق جمعهم، وقد عجبت بذلك ملائكة السماء من مواساته، فقال جبرائيل عليه السلام(٢): يا رسول الله، هذه المواساة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّه منّي وأنا منه»، فقال جبرائيل عليه السلام: وأنا منكما. وسمعوا حينئذٍ منادياً ينادي: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ(٣).

شطّ بنا القلم عن المقصود فلنعد إليه، فنقول: إنّ القوم أسلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأوغلوا في الهرب حتّى قال المحدّثون والمؤرّخون، واللفظ لابن الأثير في كامله:

قد انتهت الهزيمة بجماعة المسلمين، وفيهم عثمان بن عفّان وغيره إلى الأحوص، فأقاموا به ثلاثاً ثمّ أُتوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم حين رآهم: «لقد ذهبتم فيها عريضة»[1].

هذا مع ما سمعوه من النواهي الصريحة في تحريم ذلك، وحسبك منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾[2]، الآية.

---

(١) راجع غزوة أُحد من تاريخ ابن الأثير[3]، وغيره[4].

(٢) كما في تاريخ ابن الأثير، وابن جرير، وسيرتي الحلبي، والدحلاني[5]، وغيرها[6].

(٣) راجع غزوة أُحد من تاريخي ابن جرير وابن الأثير، والسيرة الحلبيّة[7]، وغيرها[8] تجد هذا النداء.

---

١. الكامل في التاريخ ٢: ١٥٨، حوادث سنة ٣؛ تاريخ الطبري ٢: ٥٢٢ حوادث سنة ٣، وفي المصدرين: «الأعوص» بدل «الأحوص».

٢. الأنفال (٨): ١٥.

٣. الكامل في التاريخ ٢: ١٥٤، حوادث سنة ٣.

٤. كتاريخ الطبري ٢: ٥١٤، حوادث سنة ٣، فيه: «فقال صلى الله عليه وآله لعليّ: احمل عليهم».

٥. الكامل في التاريخ ٢: ١٥٤، حوادث سنة ٣؛ تاريخ الطبري ٢: ٥١٤، حوادث سنة ٣؛ ولم نجده في السيرة الحلبيّة، والنداء موجود في الصفحة ٥١٧ من مجلّدها الثاني، ولم نجده أيضاً في السيرة النبويّة للدحلاني.

٦. كما في تاريخ الطبري ٢: ٥١٤، حوادث سنة ٣، والمعجم الكبير ١: ٣١٨، ح ٩٤١.

٧ و٨. راجع المصادر المتقدّمة قبيل هذا.

وهناك نصّ آخر عدل البعض عن العمل به أيضاً، وذلك أنّه لمّا اشتدّ البلاء وعظم الخطب بفرار المسلمين، أرهف المشركون لقتل رسول الله ﷺ غرار عزمهم، وأرصدوا لذلك جميع أُهَبِهم، فتعاقد خمسة من شياطينهم على ذلك كانوا كالفدائيّة في هذا السبيل، وهم: عبد الله بن شهاب الزُهري، وعتبة بن أبي وقّاص، وابن قَمِئة الليثي، وأُبيّ بن خلف، وعبد الله بن حميد الأسدي القرشي ـ لعنهم الله وأخزاهم ـ.

فأمّا ابن شهاب، فأصاب جبهته الميمونة. وأمّا عتبة، فرماه ـ تبّت يداه ـ بأربعة أحجار فكسر رباعيّته وشقّ شفته. وأمّا ابن قَمِئة ـ قاتله الله ـ فكمّ وَجنته ودخل من حِلَق المغفر فيها، وعلاه بالسيف ـ شلّت يده ـ فلم يطق أن يقطع فسقط ﷺ إلى الأرض. وأمّا أُبيّ بن خلف، فشدّ عليه بحربته، فأخذها رسول الله منه وقتله بها. وأمّا عبد الله بن حميد، فقتله أبو دجانة الأنصاري ـ شكر الله سعيه وأعلى في الجنان مقامه ـ فإنّه ممّن أبلى يومئذٍ بلاءً حسناً. ثمّ حمل ابن قَمِئة على مصعب بن عمير وهو يظنّه رسول الله ﷺ فقتله ورجع إلى قريش يبشّرهم بقتل محمّد، فجعل الناس يقولون: قتل محمّد، قتل محمّد[1].

فانخلعت قلوب المسلمين جزعاً، وكادت نفوسهم أن تزهق هلعاً، وأوغلوا في الهرب مدلّهين مدهوشين، لا يرتابون في قتل رسول الله ﷺ وقد سُقِطَ في أيديهم.

وكان أوّل من عرف أنّ رسول الله ﷺ حيٌّ كعب بن مالك. قال(١): فناديت يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله حيّ لم يقتل، فأشار إليه النبيّ ﷺ: أن

---

(١) كما في غزوة أُحد من تاريخ ابن الأثير وغيره[2].

---

١. للمزيد راجع الكامل في التاريخ ٢: ١٥٤ ـ ١٥٦، حوادث سنة ٣.

٢. الكامل في التاريخ ٢: ١٥٧، حوادث سنة ٣. وراجع أيضاً السيرة النبويّة لابن هشام ٣: ٤٦ ـ ٤٧؛ تاريخ الطبري ٢: ٥١٨، حوادث سنة ٣.

أنصت؛ مخافة أن يسمعه العدوّ فيثب عليه، فسكت الرجل.

ثمّ أشرف أبو سفيان على المسلمين فقال: أفي القوم محمّد؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تجيبوه»(١) مخافة أن يعرف أنّه حيّ فيشدّ عليه بمن معه من أعداء الله ورسوله، ثمّ نادى: أُنشدك الله يا عمر أقتلنا محمّداً؟ فقال عمر(٢): اللهمّ لا، وإنّه والله ليسمع كلامك. فقال أبو سفيان: أنت أصدق من ابن قَمِئة، وأنت تراه.

قد أجاب أبا سفيان مع نهيه ﷺ إيّاهم عن جوابه، وما ذاك إلّا لكونه متأوّلاً. وحسبك بهذا دليلاً على معذرة المتأوّلين.

وأنكر على رسول الله ﷺ يوم مات المنافق ابن أُبيّ؛ حيث جاء ابنه فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أُكفّنه فيه، وصلّ عليه، واستغفر له، فأعطاه قميصه وقال: «إذا فرغت منه فآذنّا». ولم يكن ﷺ حينئذٍ قد نُهي عن الصلاة على المنافقين(٣)

---

(١) كما في غزوة أُحد من تاريخي ابن الأثير، وابن جرير، ومن طبقات ابن سعد، ومن السيرتين الحلبيّة، والدحلانيّة[1]، وسائر الكتب المشتملة على هذه الغزوة[2].

(٢) فيما رواه عنه كلّ من أرّخ غزوة أُحد، كابن سعد في طبقاته، وابن جرير، وابن الأثير، وسائر أهل السير والأخبار[3].

(٣) فيما رواه أصحابنا عن أئمّة الهدى من آل محمّد ﷺ [4]. ونقله صاحب مجمع البيان عن ابن عبّاس وجابر وقتادة[5].

---

١. الكامل في التاريخ ٢: ١٦٠، حوادث سنة ٣؛ تاريخ الطبري ٢: ٥٢٧، حوادث سنة ٣؛ الطبقات الكبرى ٢: ٤٧؛ السيرة الحلبيّة ٢: ٥٣١؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٦١.

٢. كالسيرة النبويّة لابن هشام ٣: ٩٩.

٣. راجع المصادر المتقدّمة.

٤. لم نجده مروياً عن الأئمّة عليهم السلام.

٥. مجمع البيان ٥: ٥٧، ذيل الآية ٨٤ من سورة التوبة (٩).

وكانت الحكمة فيما فعله ﷺ بالغة، وقد قيل له ﷺ[١]: لِم وجّهت قميصك إليه يكفّن فيه؟ فقال: «إنّ قميصي لن يغني عنه من الله شيئاً، وإنّي أُؤمّل أن يدخل بهذا السبب في الإسلام خلق كثير». فروي أنّه أسلم بهذا السبب ألف من الخزرج[٢] ولكنّ عمر ﵁ لم يدرك الحكمة فيما فعله رسول الله ﷺ فأنكر عليه فعله حتّى جذبه بردائه وهو واقف للصلاة عليه.

والقضيّة ثابتة أخرجها البخاري في الصفحة الثانية من كتاب اللباس من صحيحه[٣]، ورواها كافّة محدّثي السنّة ومؤرّخيهم[1]. وقد بلغت القحّة هنا ببعض الجاهلين مبلغاً لا يليق بذي دين، والأولى بفصولنا الإعراض عن فضولهم.

وأنكر عليه أمره ﷺ أبا هريرة أن يبشّر بالجنّة كلّ من لقيه من أهل التوحيد، حيث اقتضت الحكمة يومئذٍ تنشيط الموحّدين وتشويق الناس إلى التوحيد وترغيبهم في الإسلام بتسهيل الأمر عليهم، وكانت الحاجة في تلك الأوقات إلى ذلك شديدة، فأنكر عمر ذلك وضرب أبا هريرة ـ وهو رسول النبيّ ﷺ ردعاً له

---

(١) في رواية ذكرها صاحب مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً﴾ من سورة التوبة[2].

(٢) نقل الإمام الطبرسي هذه الرواية في تفسير الآية من مجمع البيان عن الزجّاج[3].

(٣) في أوّل صفحة ١٨ من جزئه الرابع[4].

---

١. كما في مسند أحمد ٢: ٢٣٧، ح ٤٦٨٠؛ الجامع الصحيح ٥: ٢٧٩ ـ ٢٨٠، ح ٣٠٩٨؛ سنن ابن ماجة ١: ٤٨٧ ـ ٤٨٨، ح ١٥٢٣.

٢ و٣. مجمع البيان ٥: ٥٧، ذيل الآية ٨٤ من سورة التوبة (٩).

٤. صحيح البخاري ٥: ٢١٨٤، ح ٥٤٦٠.

عن أداء ما أمره به رسول الله ـ ضربة خرّ بها إلى الأرض. والقضيّة ثابتة، فراجعها في صحيح مسلم(١).

وترك **أبو بكر وعمر** ـ رضي الله عنهما ـ **قتل رجل** أمرهما النبيّ ﷺ بقتله، وأخبرهم أنّه لو قتل، ما اختلف بعده اثنان، في قضيّة مستفيضة أخرجها المحدّثون بأسانيدهم المعتبرة، ونقلها أهل السير والأخبار. وحسبك منها ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في صفحة ١٥ من الجزء الثالث من مسنده من حديث أبي سعيد الخُدري قال: إنّ أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّي مررت بوادي كذا وكذا، فإذا رجل متخشّع حسن الهيئة يصلّي. فقال له النبيّ ﷺ: «اذهب إليه فاقتله». قال: فذهب إليه أبو بكر فلمّا رآه على تلك الحال، كره أن يقتله، فرجع إلى رسول الله ﷺ. قال: فقال النبيّ ﷺ لعمر: «اذهب فاقتله»، فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر. قال: فكره أن يقتله. قال: فرجع فقال: يا رسول الله، إنّي رأيته يصلّي متخشّعاً فكرهت أن أقتله. قال: «يا عليّ، اذهب فاقتله». قال: فذهب عليّ فلم يره، فرجع عليّ فقال: «يا رسول الله، إنّي لم أره». قال: فقال النبيّ ﷺ: «إنّ هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تَراقِيَهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَمِيّة، ثمّ لا يعودون فيه حتّى يعود السهم في فُوقِه، فاقتلوهم، هم شرّ البريّة»[1]. انتهى.

---

(١) في باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاكّ فيه، دخل الجنّة وحرم على النار» وهو في أوائل الجزء الأوّل من الصحيح[2].

---

١. مسند أحمد ٤: ٣٣، ح ١١١١٨.

٢. صحيح مسلم ١: ٥٩ ـ ٦٠، كتاب الإيمان، ح ٥٢. ذكره في باب الدليل على أنّ من مات على التوحيد دخل الجنّة قطعاً.

وأخرج أبو يعلى في مسنده ـ كما في ترجمة ذي الثدية من إصابة ابن حجر[١] ـ عن أنس قال: كان في عهد رسول الله رجل يُعجبنا تعبّده واجتهادُه، وقد ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجلُ قلنا: هو هذا. قال: «إنّكم لَتُخبرونّي عن رجل إنّ في وجهه لسُفْعَة من الشيطان» فأقبل حتّى وقف عليهم ولم يسلّم، فقال له رسول الله ﷺ: «أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم أحد أفضلُ منّي أو خير منّي؟» قال: اللهمّ نعم. ثمّ دخل يصلّي، فقال رسول الله ﷺ: «من يقتل الرجل؟» فقال أبوبكر: أنا، فدخل عليه فوجده يصلّي، فقال: سبحان الله أقتل رجلاً يصلّي؟! فخرج، فقال رسول الله ﷺ: «ما فعلت؟» قال: كرهت أن أقتله وهو يصلّي، وأنت قد نهيت عن قتل المصلّين. قال: «من يقتل الرجل؟» قال عمر: أنا، فدخل فوجده واضعاً جبهته، فقال عمر: أبو بكر أفضل منّي، فخرج، فقال له النبيّ ﷺ: «مهيم؟» قال: وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن أقتله. فقال: «من يقتل الرجل؟» فقال عليّ: «أنا» فقال ﷺ: «أنت إن أدركته» فدخل عليه فوجده قد خرج، فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: «مهيم؟». قال: «وجدته قد خرج». قال: «لو قُتل، ما اختلف من أُمّتي رجلان»[٢] الحديث.

وأخرجه الحافظ محمّد بن موسى الشيرازي في كتابه الذي استخرجه من تفاسير يعقوب بن سفيان، ومقاتل بن سليمان، ويوسف القطّان، والقاسم بن سلام، ومقاتل بن حيّان، وعليّ بن حرب، والسدّي، ومجاهد، وقتادة، ووكيع، وابن جريح.

وأرسله إرسال المسلّمات جماعة من الأثبات، كابن عبد ربّه الأندلسي عند انتهائه إلى القول في أصحاب الأهواء من الجزء الأوّل من عقده الفريد، وقد جاء في

١. الإصابة ٢: ٣٤١، الرقم ٢٤٥٢.

٢. مسند أبي يعلى ١: ٩٠ ـ ٩١، ح ٩٠ بتفاوت.

آخر ما حكاه في هذه القضيّة أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ هذا لأوّل قرن يطلع في أمّتي، لو قتلتموه، ما اختلف بعده اثنان، إنّ بني إسرائيل افترقت اثنتين وسبعين فرقة، وإنّ هذه الأمّة ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة، كلّها في النار إلّا فرقة(١) واحدة»[1].

وقريب من هذه القضيّة ما أخرجه الإمام أحمد من حديث عليّ في صفحة ١٥٥ من مسنده قال: جاء النبيّ ﷺ أُناس من قريش فقالوا: يا محمّد، إنّا جيرانُك وحلفاؤك، وإنّ ناساً من عبيدنا قد أتوك، ليس بهم رغبةٌ في الدين، ولا رغبة في الفقه، إنّما فرّوا من ضِياعنا وأموالنا، فارددهم إلينا. فقال لأبي بكر: «ما تقول؟» قال: صدقوا، إنّهم جيرانك. قال: فتغيّر وجه النبيّ ﷺ ثمّ قال لعمر: «ما تقول؟» قال: صدقوا، إنّهم لجيرانك وحلفاؤك، فتغيّر وجه النبيّ ﷺ[2].

وكان بعضهم يلمزه في الصدقات قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[3].

وأخرج البخاري(٢) عن عبد الله بن مسعود قال: قسم النبيّ ﷺ قسمةً كبعض ما كان يَقْسِم، فقال رجل من الأنصار: والله إنّها لقسمةٌ ما أُريدَ بها وجه الله. قلت: أمّا أنا لأقولنّ للنبيّ ﷺ، فأتيتُه وهو في أصحابه فسارَرْتُه، فشقّ ذلك على النبيّ ﷺ وتغيّر وجهه، وغضب حتّى وددت أنّي لم أكن أخبرتُه، ثمّ قال: «قد أُوذي

(١) «فرقة» و «شيعة» لفظان، بحساب الجمل مترادفان؛ لأنّ كلّاً منهما ٣٨٥، وهذا بما تتفأّل به تلك الفرقة.

(٢) في باب الصبر على الأذى من كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من الجزء الرابع من صحيحه[4].

١. العقد الفريد ٢: ٢٤٤ ـ ٢٤٥ بتفاوت.

٢. مسند أحمد ١: ٣٢٧، ح ١٣٣٥.

٣. التوبة (٩): ٥٨.

٤. صحيح البخاري ٥: ٢٢٦٣، ح ٥٧٤٩.

موسى عليه السلام بأكثر من ذلك فصبر». انتهى.

وأخرج البخاري أيضاً(١) عن عبد الله قال: لمّا كان يوم حُنين، آثـر النـبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أُناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عُيينةَ مثل ذلك، وأعطى أُناساً من أشراف العرب، فآثرهم في القسمة [تألّفاً لقلوبهم وقلوب عشائرهم، وترغيباً لهم في الإسلام][١]. فقال رجل: والله إنّ هذه القسمة ما عدل بها. فقلت: والله لأُخبرنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيته فأخبرته، فقال: «فمن يعدل إذا لم يعدل الله(٢) ورسوله؟ رحم الله موسى قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر». انتهى.

وأخرج الإمام أحمد من حديث عمر في صفحة ٢٠ من الجزء الأوّل من مسنده عن الأعمش عن شقيق، عن سلمان بن ربيعة قال: سمعت عمر يقول: قسم رسول الله قسمةً، فقلت: يا رسول الله، لغير هؤلاء أحقُّ منهم، أهل الصفّة. قال: فقال رسول الله: «إنّكم تسألوني بالفُحش»[٢]. الحديث.

وكان بعضهم يتنزّه عن الشيء يرخّص فيه رسول الله ويفعله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) في أواخر كتاب الجهاد والسير في صفحة ١٣٢ من الجزء الثاني من صحيحه، وهناك عدّة أحاديث بهذا المعنى[٣].

(٢) قوله: «إذا لم يعدل الله ورسوله» نصّ بأنّه ـ بأبي هو وأُمّي ـ كان مأموراً من الله تعالى بتلك القسمة التي أنكرها المنافقون الجاهلون بحكمته البالغة ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٤].

---

١. ما بين المعقوفين ليس في المصدر، ولعلّه من إضافات المصنّف.

٢. مسند أحمد ١: ٥٣ ـ ٥٤، ح ١٢٧. وتمام كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّكم تخيّروني بين أن تسألوني بالفحش، وبين أن تُبخّلوني، ولست بباخلٍ».

٣. صحيح البخاري ٣: ١١٤٨، ح ٢٩٨١، و١٢٤٩، ح ٣٢٢٤؛ ٤: ١٥٧٦، ح ٤٠٨٠ ـ ٤٠٨١.

٤. النجم (٥٣): ٤.

أخرج البخاري(١) عن عائشة قالت: صنع النبيّ ﷺ شيئاً فرخّص فيه، فتنزّه عنه قوم، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فخطب فحمد الله، ثمّ قال: «ما بال أقوامٍ يتنزّهون عن الشيء أصنعه، فوالله إنّي لأعلمُهم بالله، وأشدّهم له خشيةً». انتهى.

وسأل رسول الله ﷺ حاطب بن بلتعة حين أرسل صحيفته إلى المشركين فقال له: «ما حملك على ما صنعت؟» قال: أردت أن يكون لي عند القوم يدٌ يُدفع بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك أحد إلّا له هُناك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال رسول الله ﷺ: «صدق، لا تقولوا له إلّا خيراً». فقال عمر: قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني فلأضرب عنقه. الحديث.

أخرجه البخاري في آخر كتاب استتابة المرتدّين من الجزء الرابع من صحيحه[١]. وفي مواضع أُخر من الصحيح[٢].

ولا يخفى ما فيه من الدلالة على ما قلناه. ولو أردنا استيفاء ما كان من هذا القبيل من موارد تأوّلهم في مقابل الدليل، لطال الباب وخرجنا عن خُطّة الكتاب، فعساك تقنع بعد هذا بمعذرة المتأوّلين، وتقلع عمّا ابتدعه طَغامُ المرجفين.

[أحداث عثمان]

وإن أردت المزيد، وابتغيت التأكيد، فخذ منّي ـ مضافاً إلى ما تلوناه، وعلاوة على ما أسلفناه ـ دليلاً قاطعاً، وبرهاناً ساطعاً لا ترتاب بعده في معذرة المتأوّلين، ولا تشكّ في نجاتهم يوم الدين، وحاصله: أنّ الجمهور أجمعوا على خلافة عثمان منذ

---

(١) في كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من الجزء الرابع من صحيحه[٣].

---

١. صحيح البخاري ٦: ٢٥٤٣، ح ٦٥٣٩.

٢. المصدر ٣: ١٠٩٥، ح ٢٨٤٥، و ١١٢٠، ح ٢٩١٥؛ و ٤: ١٤٦٣، ح ٣٧٦٢، وغير هذه المواضع.

٣. المصدر ٥: ٢٢٦٣، ح ٥٧٧٠.

بويع حتّى قتل، مع ما كان في أيّامه من الأحداث التي لولا حمله فيها على التأوّل، لبطلت إمامته وسقط عن أريكة الخلافة، وحسبك من تلك الأحداث ما هو معلوم بالتواتر وضرورة التأريخ، وسأتلو عليك يسيراً منها نقلاً من كتاب الملل والنحل للشهرستاني بعين لفظه، قال[1]:

منها: ردّه الحكم بن أُميّة إلى المدينة بعد أن طرده النبيّ عليه‌السلام، وكان يسمّى طريد رسول الله، وبعد أن تشفّع إلى أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ أيّام خلافتيهما فما أجاباه إلى ذلك، ونفاه عمر من مقامه [باليمن] أربعين فرسخاً.

ـ قال: ـ ومنها: نفيه أبا ذرّ إلى الربذة. وتزويجه مروان بن الحكم بنته. وتسليمه خمس غنائم أفريقيّة له، وقد بلغت مائتي ألف دينار.

ـ قال: ـ ومنها: إيواؤه عبد الله بن سعيد بن أبي سرح، بعد أن أهدر النبيّ عليه‌السلام دمه، وتوليته إيّاه مصر بأعمالها. وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتّى أحدث [فيها] ما أحدث، إلى غير ذلك ممّا نقموا عليه. انتهى.

قلت: كإحراقه المصاحف؛ جمعاً للناس على قراءة واحدة، كما هو مقرّر معلوم، وقد نصّ عليه المؤرّخون وأرسله ابن الأثير في كامله إرسال المسلّمات[2]، وكحماية الحمى، وإعطائه المقاتلة من مال الصدقة، وإيثاره أهل بيته بالأموال، وضربه عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود، وعدم إقامته الحدَّ على عبيد الله بن عمر قاتل الهرمزان،

---

(١) في أثناء الخلاف التاسع من الاختلافات التي أوردها في المقدّمة الرابعة من المقدّمات الخمس التي جعلها في أوّل كتابه الملل والنحل[1]. فراجع.

(٢) وذلك حيث ذكر غزوة حذيفة الباب وأمر المصاحف في صفحة ٤٢ من الجزء ٣[2].

---

١. الملل والنحل ١: ٢٦، وفيه: «عبد الله بن سعد».

٢. الكامل في التاريخ ٣: ١١٢، حوادث سنة ٣٠.

وكتابه إلى أهل مصر بقتل محمّد بن أبي بكر وجماعة آخرين من فضلاء المسلمين[١].

ومن موارد تأوّله أنّه كان إذا خرج من مكّة إلى عرفات يتمّ فيها وفي منى صلاة الظهرين والعشاء، مع أنّ النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا إذا خرجوا إليها يقصرون صلاتهم فيهما، بل كان عثمان أوّل إمارته يقصر أيضاً. روى ذلك البخاري في باب الصلاة بمنى من كتاب الحجّ من صحيحه[٢](١).

وأنت تعلم أنّ عذره في كلّ هذه الأُمور كونه متأوّلاً مجتهداً، وبهذا حفظتْ عندهم عدالتُه وإمامتُه، فمن بعدها لا يقول بمعذرة المتأوّلين؟

[المجلبين على عثمان وما كان منهم بعد قتله]

والأبلغ من هذا كلّه في معذرة المتأوّلين إجماعهم على عدالة كثير من المُجلبين عليه، كعائشة، وطلحة، والزبير، وعمّار بن ياسر، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعمرو بن العاص، وغيرهم؛ ضرورة أنّه لا يتسنّى لهم الحكم بإمامة المقتول وعدالة من أمر بقتله ونبزه باسم اليهود فقال: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً، اقتلوا نعثلاً فقد كفر[٣]. إلّا بناءً على ما قلناه.

وإن أردت المزيد فأعتق رقبتك من رقّ التقليد وانظر فيما كان من عائشة وطلحة

---

(١) وأخرجه مسلم في باب قصر الصلاة بمنى من كتاب صلاة المسافر من الجزء الأوّل من صحيحه[٤] بأسانيد متعدّدة وطرق مختلفة.

---

١. راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١١ ـ ٦٩؛ بحار الأنوار ٣١: ١٤٩ وما بعدها، كتاب الفتن والمحن، الباب ٢٥.

٢. صحيح البخاري ٢: ٥٩٦ ـ ٥٩٧، ح ١٥٧٢.

٣. راجع: الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٦ حوادث سنة ٣٦؛ تاريخ الطبري ٤: ٤٥٩، حوادث سنة ٣٦.

٤. صحيح مسلم ١: ٤٨٢ ـ ٤٨٣، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ح ١٦ ـ ٢١.

أيّام عثمان من تأليب الناس عليه، وما كان منهما بعد قتله، وانعقاد البيعة لأمير المؤمنين من الذهاب إلى البصرة طلباً بثأر عثمان. فهم غير مصيبين في إحدى الحالين، أو في كليهما قطعاً، لكنّ الجمهور عذّروهم أوّلاً وآخراً، وذلك ليس إلّا لما قلناه. وبه يتمّ ما أردناه.

وإن أوجست في نفسك ريبةٌ فيما نقول فانظر إلى ما كان من طلحة والزبير وعائشة في البصرة مع عثمان بن حنيف الأنصاري، وحكيم بن جبلة العبدي، وغيرهما من شيعة عليّ عليه السلام ممّا لا يخلو منه كتاب من كتب الأخبار، وقد اشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار، من القتل الذريع، والنهب الفظيع، والمُثلة بعثمان بن حنيف حيّاً(١) هذا كلّه قبل مجيء أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة، ثمّ جاء:

فكانَ ما كانَ مِمَّا لَسْتُ أذْكُره فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخَبَرِ[1]

فهل تجد وجهاً للجزم بعدالة هؤلاء والقطع بمعذرتهم إلّا ما يذكره الجمهور من تأوّلهم في كلّ ما فعلوه، وبه يتجلّى لك عذر المتأوّلين.

[رأي الجمهور في معاوية]

دع كلّ ما ذكرناه، وعرّج على رأي الجمهور في معاوية تجد هناك معذرة المتأوّلين قالَباً حِسّيّاً، وتُلْفِها أمامك شخصاً مرئيّاً، فإنّه لمّا كان متأوّلاً

(١) إن أردت التفصيل، فعليك بتاريخ ابن جرير، أو كامل ابن الأثير، أو ما شئت من كتب الأخبار[2].

١. من أشعار ابن المعتزّ، راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ٤٥.

٢. تاريخ الطبري ٤: ٤٦١ ـ ٤٧٧، حوادث سنة ٣٦؛ الكامل في التاريخ ٣: ٢١٠ ـ ٢٢٠، حوادث سنة ٣٦؛ الجمل للمفيد: ٢٧٣ وما بعدها؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٣١٠ ـ ٣٢٣.

على زعمهم، لم يقدح في عدالته عندهم إلحاقه زياداً بأبيه ـ أبي سفيان ـ بدعوى أنّه عاهَر سميّة وهي على فراش عُبيد؛ مستنداً في ذلك إلى شهادة أبي مريم القوّاد الخمّار، مع قول رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»[1](١).

وقوله من حديث(٢): «ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو ردّ». وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[2].

وكان فعله هذا أوّل عمل جاهلي عمل به في الإسلام علانية، فلم يقدح مع ذلك

---

(١) هذا الحديث متواتر قاله رسول الله ﷺ حين ترافع إليه سعد بن أبي وقّاص وعبد بن زَمْعة في غلام عهد عتبة بن أبي وقّاص إلى أخيه سعد أنّه ابنه بسفاح الجاهليّة. فقال سعد: يا رسول الله، إنّه ابن أخي وقد عهد به إليّ وعليه شبهة. وقال عبد بن زمعة: إنّه أخي وابن أبي وُلد على فراشه من جاريته. فنظر النبيّ ﷺ إلى الغلام فرأى عليه شبه عتبة بيّناً ولم يلحقه مع ذلك به وإنّما ألحقه بزمعة، وقال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».
أخرج البخاري هذه القضيّة بهذه الكيفيّة في ثلاثة مواضع من كتاب البيوع في أوّل الجزء الثاني من صحيحه، وأخرجه مسلم بطرق مختلفة في باب الولد للفراش من كتاب الرضاع من صحيحه[3].

(٢) أخرجه البخاري في باب النجش من كتاب البيوع في صفحة ١٢ من الجزء الثاني من صحيحه[4].

---

١. راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٧٩ وما بعدها.

٢. الأحزاب (٣٣): ٥.

٣. صحيح البخاري ٢: ٧٢٤، ح ١٩٤٨، و ٧٧٣، ح ٢١٠٥؛ صحيح مسلم ٢: ١٠٨٠ ـ ١٠٨١، كتاب الرضاع، ح ٣٦ ـ ٣٧.

٤. صحيح البخاري ٢: ٧٥٣، بداية باب النجش.

عند الجمهور في عدالته، ولم يمنع محمّد بن إسماعيل البخاري عن الاحتجاج به في صحيحه(١).

وأيضاً لم يخدش في وثاقته عندهم عهده بالخلافة إلى ابنه يزيد، وهو صبيّ يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ولا يعرف من الدين موطئ قدمه، مع معرفته بليله ونهاره، وإعلانه وإسراره، وعلمه بمنزلة الحسين عليه السلام من الله عزّ وجلّ، ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومحلّه في نفوس المؤمنين.

على أنّه كان يومئذٍ في المهاجرين، والأنصار، وبقيّة البدريّين، وأهل بيعة الرضوان جمّ غفير وعدد كثير كلّهم قارئ للقرآن، عالم بمواقع الأحكام، خبير بالسياسة، حقيق على رأي الجمهور بالخلافة والرئاسة، فلم يراعِ سابقتهم في الإسلام، ولا عناءهم في تأييد الدين، وأمَّر عليهم شرّيره المتهتّك، وسكّيره المفضوح، فكان منه في طفّ كربلاء مع سيّد شباب أهل الجنّة وخامس أصحاب الكساء ما أثكل النبيّين، وأبكى الصخر الأصمّ دماً، ورمى المدينة الطيّبة بمجرم بن عقبة[1]، وكان أبوه معاوية

---

(١) جميع المحدّثين من أهل السنّة يحتجّون بمعاوية ويعتمدون عليه في مسانيدهم وصحاحهم، أمّا البخاري فقد احتجّ به في كتاب الجهاد والسير في باب قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾[2] من صحيحه. واحتجّ به أيضاً في أوّل باب وصل الشعر من كتاب اللباس[3]. وفي مواضع أُخر[4] لا تخفى على المتتبّع.

---

١. أراد به مسلم بن عُقبة.

٢. الأنفال (٨): ٤١.

٣. صحيح البخاري ٣: ١١٣٤، ح ٢٩٤٨؛ و١: ٣٩، ح ٧١؛ و٥: ٢٢١٦، ح ٥٥٨٨.

٤. راجع المصدر ١: ٣٩، ح ٧١؛ و٣: ١٢٧٩، ح ٣٢٨، و ١٢٨٥، ح ٣٢٩٩، و ١٣٣١، ح ٣٤٤٢؛ و٥: ٢٢١٦، ح ٥٥٨٨، و ٢٢١٨، ح ٥٥٩٤؛ و٦: ٢٦٦٧، ح ٦٨٨٢، و ٢٧١٤، ح ٧٠٢٢.

قد عهد(١) بذلك إليه كما نصّ عليه جماعة(٢) فكانت أُمور تكاد السماوات يتفطّرن منها. وحسبك أنّهم أباحوا المدينة المنوّرة ثلاثة أيّام حتّى افتضّ فيها ألف عذراء من بنات المهاجرين والأنصار، كما نصّ عليه السيوطي في تاريخ الخلفاء[1]، وعلمه جميع الناس(٣)، وقتل يومئذٍ من المهاجرين والأنصار وأبنائهم وسائر المسلمين اللائذين

(١) غير مبالٍ بدعاء النبيّ ﷺ على من أخاف أهل المدينة، ولا مكترث بقوله ﷺ: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله ـ عزّ وجلّ ـ وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً».

أخرجه أحمد من حديث السائب بن خلّاد بطريقين في صفحة ٥٦ من الجزء ٤ من مسنده[2].

(٢) منهم الإمام ابن جرير الطبري في الصفحة الأخيرة من حوادث سنة ٦٣ في أوائل الجزء ٧ من تاريخه، وابن عبد ربّه المالكي حيث ذكر وقعة الحرّة في الجزء الثاني من العقد الفريد[3].

(٣) حتّى قال ابن الطقطقي في صفحة ١٠٧ من تاريخه المعروف بـ«الفخري» ما هذا لفظه:

فقيل: إنّ الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان إذا زوّج ابنته لا يضمن بكارتها، ويقول: لعلّها افتضّت في وقعة الحرّة[4]. انتهى.

وقال الفاضل الشبراوي في صفحة ٦٦ من كتابه الإتحاف:

وافتضّ فيها نحو ألف بكر وحمل فيها من النساء اللاتي لا أزواج لهنّ نحو من ألف امرأة[5].

←

١. تاريخ الخلفاء: ٢٠٩.

٢. مسند أحمد ٥: ٥٦٤، ح ١٦٥٥٧ و ١٦٥٥٩.

٣. تاريخ الطبري ٥: ٤٩٥، حوادث سنة ٦٣؛ العقد الفريد ٥: ١٣٦.

٤. الفخري في الآداب السلطانيّة: ١٢٠، أورد هذا الكلام في هامشه.

٥. الإتحاف بحبّ الأشراف: ٦٦. وراجع أيضاً البداية والنهاية ٨: ٢٤١، حوادث سنة ٦٣.

بضريح سيّد النبيّين صلى الله عليه وآله ١٠٧٨٠ رجلاً، ولم يبقَ بعدها بدري(١)، وقتل من النساء والصبيان عدد كثير، وكان الجندي يأخذ برجل الرضيع فيجذبه من اُمّه ويضرب به الحائط فينتثر دماءه على الأرض واُمّه تنظر إليه، ثمّ اُمروا بالبيعة ليزيد.

على أنّهم خَوَلٌ وعبيد، إن شاء استرقّ وإن شاء أعتق، فبايعوه على ذلك وأموالهم مسلوبة، ورحالهم منهوبة، ودماؤهم مسفوكة، ونساؤهم مهتوكة، وبعث مجرم بن عقبة[1] برؤوس أهل المدينة إلى يزيد، فلمّا اُلقيت بين يديه قال:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا. الأبيات(٢).

← وقال ابن خلّكان وقد ذكر الحرّة في ترجمة يزيد بن القعقاع القارئ المدني من وفياته ما هذا لفظه:

كان يزيد بن معاوية في مدّة ولايته قد سيّر إلى المدينة جيشاً مقدّمه مسلم بن عقبة المرّي فنهبها، وأخرج أهلها إلى هذه الحرّة، فكانت الوقعة بها، وجرى فيها ما يطول شرحه، وهو مسطور في التواريخ، حتّى قيل: إنّه بعد وقعة الحرّة ولدت أكثر من ألف بكر من أهل المدينة بسبب ما جرى فيها من الفجور[2].

(١) نصّ على ذلك ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة[3]، وغير واحد من أهل الأخبار[4].

(٢) إرسال رؤوس أهل المدينة إلى يزيد وإنشاده أبيات ابن الزبَعْرى مشهور مستفيض، وقد ذكره ابن عبد ربّه في أواخر وقعة الحرّة من العقد الفريد[5]، ونقل هناك اعتراف يزيد بارتداده عن الإسلام.

---

١. أراد به مسلم بن عقبة.

٢. وفيات الأعيان ٦: ٢٧٦، الرقم ٨١٤.

٣. اُنظر الإمامة والسياسة ٢: ١٠ ـ ١١.

٤. اُنظر: تاريخ خليفة بن خيّاط: ١٩٢، حوادث سنة ٦٣؛ معجم البلدان ٢: ٢٤٩، «الحرّة».

٥. العقد الفريد ٥: ١٣٩.

ثمّ توجّه مجرم[١] لقتال ابن الزبير فهلك في الطريق، وتأمّر بعده الحُصين بن نمير بعهد من يزيد، فأقبل حتّى نزل على مكّة المعظّمة، ونصب عليها العرّادات والمجانيق(١) وفرض على أصحابه عشرة آلاف صخرة في كلّ يوم يرمونها بها، فحاصروهم بقيّة المحرّم وصفر وشهري ربيع، يغدون على القتال ويروحون، حتّى جاءهم موت يزيد وكانت المجانيق أصابت جانب البيت فهدمته مع الحريق الذي أصابه.

وفظائع يزيد من أوّل عمره إلى انتهاء أمره أكثر من أن تحويها الدفاتر، أو تُحصيها الأقلام والمحابر، قد شوّهت وجه التاريخ، وقبّحت صحائف السير. وكان أبوه يرى كلابه وقروده وصقوره وفهوده، ويطّلع على خموره وفجوره، ويشاهد الفظائع من كلّ أُموره، ويعاين لعبه من الغواني، ويعرف خبثه بكلّ المعاني، ويعلم أنّه ممّن لا يؤتمن على نقير، ولا يولّى أمر قطمير. فكيف رفعه والحال هذه إلى أوج الخلافة، وأحلّه عرش المُلك والإمامة، وملّكه رقاب المسلمين، وسلّطه على أحكام الدنيا والدين؟! فغشّ بذلك أُمّته، ولم ينصح رعيّته. وقد قال رسول الله ﷺ ـ فيما أخرجه البخاري في الورقة الأُولى من كتاب الأحكام من صحيحه (٢) ـ: «ما من والٍ يلي رعيّة من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلّا حرّم الله عليه الجنّة».

وقال ﷺ ـ فيما أخرجه أحمد من حديث أبي بكر في صفحة ٦ من الجزء الأوّل

---

(١) ذكر ذلك ابن قتيبة في صفحة ٢١٤ من كتابه الإمامة والسياسة[٢].

(٢) في صفحة ٢٥٠ من جزئه الرابع[٣].

---

١. يعني مسلم بن عُقبة.

٢. الإمامة والسياسة ٢: ١٢.

٣. صحيح البخاري ٦: ٢٦١٤، ح ٦٧٣٢.

من مسنده ـ: «من ولي من أُمور المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً مُحاباةً فعليه لعنةُ الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتّى يدخله جهنّم»[١].

وقال ﷺ ـ فيما أخرجه البخاري في تلك الورقة أيضاً ـ: «ما من عبد استرعاه الله رعيّةً فلم يَحُطها بنصيحة إلّا لم يجد رائحة الجنّة»[٢].

والجمهور يعذرونه في ذلك بناءً على اجتهاده، كما عذر بعضهم في وقعتي الطفّ والحرّة أكفر أولاده(١).

وعذّروه أيضاً في قتله عباد الله الصالحين، كعمرو بن الحمق الخزاعي، وكان بحيث أبلته العبادة[٣]، ورأسه أوّل رأس حمل في الإسلام[٤]، قتله ـ وهو من خيار الصحابة ـ بحبّه عليّاً عليه السلام. وكحجر بن عدي الكندي وكان من فضلاء الصحابة أيضاً، قتله وأصحابه البررة الأتقياء؛ إذ لم يلعنوا له عليّاً عليه السلام[٥].

---

(١) بل اعتقد قوم من الجمهور أنّ يزيد كان من أولياء الله، وأنّ من توقّف فيه وقفه الله على نار جهنّم. فراجع ما حكاه ابن تيمية عنهم في الرسالة ٧ من مجموعة الرسائل الكبرى[٦] في صفحة ٣٠٠ من جزئها الأوّل.

ونقل القسطلاني في باب ما قيل في قتال الروم من كتاب الجهاد من إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري[٧] في صفحة ٢٣٠ من جزئه السادس عن المهلّب أنّه كان يقول بثبوت خلافة يزيد، وإنّه من أهل الجنّة. ←

---

١. مسند أحمد ١: ٢٤، ح ٢١.

٢. صحيح البخاري ٦: ٢٦١٤، ح ٦٧٣١.

٣. راجع اختيار معرفة الرجال: ٤٩، الرقم ٩٩.

٤. راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٩٠.

٥. المصدر ٥: ٣١.

٦. مجموعة الرسائل الكبرى ١: ٣٠٥.

٧. إرشاد الساري ٥: ١٠٤.

ومعاوية هو الذي قتل الحسن سلام الله عليه بسمّ دسّه إليه، فسقته إيّاه بنت الأشعث عليها اللعنة، علم بذلك كافّة أهل البيت وشيعتهم، واعترف به جماعة من غيرهم.

قال أبو الحسن المدائني ـ كما في أوائل الجزء ١٦ من شرح النهج لابن أبي الحديد في الصفحة ٤ من المجلّد ٤ طبع مصر ـ:

كانت وفاة الحسن سنة ٤٩ وكان مريضاً ٤٠ يوماً وكان سنّه ٤٧ سنة، دسّ إليه معاوية سمّاً على يد جعدة بنت الأشعث، وقال لها: إن قَتَلتِهِ بالسمّ، فلكِ مائة ألف، وأُزوّجكِ يزيد، فلمّا مات، وفى لها بالمال ولم يزوّجها من يزيد، وقال: أخشى أن تصنعي بابني ما صنعتِ بابن رسول الله ﷺ[1]. انتهى.

ونقل المدائني عن الحصين بن المنذر الرقاشي ـ كما في صفحة ٧ من

← ونقل ابن خلدون في صفحة ٢٤١ أثناء الفصل الذي عقده في مقدّمته[2] لولاية العهد عن القاضي أبي بكر بن العربي المالكي أنّه قال في كتابه الذي سمّاه بـالعواصم والقواصم ما معناه: أنّ الحسين قتل بشرع جدّه ﷺ.

وذكر ابن الأثير في عدّه حوادث سنة ٥٨٣ في آخر ورقة من الجزء ١١ من كامله[3]:

أنّ في تلك السنة مات عبد المغيث بن زهير ببغداد. ـ قال: ـ وكان من أعيان الحنابلة، قد سمع الحديث الكثير، وصنّف كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية أتى فيه بالعجائب، وقد ردّ عليه أبو الفرج ابن الجوزي، وكان بينهما عداوة.

قلت: والذين عذّروا يزيد من أوليائه واعتذروا عنه كثيرون، منهم ابن تيمية فيما تقدّمت إليه الإشارة من رسالته السابعة، والغزالي في الآفة الثامنة من كتاب آفات اللسان من إحياء العلوم[4] في صفحة ١١٢ من جزئه الثالث.

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١١.

٢. تاريخ ابن خلدون ١: ٢٧١، الباب ٢، الفصل ٣٠.

٣. الكامل في التاريخ ١١: ٥٦٢ـ٥٦٣، حوادث سنة ٥٨٣.

٤. إحياء علوم الدين ٣: ١٣٤.

المجلّد الرابع من شرح النهج طبع مصر أيضاً ـ:

أنّه كان يقول: والله ما وفى معاوية للحسن بشيءٍ ممّا أعطاه، قتل حجراً وأصحابه، وبايع لابنه يزيد، وسمّ الحسن[1]. انتهى.

وقال أبو الفرج الإصفهاني المرواني في كتابه مقاتل الطالبيّين حيث ذكر السبب في وفاة الحسن عليه السلام ما هذا لفظه:

وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن عليّ، وسعد بن أبي وقّاص، فدسّ إليهما سمّاً فماتا منه[2]. إلى آخره.

وفي صفحة ١٧ من المجلّد ٤ من شرح ابن أبي الحديد طبع مصر ما يلفت الأنظار في هذا المقام، فراجعه لتعلم ما قلناه[3].

وروى ابن عبد البرّ في ترجمة الحسن من استيعابه عن قتادة وأبي بكر بن حفص أنّ بنت الأشعث سقت الحسن بن عليّ السمّ، ثمّ قال: وقالت طائفة كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها، وما بذل لها في ذلك[4]. انتهى.

والأخبار في ذلك لا تحتملها هذه العجالة.

ولو أردنا أن نستوفي من قتلهم معاوية من المصلحين وأولياء الله(١) ـ صبراً،

---

(١) لم يقتصر معاوية على قتل أولياء الله في سبيل سياسته حتّى قتل في ذلك أخصّ أوليائه به وأشدّهم ملازمة له: عبدالرحمن بن خالد بن الوليد. حارب معه في صفّين، وحالفه على عداوة أميرالمؤمنين، ثمّ بعدها باعه بالتافه الزهيد، وقتله مخافة أن ترغب الناس به عن يزيد. وقصّته مشهورة عند أهل الأخبار، مستفيضة بين أهل السير والآثار، فراجع ترجمة عبد الرحمن من الاستيعاب[5] تجد التفصيل.

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٧.

٢. مقاتل الطالبيّين: ٣١ بتفاوت في الألفاظ.

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٤٧ وما بعدها.

٤. الاستيعاب ١: ٣٨٩، الرقم ٥٥٥.

٥. المصدر ٢: ٨٢٩ ـ ٨٣٠، الرقم ١٤٠٢.

وأبادهم غدراً، واستأصلهم عتوّاً، وطحنهم حرباً، وسمل أعينهم ظلماً، وقطع أيديهم وأرجلهم بغياً، واستلّ ألسنة لهم تنطق بالحقّ عناداً، وأسقط شهاداتهم زوراً، وتقوّل عليهم افتراءً، وطلّق حلائلهم مكراً، وأخذ أموالهم سلباً، وصاح في حجراتهم نهباً، وهدم دورهم عشيّاً، وأقصاهم نفياً، وأوسعهم ذلّاً، وضيّق عليهم حبساً، ودفنهم أحياءً، ولعنهم على المنابر أمواتاً ـ لأفنينا المحابر، واستغرقنا الصحف والدفاتر، ثمّ لم نبلغ غايتنا المقصودة، ولم نظفر بضالّتنا المنشودة.

وكذلك لو أردنا أن نتصدّى للأحكام التي بدّلها، والحدود التي عطّلها، والبوائق التي ارتكبها، والفواقر التي احتقبها، والدواهي التي حدثت في زمانه، والغاشمين الذين أشركهم في سلطانه كابن شعبة، وابن العاص، وابن سعيد، وابن أرطاة، وابن جندب، ومروان، وابن السمط، وزياد، وابن مرجانة، والوليد، الذين فعلوا الأفاعيل، وقهروا الأُمّة بالأباطيل، وساموا عباد الله سوء العذاب، يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم.

وحسبك ما أجمع أهل الأخبار على نقله، واتّفق أهل العلم على صدوره من بعثه بُسراً سنة أربعين لاستئصال مَن في اليمن من عباد الله الصالحين. فراجع ما شئت من كتب الأخبار ولاحظ ما يحضرك ممّا يشتمل على أحداث تلك السنة من كتب الآثار، لتعلم فظاعة هذه الواقعة، وتعرف كنه ما كان يوم هذه الفاجعة، من قتل الشيوخ الركّع، وذبح الأطفال الرضّع، ونهب الأموال، وسبي العيال.

وما يُنسَ، فلا ينسَ ما فعله يومئذٍ بنساء همدان، إذ سباهنّ فأُقمن ـ كما في ترجمة بُسر من الاستيعاب [1] ـ في السوق، وكشف عن سوقهنّ، فأيّتهنّ كانت أعظم ساقاً اشتريت على عظم ساقها.

---

١. الاستيعاب ١: ١٦١، الرقم ١٧٤.

قال في الاستيعاب: فكنَّ أوّل مسلمات سبين في الإسلام[1].

وما أدري هذه أفظع وأوجع أم ما فعله بطفلي عبيد الله بن العبّاس؟ وكان عبيد الله يومئذٍ عاملاً لأمير المؤمنين على اليمن فهرب إليه من بُسر، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي وكان جدّ الطفلين لأُمّهما، فقتله بُسر فيمن قتلهم يومئذٍ من الألوف المؤلّفة من خيار الناس، وقتل ابنه، وبحث عن الطفلين فوجدهما عند رجل من كنانة في البادية، فلمّا أراد بُسر قتلهما، قال له الكناني ـ كما في تاريخ ابن الأثير[2] ـ لِمَ تقتلهما وهما طفلان لا ذنب لهما، فإن كنت قاتلهما، فاقتلني معهما، فقتله ثمّ ذبحهما بين أيدي أُمّهما(١) فهامت على وجهها جنوناً ممّا نالها، وكانت تأتي الموسم تنشدهما فتقول:

يا من أحسَّ بابنيَّ اللذين هما	كالدّرّتين تشظّى عنهما الصَدَف
يا من أحسَّ بابنيَّ اللذين هما	مُخّ العظام فمخّي اليوم مُزدَهَف
يا من أحسَّ بابنيَّ اللذين هما	قلبي وسمعي، فقلبي اليومَ مُخْتطف
من ذلّ والهةٍ حَيرى مُدَلَّهةٍ(٢)	على صبيّين ذلاّ إذ غدا السلفُ
نبئت بُسراً وما صدّقتُ ما زعموا	من إفكهم ومن الإثم الذي اقترفوا
أحنى(٣) على وَدَجَيْ ابنيّ مُرْهَفَةً	مشحوذة، وكذاك الإثمُ يُقترَف

(١) كذا في ترجمة بسر من الاستيعاب[3].

(٢) الذاهبة العقل.

(٣) كذا في رواية ابن الأثير[4]، وفي رواية الاستيعاب وأبي الفداء[5]: أنحى.

١. الاستيعاب ١: ١٦١، الرقم ١٧٤.

٢. الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٣ ـ ٣٨٥، حوادث سنة ٤٠.

٣. الاستيعاب ١: ١٦٠، الرقم ١٧٤.

٤. الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٥، حوادث سنة ٤٠.

٥. الاستيعاب ١: ١٦٠، الرقم ١٧٤؛ المختصر في أخبار البشر ١: ١٨٠.

وقالت له امرأة من كنانة لمّا ذبحهما ـ كما في تاريخ ابن الأثير ـ:

يا هذا، قتلت الرجال فعلامَ تقتل هذين؟! والله ما كانوا يقتلون في الجاهليّة والإسلام، والله يا بن أبي أرطاة، إنّ سلطاناً لا يقوم إلّا بقتل الصبيّ الصغير والشيخ الكبير ونزع الرحمة وعقوق الأرحام لَسلطان السوء.

قال ابن الأثير:

فلمّا سمع أمير المؤمنين بقتلهما، جزع جزعاً شديداً، ودعا على بُسْر فقال: «اللهمّ اسلبه دينه وعقله». قال: فأصابه ذلك، فكان يهذي بالسيف، فيؤتى بسيف من خشب، ويجعل بين يديه زقّ منفوخ، فلا يزال يضربه، ولم يزل كذلك حتّى مات[1]. انتهى.

إلى غير ذلك من بوائق معاوية وأعوانه، وجرائم وزرائه ومقوّية سلطانه، وكان أحدهما يقتل الأُلوف من أفاضل الرجال، ويعمل الأعمال التي يهتزّ منها عرش العظمة والجلال، ثمّ لا يستعظم ما احتقب، ولا يتأثّم ممّا ارتكب.

أخرج الإمام الطبري في أحداث سنة خمسين من تاريخه(١) بالإسناد إلى محمّد بن سليم قال:

سألت أنس بن سيرين: هل كان سَمُرة قتل أحداً؟ قال: وهل يحصى من قتلهم سَمُرة بن جندب؟ استخلفه زياد على البصرة ـ ستّة أشهر حين كان والياً عليها وعلى الكوفة من قبل معاوية ـ وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس. فقال له زياد: هل تخاف أن تكون قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت. انتهى.

وأخرج هناك أيضاً بالإسناد إلى أبي سوار العدوي قال: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن[2]. انتهى.

---

(١) في صفحة ١٢٢ من جزئه السادس[3].

---

١. الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٥، حوادث سنة ٥٠.

٢. تاريخ الطبري ٥: ٢٣٦ ـ ٢٣٧، حوادث سنة ٥٠.

٣. المصدر نفسه.

وأخرج هناك أيضاً بسنده عن عوف قال:

أقبل سمرة من المدينة، فلمّا كان عند دُور بني أسد، خرج رجل من بعض أزقّتهم، ففاجأ أوّل الخيل، فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحربة ـ عبثاً وعتوّاً ـ قال: ثمّ مضت الخيل، فأتى عليه سَمُرة بن جندب، وهو متشحِّط بدمه، فقال: ما هذا؟ قيل: أصابته أوائل خيل الأمير، قال ـ عتوّاً واستكباراً ـ: إذا سمعتم بنا قد ركبنا، فاتّقوا أسنّتنا[١]. انتهى.

وهذه القضايا متّفق على صدورها من سَمُرة. نقلها كلّ من أرّخ حوادث سنة الخمسين، كابن جرير، وابن الأثير وأمثالهما.

وإذا كانت هذه أعمال سَمُرة في ستّة أشهر، وهو ثقة البخاري، ودليله على دين الباري، قد احتجّ به في الورقة الثالثة من كتاب بدء الخلق من صحيحه(١).

(١) في آخر صفحة ١٣٨ من جزئه الثاني قبل باب ما جاء في صفة الجنّة بأربعة أحاديث[٢]، واحتجّ به في موارد يعرفها المتتبّع[٣]. ونصّ الإمام محمّد بن القيسراني في كتابه: الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الإصفهاني على احتجاج البخاري ومسلم كليهما في سمرة بن جندب مع ما لَه من الأعمال[٤]، فراجع أحواله في الجزء الرابع من شرح النهج للعلّامة ابن أبي الحديد[٥] في السطر الأوّل من صفحة ٣٦٣ من المجلّد الأوّل طبع مصر، لتعلم الحقيقة. ولو سبرت من قبل تلك الصفحة إلى ما بعدها بوريقات، لعلمت أحوال جملة من رجال البخاري كابن العاص، والمغيرة، ومروان، وأبي هريرة وغيرهم من عمّال معاوية وأوليائه.

١. المصدر: ٢٣٧.

٢. صحيح البخاري ٣: ١١٨٢، ح ٣٠٦٤.

٣. المصدر ١: ١٢٥، ح ٣٢٥، و ٢٩٠، ح ٨٠٩، و ٣٨٤، ح ١٠٩٢.

٤. الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٢٠٢ـ٢٠٣؛ الرقم ٧٥٨.

٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٧ـ٧٨.

وجزم بعدالته(١) في ظاهر القول وصريحه، فما ظنّك بأعمال زياد بن سميّة الخبيث الفاسق بإجماع البريّة، وقد ولّاه معاوية ـ كما نصّ عليه الطبري(٢) في أحداث سنة خمسين من تاريخه ـ أعمال الكوفة، والبصرة، والمشرق كلّه، وسجستان، وفارس، والسند، والهند؟ فكم حُرَّةٍ في تلك الولاية هُتكت، وكم حرمة لله انتهكت، وكم دماء زكيّة سفكت، وكم شرعة اندرست، وكم بدعة أُسّست، وكم أعين سملت، وأيد وأرجل قطعت و. و. و.؟! إلى ما لا يحصى من الأعمال البربريّة، والفظائع الأُمويّة التي تقشعرّ لها جلود البريّة، ويتصدّع بها قلب الإنسانيّة.

لكنّ الجمهور لمّا بنوا على اجتهاد معاوية، عذروه في أعمال عمّاله، ولم يخدش في عدالته عندهم بوائقه ولا بوائق رجاله.

وعذّروه أيضاً في حربه عليّاً عليه السلام ـ وهو أخو النبيّ ووصيّه، ونفسه في آية المباهلة[1]، ووليّه، بعد انعقاد البيعة له ـ حتّى قتل من المسلمين اُلوف مؤلّفة،

---

(١) مع ما ثبت عنه من المساوئ التي من جملتها: بيع الخمر على عهد عمر فيما رواه المحدّثون[2]، وأخرجه أحمد بن حنبل من حديث عمر بن الخطّاب في صفحة ٢٥ من الجزء الأوّل من مسنده[3] قال: ذكر لعمر أنّ سَمُرة باع خمراً، فقال: قاتل الله سَمُرة، إنّ رسول الله قال: «لعن الله اليهود حُرِّمت عليهم الشحوم فباعوها».

(٢) في صفحة ١٣٤ من جزئه السادس[4].

---

١. آل عمران (٣): ٦١.

٢. راجع: صحيح مسلم ٣: ١٢٠٧، كتاب المساقاة، ح ٧٢؛ سنن ابن ماجة ٢: ١١٢٢، ح ٣٣٨٣؛ كنز العمّال ٤: ١٦٠ـ ١٦١، ح ٩٩٨٠.

٣. مسند أحمد ١: ٦٣، ح ١٧٠.

٤. تاريخ الطبري ٥: ٢٣٤، حوادث سنة ٥٠.

وقد قال رسول الله ﷺ ـ فيما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(١) ـ: «سباب المسلم فسق، وقتاله كفر»(٢)، وقال ﷺ يوم جلّل عليّاً وفاطمة والحسن والحسين بالكساء ـ فيما ذكره ابن حجر في صواعقه(٣) وأبو بكر بن شهاب الدين في رشفته[١] من جملة حديث ـ: «أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم،

(١) راجع من صحيح البخاري باب قول النبيّ ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» من كتاب الفتن في الجزء الرابع، وراجع من صحيح مسلم كتاب الإيمان[٢].

(٢) فإن قلت: كيف قاتل عليّ عليه السلام كلاً من أهل الشام والبصرة والنهروان وهم مسلمون؟ قلت: إنّما قاتلهم عملاً بقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[٣]. ولا ريب ببغي معاوية وأصحابه بدليل قتلهم لعمّار، على أنّ بغيهم أوضح من النهار.
وأيضاً أخرج مسلم في باب حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع من كتاب الإمارة من صحيحه[٤] عن عرفجة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أتاكم وأمْرُكم جميع على رجلٍ واحدٍ يريد أن يشقّ عَصاكم، ويفرّق جماعتكم فاقتلوه». انتهى.
وقال ابن عبد البرّ في ترجمة عليّ من الاستيعاب[٥] ما هذا لفظه:
وروى من حديث عليّ، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث أبي أيّوب الأنصاري أنّه ـ يعني عليّاً ـ أمر بقتال الناكثين ـ يوم الجمل ـ والقاسطين ـ يوم صفّين ـ والمارقين ـ يوم النهروان ـ قال: وروي عنه أنّه قال: «ما وجدت إلّا القتال أو الكفر بما أنزل الله». انتهى.

(٣) في الآية الأُولى من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر[٦].

١. رشفة الصادي: ٣٠.
٢. صحيح البخاري ٦: ٢٥٩٢، ح ٦٦٦٥؛ و ١: ٢٧، ح ٤٨؛ و ٥: ٢٢٤٧، ح ٥٦٩٧؛ صحيح مسلم ١: ٨١، كتاب الإيمان، ح ١١٦.
٣. الحجرات (٤٩): ٩.
٤. صحيح مسلم ٣: ١٤٨٠، كتاب الإمارة، ح ٦٠.
٥. الاستيعاب ٣: ١١١٧.
٦. الصواعق المحرقة: ١٤٤، الباب ١١، الفصل ١.

وعدوّ لمن عاداهم»[(١)]. وقال ﷺ: «حرب عليّ حربي وسلمه سلمي»[١].

إلى غير ذلك من الصحاح التي لا حاجة إلى إيرادها؛ لتواترها بين المسلمين.

وعذّروه أيضاً في لعنه بقنوت الصلاة رجالاً أذهب عنهم الرجس محكم التنزيل، وهبط بتطهيرهم جبرائيل، وباهل بهم النبيّ ﷺ بأمر ربّه الجليل، أُولئك الذين فرض الله مودّتهم، وأوجب الرسول ولايتهم، وهم أحد الثقلين اللذين لا يضلّ من تمسّك بهما، ولا يهتدي إلى الله من ضلّ عنهما، ألا وهم أمير المؤمنين أخو الرسول ووليّه، وصاحب العناء بتأسيس دينه ووصيّه، ومن شهد الرسول بأنّه يحبّ الله ورسوله، وأنّه منه بمنزلة هارون من موسى، وولداه سبطا رسول الله وريحانتاه الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة. ولعن معهم عبد الله بن عبّاس حبر هذه الأُمّة، مع ما علم من وجوب تعظيمهم بحكم الضرورة من دين الإسلام، وما ثبت بالعيان من شرف مقامهم لدى سيّد الأنام، وكيف لا يكونون كذلك وهم أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة؟!

وما اكتفى بذلك حتّى أمر بلعن أمير المؤمنين عليه السلام في كلّ كورة، وترك ذلك سنّة على أعوادها في كلّ عيد وجمعة، وما زالت الخطباء في جميع الأنحاء تعدّ

(١) وأخرج أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده[٢] أنّ رسول الله ﷺ نظر إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم».

١. قريب منه في الجمل للمفيد: ٧٩؛ بحار الأنوار ٣٢: ٣٣١، الباب ٨، ٣٠٨ـ٣١٧.

٢. مسند أحمد ٣: ٤٤٦، ح ٩٧٠٤.

تلك البدعة المكفرة جزء من الخطبة إلى سنة ٩٩ فأزالها خير بني مروان عمر بن عبدالعزيز[١].

وهذا كلّه معلوم بالضرورة، مقطوع فيه بحكم البداهة، قد أجمع أهل العلم على صدوره، واتّفقت كلمة أهل السير على نقله. فراجع ما شئت من كتب الأخبار، لتعلم أنّ المسألة كضوء النهار.

وكان الحسن قد شرط على معاوية ـ إذ اصطلحا ـ شروطاً: منها: أن لا يشتم أباه فلم يجبه إلى هذه وأجابه إلى ما سواها، فطلب الحسن أن لا يشتم عليّاً وهو يسمع، قال ابن الأثير، وابن جرير، وأبو الفداء، وابن الشحنة[٢]، وكلّ من ذكر صلح معاوية والحسن: فأجابه إلى ذلك ثمّ لم يفِ له به[٣]. انتهى.

بل شتم عليّاً والحسن على منبر الكوفة، فقام الحسين ليردّ عليه فأجلسه الحسن عليه السلام، ثمّ قام ـ بأبي هو وأمّي ـ ففضح معاوية وألقمه حجراً. وهذه القضيّة ذكرها أبو الفرج الإصفهاني في مقاتل الطالبيّين[٤]، وكثير من أهل السير والأخبار[٥].

ولم يزل معاوية يلعن أمير المؤمنين أمام البرّ والفاجر، ويحمل عليها الأصاغر والأكابر حتّى أمر سعد بن أبي وقّاص فيما أخرجه مسلم في باب فضائل عليّ من صحيحه بالإسناد إلى عامر بن سعد قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعد بن أبي وقّاص فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنّ له

---

١. راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٥٦.

٢. الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٥، حوادث سنة ٤٠. وراجع: تاريخ الطبري ٥: ١٦٠ و ١٦٢ ـ ١٦٣، حوادث سنة ٤٠؛ المختصر في تاريخ البشر ١: ١٨٣.

٣. كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٧؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣، تاريخ الإمام الزكيّ الحسن المجتبى عليه السلام، باب ١، ذيل الحديث ٢.

٤. مقاتل الطالبيّين: ٤٦.

٥. كالشيخ المفيد في الإرشاد ٢: ١٥.

رسول الله ﷺ فلن أسُبّه، لأن تكون لي واحدةٌ منهنّ أحبّ إليّ من حُمْر النَعَم(١). الحديث.

وأمر الأحنف بن قيس فقال له ـ كما نصّ عليه جماعة منهم أبو الفداء في أحداث سنة ٦٧ من تاريخه[1] ـ: والله لتصعدنّ المنبر ولتلعننّه طوعاً أو كرهاً. فكان بينهما كلام أفضى إلى خوف معاوية من الفضيحة إذا استوى الأحنف على المنبر فأعفاه من ذلك.

وقد علم الناس كافّة أنّ معاوية لم يقتل حُجراً وأصحابه الأبدال إلّا لامتناعهم عن لعن أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين، ولو أجابوه إلى لعنه، لحقنت دماؤهم. فراجع مقتل حجر في أوّل الجزء ١٦ من كتاب الأغاني لأبي الفرج المرواني، وفي أحداث سنة ٥١ من تاريخ ابن جرير، وابن الأثير[2]، وغيرهما[3]، لتعلم الحقيقة، وتعرفَ أنّ عبد الرحمن بن حسّان العنزي لمّا أبى وامتنع عن لعن عليّ عليه السلام في مجلس معاوية، أرسله إلى زياد وأمره أن يقتله شرّ قتلة، فدفنه حيّاً، وما زال يلعن عليّاً على رؤوس الأشهاد، ويحمل على لعنه بالترهيب والترغيب كافّة العباد في كافّة البلاد.

---

(١) وأخرجه النسائي في الصفحة الثانية من الخصائص العلوية[4]، وهو منقول عن الترمذي، وعن الجمع بين الصحيحين، والجمع بين الصحاح الستّة[5].

---

١. المختصر في تاريخ البشر ١: ١٩٥ـ١٩٦.

٢. الأغاني ١٧: ١٣٣ وما بعدها، خبر مقتل حجر بن عديّ؛ تاريخ الطبري ٥: ٢٥٣ وما بعدها، حوادث سنة ٥١؛ الكامل في التاريخ ٣: ٤٧٢ وما بعدها حوادث سنة ٥١.

٣. كابن كثير في البداية والنهاية ٨: ٥٤ ـ ٦٠، حوادث سنة ٥١.

٤. خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: ٣٤، ح ١١.

٥. الجامع الصحيح ٥: ٦٣٨، ح ٣٧٢٤؛ الجمع بين الصحيحين للإشبيلي ٣: ٥٤٦، ح٤٢٣٨؛ وأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه ٤: ١٨٧١، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٢.

هذا مع ما صحّ من قول النبيّ ﷺ: «من سبّ عليّاً فقد سبّني». أخرجه الحاكم وصحّحه[١]، وهو عندنا من المتواترات[٢].

وأخرج النسائي في صفحة ١٧ من الخصائص العلوية[٣]، وابن حنبل في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده[٤] من حديث أُمّ سلمة عن عبد الله أو أبي عبدالله الجدلي قال: دخلت على أُمّ سلمة فقالت لي: أيسبّ رسول الله فيكم؟! قلت: معاذ الله، أو: سبحان الله، أو كلمة نحوها. قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سبّ عليّاً فقد سبّني»(١). انتهى.

وقال ابن عبد البرّ في ترجمة عليّ من استيعابه ما هذا لفظه: وقال ﷺ: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن آذى عليّاً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»[٥](٢). انتهى.

وقال ﷺ ـ فيما أخرجه الطبراني وغيره ـ: «ما بال أقوام يبغضون عليّاً؟

---

(١) هذه الفضيلة من خصائص أمير المؤمنين، ولذلك أوردها النسائي في خصائصه. وبها وبأمثالها نكفّر الخوارج وأشباههم.

(٢) وأخرج ابن خالويه في كتاب الآل عن ابن عبّاس، وأبو يعلى، والبزّار عن سعد بن أبي وقّاص، والطبراني عن أُمّ سلمة نحوه[٦].

---

١. المستدرك على الصحيحين ٤: ٨٧ ـ ٨٨، ح ٤٦٧٣.

٢. الأمالي للصدوق: ٨٧، المجلس ٢١، ح ٢؛ الأمالي للطوسي: ٨٥ ـ ٨٦، ح ١٣٠، المجلس ٣؛ بحار الأنوار ٣٩: ٣١١ وما بعدها، تاريخ أمير المؤمنين ﷺ، الباب ٨٨، ح ١ ـ ٣.

٣. خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: ١٣٣، ح ٩٠.

٤. مسند أحمد ١٠: ٢٢٨، ح ٢٦٨١٠.

٥. الاستيعاب ٣: ١١٠١، الرقم ١٨٥٥.

٦. مسند أبي يعلى الموصلي ٢: ١٠٩، ح ٧٧٠؛ مسند البزّار ٣: ٣٦٦، ح ١١٦٦؛ المعجم الكبير ٢٣: ٣٨٠، ح ٩٠١.

ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن فارق عليّاً فقد فارقني. إنّ عليّاً منّي وأنا منه، خُلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم، ذرّيّةً بعضها من بعض والله سميع عليم. يا بريدة، أما علمتَ أنّ لعليّ أفضل من الجارية التي أخذ، وهو وليّكم بعدي؟»[١].

وقال ﷺ فيما أخرجه الترمذي، والحاكم، وغيرهما، كما في الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق، عن عمران بن حصين أنّ رسول الله قال: «ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»[٢].

وفي ترجمة عليّ عليه السلام من الاستيعاب ما هذا نصّه: وروى طائفة من الصحابة أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق». قال: وكان عليّ عليه السلام يقول: «والله إنّه لَعَهْدُ النبيّ الأمّي: أنّه لا يحبّني إلّا مؤمن، ولا يبغضني إلّا منافق»[٣]. انتهى.

قلت: وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه[٤].

وقد تواتر قوله ﷺ: «من كنت مولاه، فعليّ مولاه(١) اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقَّ معه حيث دار»[٥]. انتهى.

---

(١) قد اعترف صاحب الفتاوي الحامديّة بتواتره، وعدّه من المتواترات في رسالته المختصرة الموسومة بالصلوات الفاخرة بالأحاديث المتواترة، وكذلك الحافظ السيوطي، وغيره[٦].

---

١. المعجم الأوسط ٧: ٤٩ ـ ٥٠، ح ٦٠٨١؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ١٧٢ ـ ١٧٣، ح ١٤٧٣٣، وفيهما: «ما بال أقوام ينتقصون عليّاً؟ من تنقّص عليّاً فقد تنقّصني ...».

٢. الجامع الصحيح ٥: ٦٣٢، ح ٣٧١٢؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٧٣ ـ ٧٤، ح ٤٦٣٦؛ الصواعق المحرقة: ١٢٤، الباب ٩، الفصل ١١.

٣. الاستيعاب ٣: ١١٠٠، الرقم ١٨٥٥.

٤. صحيح مسلم ١: ٨٦، كتاب الإيمان، ح ١٣١.

٥. راجع: مسند أحمد ١: ٢٥٠، ح ٩٥٠ و ٩٥١؛ المعجم الكبير ٢: ٣٥٧، ح ٢٥٠٥؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٣٧١، - ٣٢٠٨٢ و ٣٢٠٨٣ بتفاوت.

٦. الجامع الصغير ٢: ٥٤٢، ح ٩٠٠٠. وراجع أيضاً التاريخ الكبير للبخاري ٤: ١٩٣، الرقم ٢٤٥٨.

ومقامنا لا يسع استقصاء ما جاء في وجوب موالاته، ولا يفي باستيفاء ما دلّ على تحريم معاداته، فنلفت الراغب في ذلك من إخواننا المسلمين إلى ما أودعناه في كتابنا سبيل المؤمنين، فإنّه متكفّل بالتفصيل، متعهّد بإقامة البرهان والدليل. على أنّ هذا المقدار كافٍ لأُولي الأبصار.

وإذا صحّ اجتهاد معاوية في مقابل هذه الأحاديث الصحيحة، وجاز تأوّله في عرض تلك النصوص الصريحة، فتأوّل من يستفرغ وسعه في التعبّد بالأدلّة، ويستغرق جهده في العمل بقواعد الملّة أولى بالصحّة، وأحقّ بالجواز.

على أنّ أفعاله لم تكن إلّا لطلب الملك[(١)] وانتزاعه من أهله؛ وعداوته لعليّ إنّما هي ناشئة عن الأحقاد البدريّة، والضغائن الجاهليّة.

وأمّا المتأوّلة من فقراء المسلمين ومساكين أهل الدين؛ فإنّه لا طمع لهم بمُلكٍ، ولا أمل لهم بسلطان، ولا ثأر لهم يطلبونه، ولا غرض لهم سوى الحقّ يقصدونه، وقد اقتفوا أثر البرهان، واتّبعوا أدلّة أهل الإيمان، فإن أصابوا فمأجورون، وإن أخطأوا فمعذورون.

وهذا آخر ما أردناه في هذا الفصل. فاحكموا أيّها المنصفون بالعدل. والسلام على من اتّبع الهدى، وخشي عواقب الردى، ورحمة الله وبركاته.

---

(١) وقد صرّح معاوية به يوم النخيلة حيث قال ـ من جملة خطبة خطبها يومئذٍ ـ: والله إنّي ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون.

رواه الأعمش عن عمرو بن مرّة عن سعيد بن سويد، ونقله أهل الأخبار، وكان عبدالرحمن بن شريك إذا حدّث بذلك يقول: هذا والله التهتّك. فراجع صفحة ١٦ من المجلّد ٤ من شرح النهج الحديدي المطبوع في مصر[١].

---

١. مقاتل الطالبيّين: ٤٥ ـ ٤٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٤٦.

فصل ٩

في مَن أفتى بكفر الشيعة، وتفصيل ما استدلّ به على ذلك

والغرض استئصال بذور الشقاق بإيضاح خطئه، واجتثاث أرومة الافـتراق بـبيان اشتباهه؛ حرصاً على أن لا يُكال بصاعه، واتّقاءً من تصديقه واتّباعه، وقد اقتصرنا من ذلك على ما وجدناه في باب الردّة والتعزير من الفتاوى الحامدية و تنقيحها بإمضاء الشيخ نوح الحنفي؛ لاشتهار هذين الكتابين، ورجوع من بأيديهم منصب الفتوى في المملكة المحروسة إليهما.

قال في جواب من سأله عن السبب في وجوب مقاتلة الشيعة وجواز قتلهم:

[illegible]

وانتهاكاً لحرمات الله، وهتكاً لإمـائه، وسـبياً لذراري المـؤمنين مـن عـباده، وعـبرة للناظرين، ومثلاً وأُحدوثةً في الغابرين.

وفي ختام هذه الفظائع أخذ البيعة لمعاوية من أهل الحجاز واليمن عامّة(٢)، فعندها

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة في ص ٢٨٢ من الجزء الثاني من مسنده[1]، وهو من الأباطيل بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حتّى تَفِىءَ إلى أَمرِ اللهِ﴾[2].

(٢) من أراد الوقوف على تفصيل هذه الفظائع والفجائع فعليه بص ١١٦ حتّى ص ١٢١ من

باح أبو هريرة بما في صدره، واستراح إلى بُسر بن أرطاة بمكنون سرّه، فوجد بُسر منه إخلاصاً لمعاوية، ونصحاً في أخذ البيعة له من الناس، فولّاه على المدينة(١) حين انصرف عنها، وأمر أهلها بطاعته، ولم يزل بعدها يصلّي بهم ويرى لنفسه الولاية عليهم، حتّى جاءهم جارية بن قدامة السعدي من قبل أمير المؤمنين في ألفي فارس وأبو هريرة يصلّي في الناس، فهرب من وجهه، فقال جارية: لو وجدت أبا سنّور لقتلته(٢).

وبلغ جارية ـ وهو في الحجاز ـ استشهاد أمير المؤمنين في الكوفة، فأخذ البيعة من أهل المدينة للإمام السبط أبي محمّد الحسن الزكيّ المجتبىعليه السلام، ثمّ عاد إلى الكوفة، فرجع أبو هريرة يصلّي بالناس(٣)، واستفحل بعدهما أمره حيث انتهى الأمر إلى معاوية.

---

(١) كما نصّ عليه إبراهيم بن هلال الثقفي في كتاب الغارات[1]. ونقله ابن أبي الحديد في أواخر صفحة ١٢٨ من المجلد الأوّل من شرح النهج[2].

(٢) كما نصّ عليه ابن الأثير عند ذكر سريّة بُسر إلى الحجاز واليمن سنة ٤٠، فراجع ص ١٥٣ من الجزء الثالث من تاريخه الكامل[3].

(٣) كما في الصفحة المتقدّمة الذكر من كامل ابن الأثير[4].

---

١. الغارات ٢: ٦٠٧.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١١.

٣ و ٤. الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٤، حوادث سنة ٤٠.

[الفصل] ٧

على عهد معاوية

نزل أبو هريرة أيّام معاوية إلى جناب مريع، وأنزل آماله منه منزل صدق؛ لذلك نزل في كثير من الحديث على رغائبه، فحدّث الناس في فضل معاوية وغيره أحاديث عجيبة.

وقد كثر وضع الحديث في تلك الدولة حسبما اقتضته دعايتها، وأوجبته سياستها في نكاية الهاشميّين، وكثرت الكذّابة يومئذٍ على رسول الله، كما أنذر به ﷺ، وتطوّروا فيما اختلقوه من الحديث حسبما أوحى إليهم، وكان أبو هريرة في الرعيل الأوّل من هؤلاء، فحدّث الناس في الفضائل أحاديث منكرة.

فمنها: ما أخرجه ابن عساكر بطريقين، وابن عدي بطريقين، ومحمّد بن عائذ بطريق خامس، ومحمّد بن عبد السمرقندي بطريق سادس، ومحمّد بن مبارك الصوري بطريق سابع، والخطيب البغدادي بطريق ثامن، كلّهم عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله ائتمن على وحيه ثلاثة: أنا، وجبرئيل، ومعاوية»[1].

ومنها: ما أخرجه الخطيب بالإسناد إلى أبي هريرة، قال: ناول النبيّ ﷺ معاوية

---

١. تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ٧٤، الرقم ٧٥١٠؛ الكامل في ضعفاء الرجال ٦: ٢٩٥، الرقم ١٧٨٤.

سهماً فقال: «خذ هذا السهم حتّى تلقاني به في الجنّة»[١].

ومنها: ما أخرجه أبو العبّاس الوليد بن أحمد الزوزني في كتابه شجرة العقل من طريقين إلى أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ لأبي بكر قبّة من درّة بيضاء، لها أربعة أبواب، تخترقها رياح الرحمة، ظاهرها عفو الله، وباطنها رضوان الله، كلّما اشتاق إلى الله انفتح له مصراع ينظر منه إلى الله عزّوجلّ»[٢].

ومنها: ما أخرجه ابن حبّان بالإسناد إلى أبي هريرة، قال: لمّا قدم رسول الله ﷺ من الغار يريد المدينة أخذ أبوبكر بِغَرْزِه فقال: «ألا أُبشّرك يا أبابكر؟ إنّ الله تعالى يتجلّى للخلائق يوم القيامة عامّة ويتجلّى لك خاصّة»[٣].

ومنها: ما أخرجه ابن حبّان أيضاً بالإسناد إلى أبي هريرة قال: بينا جبرئيل [جالس][٤] مع النبيّ ﷺ إذ مرّ بهما أبوبكر، فقال جبرئيل: هذا أبوبكر الصدّيق، قال رسول الله ﷺ: «أتعرفه يا جبرئيل؟» قال: نعم، إنّه في السماء لأشهر منه في الأرض، وإنّ الملائكة لتسمّيه حليم قريش، وإنّه وزيرك في حياتك وخليفتك بعد موتك[٥].

ومنها: ما أخرجه الخطيب بالإسناد إلى أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تباشرت الملائكة يوم ولد أبوبكر الصدّيق، واطّلع الله إلى جنّة عدن، فقال: وعزّتي وجلالي لا أُدخلها إلّا من أحبّ هذا المولود»[٦].

ومنها: ما أخرجه ابن عدي بالإسناد إلى أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عرج بي إلى السماء فما مررت بسماء إلّا وجدت مكتوباً فيها:

---

١. تاريخ بغداد ١٣: ٤٩٦، الرقم ٧٣٣٢.

٢. لم نعثر عليه.

٣. المجروحين لابن حبّان ١: ١٤٣.

٤. أضفناه من المصدر.

٥. المجروحين لابن حبّان ١: ١٣٠ ـ ١٣١.

٦. تاريخ بغداد ٣: ٣٠٩، الرقم ١٤٠٣.

محمّد رسول الله، أبوبكر الصدّيق»(١). الحديث.

ومنها: ما أخرجه أبو الفرج ابن الجوزي بالإسناد إلى أبي هريرة، قال: حدّثني رسول الله ﷺ بأنّ الجنّة والنار تفاخرتا، فقالت النار للجنّة: أنا أعظم منك قدراً؛ لأنّ فيّ الفراعنة والجبابرة والملوك وأبناءهم، فأوحى الله إلى الجنّة: أن قولي: بل لي الفضل إذ زيّنني الله لأبي بكر[1].

ومنها: ما أخرجه الخطيب بالإسناد إلى أبي هريرة، قال: خرج النبيّ متّكئاً على عليّ بن أبي طالب فاستقبله أبو بكر وعمر، فقال: «يا عليّ، أتحبّ هذين الشيخين؟» قال: «نعم» قال: «أحببهما تدخل الجنّة»[2].

ومنها: ما أخرجه الخطيب أيضاً في تاريخ بغداد وابن شاهين في سننه من طريقين إلى أبي هريرة قال: سمعت رسول الله: «إنّ في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون لمن أحبّ أبابكر وعمر، وفي السماء الثانية ثمانين ألف ملك يلعنون من أبغض أبابكر وعمر»[3].

ومنها: ما أخرجه الخطيب بالإسناد إلى أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ لله تعالى في السماء سبعين ملك، يلعنون من شتم أبابكر وعمر»[4].

وهذه الأحاديث كلّها باطلة إجماعاً وقولاً واحداً، صرّح بذلك كلّ من أخرجها ممّن ذكرناهم.

---

(١) وأخرجه الخطيب في ترجمة محمّد بن عبدالله المهري ص ٤٤٥ من المجلّد الخامس من تاريخ بغداد[5].

---

١. لم نعثر عليه.

٢. تاريخ بغداد ١: ٢٤٦، الرقم ٦٧.

٣ و ٤. تاريخ بغداد ٧: ٣٨٣، الرقم ٣٩١٠.

٥. تاريخ بغداد ٥: ٤٤٥، الرقم ٢٩٦٦، فيه: «لمّا عرج بي إلى السماء، مامررت بسماء إلّا وجدت فيها مكتوباً: «محمّد رسول الله وأبوبكر الصدّيق من خلفي».

والسيوطي نظمها بأسانيدها ومتونها في سلك الأحاديث الموضوعة من لآليه المصنوعة[1]، غير أنّهم لم يجعلوا الآفة فيها من أبي هريرة نفسه، وإنّما جعلوها ممّن نقلها عنه ؛ عملاً برأيهم في كلّ من رأى النبيّ ﷺ وروى عنه من المسلمين.

وكذلك فعلوا في سائر ما صنعته يدا أبي هريرة ممّا ضاق به ذرعهم، نحو قوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هذا جبرئيل يخبرني عن الله: ما أحبّ أبابكر وعمر إلّا مؤمن تقيّ، ولا أبغضهما إلّا منافق شقيّ»(١).

وقوله: قال رسول الله ﷺ : «خلقني الله من نوره، وخلق أبابكر من نوري، وخلق عمر من نور أبي بكر، وخلق أُمّتي من نور عمر، وعمر سراج أهل الجنّة»(٢).

وقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أبو بكر وعمر خير الأوّلين والآخرين»(٣).

---

(١) إنّ هذا الحديث معدود في الأباطيل بإجماع أهل العلم، وقد ذكره الذهبي في ترجمة إبراهيم بن مالك الأنصاري من ميزان الاعتدال[2] فأبطله، وخسرت صفقة من أراد أن يعارض الحقّ بالباطل.

(٢) وهذا كسابقه باطل بالإجماع، وقد ذكره الذهبي في ترجمة أحمد السمرقندي من الميزان[3] فراجعه تعلم أنّه باطلٌ مخالفٌ لكتاب الله، وخسر هنالك المبطلون الذين يريدون معارضة الحقّ الواضح بالباطل الفاضح.

(٣) وهذا كسابقيه في البطلان. وقد ذكره الذهبي في ترجمة جبرون بن واقد الإفريقي من الميزان[4] فأرسل بطلانه إرسال المسلّمات.

---

١. راجع اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١: ٢٨٦ ـ ٢٨٩.

٢. ميزان الاعتدال ١: ٥٤، الرقم ١٧٤.

٣. المصدر: ١١٦، الرقم ٦٦٩، في ترجمة أحمد بن يوسف المنبجي.

٤. المصدر: ٣٨٨، الرقم ١٤٣٣.

وقوله: إنّ النبيّ ﷺ كان يقول: «أصحابي كالنجوم، من اقتدى بشيء منها اهتدى»(١).

وقوله: قال رسول الله ﷺ: «أُنزل في الإنجيل نعتي، ونعت أصحابي أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾[1] الآية»(٢).

إلى آخر ما كان يسترسل به من هذه المختلقات، وله في صحيحي البخاري ومسلم أحاديث أفرغها على هذا القالب، وحاكها على هذا المنوال، فراجعها في الفصل ١١ من هذا الإملاء.

(١) نقله الذهبي في ترجمة جعفر بن عبد الواحد القاضي من ميزانه[2] ونصّ ثمّة على أنّه من بلاياه.

(٢) تجد هذا الحديث في ترجمة محمّد بن موسى بن عطاء الدمياطي[3] من ميزان الذهبي[4]، وتجد ثمّة بطلانه، لكنّ الجمهور يحيلون البلاء في أباطيل أبي هريرة على الرواة عنه.

١. الفتح (٤٨): ٢٩.

٢. ميزان الاعتدال: ٤١٢ ـ ٤١٣، الرقم ١٥١١.

٣. في المصدر: «موسى بن محمّد بن عطاء الدمياطي».

٤. ميزان الاعتدال ٤: ٢١٩ ـ ٢٢٠، الرقم ٨٩١٥.

[الفصل] ٨

أيادي بني أُميّة عليه

تتمثّل لك نعمهم عليه ـ إذا أنعمت النظر ـ في حاليه:

حاله قبل دولتهم، حيث كان ذليلاً مهيناً، ينظر إلى القمّل يدبّ على نمرته[(١)].

وحاله على عهدهم، حيث أخذوا بضبعيه، وأطلقوا عنه ربقة الخمول، فكسوه الخزّ[(٢)]

---

(١) هذا مأخوذ من قول أبي هريرة: فنزعت نمرة على ظهري، فبسطتها بيني وبينه ﷺ، حتّى كأنّي أنظر إلى القمّل يدبّ عليها، الحديث. أخرجه أبو نعيم في أحوال أبي هريرة ص ٣٨١ من الجزء الأوّل من حليته[١].

(٢) أخرج ابن سعد في ترجمة أبي هريرة من طبقاته عن وهب بن كيسان وعن قتادة والمغيرة: أنّ أبا هريرة كان يلبس الخزّ[٢].

---

١. حلية الأولياء ١: ٣٨١، الرقم ٨٥.

٢. الطبقات الكبرى ٤ : ٣٣٣.

والساج، وجعلوه يزرّ إزراره بالديباج(١)، وألبسوه الكتّان المشيق(٢)، وبنوا له القصر في العقيق(٣)، وطوّقوه ببرّهم، وناطوا نعمهم قلائد في عنقه، وأذاعوا ذكره ونوّهوا باسمه، وولّوه على المدينة الطيّبة مدينة النبيّ(٤)، وأنكحوه أيّام ولايته عليها

---

(١) هو الطيلسان الأخضر، وقيل: الأسود، وقيل: المقوّر ينسج كذلك[1]. وفي الأساس: لبسوا السيجان، وهي الطيالسة المدوّرة الواسعة[2]. وقد جاء في ترجمة أبي هريرة من طبقات ابن سعد عن سعيد، قال: رأيت على أبي هريرة ساجاً مزروراً بديباج[3].

(٢) أخرج البخاري في صفحة ١٧٥ من الجزء الرابع من صحيحه في أواخر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة عن محمّد بن سيرين قال: كنّا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشّقان من كتّانٍ[4].

(٣) وفيه مات، كما هو منصوص عليه في كلّ من إصابة ابن حجر، ومعارف ابن قتيبة، وطبقات ابن سعد أثناء ترجمتهم إيّاه[5].

(٤) فيما أخرجه الإمام أحمد في ص ٤٣٠ من الجزء الثاني من مسنده[6] عن محمّد بن زياد. وأخرجه ابن قتيبة في ترجمة أبي هريرة من معارفه[7] عن أبي رافع. وأورده الإمام أبو جعفر الإسكافي، كما في ص ٣٥٩ من المجلّد الأوّل من شرح النهج الحميدي طبع مصر[8].

---

١. انظر لسان العرب ٢: ٣٠٢ ـ ٣٠٣، «س. و. ج».

٢. أساس البلاغة: ٣١٢، «س. و. ج».

٣. الطبقات الكبرى ٤ : ٣٣٣.

٤. صحيح البخاري ٦: ٢٦٧٠، ح ٦٨٩٣.

٥. الإصابة ٧: ٣٦٢، الرقم ١٠٦٨٠؛ المعارف: ٢٧٨؛ الطبقات الكبرى ٤: ٣٣٩.

٦. مسند أحمد ٣ : ٤٢٢، ح ٩٥٥٩.

٧. المعارف : ٢٧٨.

٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٦٧ ـ ٦٨.

بسرة بنت غزوان بن جابر بن وهب المازنيّة أُخت الأمير عتبة بن غزوان(١)، وما كان ليحلم بذلك، ولا ليسنح في أمانيه، وقد كان يخدمها بطعام بطنه، ويكدح في خدمتها حافياً.

قال مضارب بن جزء[١]: (٢)

كنت أسيرُ في الليل، فإذا رجلٌ يكبّر، فلحقته فإذا هو أبو هريرة، فقلت: ما هذا؟ ، قال: أشكر الله على أن كنت أجيراً لبُسرة بنت غزوان بطعام بطني، فكنت إذا ركبوا سقت بهم، وإذا نزلوا خدمتهم، والآن تزوّجتها، فأنا الآن أركب، فإذا نزلت خدمتني ـ قال: ـ وكانت إذا أتت على مكان سهل نزلت فقالت: لا أريم حتّى تجعل لي عصيدة، فها أناذا إذا أتيت على نحو من مكانها قلت لها: لا أريم حتّى تجعلي لي عصيدة(٣).

---

(١) هو حليف بني عبد شمس الذي ولّاه عمر في الفتوح، فاختطّ البصرة وكان أميرها، وفتح فتوحاً، وهو من مشاهير الصحابة والأبطال، مات على عهد عمر، وإنّما تزوّج أبو هريرة أُخته بعد موته بزمان.

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني بُسرة هذه في القسم الأوّل من الإصابة[٢]، وذكر قصّة أبي هريرة معها، فقال:

وكانت قد استأجرته في العهد النبويّ، ثمّ تزوّجها بعد ذلك لما كان مروان يستخلفه في إمرة المدينة على عهد معاوية.

(٢) فيما أخرجه أبو العبّاس السرّاج في تاريخه[٣] بسند صحيح، ونقله العسقلاني في ترجمة أبي هريرة من إصابته[٤].

(٣) أخرجه ابن خزيمة، ونقله ابن حجر في ترجمة أبي هريرة من الإصابة[٥].

---

١. في المصدر: «حزن» بدل «جزء».

٢. الإصابة ١: ٥١ ـ ٥٢، الرقم ١٠٩٣٨.

٣. حكاه عنه أبو نعيم في حلية الأولياء ١: ٣٨٠، الرقم ٨٥.

٤ و ٥. الإصابة ٧: ٣٦٠، الرقم ١٠٦٨٠.

وكان كثيراً مّا يقول ـ وهو أمير المدينة ـ: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبُسرة بنت غزوان بطعام بطني، وعقبة رجلي، فكنت أخدم إذا نزلوا، وأحدو إذا ركبوا، فزوّجنيها الله، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبا هريرة إماماً(١).

وقال مرّة: أكريت نفسي من ابنة غزوان على طعام بطني وعقبة رجلي قال: فكانت تكلّفني أن أركب قائماً، وأورد حافياً، فلمّا كان بعد ذلك زوّجنيها الله فكلّفتها أن تركب قائمة وأن تورد حافية(٢)!!!

وصلّى بالناس يوماً، فلمّا سلّم رفع صوته فقال: الحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبا هريرة إماماً، بعد أن كان أجيراً لابنة غزوان على شبع بطنه وحمولة رجله(٣).

وقام مرّة على منبر رسول الله ﷺ ـ وهو أمير المدينة ـ فقال:

الحمد لله الذي أطعمني الخمير، وألبسني الحرير، وزوّجني بنت غزوان بعد ما كنت أجيراً لها بطعام بطني فأرحلتني، فأرحلتها كما أرحلتني(٤). الحديث.

---

(١) أخرجه ابن سعد في أوائل ترجمة أبي هريرة ص ٥٣ من القسم الثاني من الجزء الرابع من الطبقات[١].

(٢) أخرج ابن سعد هذا الحديث في أوائل الصفحة الآنفة الذكر[٢].

(٣) أخرجه أبو نعيم الإصفهاني في ترجمة أبي هريرة آخر ص ٣٧٩ من الجزء الأوّل من حليته[٣].

(٤) أخرجه أبو نعيم في أحوال أبي هريرة ص ٣٨٤ من الجزء الأوّل من الحلية[٤].

---

١ و ٢. الطبقات الكبرى ٤: ٣٢٦.

٣. حلية الأولياء ١: ٣٧٩ ـ ٣٨٠، الرقم ٨٥.

٤. المصدر: ٣٨٤، الرقم ٨٥.

[الفصل] ٩
تطوّره في شكر أياديهم

استعبد بنو أُميّة أبا هريرة ببرّهم، فملكوا قياده، واحتلّوا سمعه وبصره وفؤاده، فإذا هو لسان دعاياتهم في سياستهم، يتطوّر فيها على ما تقتضيه أهواؤهم.

فتارة يفتئت الأحاديث في فضائلهم ـ كما سمعته في الفصل الخامس والفصل السابع(١) من هذا الإملاء ـ وتارة يلفّق أحاديث في فضائل الخليفتين، نزولاً على رغائب معاوية وفئته الباغية، إذ كانت لهم مقاصد سياسيّة ضدّ الوصيّ وآل النبيّ، لا تتّسق لهم ـ فيما كانوا يظنّون ـ إلّا بالإشادة بتفضيل الخليفتين، فافتأت في ذلك أحاديث أوردنا بعضها في الفصل السابع من إملائنا هذا.

وحسبك ممّا لم نورده ثمّة حديثه في تأمير أبي بكر على الحجّ سنة براءة[١] ـ وهي سنة تسع للهجرة ـ وحديثه في أنّ عمر كان محدَّثاً تكلّمه الملائكة[٢].

وقد اقتضت سياسة الأُمويين في نكاية الهاشميين تثبيت هذين الحديثين،

---

(١) الفصل الخامس يتعلّق بأحواله على عهد عثمان، والسابع يتعلّق بأحواله على عهد معاوية.

---

١. راجع: صحيح البخاري ٢: ٥٨٦، ح ١٥٤٣؛ و١: ١٤٤، ح ٣٦٢؛ صحيح مسلم ٢: ٩٨٢، كتاب الحجّ، ح ٤٣٥.

٢. راجع صحيح البخاري ٣: ١٣٤٩، ح ٣٤٨٦، و ١٢٧٩ ـ ١٢٨٠، ح ٣٢٨٢.

وإذاعتهما بكلّ ما لمعاوية وأعوانه ومقويّة سلطانه من وسيلة أو حيلة، فبلغوا في ذلك ماشاء حولهم وطولهم حتّى أخرجتهما الصحاح، وستسمعهما في الفصل ١١ حيث نوردهما[١]، ونبسط القول فيهما على ما يوجبه العلم، وتقتضيه قواعده إن شاء الله تعالى.

وتارة يقتضب أحاديث ضدّ أميرالمؤمنين؛ جرياً على مقتضى تلك السياسة، كقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم تحبس الشمس ـ أو تردّ ـ لأحدٍ إلّا ليوشع بن نون، ليالي سار إلى بيت المقدس»(١). انتهى.

وقوله: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[٢] فقال: «يا معشر قريش» الحديث[٣]، بتره أبو هريرة، فلم يَعُج على نصّه الصريح؛ تحريفاً للكلم عن مواضعه؛ جرياً على مقتضيات السياسة الأُمويّة، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

وقوله: إنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقتسم ورثتي ما تركت»[٤]. الحديث.

وقوله: قال رسول الله ﷺ لعمّه أبي طالب: «قل لا إله إلّا الله»[٥]. الحديث.

وآخره: فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ﴾[٦]و(٢).

---

(١) أخرجه الخطيب في ترجمة أسود بن عامر ص ٣٥ من المجلّد السابع من تاريخ بغداد، وفي ترجمة سعيد بن عثمان الحنّاط ص ٩٩ من المجلّد التاسع عن أبي هريرة[٧].

(٢) سنفصّل القول في هذه الأحاديث الثلاثة، حيث نوردها في الفصل ١١ من هذا الإملاء، فراجع[٨].

---

١. راجع الفصل ١١، الحديث ١٨ و ١٩.

٢. الشعراء (٢٦): ٢١٤.

٣. راجع الفصل ١١، الحديث ٢٢.

٤. راجع الفصل ١١، الحديث ٢٠.

٥. راجع الفصل ١١، الحديث ٢١.

٦. القصص (٢٨): ٥٦.

٧. تاريخ بغداد: ٧: ٣٥، الرقم ٣٤٩٧؛ و٩: ٩٩، الرقم ٤٦٨٩.

٨. راجع الفصل ١١، الحديث ٢٠.

إلى كثير من المختلقات التي أُريد بها نكاية الوصيّ وأهل بيت النبيّ.

قال الإمام أبو جعفر الإسكافي(١):

إنّ معاوية حمل قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا له ما أرضاه، منهم: أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين: عروة بن الزبير. إلى آخر كلامه.

ـ وقال(٢): ـ لمّا قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة، فلمّا رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثمّ ضرب صلعته مراراً، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أنّي أكذب على الله ورسوله، وأُحرق نفسي بالنار؟ والله لقد سمعت رسول الله يقول: «إنّ لكلّ نبيّ حرماً، وإنّ المدينة حرمي، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» ـ قال: ـ وأشهد بالله أنّ عليّاً أحدث فيها!! فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه، وولّاه إمارة المدينة(٣).

---

(١) كما في صفحة ٣٥٨ من المجلّد الأوّل من شرح نهج البلاغة الحميدي[1].

(٢) كما في ص ٣٥٩ من المجلّد المذكور من شرح النهج[2].

(٣) وروى سفيان الثوري، عن عبدالرحمن بن قاسم، عن عمر بن عبدالغفّار:

أنّ أبا هريرة لمّا قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيّات بباب كندة ويجلس الناس إليه، فجاءه شابّ من الكوفة ـ لعلّه الأصبغ بن نباتة ـ فجلس إليه، فقال: يا أباهريرة، أنشدُك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب: «اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه» فقال: اللّهمّ نعم، قال: فأشهد بالله لقد واليت عدوّه وعاديت وليّه، ثمّ قام عنه وانصرف[3].

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٦٣.

٢. المصدر: ٦٧ بتفاوت يسير.

٣. حكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٤: ٦٨.

وتارة يرتجل أحاديث يدافع بها عن منافقي بني أُميّة الذين لعنهم رسول الله ﷺ في كثير من مواقفه؛ ليسجّل عليهم بذلك خزياً يأمن به على الدين من نفاقهم، وعلى الأمّة من عيثهم ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى * إنْ هُوَ إلّا وَحْيٌ يُوحٰى﴾[1].

لكنّ أبا هريرة تزلّف إلى مروان ومعاوية وأوليائهما، فأنشأ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهمّ إنّما محمّد بشر يغضب كما يغضب البشر، فأيّما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعل ذلك كفّارة له، وقُربةً تُقَرِّبُه بها إليك يوم القيامة»[2].

وقد عمل مروان وبنوه في تعداد أسانيده وتكثير طرقه أعمالاً جبّارة لم يألوا فيها جهداً، ولم يدّخروا وسعاً، حتّى أخرجه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد.

[أعمال مروان لتفضيل أبي هريرة على مَن سواه]

ولمروان وبنيه في رفع مستوى أبي هريرة وتفضيله على من سواه ـ في الحفظ والضبط والإتقان والورع ـ أعمال كان لها أثرها إلى يومنا هذا.

فمنها: أنّ مروان كان يزعم أنّه أجلس كاتبه في مكان لا يراه فيه أحد، ثمّ دعا أبا هريرة فجعل يسأله عن أشياء، وأكثر في سؤاله وأبو هريرة يحدّثه في الجواب عن رسول الله، وكاتب مروان ـ واسمه زُعَيْزَعَة(١) ـ يكتب من حيث لا يشعر به أحد أبداً، فكتب أحاديث جمّة، ثمّ أمهله مروان حولاً كاملاً فسأله تلك المسائل كلّها، فأجابه أبو هريرة تلك الأجوبة بألفاظها لم ينقص ولم يزد، وأذاع مروان وكاتبه هذه الأكذوبة بين طغام أهل الشام،

---

(١) وكنيته أبو زعيرة.

---

١. النجم (٥٣): ٣ ـ ٤.

٢. صحيح مسلم ١: ٢٠٠٨، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٩٠. وراجع أيضاً مسند أحمد ٢: ٥٥٢، ح ١٠٤٠٨؛ كنز العمّال ٣: ٦١١ ـ ٦١٢، ح ٨١٥٧ ـ ٨١٦٢ بتفاوت.

فسارت كلّ مسير حتّى أخرجها الحاكم في أحوال أبي هريرة من مستدركه(١).

ومنها: أنّ مروان لمّا أراد أن يجلب على بني هاشم بخيله ورجله؛ ليمنعهم من دفن الإمام أبي محمّد الحسن المجتبى عند جدّه رسول الله ﷺ أوعزَ إلى أبي هريرة ـ من تدجيله ـ أن يعارضه، ويغلظ له القول في ذلك علانية؛ تمويهاً على العامّة وسواد الناس بأنّ له منزلة الصدّيقين لا تأخذه في الله ورسوله سطوة، ولا تمنعه عن الانتصار لهما قوّة.

وحين قام أبو هريرة بهذه المعارضة أظهر مروان الغضب منه، فكان بينهما صخب رياء، وغيظ تصنّع، اشتدّ أبو هريرة فيهما احتجاجاً على مروان بمنزلته من رسول الله ﷺ(٢) التي لم تكن لخاصّة أصحابه وذويه وبوعيه عنه ﷺ، وحفظه الذي فاق به السابقين الأوّلين كعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وأمثالهم، واسترسل في خصائصه التي توجب له أسمى منازل المقرّبين، فانتهت الخصومة بينهما ببخوع مروان لمنزلة أبي هريرة في الإسلام، ومكانته في العلم بالسنن، يرائي الناس ببخوعه لفضل أبي هريرة؛ ترويجاً لسلعته التي كان مروان ومعاوية وبنوهما يحاربون بها الحسن والحسين وأباهما وبنيهما، وكانت من أنجع الدعايات في تلك السياسات ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

---

(١) ٥١٠ من جزئه الثالث[2].

(٢) في حديث أخرجه ابن سعد من طريق الوليد بن رباح، ونقله ابن حجر في ترجمة أبي هريرة من إصابته[3]. وسنورده بألفاظه في فضائله من هذا الإملاء، معلّقين عليه ما لا يسعنا إغفاله[4].

---

١. البقرة (٢): ٧٩.

٢. المستدرك على الصحيحين ٤: ٦٥٠، ح ٦٢١٩.

٣. الطبقات الكبرى ٢: ٣٦٣؛ الإصابة ٧: ٣٥٩، الرقم ١٠٦٨٠.

٤. راجع آخر الفصل ١٥.

[الفصل] ١٠

كمّيّة حديثه

أجمع أهل الحديث ـ كما في ترجمته من الإصابة(١) وغيرها[١] ـ على أنّه أكثر الصحابة حديثاً، وقد ضبط الجهابذة من الحفظة الأثبات حديثه، فكان خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين مسنداً. وله في البخاري فقط أربعمائة وستّة وأربعون حديثاً(٢).

---

(١) راجع السطر الأخير ص ٢٤٠ من الجزء الرابع من الإصابة[٢] المطبوع في هامشها كتاب الاستيعاب.

(٢) راجع من إرشاد الساري شرح أوّل حديث لأبي هريرة أخرجه البخاري في صحيحه، وهو في باب: الإيمان من كتاب الإيمان، ص ٢١٢ من الجزء الأوّل من الإرشاد للشارح القسطلاني، تجد النصّ ثمّة على أنّ أبا هريرة روى عن النبيّ ﷺ ٥٣٧٤ حديثاً، وأنّ له في صحيح البخاري فقط أربعمائة وستّة وأربعين حديثاً[٣].

وضبط ابن حزم أيضاً مجموع ما حدّث به أبو هريرة، فكان ـ كما سمعت ـ ٥٣٧٤ مسنداً، فراجع ص ١٣٨ من الجزء الرابع من فصل ابن حزم أثناء كلامه في وجوه المفاضلة[٤].

---

١. كـ أُسد الغابة ٥: ٣١٥.

٢. الإصابة ٧: ٣٥٢، الرقم ١٠٦٨٠.

٣. إرشاد الساري ١: ٩٢.

٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤: ٢١٤.

وقد نظرنا في مجموع ما روي من الحديث عن الخلفاء الأربعة، فوجدناه بـالنسبة إلى حديث أبي هريرة وحده أقلّ من السبعة والعشرين في المائة؛ لأنّ جميع ما روي عن أبي بكر إنّما هو مائة واثنان وأربعون حديثاً(١)، وكلّ ما أُسند إلى عمر إنّما هو خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثاً(٢)، وكلّ ما لعثمان مائة وستّة وأربعون حديثاً(٣)، وكـلّ مـا رووه عن عليّ خمسمائة وستّة وثمانون مسنداً(٤)، فهذه ألف وأربعمائة وأحد عشر حديثاً،

---

(١) ضبطها الجهابذة فكانت بهذا العدد، وممّن صرّح بعدّتها جلال الدين السيوطي في أحوال أبي بكر من كتابه تاريخ الخلفاء[١]، وقد أوردها ثمّة بأجمعها في فصل أفرده لها. وضبطها أيضاً العلّامة النووي في التهذيب، وابن حزم الظاهري في ص ١٣٧ من الجزء الرابع من الفصل في الملل والنحل[٢] فنصّ على أنّها بهذا العدد. والذهبي صرّح في ترجمة إبراهيم بن سعيد الجوهري من ميزان الاعتدال[٣]: بأنّه لا يصحّ لأبي بكر عشرون حديثاً.

(٢) قال السيوطي في أوائل ترجمة عمر من تاريخ الخلفاء وروى له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثين حديثاً[٤].
وضبطها ابن حزم بهذا العدد في ص ١٣٨ من الجزء الرابع من فصله، وقال: إنّما يصحّ منها نحو خمسين[٥].

(٣) نصّ على ذلك جلال الدين السيوطي في أوائل أحوال عثمان من تاريخ الخلفاء[٦].

(٤) كما نصّ عليه السيوطي في أوائل ترجمة عليّ من تاريخ الخلفاء. وصرّح به ابن حـزم في ص ١٣٧ من الجزء الرابع من فصله[٧].

---

١. تاريخ الخلفاء: ٨٦ ـ ٩٤.
٢. تهذيب الأسماء واللغات ٢ (الجزء الثاني): ١٨٢، باب أبي بكر؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤: ٢١٣.
٣. ميزان الاعتدال ١: ٣٥، الرقم ٩٩.
٤. تاريخ الخلفاء: ١٠٨ ـ ١٠٩.
٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤: ٢١٤.
٦. تاريخ الخلفاء: ١٤٨.
٧. المصدر: ١٦٧؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤: ٢١٣.

فإذا نسبتها إلى حديث أبي هريرة وحده ـ وقد عرفت أنّه ٥٣٧٤ ـ تجد الأمر كما قلناه.

فلينظر ناظر بعقله في أبي هريرة، وتأخّره في إسلامه، وخموله في حسبه، وأُمّيّته، وما إلى ذلك ممّا يوجب إقلاله. ثمّ لينظر إلى الخلفاء الأربعة وسبقهم واختصاصهم، وحضورهم تشريع الأحكام، وحسن بلائهم في اثنتين وخمسين سنة، ثلاث وعشرين كانت بخدمة رسول الله ﷺ وتسعة وعشرين من بعده، ساسوا فيها الأُمّة، وسادوا الأُمم، وفتح الله لهم ملك كسرى وقيصر، فمدّنوا المدن، ومصّروا الأمصار، ونشروا دعوة الإسلام، وصدعوا بأحكامه، وأذاعوا السنن، ينحدر عنهم السيل، ولا يرقى إليهم الطير، فكيف يمكن ـ والحال هذه ـ أن يكون المأثور عن أبي هريرة وحده أضعاف المأثور عنهم جميعاً، أفتونا يا أُولي الألباب؟!

وليس أبو هريرة كعائشة ـ وإن أكثرت أيضاً ـ فقد تزوّجها رسول الله ﷺ قبل إسلام أبي هريرة بعشر سنين[(١)]، فكانت في مهبط الوحي والتنزيل، ومختلف جبرائيل وميكائيل أربعة عشر عاماً، وماتت قبل موت أبي هريرة بيسير[(٢)].

---

(١) أخرج ابن عبد البرّ في أحوال عائشة من الاستيعاب[١] عن ابن شهاب:

أنّ رسول الله ﷺ تزوّج عائشة في شوّال سنة عشر من النبوّة قبل الهجرة بثلاث سنين، وأعرس بها في المدينة في شوّال على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجرته إلى المدينة. انتهى.

فيكون زواجها قبل إسلام أبي هريرة بعشر سنين؛ إذ لا ريب في أنّ إسلامه إنّما كان سنة سبع.

(٢) توفّيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، سنة سبع وخمسين ـ أو ثمان وخمسين ـ قبيل وفاة أبي هريرة بيسير، وهو الذي صلّى عليها بأمر الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان والياً على المدينة من قبل عمّه معاوية، أراد إكرام أبي هريرة فأمره بالصلاة عليها ودفنت بالبقيع.

---

١. الاستيعاب ٤: ١٨٨١، الرقم ٤٠٢٩.

وشتّان بين الصحبتين وبين الفِطنتين، أمّا أمر الصحبتين فمعلوم، وأمّا الفطنتان فقد كان فهم عائشة يباري سمعها، وقلبها يسيق أُذنها، فلا أرشح منها فـؤاداً، ولا أسـرع تناولاً، وما نزل بها شيء إلّا أنشدت فيه شعراً.

وعن عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بـطبّ ولا بشـعر مـن عـائشة[1]. وعـن مسروق: رأيت مشيخة من أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض[2].

على أنّها اضـطرّت إلى نشـر حـديثها، إذ بـثّت دعـاتها فـي الأمـصار، وقـادت إلى البصرة ذلك العسكـر الجـرّار. ومـع هـذا فـإنّ جـميع مـا روي عـنها إنّـما هـو عشرة مسانيد ومائتا مسند وألفا مسند(١)، فـحديثها كـلّه أقـلّ مـن نـصف حـديث أبي هريرة.

ولو ضممت حديثها وحديث أُمّ سلمة ـ مع بقائها إلى ما بعد وقعة الطفّ ـ وجمعت ذلك كلّه إلى حديث البقيّة من أُمّهات المؤمنين، وحديث سيّدي شباب أهـل الجـنّة، وسيّدة نساء العالمين، وحديث الأربعة من خلفاء المسلمين، ما كان كلّه إلّا دون حديث أبي هريرة وحده! وهذا أمر ألفتُ إليه أرباب العقول.

---

(١) فيما ضبطه ابن حزم الظاهري في ص ١٣٨ من الجزء الرابع من فصله[3]، وغير واحد مـن الحفظة وأهل الضبط[4].

وأمّا قول القائل:

حفظت أربعين ألف حـديث ومـــن الذكـــر آيـة تـنساها

فليس على حقيقته، وإنّما هو كناية عن كثرة حفظها.

---

١ و ٢. حكاه عنهما الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢ : ١٨١ ـ ١٨٣، الرقم ١٩.

٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤: ٢١٤.

٤. كالذهبي في سير أعلام النبلاء ٢ : ١٣٩، الرقم ١٩.

على أنّه كان مع ذلك يزعم أنّ النبيّ ﷺ أفضى إليه بأحاديث لن يميط حجابها لأحد، ولا ينالها منه متسقّط(١)، فهي دخلة ضميره، ودفينة صدره، وأبو هريرة حصين الصدر، بعيد غور الضمير، كما تعلمون.

ولذا قال: حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين: فأمّا أحدهما فبثثته، وأمّا الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم(٢).

وقال: لو أنبأتكم بكلّ ما أعلم، لرماني الناس بالخزف، وقالوا: أبو هريرة مجنون[1].

وقال: لو حدّثتكم بكلّ ما في جوفي، لرميتموني بالبعر[2].

وقال: يقولون: أكثرتَ يا أبا هريرة، والذي نفسي بيده لو حدّثتكم بكلّ شيء سمعته من رسول الله ﷺ، لرميتموني بالقشع - يعني المزابل - ثمّ ما ناظرتموني(٣).

وقال: حفظت من رسول الله ﷺ أحاديث ما حدّثتكم بها، ولو حدّثتكم بحديث

---

(١) يقال: تسقّطه عن سرّه، أي احتال له حتّى أباح به[3].

(٢) أخرجه البخاري في باب حفظ العلم من كتاب العلم ص ٢٤ من الجزء الأوّل من صحيحه[4].

(٣) هذه الأحاديث الثلاثة ذوات الخزف والبعر والقشع أخرجها بالإسناد إليه ابن سعد في ترجمته ص ٥٧ من القسم الثاني من الجزء الرابع من الطبقات[5].

---

١ و ٢. راجع الطبقات الكبرى ٤: ٣٣١.

٣. المعجم الوسيط: ٤٣٥، «س. ق. ط».

٤. صحيح البخاري ١: ٥٦، ح ١٢٠.

٥. الطبقات الكبرى ٤: ٣٣٢.

منها، لرجمتموني بالأحجار(١).

قال: حفظت من رسول الله ﷺ خمسة جرب، فأخرجت منها جرابين، ولو أخرجت الثالث لرجمتموني بالحجارة(٢).

قلت: إنّ أبا هريرة لم يكن من رسول الله ﷺ وليّ عهده، ولا خليفته من بعده؛ ليؤثره بأسراره، ويفضي إليه من العلوم مالم يفض بها إلى أحد من خاصّته.

وما الفائدة بإفضاء تلك الأسرار إليه؟! وهو رجل ضعيف ذو مهانة تمنعه عن أن ينبس في شيء منها ببنت شفة، فإذا نبس رجم بالحجارة ورُمي بالبعر وبالمزابل، وإذا حدّث بشيء من تلك العلوم قطعوا منه البلعوم.

وهلّا أفضى بها إلى الخلفاء من بعده الغزاة الفاتحين الذين عنت لهم وجوه الأُمم، وخضعت لأقوالهم رقاب العرب والعجم، وساقوا الناس إلى ما أرادوا بعصاً واحدة، فإنّهم أولى بما يدّعيه أبو هريرة؛ إذ لو كانت عندهم تلك الأسرار، لانتشرت انتشار

---

(١) أخرجه الحاكم في ترجمة أبي هريرة من المستدرك، فراجع ص ٥٠٩ من جزئه الثالث وقد صحّحه[1]. وكذلك فعل الذهبي في تلخيصه[2]. وما أعزّ نفس أبي هريرة عليه إذ يقول: لرجمتموني بالأحجار، بالخزف، بالبعر، بالمزابل[3]، وكذلك حين يحدّث عن نفسه فيقول: يجيء الجائي فيضع رجله على عنقي[4]. وحين يحدّث عن بطنه وقمّله وسائر شؤونه[5].

(٢) أخرجه أبو نعيم في أحوال أبي هريرة ص ٣٨١ من حليته[6].

---

١. المستدرك على الصحيحين ٤: ٦٥٠، ح ٦٢١٨.

٢. التلخيص للذهبي ضمن المستدرك للحاكم ٣: ٥٠٩.

٣. إشارة إلى الأحاديث التي ذكرها المؤلّف آنفاً.

٤. حكاه عنه البخاري في صحيحه ٦: ٢٦٧٠ ـ ٢٦٧١، ح ٦٨٩٢.

٥. راجع الفصل ٣ من هذا الكتاب، وحلية الأولياء ١: ٣٨١، الرقم ٨٥.

٦. حلية الأولياء ١: ٣٨١، الرقم ٨٥.

الشمس في الأقطار، وحاشا رسول الله ﷺ أن يفعل عبثاً فيودعها حيث تضيع سدى لا ينتفع بها أحد أبداً.

ومن هو أبو هريرة؟! ليختصّ بهذه الحبوة دون السابقين الأوّلين ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[١].

على أنّ أبا هريرة كان كثيراً مّا يقول: إنّ أبا هريرة لا يكتم ولا يكتب(١)، فكيف يجتمع هذا القول منه، مع قوله: حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين: فأمّا أحدهما فبثثته، وأمّا الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم[٢]؟ إلى آخر أقواله في هذا المعنى الصريحة بأنّه كان يكتم.

ولنسأل أُولي البحث عن الأسرار الإلهيّة التي أفضاها ﷺ إلى أبي هريرة، فكان يكتمها خوفاً على حياته، أو إشفاقاً على كرامته، فهل كانت من سنخ الأسرار التي عهد بها رسول الله ﷺ إلى وليّه ووصيّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، أموراً تتعلّق بالخلافة، وتختصّ بالخلفاء من بعده، أم كانت من سنخ آخر؟

فإن كانت من السنخ الأوّل فلماذا كان منصرفاً عنها كلّ الانصراف، مخالفاً لمقتضياتها كلّ الخلاف، وكان رأيه فيما هنالك رأي الجمهور، مسترسلاً معهم في كلّ الأُمور؟

وإن كانت [من] السنخ الثاني فلا خوف عليه وإن حدّث بالطامّات، أو جاء بالمخزيات.

(١) أخرجه ابن سعد في ص ١١٩ من القسم الثاني من الجزء الثاني من طبقاته عند ذكر أبي هريرة في باب: أهل العلم والفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ[٣].

١. الواقعة (٥٦): ١٠ ـ ١١.

٢. صحيح البخاري ١: ٥٦، ح ١٢٠.

٣. الطبقات الكبرى ٢: ٣٦٤.

ألم يحدّث بنوم النبيّ عن صلاة الصبح، وعروض الشيطان له ﷺ ـ وهو في الصلاة ـ ليقطعها عليه؟![١]

ألم يروِ أنّه سها فصلّى الرباعيّة ثنائيّة! فقيل له: أنسيت أم قصرت الصلاة؟ فقال: لم أنس ولم تُقصر؟[٢]

ألم يخبر أنّه كان ﷺ يؤذي ويسبّ ويلعن ويجلد على الغضب من لا يستحقّ ذلك؟[٣]

لم يَصِم الأنبياء بما لا يجوّزه عليهم شرع ولا عقل، حتّى روى عن رسول الله ﷺ أنّه قال: نحن أحقّ بالشكّ من إبراهيم، وروى عن لوط ما يستلزم ضعف ثقته بالله تعالى؟[٤]

ألم يتسوّر على آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى وعيسى بما يجب تنزيههم عنه؟[٥]

ألم ينسب إلى كليم الله ونجيّه موسى عليه السلام: أنّه لطم ملك الموت ففقأ عينه[٦]، وأنّه اشتدّ يركض مرّة ـ وهو عريان ـ فمرّ على بني إسرائيل فنظروا إلى سوأته؟[٧]

ألم يحدّث عن سليمان بن داود أنّه نقض حكم أبيه، وأنّه أبى أن يعلّق أمره على مشيئة الله ـ تعالى ـ ففشل في أمره؟[٨]

ألم يحدّث عن الله ـ عزّوجلّ ـ بما لا يجوز عليه شرعاً ولا عقلاً، كقوله: لا تمتلىء جهنّم حتّى يضع الله رجله فيها[٩]. وكقوله في حديث أهل المحشر: فيأتيهم الله في

---

١. راجع الفصل ١١، الحديث ١٦.
٢. راجع الفصل ١١، الحديث ١٣.
٣. راجع الفصل ١١، الحديث ١٤.
٤. راجع الفصل ١١، الحديث ١٠.
٥. راجع الفصل ١١، الحديث ٩.
٦. راجع الفصل ١١، الحديث ٧.
٧. راجع الفصل ١١، الحديث ٨.
٨. راجع الفصل ١١، الحديث ٥.
٩. راجع الفصل ١١، الحديث ٣.

غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، ثمّ يأتيهم في الصورة التي يعرفون! فيقولون: أنت ربّنا[1]، وكقوله: خلق آدم على صورة الرحمن[2]، وقوله: خلق الله آدم على صورته طوله ستّون ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً؟[3]

إلى كثير ممّا ستسمعه في الفصل الآتي من هذه الفظائع التي تقطع البلعوم، فما باله يحدّث بها مطمئنّاً كلّ الاطمئنان، بل ممتنّاً بها على الأُمّة كلّ الامتنان، وقد حدّث بالخرافات، فلم يرجم بحجر، ولم يرم بقشع ولا بعر، كما يعلمه من ألمّ بأحواله، ولكن مُنينا بقوم لا ينصفون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وممّا نلفت إليه أُولي النظر من كلّ بحّاثة أنّ أبا هريرة كان يقول(١): ما من أصحاب النبيّ ﷺ أحدٌ أكثر حديثاً عنه منّي إلّا ما كان من عبدالله بن عمرو ـ بن العاص ـ فإنّه كان يكتب ولا أكتب. انتهى.

يعترف أنّ عبدالله هذا كان أكثر منه حديثاً عن رسول الله ﷺ، كما ترى، وقد بحثنا عن حديث عبدالله بن عمرو فوجدناه سبعمائة مسند، لا يزيد على هذا العدد شيئاً(٢)، فهو دون السبع من حديث أبي هريرة، كما لا يخفى.

---

(١) فيما حدّث به وهب بن منبّه، عن أخيه همام، عن أبي هريرة. وأخرجه البخاري في باب: كتابة العلم من كتاب العلم، ص ٢٢ من الجزء الأوّل من صحيحه[4].

(٢) وقد ضبطه القسطلاني في شرح هذا الحديث من كتابه إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ص ٣٧٣ من جزئه الأوّل[5] فكان بهذا العدد.

---

١. راجع الفصل ١١، الحديث ٢.

٢ و ٣. راجع الفصل ١١، الحديث ١.

٤. صحيح البخاري ١: ٥٤، ح ١١٣.

٥. إرشاد الساري ١: ٢٠٦.

وقد أُرتج على العلماء الأعلام باب الاعتذار عن أبي هريرة في هذا التهافت، لكن ابن حجر القسطلاني والشيخ زكريّا الأنصاري قد اعتذرا عند انتهائهما إلى هذا الحديث في شرحيهما(١) بأنّ عبدالله بن عمرو بن العاص سكن مصر، وكان الواردون إليها قليلاً، فقلّت روايته، بخلاف أبي هريرة، فإنّه استوطن المدينة، وهي مقصد المسلمين من كلّ جهة، فكثرت روايته.

وأنت تعلم أنّ كلام أبي هريرة بظاهره، بل بصريحه، يحبط هذا الاعتذار، ألا تراه يقول: ما من أصحاب النبيّ أحد أكثر حديثاً عنه منّي إلّا ما كان من عبدالله بن عمرو؛ فإنّ معناه ـ كما في إرشاد الساري وفي تحفة الباري كليهما ـ ما أحد من أصحاب النبيّ حديثه أكثر من حديثي إلّا أحاديث حصلت من عبدالله، فإنّها أكثر من حديثي. وإذا كان الرجل يعترف بأنّ الأحاديث التي حصلت من عبدالله أكثر من حديثه فأيّ وجه لما اعتذر به الشارحان؟!

على أنّ مقام عبدالله في مصر كان أدعى لكثرة روايته؛ إذ كان له ثمّة المكانة العالية والمنزلة السامية، حيث لم يكن هناك سواه ممّن تعرفهم الناس من الصحابة إلّا نزر يسير، أو عابر سبيل، لذلك تبوّأ مقام المرجع الوحيد في شرائع الإسلام وعلوم الكتاب والسنّة. وشتّان بين مقامه في مصر، ومقام أبي هريرة في المدينة؛ إذ كان لعبدالله في نفوس أهل مصر منزلة العالم المرشد الصدوق، وابن الحاكم الفاتح عنوة.

---

(١) وهما إرشاد الساري للقسطلاني، وتحفة الباري[1] لزكريّا الأنصاري، وقد طبعا معاً في اثني عشر جزءاً، ووضع بالهامش متن صحيح مسلم وشرحه للنووي. والعذر المذكور تجده في ص ٣٧٣ من الجزء الأوّل.

---

١. إرشاد الساري ١: ٢٠٦.

أمّا أبو هريرة في المدينة، فقد كان كواحد من أُلوف الصحابة الذين كانوا على عهده، وكانت وفود المدينة إنّما تأتي مشاهير الصحابة، وأبو هريرة لم يكن منهم، على أنّه كان متّهماً عندهم، وكثيراً مّا كانوا ينقمون عليه إكثاره على رسول الله ﷺ، فيقولون: إنّ أبا هريرة يكثر الحديث. ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدّثون مثل أحاديثه[1]، فمقامه في المدينة ـ والحال هذه ـ كان أدعى لقلّة روايته، فمن الغريب أن يكون حديثه أكثر من حديث عبدالله، وخصوصاً بعد اعترافه له، وبعد العلم بأنّ عبدالله عمّر بعد أبي هريرة زمناً ليس بالقصير[2].

والحقّ أنّ أبا هريرة إنّما اعترف لعبدالله في أوائل أمره بعد رسول الله ﷺ، حين لم يكن مفرطاً هذا الإفراط الفاحش، فإنّه إنّما تفاقم إفراطه، وطغى فيه على عهد معاوية، حيث لا أبو بكر ولا عمر ولا عليّ، ولا غيرهم من شيوخ الصحابة الذين كان يخشاهم أبو هريرة، كما أشرنا إليه، وسنوضحه في محلّه من هذا الإملاء[1] إن شاء الله تعالى.

---

(١) كان أبو هريرة يتذمّر منهم، ويشكوهم إلى الله فيما أخرجه البخاري عنه في آخر المزارعة من الجزء الثاني من صحيحه[2].

(٢) لأنّ أبا هريرة توفّي ـ كما في آخر ترجمته من الإصابة[3] ـ سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة تسع وخمسين.

أمّا عبد الله بن عمرو بن العاص فقد مات ـ كما في ترجمته من الإصابة[4] ـ سنة خمس وستّين، وقيل: سنة ثمان وستّين، وقيل: سنة تسع وستّين، وقيل ـ كما في ترجمته من كتاب القيسراني في رجال الصحيحين[5] ـ: مات سنة اثنين وتسعين، والله تعالى أعلم.

---

١. راجع الفصل ١٥.

٢. صحيح البخاري ٢: ٨٢٧، الرقم ٢٢.

٣. الإصابة ٧: ٣٦٢، الرقم ١٠٦٨١.

٤. المصدر ٤: ١٦٧، الرقم ٤٨٦٥.

٥. الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٢٣٩، الرقم ٨٧٩.

[الفصل] ١١

كيفيّة حديثه

الأذواق الفنّيّة لا تسيغ كثيراً من أساليب أبي هريرة في حديثه، والمقاييس العلميّة ـ عقليّة ونقليّة ـ لا تقرّها. وحسبك عنواناً لهذه الحقيقة «أربعون حديثاً» صحّت عنه، أتلوها الآن عليك لتمعن فيها وفيما علّقناه عليها متحرّراً متجرّداً، ولك بعد ذلك رأيك:

١ . خلق الله آدم على صورته

أخرج الشيخان ـ البخاري ومسلم(١) ـ من طريق عبدالرزّاق، عن معمر، عن

---

(١) راجع من البخاري الحديث الأوّل من كتاب الاستئذان في ص ٥٧ من جزئه الرابع، ومن صحيح مسلم باب يدخل الجنّة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، من كتاب الجنّة وصفة نعيمها، ص ٤٨١ من جزئه الثاني[1]. وأخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة في ص ٣١٥ من الجزء الثاني، من مسنده[2] من حديث طويل يشتمل على أُمور كثيرة.

---

١. صحيح البخاري ٥: ٢٢٩٩، ح ٥٨٧٣؛ صحيح مسلم ٤: ٢١٨٣ ـ ٢١٨٤، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، ح ٢٨ بتفاوت يسير.

٢. مسند أحمد ٣: ١٩٣، ح ٨١٧٧.

همام بن منبّه، قال: هذا ما حدّثنا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستّون ذراعاً» ـ وزاد أحمد(١) من طريق سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة مرفوعاً: «في سبعة أذرع عرضاً» ـ قال: فلمّا خلقه قال: «اذهب فسلّم على أُولئك النفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيّونك؛ فإنّها تحيّتك وتحيّة ذرّيّتك ـ قال: ـ فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله ـ قال: ـ فزادوه ورحمة الله، فكلّ من يدخل الجنّة على صورة آدم، وطوله ستّون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتّى الآن». انتهى.

وهذا ممّا لا يجوز على رسول الله ﷺ، ولا على غيره من الأنبياء، ولا على أوصيائهم عليهم السلام. ولعلّ أبا هريرة إنّما أخذه عن اليهود(٢) بواسطة صديقه كعب الأحبار أو غيره، فإنّ مضمون هذا الحديث إنّما هو عين الفقرة السابعة والعشرين من الأصحاح الأوّل من إصحاحات التكوين من كتاب اليهود ـ العهد القديم ـ وإليك نصّها بعين لفظه، قال: فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأُنثى خلقهم. انتهى.

تقدّس الله عن الصورة والكيفيّة والشبيه، وتعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

---

(١) كما في آخر ص ٩٠ من الجزء السابع من إرشاد الساري[١] في باب خلق آدم وذرّيّته، من كتاب بدء الخلق.

(٢) وكان في كثير من حديثه عيالاً على اليهود، ألا تراه يرسل قوله: إنّ سيحان وجيحان والفرات ونيل مصر كلّها من الجنّة. أخرج هذا عنه الخطيب في ترجمة محمّد بن الحسين المطبخي في ص ٢٣٥ من المجلّد الثاني من تاريخ بغداد[٢]، وهذا مأخوذ عن العهد القديم.

---

١. إرشاد الساري ٥: ٣١٩.

٢. تاريخ بغداد ٢: ٢٣٥، الرقم ٦٩٢.

وربّما تأوّلوا الحديث فأرجعوا ضمير «صورته» إلى آدم نفسه لا إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ فيكون المعنى: إنّ الله ـ عزّ وعلا ـ خلقه في الجنّة على صورته التي كان عليها بعد هبوطه منها؛ إذ أنشأه تامّاً مستوياً، طوله ستّون ذراعاً، وعرضه سبعة أذرع، لم يتغيّر من حال إلى حال، ولم يتطوّر أطواراً مختلفة كذرّيّته، فلم يكن نطفة، ثمّ علقة، ثمّ مضغة، ثمّ عظاماً كسيت لحماً، ثمّ جنيناً، ثمّ رضيعاً، ثمّ فطيماً، ثمّ مراهقاً، ثمّ رجلاً حتّى تمّ طوله وعرضه، بل خلقه دفعة واحدة على صورته التي رآه عليها بنوه في الأرض.

هذا غاية ما يمكن أن يقوله أهل التنزيه في تأويل هذا الحديث لولا وروده عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «خُلق آدم على صورة الرحمن»(١) أو مجيؤه من طريق الجمهور بسند آخر مرفوعاً أيضاً بلفظ: إنّ موسى عليه السلام ضرب الحجر لبني إسرائيل فتفجّر وقال: «اشربوا ياحمير» فأوحى الله تعالى إليه: عمدت إلى خلق خلقتهم على صورتي فشبّهتهم بالحمير(٢). الحديث.

وهذا ما أخرج الجمهور، ولم يبق لمدافعتهم عن أبي هريرة بالتأويل الذي قلناه محلّاً، ولذا أسلموا بإعادة الضمير في صورته إلى الله تعالى متأوّلين تأوّلاً آخر،

(١) هذا الحديث بهذا اللفظ مستفيض عن أبي هريرة[١]، وقد جعله القسطلاني قرينة على أنّ الهاء من «صورته» ـ في قول أبي هريرة: خلق الله آدم على صورته ـ إنّما هي «لله» تعالى، لا «لآدم» فراجع ص ٤٩١ من الجزء العاشر من إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري[٢].

(٢) أورده ابن قتيبة في ص ٢٨٠ من كتابه تأويل مختلف الحديث[٣]، وجعله دليلاً على أنّ ضمير «صورته» في قوله: «خلق الله آدم على صورته» راجع إلى «الله» لا إلى «آدم».

١. للمزيد راجع المصادر المذكورة في بداية المبحث قُبيل هذا، وما سيذكر قريباً.

٢. إرشاد الساري ٩: ١٣٠.

٣. تأويل مختلف الحديث: ٢١٧ ـ ٢٢١.

وحاصله أنّ المراد من قوله: «خلق الله آدم على صورته» وقوله: «خلق آدم على صورة الرحمن» وقوله في الحديث الأخير: «خلقتهم على صورتي» أنّه تعالى خلق آدم وبنيه على صفة الله، فإنّ الله ـ عزّوجلّ ـ حيّ سميع بصير متكلّم عالم مريد كاره، وكذلك آدم وبنوه.

وأنت تعلم أنّهم وقعوا فيما فرّوا منه؛ لأنّ صفة الله ـ عزّوجلّ ـ تنزّهت عن التشبيه بإجماع أهل التنزيه، ولا سيّما على قولنا بأنّ صفاته عين ذاته، وهو الحقّ بحكم العقل والنقل، كما هو مقرّر في محلّه من اُصولنا.

على أنّ أبا هريرة قد تطوّر في هذا الحديث كما هي عادته، فتارة رواه كما سمعت، وتارة رواه بلفظ: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه؛ فإنّ الله خلق آدم على صورته»(١) ومرّة رواه بلفظ: «إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل: قبّح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك؛ فإنّ الله خلق آدم على صورته»(٢). انتهى.

ولا يخفى أنّه قطع بهذا على أوليائه خطّ الرجعة إلى كلّ من التأويلين، فإنّك تعلم أنّه لا يصحّ إرجاع الضمير في «صورته» إلى «آدم» في كلّ من الروايتين، بل لابدّ

(١) أخرجه بهذه الألفاظ عن أبي هريرة بطرق إليه كثيرة غير واحد من حفظة الآثار، فراجع ص ٣٩٧ من الجزء الثاني من صحيح مسلم في باب النهي عن ضرب الوجه تجده بعين لفظه[1].

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد[2]. ورواه أحمد بالطرق الصحيحة عن أبي هريرة ص ٤٣٤ من الجزء الثاني من مسنده[3].

١. صحيح مسلم ٤: ٢٠١٦ ـ ٢٠١٧، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ١١٦.

٢. صحيح البخاري ٥: ٢٢٩٩، ح ٥٨٧٣. وذكره في كتاب الاستئذان.

٣. مسند أحمد ٣: ٥٥، ح ٧٤٢٤، و٤٢٩ ـ ٤٣٠، ح ٩٦١٠.

من إرجاعه إلى الله ـ عزّوجلّ ـ ليستقيم الكلام، ويصحّ تعليل النهي عن ضرب الوجه وتقبيحه(١).

وتعلم أيضاً أنّ خلق آدم حيّاً سميعاً بصيراً متكلّماً عالماً مريداً كارهاً لا يوجب اختصاص الوجه بالصون دون باقي الجوارح، فحمل تينك الروايتين على واحد من ذينك التأويلين ممّا لا وجه له، بل لا يكون للروايتين معنى، إلّا إذا أُريد بهما صون وجه الإنسان؛ لكونه يشبه وجه الله، تعالى الله وتقدّست ذاته وصفاته وأسماؤه. ولذلك تحيّر المحقّقون من أهل التنزيه من الجمهور، وتوقّفوا في معاني هذه الأحاديث كلّها، وأحالوا العلم بالمراد منها إلى الله الذي أحاط بكلّ شيء علماً، كما صرّح به شارحوا الصحيحين عند انتهائهم إلى هذا الحديث من شروحهم، فراجع(٢).

---

(١) ليت أبا هريرة علّل النهي عن ضرب الوجه بلطفه وجماله، وجمعه للأعضاء النفيسة من السمع والبصر والأنف والفم والشفتين والأسنان والحاجبين والجبهة وغيرها، فإنّ أكثر الإدراك إنّما يكون بها، فقد يعطّلها الضرب أو ينقصها، وقد يشوّه الوجه وتشويه الوجه فاحشٌ؛ لكونه بارزاً لا يمكن ستره، لكنّ أبا هريرة إنّما يؤثر التحريف من حيث يدري أولياؤه أو لا يدرون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

(٢) قال الإمام النووي:

وإنّ من العلماء من يمسك عن تأويل هذه الأحاديث كلّها ويقول: نؤمن بأنّها حقّ وأنّ ظاهرها غير مراد، ولها معان تليق بها ـ قال ـ: وهذا مذهب جمهور السلف، وهو أحوط وأسلم[١]، إلى آخر كلامه.

فراجعه في شرح صحيح مسلم، وهو مطبوع في هامش شرحي البخاري، وما نقلناه عنه هنا موجود في ص ١٨ من الجزء ١٢ من الشرح في باب النهي عن ضرب الوجه. ←

---

١. شرح صحيح مسلم للنووي ١٦: ٤٠٢، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه.

تنبيهان

أحدهما: أنّه إذا كان طول آدم ستّين ذراعاً يجب مع تناسب أعضائه أن يكون عرضه سبعة عشر ذراعاً وسبع الذراع، وإذا كان عرضه سبعة أذرع يجب أن يكون طوله أربعة وعشرين ذراعاً ونصف الذراع؛ لأنّ عرض الإنسان مع استواء خلقه بقدر سبعي طوله، فما بال أبي هريرة يقول: طوله ستّون ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً؟ فهل كان آدم غير متناسب في خلقته، مشوّهاً في تركيبه؟ كلّا! بل قال الله تعالى ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1].

ثانيهما: أنّ تحيّة السلام إنّما شرّعت في دين الإسلام، وقد قال رسول الله ﷺ(١): «ما حسدكم اليهود على شيء كما حسدوكم على السلام» فلولا اختصاصه بهذه الأمّة

← ونقل القسطلاني نحوه في ص ٤٩١ من الجزء العاشر من إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري، ثمّ قال: وهذا أسلم[2].

قلت: هذا بناء منهم على صحّة هذه الأحاديث، وهيهات ذلك ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾[3].

(١) فيما أخرجه ابن ماجة في صحيحه[4]. وصحّحه ابن خزيمة بالإسناد إلى عائشة مرفوعاً[5]، ونقله القسطلاني في صفحة ٤٩٢ من الجزء العاشر من إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري أثناء شرح حديث أبي هريرة هذا[6].

---

١. التين (٩٥): ٤.

٢. إرشاد الساري ٩: ١٣٠.

٣. العنكبوت (٢٩): ٤١.

٤. سنن ابن ماجة ١: ٢٧٨، ح ٨٥٦، بتفاوت يسير في بعض الألفاظ.

٥. حكاه عنه العسقلاني في إرشاد الساري ٩: ١٣١.

٦. تقدّم آنفاً.

ما اختصّوهم بالحسد عليه.

فما بال أبي هريرة يقول في هذا الحديث: فلمّا خلق الله آدم قال: «اذهب فسلّم على أُولئك النفر من الملائكة، فاستمع ما يحيّونك، فإنّها تحيّتك وتحيّة ذرّيّتك»؟[1]

وما رأي أُولي النظر في هذا الخبر؟! وماذا يقولون في قول أبي هريرة: فلم يزل الخلق ينقص بعده حتّى الآن؟!

٢. رؤية الله يوم القيامة بالعين الباصرة في صور مختلفة

أخرج الشيخان(١) بالإسناد إلى أبي هريرة قال: قال أُناس: يا رسول الله، هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارّون في الشمس ليس دونها سحابٌ؟» قالوا: لا، يارسول الله، قال: «هل تضارّون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا، يارسول الله، قال: «فإنّكم ترونه يوم القيامة، كذلك يجمع الله الناس فيقول: من كان

---

(١) أمّا البخاري فأخرجه في آخر ص ٩٢ من الجزء الرابع من صحيحه[2] في باب الصراط جسر جهنّم من كتاب الرقاق. وأخرجه أيضاً في ص ١٠٠ من الجزء الأوّل من صحيحه[3] في باب فضل السجود من كتاب الأذان.

وأمّا مسلم، فأخرجه في ص ٨٦ من الجزء الأوّل من صحيحه[4] في باب إثبات رؤية المؤمنين ربّهم في الآخرة.

وأخرجه أحمد في ص ٢٧٥ من الجزء الثاني من مسنده[5].

---

١. تقدّم في بداية هذا الحديث.

٢. صحيح البخاري ٥: ٢٤٠٣ ـ ٢٤٠٤، ح ٦٢٠٤.

٣. المصدر ١: ٢٧٧ ـ ٢٧٩، ح ٧٧٣، ذكره في كتاب صفة الصلاة.

٤. صحيح مسلم ١: ١٦٣ ـ ١٦٤، كتاب الإيمان، ح ٢٩٩.

٥. مسند أحمد ٣: ١٠٩، ح ٧٧٢١، و ٦٣٤، ح ١٠٩٠٦.

يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت.

وتبقى هذه الأُمّة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون! فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتّى يأتينا ربّنا، فإذا أتانا ربّنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون! فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: أنت ربّنا فيتبعونه.

ويضرب جسر [على] جهنّم ـ قال: ـ قال رسول الله ﷺ: «فأكون أوّل من يجيز[(١)] ـ ودعاء الرسل يومئذٍ: «اللّهمّ سلّم سلّم» ـ، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟» قالوا: بلى، قال: «فإنّها مثل شوك السعدان، غير أنّها لا يعلم قدر عظمتها إلّا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبَق بعمله، ومنهم المُخَرْدَل ثمّ ينجو، حتّى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يُخرِج من النار من أراد أن يُخرِج ممّن كان يشهد أن لا إله إلّا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتُحشوا، فيُصَبّ عليهم ماء يقال له : ماء الحياة، فينبتون نبات الحبّة في حميل السيل.

ويبقى رجل مقبلٌ بوجهه على النار، فيقول: يا ربّ قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فاصرف وجهي عن النار، فلا يزال يدعو الله، فيقول: لعلّك إن أعطيتُك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا، وعزّتك لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثمّ يقول بعد ذلك: يا ربّ قرّبني الجنّة، فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يابن آدم، ما أغدرك! فلا يزال يدعو، فيقول: لعلّي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره؟ فيقول: لا، وعزّتك لا أسألك غيره، فيعطي الله من عهودٍ ومواثيق أن لا يسأله غيره، فيقرّبه إلى

(١) «يجيز» لغة في يجوز، يقال: جاز وأجاز بمعنى واحد، كذا قال في النهاية الأثيريّة[١].

١. النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٣١٥، «ج. و. ز».

باب الجنّة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثمّ يقول: ربّي أدخلني الجنّة، فيقول له: أوليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يابن آدم ما أغدرك! فيقول: يا ربِّ لا تجعلني أشقىٰ خلقك، فلا يزال يدعو حتّى يضحك الله! فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل [فيها] قيل: تمنّ من كذا، فيتمنّى، ثمّ يقال له: تمنّ من كذا، فيتمنّى، حتّى تنقطع به الأماني، فيقول له: هذا لك ومثله معه ...» الحديث.

وقد أخرجه مسلم بسند آخر(١) وإنّما جاء فيه عنده: «أنّ الله ـ عزّوجلّ ـ يأتي يوم القيامة هذه الأُمّة ـ وفيها البرّ والفاجر، وهو في أدنى صورةٍ من التي رأوه فيها ـ فيقول لهم: أنا ربّكم، فيقولون : نعوذ بالله منك! فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق! فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلّا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من يسجد اتّقاء ورياء إلّا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلّما أراد أن يسجد خرّ على قفاهُ ثمّ يرفعون رؤوسهم فيرون الله، وقد تحوّل في صورته التي رأوه فيها أوّل مرّة، فقال: أنا ربّكم ؟ فيقولون: أنت ربّنا، ثمّ يضرب الجسر على جهنّم». الحديث، وهو طويل.

وقد اختصره البخاري في تفسير سورة نون من صحيحه(٢) ولفظه ثمّ: سمعت النبيّ يقول: «يكشف ربّنا عن ساقه! فيسجد له كلّ مؤمن ومؤمنة، ويبقى من يسجد في الدنيا رياءً وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً». انتهى.

---

(١) في ص ٨٨ والتي بعدها من الجزء الأوّل من صحيحه في باب إثبات رؤية المؤمنين ربّهم في الآخرة، من أواخر كتاب الإيمان[١].

(٢) ص ١٣٨ من جزئه الثاني[٢].

---

١. صحيح مسلم ١: ١٦٨ ـ ١٦٩، كتاب الإيمان، ح ٣٠٢ بنقص وتفاوت يسير في بعض الألفاظ.

٢. صحيح البخاري ٤: ١٨٧١، ح ٤٦٣٥.

وهذا حديث مهول ألفت إليه أرباب العقول، فهل يجوز عندهم أن تكون لله صور مختلفة، ينكرون بعضها، ويعرفون البعض الآخر؟ وهل يرون أنّ لله ساقاً تكون آية له وعلامة عليه؟ وبأيّ شيء كانت ساقه علامة دون غيرها من الأعضاء؟ وهل تجوز عليه الحركة والانتقال فيأتيهم أوّلاً وثانياً؟! وهل يجوز عليه الضحك؟ وأيّ وزن لهذا الكلام؟ وهل يشبه كلام رسول الله ﷺ؟ لا، والذي بعثه بالحقّ ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1].

كلمة في الرؤية

أمّا رؤية الله ـ عزّوجلّ ـ بالعين الباصرة، فقد أجمع الجمهور على إمكانها في الدنيا والآخرة، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة، وأنّ المؤمنين والمؤمنات سيرونه يوم القيامة بأبصارهم، وأنّ الكافرين والكافرات لا يرونه أبداً. وأكثر هؤلاء على أنّ الرؤية لا تقع في الدنيا، وربّما قال بعضهم بوقوعها أيضاً.

ثمّ إنّ المجسّمة من هؤلاء زعموا أنّهم سيرونه يوم القيامة باتّصال الأشعّة من أبصارهم بجسمه ماثلاً أمامهم، فينظرون إليه كما ينظر بعضهم إلى بعض لا يمارون فيه، كما لا يمارون في الشمس والقمر، ليس دونهما سحاب على ما يقتضيه حديث أبي هريرة. وقد خالف هؤلاء حكم العقل والنقل، وخرقوا إجماع الأُمّة بأسرها، وخرجوا عليها. ومرقوا من الدين، وخالفوا ما علم منه بحكم الضرورة الإسلاميّة، فلا كلام لنا معهم.

وأمّا غيرهم من الجمهور ـ وهم المنزّهون من الأشعريّة ـ فقد قالوا بأنّ الرؤية قوّة سيجعلها الله تعالى يوم القيامة بأبصار المؤمنين والمؤمنات خاصّة، لا تكون باتّصال الأشعّة، ولا بمقابلة المرئيّ، ولا بتحيّزه، ولا بتكيّفه، ولا، ولا. فهي على غير الرؤية

---

١. الجمعة (٦٢): ٢.

المعهودة للناس، بل هي رؤية خاصّة تقع من أبصار المؤمنين والمؤمنات على الله عزّوجلّ، لا كيف فيها، ولا جهة من الجهات الستّ[١].

وهذا محال لا يعقل، ولا يمكن أن يتصوّره متصوّر إلّا إذا اختصّ الله المؤمنين في الدار الآخرة ببصر آخر لا تكون فيه خواصّ الأبصار المعهودة في الحياة الدنيا، على وجه تكون فيه الرؤية البصريّة كالرؤية القلبيّة، وهذا خروج عن محلّ النزاع في ظاهر الحال، ولعلّ النزاع بيننا وبينهم في الواقع ونفس الأمر لفظي.

٣. لا تمتلئ النار حتّى يضع الله تعالى رجله فيها

أخرج الشيخان من طريق عبد الرزّاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة، قال: قال النبيّ ﷺ: «تحاجّت الجنّة والنار، فقالت النار: أُوثرت بالمتكبّرين والمتجبّرين! وقالت الجنّة: مالي لا يدخلني إلّا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ للجنّة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنّما أنت عذابي أُعذّب بك من أشاء من عبادي، ولكلّ واحدة منهما ملؤها، فأمّا النار فلا تمتلئ حتّى يضع رجله فتقول: قط قط، فهناك تمتلئ ويُزوى بعضها إلى بعض»(١). الحديث.

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة ق ص ١٢٧ من الجزء الثالث من صحيحه[٢].
وأخرجه مسلم في ص٤٨٢ من الجزء الثاني من صحيحه في باب النار يدخلها الجبّارون والجنّة يدخلها الضعفاء، أخرجه من خمسة طرق عن أبي هريرة[٣].
وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة آخر ص٣١٤ من الجزء الثاني من مسنده[٤].

١. للمزيد راجع الموسوعة ج ٤، كلمة حول الرؤية.
٢. صحيح البخاري ٤ : ١٨٣٦، ح ٤٥٦٩.
٣. صحيح مسلم ٤ : ٢١٨٦ ـ ٢١٨٨، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، ح ٣٥ ـ ٣٨.
٤. مسند أحمد ٣ : ١٩٢، ح ٨١٦٩.

إنّ أبا هريرة كلّما ازداد مثالة زاده الله رعالة[١]، رأى أنّ جهنّم أوسع من أن تمتلئ بالعصاة، وأنّ الله ـ عزّوجلّ ـ أخبر بامتلائها إذ قال: ﴿فَالْحَقُّ[٢] والحَقَّ أَقُولُ * لأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾١ فوقف أبو هريرة أمام هذين الأمرين وقفة الحائر، يفكّر في الجمع بينهما حتّى انتهى به الفكر إلى حلّ المشكلة بإدخال رجل الله في جهنّم؛ لأنّ رجل الله تعالى ـ على رأي أبي هريرة ـ لابدّ أن تكون أفخم وأعظم من جهنّم مهما كانت جهنّم متّسعة الأكناف، ومهما كانت متباعدة الأطراف، وأبو هريرة كيس ثقف لقف، لا غرو أن جمع بين المتناقضات، لكن فاته تدبّر قوله تعالى إذ قال: ﴿فَالْحَقُّ والحَقَّ أَقُولُ * لأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ولو تدبّر الآية لاعتقل لسانه وانصرف يتعثّر بنَمِرَته، فإنّها نصّ في أنّ امتلاءها لا يكون إلّا منه ـ أي من جنسه ـ وهم الشياطين وممّن تبعه من الناس كافّة.

وعلى كلّ فإنّ هذا الحديث محال ممتنع بحكم العقل والشرع، وهل يؤمن مسلم ـ ينزّه الله تعالى ـ بأنّ لله رِجلاً؟ وهل يصدّق عاقل بأنّه يضعها في جهنم لتمتلئ بها؟! وما الحكمة بذلك؟! وأيّ وزن لهذا الكلام البارد!؟ وبأيّ لسان تتحاجّ النار والجنّة!؟ وبأيّ حواسّهما أدركتا ما أدركتاه، وعرفتا من دخلهما، وأيّ فضل للمتجبّرين والمتكبّرين لتفخر بهم النار وهم يومئذٍ في أسفل سافلين؟ وكيف تظنّ الجنّة أنّ الفائزين بها من سقطة الناس وهم من الذين أنعم الله عليهم بين نبيّ وصدّيق وشهيد وصالح؟ ما أظنّ الجنّة والنار قد بلغ بهما الجهل والحمق والخرف إلى هذه الغاية.

---

(١) مَثَلٌ يضرب لمن كان كلّما ازداد رزقاً زاده الله حُمْقاً.

(٢) «فالحقّ» مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: فالحقّ قسمي أو يميني لأملأنّ جهنّم، و«الحقّ أقول» اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه، معناه: لا أقول إلّا الحقّ.

---

١. ص (٣٨): ٨٤ـ ٨٥.

٤. نزول ربّه كلّ ليلة إلى سماء الدنيا تعالى الله

أخرج الشيخان من طريق ابن شهاب، عن أبي عبدالله الأغرّ وأبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة مرفوعاً، قال: «ينزل ربّنا كلّ ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى الثلث الأخير، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟»(١). الحديث.

تعالى الله عن النزول والصعود والمجيء والذهاب والحركة والانتقال وسائر العوارض والحوادث، وقد كان هذا الحديث والثلاثة التي قبله مصدراً للتجسيم في الإسلام، كما ظهر في عصر التعقيد الفكري.

وكان من الحنابلة بسببها أنواع من البدع والأضاليل، ولا سيّما ابن تيميّة الذي قام على منبر الجامع الأُموي في دمشق يوم الجمعة خطيباً، فقال أثناء أضاليله: إنّ الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ـ ونزل درجةً من درج المنبر ـ يريهم نزول الله تعالى نزولاً حقيقاً بكلّ ما للنزول من لوازم، كالحركة والانتقال من العالي إلى السافل، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر عليه ما قال، فقامت العامّة إلى هذا الفقيه، وضربوه

(١) أخرجه البخاري في باب الدعاء نصف الليل ص ٦٨ من الجزء الرابع من صحيحه في كتاب الدعوات. وأخرجه أيضاً في آخر ص ١٣٦ من الجزء الأوّل من صحيحه في باب الدعاء والصلاة من آخر الليل في كتاب الكسوف[١].

وأخرجه مسلم في ٢٨٣ من الجزء الأوّل من صحيحه في باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل[٢].

وأخرجه أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة في ص ٢٥٨ من الجزء الثاني من مسنده[٣].

١. صحيح البخاري ٥ : ٢٣٣٠، ح ٥٩٦٢؛ ٥ : ٣٨٤، ح ١٠٩٤. ذكره في أبواب التهجّد.

٢. صحيح مسلم ١ : ٥٢١ ـ ٥٢٣، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ح ١٦٨ ـ ١٧٢.

٣. مسند أحمد ٣ : ٨٥، ح ٧٥٩٥.

بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً، فسقطت عمامته، واحتملوه إلى قاضي الحنابلة يومئذٍ في دمشق ـ واسمه عزّ الدين بن مسلم ـ فأمر بسجنه، وعزّره بعد ذلك إلى آخر ما كان في هذه الواقعة(١).

٥. نقض سليمان حكم أبيه داود

أخرج الشيخان(٢) بالإسناد إلى أبي هريرة مرفوعاً قال: كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحديهما، فقالت صاحبتها: إنّما ذهب بابنك، وقالت الأُخرى: إنّما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داودعليهما السلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكّين أشقّه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى.

---

(١) التي حضرها الرحّالة ابن بطوطة بنفسه، ورآها بعينه، وسجّلها في ص ٥٧ من الجزء الأوّل من رحلته عند ذكره قضاة دمشق[١]، فراجع.

(٢) أمّا البخاري فقد أخرجه في أوّل ص ١٦٦ من الجزء الثاني من صحيحه[٢] في باب: قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ العَبْدُ إنَّهُ أوّابٌ﴾[٣] من كتاب بدء الخلق. وأمّا مسلم فأخرجه في ص ٥٧ من الجزء الثاني من صحيحه[٤] في باب بيان اختلاف المجتهدين، من كتاب الأقضية. وأخرجه أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة في ص ٣٢٢ من الجزء الثاني من مسنده[٥].

---

١. رحلة ابن بطوطة: ٩٥ـ٩٦.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٢٦١، ح ٣٢٤٤.

٣. ص (٣٨): ٣٠.

٤. صحيح مسلم ٣: ١٣٤٤ـ١٣٤٥، كتاب الأقضية، ح ٢٠.

٥. مسند أحمد ٣: ٨[illegible]، ح ٨٢[illegible]، بتفاوت يسير في [illegible]ض الأ[illegible]اظ

قال أبو هريرة: والله إنْ سمعتُ بالسكّين إلّا يومئذٍ، وما كنّا نقول إلّا المدية. انتهى.

في هذا الحديث نظر من وجوه:

أحدها: أنّ داود عليه السلام خليفة الله في أرضه، ونبيّه المرسل إلى عباده، وقد أمره الله أن يحكم بين الناس بالحقّ، فقال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿يا داوُدُ إِنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحَقِّ﴾[1] وقد أثنى عليه في الذكر الحكيم والفرقان العظيم، فقال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوّابٌ * إِنّا سَخَّرْنا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْراقِ * والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوّابٌ * وَشَدَدْنا مُلْكَهُ وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ﴾[2] إلى أن قال ـ عزّ سلطانه ـ: ﴿وإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[3] وقال ـ عزّ وعلا ـ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنا داوُدَ زَبُورًا﴾[4] فداود ممّن فضّله الله بزبوره، فهو معصوم من الخطأ، ولا سيّما في القضاء والحكم بما أنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾[5] وولده سليمان وارث علمه وحكمه، وهو نبيّ معصوم أيضاً، فكيف ينقض حكم أبيه وهو أعرف الناس بعصمته؟ ولو أنّ حاكماً في هذه الأيّام من قضاة الشرع جامعاً لشرائط الحكومة الشرعيّة حكم بين اثنين ترافعا إليه، لوجب على سائر حكّام الشرع اعتبار حكمه بدون توقّف، إلّا مع العلم بخطئه، والخطأ هنا مأمون؛ لوجوب عصمة الأنبياء فلا يجوز على سليمان ـ وهو من أنبياء الله ـ أنْ ينقض حكم أبيه الذي ارتضاه الله رسولاً لعباده وحاكماً بينهم، لأنّ نقضه ردّ على الله تعالى، وسوء أدب مع أبيه، بل عقوق له.

---

١. ص (٣٨): ٢٦.

٢. ص (٣٨): ١٧ ـ ٢٠.

٣. ص (٣٨): ٢٥.

٤. الإسراء (١٧): ٥٥.

٥. المائدة (٥): ٤٥.

ثانيها: أنّ هذا الحديث صريح بتناقض الحكمين الصادرين من هذين النبيّين، وذلك ممّا يوجب القطع بخطأ أحدهما لو كان الحديث صحيحاً، والخطأ ممتنع على الأنبياء، ولا سيّما في مقام الحكم بما أنزل الله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١].

ثالثها: ظاهر هذا الحديث أنّ داودﷺ حكم بالولد للكبرى بدون بيّنة ولا مستند غير أنّها كبرى، وهذا لا يصدر إلّا من جاهل بالموازين الشرعيّة، بعيد عن قوانين المحاكمات، تعالى الله وتنزّهت أنبياؤه عن ذلك.

رابعها: أنّ هذا الحديث صريح في أنّ سليمان إنّما حكم به للصغرى بمجرّد إشفاقها عليه من الشقّ بالسكّين، وهذا بمجرّده لايكون ميزاناً لحكمه، ولا سيّما بعد إقرارها به للكبرى، وبعد حكم أبيه بذلك.

خامسها: لا ينقضي والله عجبي ممّن يسعه تصديق أبي هريرة في قوله: والله إن سمعت بالسكّين إلّا يومئذٍ وما كنّا نقول إلّا المدية. وي أنّ السكّين أكثر دوراناً في كلام العرب من المدية بكثير! وما أظنّ أحداً منهم يجهل معنى السكّين، بخلاف المدية؛ فإنّ أكثر العامّة لا يعرفونها. وي كأنّ أبا هريرة لم يقرأ ولم يسمع قوله تعالى في سورة يوسف وهي مكّيّة: ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وٰاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً﴾[٢].(١)

---

(١) سورة يوسف كلّها نزلت في مكّة إلّا أربع آيات منها نزلت في المدينة ثلاث من أوّلها، والرابعة: ﴿لَقَدْ كانَ فِى يُوسفَ وَاِخوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلِينَ﴾. وأبو هريرة إنّما أسلم بعد نزولها بأكثر من سبع سنين، وكانت محفوظة يرتّلها المسلمون آناء الليل وأطراف النهار، وقد سمعهم يقرؤونها في صلواتهم وخلواتهم وفي كثير من أوقاتهم.

---

١. المائدة (٥): ٤٧.

٢. يوسف (١٢): ٣١.

وكأنّه لم يرو عن رسول الله ﷺ قوله: «من جعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكّين»(١).

تنبيه

ظنّ أبو هريرة أنّ داود وسليمان ﴿إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ﴾[1] كانا متناقضين في الحكم، فهان عليه تزوير تلك القصّة الخياليّة، ولم يدر أنّهما إنّما كانا على الصواب، وأنّ حكم كلّ منهما وعلمه إنّما كان من لدن ربّ الأرباب.

ومجمل قضيّتهما: أنّ غنماً أصابت في الليل حرثاً وكان كرماً قد بدت عناقيده(٢) فأكلته، فترافع صاحب الحرث وأصحاب الغنم إلى داود عليه السلام، فكان بمقتضى شرعه الموحى إليه من الله تعالى أن يحكم بالغنم لصاحب الحرث، لأنّ قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث، فلمّا أراد أن يحكم بذلك نسخه الله تعالى على لسان سليمان ـ وكان شريكه في النبوّة ـ فأفهمه الله أنّ الحكم أصبح في مثل تلك الواقعة أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأصوافها، ويدفع الحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه، حتّى يعود كهيئته قبل عيث الغنم فيه ثمّ يترادّان.

---

(١) بلى قد رواه وأخرجه عنه الإمام أحمد في ص ٢٣٠ من الجزء الثاني من مسنده[2]، من طريق محمّد بن جعفر، عن شعبة، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) فيما روي عن الإمامين الباقرين الصادقين: أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام[3].

---

١. الأنبياء (٢١): ٧٨.

٢. مسند أحمد ٣: ٧، ح ٧١٤٨، و في ٣: ٢٩٣، ح ٨٧٨٥ رواه بسند آخر.

٣. الكافي ٥: ٣٠١ ـ ٣٠٢، باب ضمان ما يفسد البهائم من الحرث والزرع، ح ٢ ـ ٣؛ تهذيب الأحكام ٧: ٢٢٤ ـ ٢٢٥، ح ٩٨٢ ـ ٩٨٣؛ مجمع البيان ٧: ٥٧، ذيل الآية.

جعل الله في هذا الحكم انتفاع صاحب الحرث بالغنم بإزاء ما فاته من الانتفاع بحرثه، من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم، وأوجب على أصحاب الغنم أن يعملوا في الحرث حتّى يزول الضرر والنقصان، فلمّا أفهم الله ـ عزّوجلّ ـ سليمان ذلك رفعه إلى أبيه، فعزم أبوه عليه ليحكمنّ بما أنزل الله عليه فحكم به.

هذا ملخّص ما كان يومئذٍ بينهما، لا تناقض فيه ولا اختلاف، شأن كلّ حكمين عن الله تعالى نسخ ثانيهما الأوّل.

وأنا أتلو عليك من محكمات الفرقان ما يلمسك هذه الحقيقة، قال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَداوُدَ وَسُلَيْمٰنَ إِذْ يَحْكُمٰانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ(١) فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ * فَفَهَّمْناها(٢) سُلَيْمٰنَ وَكُلّاً آتَيْنا حُكْمًا وعِلْمًا وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الجِبالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ وَكُنّا فاعِلِينَ﴾[١] فانظر إلى قوله ـ عزّ اسمه ـ: ﴿وَكُلّاً آتَيْنا حُكْماً وَعِلْمًا﴾ تجده نصّاً في أنّهما كانا جميعاً على الصواب، وأنّ حكم كلّ منهما وعلمه إنّما هو من لدن ربّ الأرباب.

لكن من رأي أبي هريرة أنّ أنبياء الله يجوز عليهم الحكم بمجرّد الاجتهاد؛ لذلك جوّز عليهم الخطأ فيما يحكمون به كسائر المجتهدين.

﴿مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٢] إذ جوّزوا الاجتهاد والعمل بالظنّ على مهابط وحي الله،

(١) النفش هو الانتشار في الليل[٣].

(٢) أي ففهّمنا هذه الحكومة سليمان، فكانت ناسخة للحكومة التي كان الله من ذي قبل فهّمها داود عليه السلام.

١. الأنبياء (٢١): ٧٨ـ ٧٩.

٢. الأنعام (٦): ٩١؛ الحجّ (٢٢): ٧٤؛ الزمر (٣٩): ٦٧.

٣. لسان العرب ٦: ٣٥٧، «ن. ف. ش».

ومختلف ملائكته، وجوّزوا الخطأ عليهم حتّى في القضاء الشرعي والحكم عن الله عزّوجلّ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

ولو ثابت إليهم أحلامهم، لعلموا أنّ العمل بالاجتهاد واستفراغ الوسع محال على الأنبياء؛ لأنّه لا يُوصِل غالباً إلّا إلى الظنّ، والأنبياء لا يعوّلون عليه؛ لتمكّنهم من العلم بسبب الوحي، وإنّما يجوز ذلك لمجتهدي الأُمّة؛ لأنّه أقصى ما يتمكّنون منه.

ولو جاز الاجتهاد على الأنبياء، لجاز لغيرهم من المجتهدين أن يعارضوهم فما يصدعون به من أحكام الله، وحينئذٍ لا تبقى للنبوّة منزلتها، ولا للنبيّين الشأو لا يلحقه لاحق، ولايطمع من غيرهم فيه طامع. وهل يجرأ مؤمن من المجتهدين أن يعارض النبيّ وينقض حكمه ﷺ ؟ كلّا، إنّه الكفر بالإجماع.

على أنّ القرآن العظيم والذكر الحكيم صريح بأنّ النبيّ ﷺ إنّما يعمل بالوحي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ﴾[2] وهكذا سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٦ . طواف سليمان بمائة امرأة في ليلة

أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة مرفوعاً، قال: قال سليمان بن داود: «لأطوفنّ الليلة بمائة امرأة! تلد كلّ امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله!».

فقال له الملك: «قل: إن شاء الله» فلم يقل!! فأطاف بهنّ! فلم تلد منهنّ إلّا امرأة نصف إنسان! قال أبو هريرة: قال النبيّ ﷺ: «لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان أرجى لحاجته»[3].

---

١. المائدة (٥): ٤٤.

٢. النجم (٥٣): ٣ ـ ٤.

٣. سيأتي تخريجه بُعيد هذا.

قلت: وفي هذا أيضاً نظر من وجوه:

أحدها: أنّ القوّة البشريّة لتضعف عن الطواف بهنّ في ليلة واحدة مهما كان الإنسان قويّاً، فما ذكره أبو هريرة من طواف سليمان عليه السلام بهنّ مخالف لنواميس الطبيعة، لا يمكن عادة وقوعه أبداً.

ثانيها: أنّه لا يجوز على نبيّ الله تعالى سليمان عليه السلام أن يترك التعليق على المشيئة، ولا سيّما بعد تنبيه الملك إيّاه إلى ذلك. وما يمنعه من قول: «إن شاء الله»؟ وهو من الدعاة إلى الله، والأدلّاء عليه، وإنّما يتركها الغافلون عن الله ـ عزّوجلّ ـ الجاهلون بأنّ الأُمور كلّها بيده، فما شاء منها كان، ومالم يشأ لم يكن، وحاشا أنبياء الله عن غفلة الجاهلين، إنّهم عليهم السلام لفوق ما يظنّ المخرفون.

ثالثها: أنّ أبا هريرة قد اضطرب في عدّة نساء سليمان، فتارة روى: أنّهنّ مائة امرأة، كما سمعت(١)، وتارة روى: أنّهنّ تسعون(٢)، وتارة روى: أنّهنّ سبعون(٣)، وتارة روى:

---

(١) وقد أخرجه البخاري في باب قول الرجل: لأطوفنّ الليلة على نسائي، في آخر ص ١٧٦ من الجزء الثالث من صحيحه[١] في الورقة الأخيرة من كتاب النكاح. وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة ص ٢٢٩ وص ٢٧٠ من الجزء الثاني من مسنده[٢].

(٢) كما أخرجه البخاري عنه في ص ١٠٧ من الجزء الرابع من صحيحه في باب الاستثناء في الأيمان، من كتاب الأيمان والنذور[٣].

(٣) كما أخرجه البخاري بالإسناد إليه في ص ١٦٥ من الجزء الثاني من صحيحه[٤]، في باب قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ من كتاب بدء الخلق.

---

١. صحيح البخاري ٥: ٢٠٠٧ ـ ٢٠٠٨، ح ٤٩٤٤.

٢. مسند أحمد ٣: ٦، ح ٧١٤٠، و ١٠٨، ح ٧٧١٩.

٣. صحيح البخاري ٦: ٢٤٤٧، ح ٦٢٦٣.

٤. المصدر ٣: ١٢٦٠، ح ٣٢٤٢، والآية في سورة ص (٣٨): ٣٠.

أنّهنّ ستّون[(١)]، وهذه الروايات كلّها في صحيحي البخاري ومسلم، ومسند أحمد.

فما أدري ما يقوله فيها المعتذرون عن هذا الرجل؟ أيقولون: إنّ هذه الحادثة تكرّرت من سليمان مع زوجاته، وكنّ مرّة مائة، ومرّة كنّ تسعين، ومرّة سبعين، وأخرى ستّين، وفي كلّ مرّة ينبّهه الملك فلا يقول؟ ما أظنّهم يقولون بهذا، ولو قالوا: قد اتّسع الخرق على الراقع، لكان أولى بهم، وفي المثل السائر: ليس لكذوب حافظة.

٧. لطم موسى عين ملك الموت

أخرج الشيخان في صحيحيهما بالإسناد إلى أبي هريرة قال: جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: «أجب ربّك». قال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها. قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: «إنّك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت ففقأ عيني» قال: فردّ الله إليه عينه، وقال: «ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد، فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثورٍ، فما توارت بيدك من شعرةٍ فإنّك تعيش بها سنة»[(٢)]. الحديث.

---

(١) كما أخرجه مسلم بالإسناد إليه في باب الاستثناء، من كتاب الأيمان ص ٢٣ من الجزء الثاني من صحيحه. وأخرج مسلم أيضاً في ذلك الباب نفسه حديثاً من طريق آخر عن أبي هريرة: أنّهنّ سبعون، وأخرج فيه من طريق ثالث: أنّهنّ تسعون[١]، فراجع.

(٢) أوردناه بلفظ مسلم، وقد أخرجه ـ عن أبي هريرة بطرق كثيرة ـ في باب فضائل موسى، من كتاب الفضائل من صحيحه ص ٣٠٩ من جزئه الثاني[٢].

وأخرجه البخاري في باب وفاة موسى، من كتاب بدء الخلق بعد حديث الخضر بأقلّ من صفحتين من صحيحه، فراجع ص ١٦٣ من جزئه الثاني. وأخرجه أيضاً في باب من أحبّ الدفن في الأرض المقدّسة، من أبواب الجنائز من صحيحه، فراجع ص ١٥٨ من جزئه الأوّل[٣].

---

١. صحيح مسلم ٣: ١٢٧٥، كتاب الأيمان، ح ٢٢ و ٢٣.

٢. المصدر ٤: ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣، كتاب الفضائل، ح ١٥٧ و ١٥٨.

٣. صحيح البخاري ٣: ١٢٥، ح ٣٢٢٦؛ و ١: ٤٤٩، ح ١٢٧٤، بتفاوت يسير في بعض الألفاظ.

وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة في مسنده(١)، وفيه: أنّ ملك الموت كان يأتي الناس عياناً. قال: فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه. الحديث.

وأخرجه ابن جرير الطبري في الجزء الأوّل من تاريخه(٢) عن أبي هريرة، ولفظه عنده: أنّ ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتّى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه. وفي آخره: أنّ ملك الموت جاء إلى الناس خفيّاً بعد موت موسى(٣).

وأنت ترى ما فيه ممّا لايجوز على الله تعالى، ولا على أنبيائه، ولا على ملائكته، أيليق بالحقّ ـ تبارك وتعالى ـ أن يصطفي من عباده من يبطش على الغضب بطش الجبّارين، ويوقع بأسه حتّى في ملائكة الله المقرّبين، ويعمل عمل المتمرّدين، ويكره الموت كراهة الجاهلين؟ وكيف يجوز ذلك على موسى وقد اختاره الله لرسالته، وائتمنه على وحيه، وآثره بمناجاته، وجعله من سادة رسله؟ وكيف يكره الموت هذا الكره مع شرف مقامه، ورغبته في القرب من الله تعالى، والفوز بلقائه؟ وما ذنب ملك الموت عليه السلام وإنّما هو رسول الله إليه؟ وبما استحقّ الضرب والمثلة فيه بقلع عينه، وما جاء إلّا عن الله، وما قال له سوى: أجب ربّك؟ أيجوز على أُولي العزم من الرسل إهانة

---

(١) ص ٣١٥ من جزئه الثاني[1].

(٢) وذلك حيث ذكر وفاة موسى في كتابه تاريخ الأمم والملوك[2].

(٣) لو أنّ ملك الموت كان يأتي عياناً قبل وفاة موسى، لطفحت به الأخبار، واشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار، فما بال المحدّثين والمؤرّخين وأهل الأخبار من جميع الأُمم أغفلوا هذا الخبر لو كان له أثر؟ وما بال القصّاصين والمخرفين ما حام خيالهم حوله؟ فهل تركوا الامتياز به لأبي هريرة؟

---

١. مسند أحمد ٣: ١٩٣، ح ٨١٧٨، وفيه: «... جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربّك ـ قال: ـ فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها».

٢. تاريخ الطبري ١: ٤٣٤، ذكر وفاة موسى وهارون ابني عمران عليهما السلام.

الكروبيّين من الملائكة، وضربهم حين يبلّغونهم رسالات الله وأوامره ـ عزّ وجلّ ـ؟ تعالى الله وتعالت أنبياؤه وملائكته عن ذلك علوّاً كبيراً.

ونحن لِمَ برئنا من أصحاب الرسّ، وفرعون موسى، وأبي جهل، وأمثالهم، ولعنّاهم بكرة وأصيلاً؟ أليس ذلك لأنّهم آذوا رسل الله حين جاؤوهم بأوامره؟ فكيف نجوّز مثل فعلهم على أنبياء الله وصفوته من عباده؟! حاشا لله، إنّ هذا لبهتانٌ عظيمٌ.

ثمّ إنّ من المعلوم أنّ قوّة البشر بأسرهم، بل قوّة جميع الحيوانات منذ خلقها الله ـ تعالى ـ إلى يوم القيامة لا تثبت أمام قوّة ملك الموت، فكيف ـ والحال هذه ـ تمكّن موسى عليه السلام من الوقيعة فيه؟ وهلّا دفعه الملك عن نفسه مع قدرته على إزهاق روحه، وكونه مأموراً عن الله تعالى بذلك؟

ومتى كان للملك عين يجوز أن تفقأ؟!

ولا تنس تضييع حقّ الملك، وذهاب عينه، ولطمته هدراً؛ إذ لم يؤمر الملك من الله بأن يقتصّ من موسى صاحب التوراة التي كتب الله فيها: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾(١) ولم يعاتب الله موسى على فعله هذا، بل أكرمه، إذ خيّره بسببه بين الموت والحياة سنين كثيرة بقدر ما تواريه يده من شعر الثور.

---

(١) إشارة إلى الآية ٤٥ من سورة المائدة[١]، وقد وجدنا في الفقرة ٢٣ من الأصحاح ٢١ من أصحاحات الخروج من التوراة الموجودة في أيدي اليهود والنصارى في هذه الأيّام ما هذا لفظه: إن حصلت أذيّة تعطى نفساً بنفس، وعيناً بعين، وسنّاً بسنّ، ويداً بيد، ورِجلاً برجلٍ، وكيّاً بكيٍّ، وجرحاً بجرح، ورضّاً برضٍّ.

---

١. المائدة (٥): ٤٥.

وما أدري ـ والله ـ ما الحكمة في ذكره شعر الثور بالخصوص؟!

أما وعزّة الحقّ، وشرف الصدق، وعلوّهما على الباطل والإفك، لقد حمّل هذا الرجل أولياءه ما لا طاقة لهم به، وكلّفهم بأحاديثه هذه بمالا تحتمله عقولهم أبداً، ولا سيّما قوله في هذا الحديث: إنّ ملك الموت قبل وفاة موسى كان يأتي الناس عياناً، وإنّما جاءهم خفيّاً بعد موت موسى، نعوذ بالله من سبات العقل، وخطل القول والفعل، ولاحول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

٨. فرار الحجر بثياب موسى وعدو موسى خلفه ونظر بني إسرائيل إليه مكشوفاً

أخرج الشيخان في صحيحيهما بالإسناد إلى أبي هريرة، قال: كان بنو إسرائيل يغتسلون عراةً، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلّا أنّه آدر ـ أي ذو فتق ـ قال: فذهب مرّة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر ففرّ الحجر! فجمح موسى بأثره يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتّى نظر بنو إسرائيل إلى سوأة موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر بعدُ حتّى نظر إليه، فأخذ موسى ثوبه، فطفق بالحجر ضرباً، فوالله إنّ بالحجر ندباً(١) ستّة أو سبعة(٢). الحديث.

---

(١) الندب ـ بوزن جمل ـ أثر الجراح إذا لم يرتفع عن الجلد[1].

(٢) أوردناه بلفظ مسلم؛ إذ أخرجه عن أبي هريرة بطرق كثيرة، فراجع باب فضائل موسى ص ٣٠٨ من الجزء الثاني من صحيحه[2].

←

---

١. لسان العرب ١: ٧٥٣، «ن. د. ب».

٢. صحيح مسلم ٤: ١٨٤١ ـ ١٨٤٢، كتاب الفضائل، ح ١٥٥ و ١٥٦.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة: أنّ هذه الواقعة هي التي أشارالله إليها بقوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسىٰ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمّا قالُوا وَكانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً﴾[1]. انتهى.

وأنت ترى ما في هذا الحديث من المحال الممتنع عقلاً، فإنّه لا يجوز تشهير كليم الله عليه السلام بإبداء سوأته على رؤوس الأشهاد من قومه؛ لأنّ ذلك ينقصه، ويسقط من مقامه، ولا سيّما إذا رأوه يشتدّ عارياً ينادي الحجر ـ وهو لا يسمع ولا يبصر ـ: ثوبي حجر، ثوبي حجر، ثمّ يقف عليه ـ وهو عارٍ ـ أمام الناس، فيضربه والناس تنظر إليه مكشوف العورة كالمجنون!

وهذه الحركة لو صحّت فإنّما هي من فعل الله تعالى فكيف يغضب منها كليم الله، فيعاقب الحجر عليها؟! وما هو إلّا مقسور على الحركة، وأيّ أثر لعقوبة الحجر؟

ثمّ إنّ هربه بثياب موسى عليه السلام لا يبيح له إبداء عورته، وهتك نفسه بذلك، وقد كان في إمكانه أن يبقى في مكانه حتّى يؤتى بثيابه أو بساتر غيرها، كما يفعله كلّ ذي لبّ إذا ابتلي بمثل هذه القصّة.

← وأخرجه البخاري في الباب الذي هو بعد حديث الخضر من صحيحه ص ١٦٢ من جزئه الثاني، وفي ص ٤٢ من جزئه الأوّل في باب من اغتسل عرياناً من كتاب الغسل[2].

وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة من طرق كثيرة، فراجع ص ٣١٥ من الجزء الثاني من مسنده[3].

---

١. راجع صحيح البخاري ٣: ١٢٤٩، ح ٣٢٢٣؛ صحيح مسلم ٤: ١٨٤١ ـ ١٨٤٢، كتاب الفضائل، ح ١٥٦، والآية في سورة الأحزاب (٣٣): ٦٩.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٢٤٩، ح ٣٢٢٣؛ ١: ١٠٧، ح ٢٧٤.

٣. مسند أحمد ٣: ١٩٣ ـ ١٩٤، ح ٨١٧٩.

على أنّ هرب الحجر من المعجزات وخوارق العادات التي لا تكون إلّا في مقام التحدّي، كمقام انتقال الشجرة في مكّة المعظّمة لرسول الله ﷺ حين اقترح عليه المشركون ذلك، فنقلها الله ـ عزّوجلّ ـ من مكانها؛ تصديقاً لدعوته، وتثبيتاً لنبوّته ﷺ، ومن المعلوم أنّ مقام موسى عليه السلام وهو يغتسل لم يكن مقام تحدّ وتعجيز، فلا تقع فيه المعجزات وخوارق العادات، ولا سيّما إذا ترتّب عليها فضيحة نبيّ الله بإبداء سوأته للملأ من قومه على وجه يستخفّ به كلّ من رآه، وكلّ من سمع بخبره.

هذا، وأمّا براءته من الأُدرة فليست من الأُمور التي يباح في سبيلها هتكه وتشهيره، ولا هي من المهمّات التي تصدر بسببها الآيات، إذ يمكن العلم ببراءته منها بسبب اطّلاع نسائه عليه وإخبارهنّ بحقيقة حاله.

ولو فرض ابتلاؤه بالأُدرة فأيّ بأس عليه بذلك؟ وقد أُصيب شعيب عليه السلام ببصره، وأيّوب عليه السلام بجسمه، وأنبياء الله كافّة تمرّضوا وماتوا، ولا يجب انتفاء مثل هذه العوارض عن أنبياءالله ورسله، ولا سيّما إذا كانت مستورة عن الناس كالأُدرة، نعم لا يجوز ما يوجب نقصاً في مداركهم أو في مروءتهم، أو يوجب نفرة الناس عنهم واستخفافهم بهم، والأُدرة ليست في شيء من ذلك.

على أنّ القول بأنّ بني إسرائيل كانوا يظنّون أنّ في موسى أُدرةً لم ينقل إلّا عن أبي هريرة.

أمّا الواقعة التي أشار الله إليها بقوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا﴾[1] فالمرويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عبّاس أنّها قضيّة اتّهامهم إيّاه بقتل هارون[2]. وهو الذي اختاره الجبائي[3]، وقيل: هي قضيّة

١. الأحزاب (٣٣): ٦٩.

٢. حكاها عنهما السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٦٦، ذيل الآية.

٣. حكاه عنه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٣٧٣، ذيل الآية.

المومسة التي أغراها قارون بقذف موسى عليه السلام بنفسها، فبرّأه الله تعالى إذ أنطقها بالحقّ[1]، وقيل: آذوه من حيث نسبوه إلى السحر والكذب والجنون بعدما رأوا الآيات[2].

وإنّي لأعجب من الشيخين يخرجان هذا الحديث والذي قبله في فضائل موسى[3]، وما أدري أيّ فضيلة بضرب ملائكة الله المقرّبين وفقء عيونهم عند إرادتهم تنفيذ أوامر الله عزّوجلّ؟ وأيّ منقبة بإبداء العورة للناظرين؟ وأيّ وزن لهذه السخافات؟ إنّ كليم الله ونجيّه ونبيّه لأكبر من هذا، وحسبه ما صدع به الذكر الحكيم والفرقان العظيم، من خصائصه الحسنى عليه السلام.

٩ . فزع الناس يوم القيامة إلى آدم فنوح فإبراهيم فموسى فعيسى رجاء شفاعتهم فإذا هم في أمرهم مبلسون

أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة حديثاً ـ من أحاديثه الطويلة ـ مرفوعاً جاء فيه ما هذا نصّه:

يجمع الله الناس الأوّلين منهم والآخرين يوم القيامة في صعيدٍ واحدٍ، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربّكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربّك، ألاترى إلى ما نحن فيه؟ ألاترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إنّ ربّي قد غضب

١. حكاه الزمخشري في كشّافه ٣: ٥٦٣، ونسبه البغوي إلى أبي العالية في معالم التنزيل ٣: ٥٤٥، ذيل الآية.
٢. حكاه أبوحيّان في البحر المحيط ٧: ٢٤٣. للمزيد راجع أيضاً مجمع البيان ٨: ٣٧٣، ذيل الآية.
٣. كما تقدّم آنفاً في بداية البحث.

اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله! ولن يغضب بعده مثله! وإنّه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي!!! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

قال: فيأتون نوحاًعليه‌السلام فيقولون: يانوح، إنّك أنت أوّل الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله! وإنّه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي! نفسي نفسي نفسي!!! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

قال: فيأتون إبراهيمعليه‌السلام، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبيّ الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربّك، ألاترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله! ولن يغضب بعده مثله! وإنّي قد كنت كذبت ثلاث كذبات! نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسىعليه‌السلام.

قال: فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضّلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربّك، أترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي قد قتلت نفساً لم أُؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسىعليه‌السلام.

قال: فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلّمت الناس في المهد صبيّاً، اشفع لنا إلى ربّك، ألاترى إلى ما نحن فيه؟ قال: يقول عيسىعليه‌السلام: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله! ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنباً - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى محمّد.

قال: فيأتون محمّداًصلى‌الله‌عليه‌وآله، فيقولون: يا محمّد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك من ذنبك ما تقدّم وما تأخّر، اشفع لنا إلى ربّك، ألاترى إلى ما نحن فيه؟ - قال أبو هريرة -: قال رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله: «فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقعُ ساجداً لربّي - عزّوجلّ - ثمّ يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على

أحد قبلي، ثمّ يقال: يا محمّد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفّع، فأرفع رأسي، فأقول: أُمّتي يا ربّ، أُمّتي يا ربّ، فيقال: يا محمّد، أدخل من أُمّتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنّة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»(١). الحديث.

وفيه من التسوّر على مقام أُولي العزم من أنبياء الله وأصفيائه ما تبرأ منه السنن، وتتنزّه عن خطله، فإنّ للسنن المقدّسة ـ سنن نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم ـ في تعظيم الأنبياء غاية تملأ الصدور هيبةً وإجلالاً، وتعنو لها الجباه بخوعاً، وقد ملأت مسامع الدهر بحمدهم، ونظمت حاشيتي البرّ والبحر بمجدهم، فكلّ ما عرفته الأُمم لهم من جلالة تخشع أمامها العيون، ومهابة تتطامن لديها المفارق، وعظمة تتصاغر عندها الهمم، ويخفض لها جناح الضعة، فإنّما هو من آثاره عليه السلام، ولولا فرقانه العظيم، وقرآنه الحكيم، وسنّته المعصومة، ما عرفهم ممّن تأخّر عنهم أحد؛ إذ ليس ـ غير الكتاب والسنّة ـ في أيدي الناس برهان قاطع، ولا حجّة بالغة، بل لا خبر مسند، ولا رواية تليق بالعقول، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حفظ بسنّته وكتاب ربّه ـ عزّوجلّ ـ خصائص الأنبياء وسننهم، وخلد

---

(١) أوردناه بلفظ البخاري في صفحة ١٠٠ من الجزء الثالث من صحيحه في باب ذرّيّة من حملنا مع نوح، من تفسير سورة بني إسرائيل[١].

وأخرجه مسلم في ص ٩٧ من الجزء الأوّل من صحيحه في أواخر باب إثبات الشفاعة، وهو في أواخر كتاب الإيمان[٢].

وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة بطرق إليه كثيرة في الجزء الثاني من مسنده[٣].

---

١. صحيح البخاري ٤: ١٧٤٥ ـ ١٧٤٧، ح ٤٤٣٥.

٢. صحيح مسلم ١: ١٨٤ ـ ١٨٦، كتاب الإيمان، ح ٣٢٧.

٣. مسند أحمد ٣: ٢٩٩ ـ ٣٠٠، ح ٨٨٢٥.

مـــجدهم وحـــمدهم، ومـــثّل إخـــلاصهم لله بـالعبادة، وإخـلاصهم للـعباد بـالنصح والإرشادوالإفادة، كما حفظ بهما تاريخ الأُمم الماضية، والقرون الخالية، وتـمّم بـهما مكارم الأخلاق، ومحامد الصفات والآداب، وشرع بهما عن الله تعالى تـلك الأنـظمة الحكيمة، والقوانين القويمة، شرائع تضمن للبشر كافّة سعادة الدنيا والآخـرة، وجـمع فيهما العلم والحكمة والسياسة، وشرف المعاش والمعاد، وحفظ بهما لغـة الضـاد إلى يوم التناد.

فحديث أبي هريرة هذا ـ بهرائه وهذره(١) ـ أجنبيّ عـن كـلام رسـول الله ﷺ، مباين لسننه كلّ المباينة، ومعاذ الله أن ينسب إلى أنبياء الله ما اشتمل عليه هذا الحديث الغثّ التفه(٢)، وحاشا آدم من المعصية بارتكاب المحرّم الذي يوجب غضب الله، وإنّما كان منهيّاً عن الشجرة نهي تنزيهٍ وإرشاد، وتقدّس نوح من الدعاء إلّا على أعداء الله تقرّباً إليه ـ عزّ سلطانه ـ وتنزّه إبراهيم عن الكذب، وعن كلّ قول أو فعل يغضب الله ـ عزّوجلّ ـ أو يخالف الحكمة، ومعاذ الله أن يقتل موسى نفساً يغضب الله لقتلها، وإنّما يقتل من لا حرمة له عند الله ـ تعالى ـ ولا وزن له عند أُولي الألباب، وتعالى الله عن أن يعاملهم إلّا بالحسنى، كما قال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلّا الْإِحْسانُ﴾[١] وأنبياء الله أجلّ من أين يتوهّموا بربّهم ـ تبارك وتعالى ـ أنّه قد غضب عليهم، غضباً لم يغضب قـبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ويمتنع على رسول الله أن يذكرهم إلّا بما هم أهله.

---

(١) الهراء: المنطق الفاسد لا نظام له[٢]. والهذر: هو الإكثار من الخطأ والباطل[٣].

(٢) الذي لا طعم له[٤].

---

١. الرحمن (٥٥): ٦٠.

٢. لسان العرب ١: ١٨١، «هـ. ر. أ».

٣. المصدر ٥: ٢٥٩، «هـ. ذ. ر».

٤. راجع المصدر ٢: ١٧١ ـ ١٧٢، «غ. ث. ث».

ثمّ كيف يتسنّى لأهل المحشر أن يشتوروا ويأتمروا وهم بحيث ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النّاسَ سُكارىٰ وَما هُمْ بِسُكارىٰ وَلٰكِنَّ عَذابَ اللهِ شَديدٌ﴾[١]. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرءُ مِنْ أَخيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِيءٍ مِنْهُمْ يَومَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾؟[٢]

وأنّى لهم بالوصول إلى الأنبياء في ذلك الموقف والأنبياء يومئذٍ على الأعراف؟ وهل يصل أهل الأرض إلى السماء؟ وما الذي منعهم من التوسّل توّاً برسول الله؟ فإنّه ﷺ صاحب المقام المحمود، والجاه العظيم، والشفاعة المقبولة لا يجهله يومئذٍ أحد من الناس، ولِمَ لم يرجعهم إليه آدم ولا نوح ولا إبراهيم ولا موسى؟ وهلّا أراحوا أُولئك المساكين بدلالتهم من أوّل الأمر على وليّ الأمر في ذلك الحشر؟! أكانوا يجهلون مقامه المحمود في اليوم الموعود؟ أم كانوا يؤثرون عناء أُولئك المؤمنين المستغيثين؟

ولنا أن نسأل أبا هريرة عن هؤلاء المساكين: أمن أُمّة محمّد هم؟ أم من أُمّة غيره؟ فإن كانوا من أُمّته فما الذي صرفهم عنه إلى غيره؟ وإن كانوا من أُمّة غيره فمن الطبيعي له أن لا يحبط مساعيهم، ولا يخيّب آمالهم، فكيف اختصّ أُمّته بالشفاعة دونهم؟ مع ما فطر عليه من الرحمة الواسعة، ومع ما آتاه الله يومئذ من الشفاعة والوسيلة، معاذ الله أن يخيّبهم، وهو أمل الراغب الراجي، وأمن الخائف اللاجي، يجيب لسان العافي بلسان نَداه، ويروي صدى اللهيف قبل رجع صداه ﷺ.

١٠. شكّ الأنبياء والتنديد بلوط وتفضيل يوسف على رسول الله ﷺ بصبره

أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً قال: نحن أحقّ بالشكّ من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِني كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتىٰ قالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلىٰ وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي﴾[٣] ويرحم الله

١. الحجّ (٢٢): ٢.

٢. عبس (٨٠): ٣٤ـ٣٧.

٣. البقرة (٢): ٢٦٠.

لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي. انتهى.

وهذا الحديث(١) ممتنع من وجوه:

أحدها: أنّه أثبت الشكّ لخليل الله إبراهيمعليه السلام وقد قال الله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[1]. وقال ـ جلّ سلطانه ـ: ﴿وَكَذٰلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[2] والإيقان أسمى مراتب العلم، والموقن بالشيء لا يمكن أن يكون شاكّاً فيه، والعقل بمجرّده يحيل وقوع الشكّ من الأنبياءعليهم السلام كافّة، وهذا من الأمور المسلّمة.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتىٰ﴾[3] فظاهر في أنّ إبراهيمعليه السلام إنّما سأل ربّه عن كيفيّة الإحياء، لا عن الإحياء نفسه، وهذا لا يتأتّى إلّا إذا كان نفس الإحياء محقّقاً معلوماً لدى إبراهيم.

وبعبارة أوضح، الاستفهام بـ«كيف» إنّما هو سؤال عن حال شيء موجود معلوم

---

(١) أخرجه البخاري في ص ١٥٨ من الجزء الثاني من صحيحه فى باب ونبّئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه، من كتاب بدء الخلق[4]. وأخرجه مسلم في ص ٧١ من الجزء الأوّل من صحيحه في باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلّة من كتاب الايمان[5]. وأخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة في الجزء الثاني من مسنده[6].

---

١. الأنبياء (٢١): ٥١.

٢. الأنعام (٦): ٧٥.

٣. البقرة (٢): ٢٦٠.

٤. صحيح البخاري ٣: ١٢٣٣ ـ ١٢٣٤، ح ٣١٩٢، ذكره في كتاب الأنبياء.

٥. صحيح مسلم ١: ١٣٣، كتاب الايمان، ح ٢٣٨.

٦. مسند أحمد ٣: ٢١٦ ـ ٢١٧، ح ٨٣٣٦.

الوجود لدى السائل والمسؤول نحو: كيف زيد؟ يعني أصحيح هو مثلاً أم مريض؟ وكيف فعل زيد؟ أي أحسناً فعل مثلاً أم قبيحاً؟ وكيف وقعت القضيّة؟ أو كيف تقع؟ يعني أعلى ما نريد مثلاً أم على خلاف ما نريد؟ وعلى هذا فقوله: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ إنّما هو طلب لأن يريه كيفيّة ما قد علمه وتقرّر لديه من إحياء الموتى.

لكن لمّا كان مثل هذا الطلب قد يكون ناشئاً عن الشكّ في القدرة على الإحياء، وربّما يتوهّم من يبلغه هذا الطلب ممّن لا يعرف مقام إبراهيم أنّه عليه السلام قد شكّ في القدرة، أراد الله تعالى بسبب ذلك أن يرفع هذا التوهّم ببيان منشأ طلبه، فقال له: أو لم تؤمن؟ قال: بلى أي أنا مؤمن بالقدرة ولكنّي إنّما طلبت ذلك، ليطمئنّ قلبي بسبب رؤية الكيفيّة التي تحيي بها الموتى بعد تفرّق أجزائها في مضامين القبور، وأوجار الطيور وبطون السباع، ومطارح المهالك من البرّ والبحر، وكأنّ قلبه عليه السلام قد ولع برؤية الكيفيّة فقال: «ليطمئنّ قلبي» أي لتبرد غلّة شوقه برؤيتها.

هذا هو المراد من الآية الكريمة، ومن نسب الشكّ إليه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فقد ضلّ ضلالاً مبيناً.

ثانيها: أنّ الظاهر من قوله: «نحن أولى بالشكّ من إبراهيم» ثبوت الشكّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولسائر الأنبياء، وأنّهم جميعاً أولى به من إبراهيم.

ولو فرض عدم إرادة الأنبياء جميعاً فإرادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممّا لابدّ منها، والحديث نصّ صريح في أنّه أولى بالشكّ ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[1] قد انعقد الإجماع على بطلانه، وتصافق العقل والنقل على امتناعه.

وما ندري ـ والله ـ لِمَ كان صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالشكّ من إبراهيم عليه السلام؟ مع ما أتاه الله ممّا لم يؤت إبراهيم وغيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين.

ووصيّه أمير المؤمنين عليه السلام إنّما كان الباب من مدينة علمه، وإنّما هو منه بمنزلة

١. النور (٢٤): ١٦.

هارون من موسى إلّا أنّه ليس بنبيّ، وقد قال عليه السلام: «لو كشف لي الغطاء، ما ازددت يقيناً»(١) فما الظنّ بسيّد المرسلين وخاتم النبيّين صلى الله عليه وآله؟

ثالثها: أنّ قوله: «ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد» تنديد بلوط وردّ عليه، وتهمة له بما لا يليق بمنزلته من الله ـ عزّوجلّ ـ وحاشاه أن يكون قليل الثقة بالله، وإنّما أراد أن يستفزّ عشيرته وذويه، ويستظهر بفصيلته التي تؤويه، نصحاً منه لله عزّوجلّ في أمر عباده بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يندّد بلوط أو يفنّد قوله، ومعاذ الله أن يظنّ به إلّا ما هو أهله، ولكنّه صلى الله عليه وآله أنذر بكثرة الكذّابة عليه.

رابعها: أنّ قوله: «ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» ظاهر في تفضيل يوسف على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا خلاف ما أجمعت عليه الأُمّة، وتواترت به الصحاح الصريحة، وثبت بحكم الضرورة بين المسلمين.

فإن قلت: إنّما كان هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله تواضعاً ليوسف، وإعجاباً بحزمه وصبره وحكمته في إثبات براءته، حتّى حصحص الحقّ قبل خروجه من السجن.

قلنا: لا يجوز مثل هذا الكلام على رسول الله صلى الله عليه وآله ولو كان على سبيل التواضع؛ لاشتماله على خبر غير مطابق للواقع، لأنّه لو ابتلي بما ابتلي به يوسف، لكان أصبر من يوسف، وأولى منه بالحزم والحكمة، وبكلّ ما يتحصحص به الحقّ. وهيهات

(١) هذه الكلمة مستفيضة عنه عليه السلام[١]، وقد أشار إليها البوصيري في همزيّته، إذ يقول:

ووزيـر ابـن عـمّه في المعالي ومـن الأهـل تسـعد الوزراءُ

لم يـزده كشـف الغطاء يـقيناً بل هو الشمس ما عليه غطاءُ[٢]

١. راجع ينابيع المودّة ١: ٢٠٣، الباب ١٣، ح ٨.

٢. تخميس همزيّة الإمام البوصيري: ٦٣.

أن يجيب الداعي بمجرّد أن يدعوه إلى الخروج فتفوته الحكمة التي آثرها يوسف، إذ قال لرسول الملك حين أخلى سبيله: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ ـ أي صاحبك ـ ﴿فَسْئَلْهُ مٰا بالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَليمٌ * قالَ﴾ يعني الملك ﴿مٰا خَطْبُكُنَّ إِذْ رٰاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ، قُلْنَ حٰاشَ للهِ مٰا عَلِمْنٰا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قٰالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رٰاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ﴾[١].

فما خرج من السجن حتّى تجلّت براءته كالشمس الضاحية ليس دونها سحاب. ولئن أخذ يوسف بالحزم فلم يسرع بالخروج من السجن حتّى تمّ له ما أراد، فإنّ رسول الله ﷺ قد مثّل الصبر والإناة والحلم والحزم والعزم والحكمة والعصمة في كلّ أفعاله وأقواله، وهو الذي لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في شماله على أن يترك الأمر ما تركه.

وكان الأولى أن يقول أبو هريرة في هذا المقام: ولو لبث رسول الله ﷺ في السجن أضعاف أضعاف ما لبث فيه يوسف، ما توسّل إلى خروجه منه بما توسّل إليه يوسف، إذ قال الذي ظنّ أنّه ناج من صاحبي السجن ـ اذكرني عند ربّك ـ أي صفني عند الملك بصفاتي، وقصّ عليه قصّتي، لعلّه يرحمني ويتداركني من هذه الورطة ﴿فَأَنْسٰهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[٢] أي، إنّ الشيطان أنسى الرجل أن يذكر يوسف لربّه ـ أعني الملك ـ ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ وكان نسيان الرجل ولبث يوسف في السجن بضع سنين إنّما كانا تنبيهاً له إلى أنّه قد فعل غير الأولى، إذ كان الأولى به أن لا يتوسّل إلى رحمة الله بغير الله ـ عزّ وجل ـ كما هو المأثور عن رسول الله ﷺ، وقد مني ﷺ بما هو أعظم محنة من سجن يوسف، وابتلي بما هو أكثر ضرراً وأكبر خطراً من كلّ ما قاساه آل يعقوب عليه السلام فما وهن ولا استكان ولا استعان إلّا بالله، وقد حوصر وجميع عشيرته

١. يوسف (١٢): ٥٠ ـ ٥١.

٢. يوسف (١٢): ٤٢.

في الشعب سنين، فكانوا في منتهى الضائقة، وأُوذي في نفسه وعشيرته والمؤمنين به بما لم يؤذ به نبيّ قبله، وأجلبوا عليه بما لديهم من حول وطول، فاتل إن شئت: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[1] واقرأ: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾[2] وأمعن في قوله ـ عزّ اسمه ـ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[3] وتدبّر قوله ـ عزّ سلطانه ـ: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ﴾[4].

وأنعم النظر في قوله عن الأحزاب: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾[5].

وأوغل في البحث عن وقعة هوازن، وحسبك منها ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[6]. إلى كثير من مواقفه الكريمة التي خاض فيها الأهوال، فكان فيها أرسى من الجبال، يتلقّى شدائدها برحب صدره وثبات جنانه، فتنزّل منه في بال واسع وخلق وادع، لم يتوسّل في الخروج من عسر إلى يسر إلّا بالله وحده، ولم يتذرّع إلى شيء ما من شؤونه إلّا بالصبر والتوكّل على الله تعالى، فأين من عزائمه في صبره وحلمه وحكمه عزائم يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم، وسائر النبيّين والمرسلين عليهم السلام ؟

---

١. الأنفال (٨): ٣٠.

٢. التوبة (٩): ٤٠.

٣ و٤. آل عمران (٣): ١٢٣، ١٥٣.

٥. الأحزاب (٣٣): ١٠ ـ ١١.

٦. التوبة (٩): ٢٥ ـ ٢٦.

١١. جراد الذهب المتساقط على أيّوب وهو يغتسل ومعاتبة الله إيّاه على ما حثاه منه في ثوبه

أخرج الشيخان بطرق متعدّدة[(١)] عن أبي هريرة مرفوعاً قال: بينا أيّوب يغتسل عرياناً فخرّ عليه[(٢)] جراد من ذهب، فجعل أيّوب يحتثي في ثوبه، فناداه ربّه: [يا أيّوب] ألم أكن أُغنيك عمّا ترى؟ قال: بلى وعزّتك، ولكن لاغنى بي عن بركتك.

قلت: لا يركن إلى هذا الحديث إلا أعشى البصيرة، مظلم الحسّ، فإنّ خلق الجراد من ذهب آيةٌ من الآيات وخوارق العادات، وسنّة الله ـ عزّوجلّ ـ في خلقه أن لا يخلق مثلها إلّا عند الضرورة، كما لو توقّف ثبوت النبوّة عليها فتأتي حينئذٍ برهاناً على النبوّة، ودليلاً على الرسالة، وما كان الله ليخلقها عبثاً وجزافاً فتخرّ على أيّوب عليه السلام وهو منفرد بنفسه يغتسل عرياناً كما يزعم أبو هريرة.

ولو خرّت عليه فجعل يحتثي في ثوبه، لكان ذلك في محلّه؛ لأنّها نعمة من الله خارقة لم يحتسبها، فيقتضي شكرها بتعظيم شأنها وتلقّيها بكلّ قبول، ولا يحسن منه الإعراض عنها والاستخفاف بها، وقد اختصّه الله فيها؛ لأنّ فيه من كفران النعمة ما يجب تنزيه الأنبياء عنه.

والأنبياء إذا جمعوا المال فإنّما يجمعونه لينفقوه في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وليستعينوا به على مشاريعهم الإصلاحيّة، والله ـ عزّوجلّ ـ خبيرٌ بهم، عليمٌ بنواياهم، فلا يعاتبهم على جمعه أبداً.

---

(١) راجع من البخاري ص ٤٢ من الجزء الأوّل من صحيحه قبل كتاب الحيض بأقلّ من صفحتين، وص ١٦٠ من جزئه الثاني قبل حديث الخضر مع موسى بأقلّ من صفحتين[١].

(٢) هكذا في صحيح البخاري، والأصحّ: «إذ خرّ عليه».

---

١. صحيح البخاري ١: ١٠٧ـ١٠٨، ح ٢٧٥؛ و٣: ١٢٤٠، ح ٣٢١١.

١٢ . التنديد بموسى إذ قَرَصَتْه نملةٌ فأحرق قريتها

أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة مرفوعاً، قال: قَرَصَتْ نملةٌ نبيّاً من الأنبياء ـ هو موسى بن عمران فيما نصّ عليه الترمذي(١) ـ فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله إليه: أنْ قَرَصَتْك نملةٌ أحرَقْتَ أُمّةً من الأمم تسبّح الله(٢).

إنّ أبا هريرة مولعٌ بالأنبياء عليهم السلام ، هائمٌ بكلّ مصيبة غريبة تقذى بها الأبصار وتصتكّ منها المسامع، وإنّ أنبياء الله لأعظم صبراً، وأوسع صدراً، وأعلى قدراً ممّا يحدّث عنهم المخرفون.

---

(١) كما نصّ عليه القسطلاني في شرح هذا الحديث من إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ص ٢٨٨، من جزئه السادس[1].

(٢) أخرجه البخاري في آخر ص ١١٤ من الجزء الثاني في أواخر كتاب الجهاد والسير من صحيحه[2]. وأخرجه مسلم في باب النهي عن قتل النمل ص ٢٦٧ من الجزء الثاني من صحيحه[3] في كتاب قتل الحيّات وغيرها. وأخرجه أبو داود في الأدب[4]، وابن ماجة[5] والنسائي[6] في الصيد. وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة في مسنده[7].

---

١. إرشاد الساري ٥: ١٥٠. وصرّح به ابن حجر أيضاً في فتح الباري ٦: ٤٤١.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٠٩٩، ح ٢٨٥٦.

٣. صحيح مسلم ٤: ١٧٥٩، كتاب السلام، ح ١٤٨.

٤. سنن أبي داود ٤: ٣٦٧، ح ٥٢٦٦ بتفاوت يسير.

٥. سنن ابن ماجة ٢: ١٠٧٥، ح ٣٢٢٥ بتفاوت يسير.

٦. سنن النسائي ٧: ٢٢٣، ح ٤٣٦٤.

٧. مسند أحمد ٣: ٣٦٧، ح ٤٣٦٤.

وهذا وصيّ رسول الله ﷺ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول في خطبة له(١): «والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جُلْب شعيرة ما فعلت، وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادةٍ تقضَمُها. ما لعليّ ولنعيمٍ يَفنى، ولذّة لاتبقى».

وعليّ عليه السلام ما كان نبيّاً، وإنّما هو وصيّ وصدّيق، وهذه حاله تمثّل عصمة الأنبياء عمّا ينسبه الجاهلون إليهم، وما كان الله ليصطفي لرسالاته ويختصّ بمناجاته من لايتنزّه عن ذلك، تعالى الله وتعالت رسله عمّا يقوله المخرفون علوّاً كبيراً.

وما أدري ـ والله ـ ما ذا يقول مصحّحو هذا الحديث فيما فعله هذا النبيّ من تعذيب النمل بالنار؟ مع قول رسول الله ﷺ: «لايعذّب بالنار إلّا الله» وقد أجمعوا على أنّه لايجوز الإحراق بالنار للحيوان مطلقاً، إلّا إذا أحرق إنسانٌ إنساناً فمات بالإحراق، فلوليّه الاقتصاص بإحراق الجاني. وسواء في منع الإحراق بالنار النمل وغيره من سائر الحيوانات؛ للحديث المشهور: «لايعذّب بالنار إلّا الله»(٢).

وأخرج أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ على شرط البخاري ومسلم، عن ابن عبّاس: أنّ النبيّ ﷺ نهى عن قتل النملة والنحلة والهُدهد والصُرَد[١].

---

(١) خطبها في تهويل الظلم وتبرّئه منه، وبيان صغر الدنيا في نظره، والخطبة في نهج البلاغة[٢]، أوّلها: «والله لأن أبيتَ على حَسَك السعدان مُسهَّداً».

(٢) نقله النووي في شرح هذا الحديث، ص ٦ من الجزء ١١ من شرح صحيح مسلم المطبوع في هامش شرح صحيح البخاري[٣].

---

١. سنن أبي داود ٤: ٣٦٧، ح ٥٢٦٧.

٢. نهج البلاغة: ٤٧١ ـ ٤٧٣، كلام ٢٢٤.

٣. شرح صحيح مسلم للنووي ١٤: ٤٩١.

١٣ . سهو النبيّ عن ركعتين

أخرج الشيخان فيما جاء في السهو من صحيحيهما عن أبي هريرة قال: صلّى النبيّ إحدى صلاتي العشيّ ـ وأكثر ظنّي العصر(١) ـ ركعتين، ثمّ سلّم، ثمّ قام إلى خشبة في مقدّم المسجد، فوضع يده عليها(٢)، وفيهم أبوبكر وعمر، فهابا أن يكلّماه، وخرج سَرَعان الناس، فقالوا: أقصُرتِ الصلاة؟ ورجل يدعوه النبيّ ذواليدين(٣) فقال: أنسيتَ أم قَصُرَتْ؟ فقال: لم أنسَ ولم تُقْصَر. قال: بلى نسيت. فصلّى ركعتين. ثمّ سلّم، ثم كبّر. فسجد(٤). الحديث.

---

(١) ما أورع أبا هريرة! وأحوطه في حديثه، ألا تراه كيف لم يجزم أنّها العصر ولم يعوّل على ظنّه؟

(٢) ورع أبي هريرة في حديثه يتمثّل للناظرين بذكر هذه الخشبة ووضع النبيّ يده عليها ؛ إذ لا دخل لها في موضوع هذا الكلام ولا في حكمه، وإنّما دعاه إلى ذكرها الاحتياط بنقل الوقائع بجميع حذافيرها.

(٣) كذا في صحيح البخاري[1] ولعلّ الصواب ذا اليدين.

(٤) نقلناه بلفظ البخاري في باب من يكبّر في سجدتي السهو[2]، وأخرجه أيضاً في كلّ من البابين المذكورين قبله بلا فصل، فراجع أبواب ما جاء في السهو ص ١٤٥ من الجزء الأوّل من صحيحه[3]، وأخرجه أيضاً في مواضع أُخر كثيرة يعرفها المتتبّعون[4]. ←

---

١. صحيح البخاري ١: ٤١٢، ح ١١٧٢؛ ٥: ٢٢٤٩، ح ٥٧٠٤، وفي هذه الطبعة في كلا الموضعين : «ذا اليدين».

٢. تقدّم آنفاً.

٣. صحيح البخاري ١: ٤١١ ـ ٤١٢، ح ١١٦٩، ١١٧٠ بتفاوت يسير.

٤. راجع المصدر ١: ١٨٢، ح ٤٦٨، و ٢٥٢، ح ٦٨٢ و٦٨٣، و ٤١٢، ح ١١٦٩ و١١٧٢؛ و٥: ٢٢٤٩، ح ٥٧٠٤؛ و٦: ٢٦٤٨، ح ٦٨٢٣.

وفيه كيفيّة سجود السهو، وأنت ترى ما فيه من الوجوه الحاكمة بامتناعه:

أحدها: أنّ مثل هذا السهو الفاحش لا يكون ممّن فرّغ للصلاة شيئاً من قلبه، أو أقبل عليها بشيء من لبّه، وإنّما يكون من الساهين عن صلاتهم، اللاهين عن مناجاتهم. وحاشا أنبياء الله من أحوال الغافلين، وتقدّسوا عن أقوال الجاهلين، فإنّ أنبياء الله ـ عزّ وجلّ ـ ولا سيّما سيّدهم وخاتمهم ـ أفضل ممّا يظنّون، على أنّه لم يبلغنا مثل هذا السهو عن أحد، ولا أظنّ وقوعه إلّا ممّن يمثّل حال القائل:

أُصلّي فما أدري إذا ما ذكرتُها أثنتين صلّيتُ الضحى أم ثمانيا[١]

وأما وسيّد النبيّين، وتقلّبه في الساجدين، إنّ مثل هذا السهو لو صدر منّي لاستولى عليّ الحياء، وأخذني الخجل، واستخفّ المؤتمّون بي وبعبادتي، ومثل هذا لا يجوز على أنبياء الله أبداً.

الثاني: أنّ الحديث قد اشتمل على أنّ النبيّ ﷺ قال: «لم أنس ولم تُقْصَر» فكيف يمكن أن يكون قد نسي بعد هذا؟ ولو فرضنا عدم وجوب عصمته عن مثل هذا السهو، فإنّ عصمته عن المكابرة والتسرّع بالأقوال المخالفة للواقع ممّا لا بدّ منه عند جميع المسلمين.

← أمّا مسلم، فقد أخرجه في باب السهو في الصلاة والسجود له بطرق عديدة، فراجع ص ٢١٥ من الجزء الأوّل من صحيحه[٢].

وأخرجه أحمد في آخر ص ٢٣٤ من الجزء الثاني من مسنده، وفي مواضع أُخر كثيرة[٣].

---

١. من أشعار قيس بن الملوّح في ديوانه، ديوان مجنون ليلى: ٢١٠.

٢. صحيح مسلم ١: ٤٠٣ ـ ٤٠٥، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ٩٧.

٣. مسند أحمد ٣: ١٧ ـ ١٨، ح ٧٢٠٥؛ راجع أيضاً ٣: ٩٩، ح ٧٦٧٠.

الثالث: أنّ أبا هريرة قد اضطرب في هذا الحديث، وتعارضت أقواله؛ فتارة يقول: صلّى بنا إحدى صلاتي العشيّ، إمّا الظهر وإمّا العصر[١] ـ على سبيل الشكّ ـ وأُخرى يقول: صلّى بنا صلاة العصر[٢] ـ على سبيل القطع بأنّها العصر ـ وثالثة يقول: بينا أنا أُصلّي مع رسول الله صلاة الظهر[٣]، على سبيل القطع بأنّها الظهر.

وهذه الروايات كلّها ثابتة في صحيحي البخاري ومسلم كليهما، وقد ارتبك فيها شارحو الصحيحين ارتباكاً دعاهم إلى التعسّف والتكلّف، كما تكلّفوا وتعسّفوا في الردّ على الزهري، إذ جزم بأنّ ذا اليدين وذا الشمالين واحد لا اثنان[٤]. وقد أوضحنا ذلك في كتابنا تحفة المحدّثين[٥].

الرابع: أنّ ما اشتمل هذا الحديث عليه ـ من قيام النبيّ ﷺ عن مصلّاه، ووضع يده على الخشبة، وخروج سَرَعان الناس من المسجد، وقولهم: أقصرت الصلاة؟ وقول ذي اليدين: أنسيت أم قصرت؟ وقول النبيّ ﷺ: «لم أنس ولم تقصر» فقال له: قد نسيتَ، وقول النبيّ لأصحابه: «أحقّ ما يقول؟» قالوا: بلى، نعم، وغير ذلك ممّا نقله أبو هريرة(١) ـ لَمِمّا يمحو صورة الصلاة بتاتاً. والمعلوم من الشريعة المقدّسة يقيناً بطلان الصلاة بكلّ ماحٍ لصورتها، فلا يمكن بعد هذا بناؤه ﷺ على الركعتين الأُوليين؛ لأنّه يناقض الحكم المقطوع بثبوته عنه ﷺ، فتأمّل.

---

(١) فإنّ من جملة ما نقله في رواية أُخرى: أنّه ﷺ دخل الحجرة ثمّ خرج ورجع الناس[٦].

---

١. صحيح البخاري ١: ٤١١ ـ ٤١٢، ح ١١٦٩؛ صحيح مسلم ١: ٤٠٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ٩٧.

٢. المصدر ١: ٤١٢، ح ١١٧٢؛ صحيح مسلم ١: ٤٠٤، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ٩٩.

٣. المصدر ١: ٢٥٢، ح ٦٨٣؛ صحيح مسلم ١: ٤٠٤، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ١٠٠.

٤. على ما حكى عنه ابن حجر في الإصابة ٤: ٣١٥، الرقم ٥٢٦٣.

٥. للمزيد راجع الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ١١؛ وج ٥، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، المطلب الثاني، الرقم ٧ من نفائسه المفقودة.

٦. كما في صحيح مسلم ١: ٤٠٤، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ١٠٢.

الخامس: أنّ ذا اليدين المذكور في الحديث إنّما هو ذو الشمالين(١) ابن عبد عمرو حليف بني زهرة، وقد استشهد في بدر. نصّ على ذلك إمام بني زهرة وأعرف الناس بحلفائهم محمّد بن مسلم الزهري، كما في الاستيعاب والإصابة[1]، وشروح الصحيحين كافّة[2].

وهذا هو الذي صرّح به الثوري في أصحّ الروايتين عنه، وأبو حنيفة، حين تركوا العمل بهذا الحديث، وأفتوا بخلاف مفاده، كما في أواخر باب السهو والسجود له من شرح النووي لصحيح مسلم(٢).

وحسبك حديث النسائي ممّا يدلّ على أنّ ذا اليدين وذا الشمالين واحد، وإليك لفظه، قال(٣): فقال له ذوالشمالين ابن عبد عمرو: أنقصت الصلاة أم نسيت؟ فقال النبيّ ﷺ: «ما يقول ذواليدين؟»[3]. فصرّح بأنّ ذا الشمالين هو ذواليدين.

---

(١) اسمه عمير، ويقال: عمرو، كذا في الإصابة[4].

(٢) في ص ٢٣٥ من الجزء الرابع من الشرح[5]، وهو مطبوع في هامش إرشاد القسطلاني وتحفة زكريا الأنصاري.

(٣) كما في ص ٢٦٧ من الجزء الثالث من إرشاد القسطلاني[6].

---

١. الاستيعاب ٢: ٤٧٥ ـ ٤٧٧، الرقم ٧٢٤؛ الإصابة ٢: ٣٤٤، الرقم ٢٤٦٤.

٢. كالنووي في شرح صحيح مسلم ٥: ٧٥، وابن حجر في فتح الباري ٣: ١٢٥، والقسطلاني في إرشاد الساري ٢: ٣٦٥.

٣. سنن النسائي ٣: ٢٥، ح ١٢٢٦.

٤. الإصابة ٢: ٣٤٥، الرقم ٢٤٦٤.

٥. شرح صحيح مسلم للنووي ٥: ٧٧.

٦. إرشاد الساري ٢: ٣٦٥.

ومثله ـ بل أصرح منه ـ ما أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة(١) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وأبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة، كليهما عن أبي هريرة، قال: صلّى رسول الله ﷺ الظهر أوالعصر فسلّم في ركعتين، فقال له ذوالشمالين بن عبد عمرو ـ قال: وكان حليفاً لبني زهرة ـ: أخفّفت الصلاة أم نسيت؟ فقال النبيّ ﷺ: «ما يقول ذواليدين؟» قالوا: صدق. الحديث.

وأخرج أبو موسى من طريق جعفر المستغفري ـ كما في ترجمة عبد عمرو بن نضلة من الإصابة ـ بالإسناد إلى محمّد بن كثير، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن كلّ من سعيد بن المسيّب وأبي سلمة وعبيدالله بن عبدالله، عن أبي هريرة، قال: سلّم رسول الله ﷺ في الركعتين، فقام عبد عمرو(٢) بن نضلةَ ـ رجلٌ من خزاعة حليف لبني زهرةَ ـ فقال: أقُصِرَت الصلاة أم نسيتَ؟ الحديث، وفيه قول النبيّ ﷺ: أصدق ذوالشمالين؟

فهذه الأحاديث كلّها صريحة في أنّ «ذا اليدين» المذكور في حديث أبي هريرة إنّما هو ذوالشمالين ابن عبد عمروحليف بني زهرة، ولاريب في أنّ ذا الشمالين المذكور قتل يوم بدر قبل أن يسلم أبو هريرة بأكثر من خمس سنين، وأنّ قاتله أُسامة الجُشَمي ـ نصّ على ذلك ابن عبدالبرّ[1] وسائر أهل الأخبار[2] ـ فكيف يمكن أن يجتمع مع أبي هريرة في الصلاة خلف رسول الله ﷺ يا أُولي الألباب؟

---

(١) كما في ص ٢٧١، وفي ص ٢٨٤ من الجزء ٢ من المسند[3].

(٢) كذا في الإصابة، وقد عرفت أنّه قد قال: إنّ اسم ذي الشمالين عبد عمرو[4].

---

١. الاستيعاب ٢: ٤٦٩، الرقم ٧١٦.

٢. كابن حجر العسقلاني في الإصابة ٢: ٣٤٥، الرقم ٢٤٦٢؛ ٤: ٣١٥ـ٣١٦، الرقم ٥٢٦٣.

٣. مسند أحمد ٣: ٩٩، ح ٧٦٧٠، و ١٢٧ـ١٢٨، ح ٧٨٢٥.

٤. الإصابة ٤: ٣١٥، الرقم ٥٢٦٣.

وقد اعتذر بعضهم بأنّ الصحابي قد يروي ما لا يحضره بأن يسمعه من النبيّ ﷺ أو من صحابيّ آخر، وعلى هذا لايكون موت ذي اليدين قبل إسلام أبي هريرة مانعاً من رواية أبي هريرة لهذا الحديث.

لكن هذا الاعتذار غلط محض؛ لأنّ دعوى الحضور من أبي هريرة محفوظة ثابتة برواية الثقات الحفظة الأثبات، وحسبك في إثباتها ما أخرجه البخاري فيما جاء في السهو من صحيحه(١) عن آدم بن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: صلّى بنا النبيّ ﷺ الظهر أوالعصر، وساق حديث ذي اليدين.

وأخرج مسلم في باب السهو في الصلاة والسجود له من صحيحه(٢) عن محمّد بن سيرين قال: سمعت أبا هريرة يقول : صلّى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشيّ ـ إمّا الظهر وإمّا العصر ـ وساق الحديث.

وقد ارتبك الإمام الطحاوي في هذه الأحاديث؛ لبنائه على صحّتها، مع جزمه بما جزم به الإمام الزهري من أنّ ذا اليدين إنّما هو ذوالشمالين، حليف بني زهرة المستشهد في بدر قبل إسلام أبي هريرة بأكثر من خمس سنين، فلا يمكن اجتماعهما في الصلاة أبداً؛ لذلك اضطرّ إلى التأويل، فحمل ـ كما في ص ٢٦٦ من الجزء الثالث من إرشاد الساري في شرح البخاري للقسطلاني ١ ـ قول أبي هريرة في هذه الأحاديث: صلّى بنا . على المجاز، وأنّ المراد: صلّى بالمسلمين.

---

(١) راجع الباب الثالث من أبواب ما جاء في السهو، وهو باب إذا سلّم في ركعتين أو في ثلاث فسجد سجدتين، مثل سجود الصلاة أو أطول، ص ١٤٥ من جزئه الأوّل٢.

(٢) ص ٢١٥ من جزئه الأوّل٣.

---

١. إرشاد الساري ٢: ٣٦٣.

٢. صحيح البخاري ١: ٤١١ ـ ٤١٢، ح ١١٦٩.

٣. صحيح مسلم ١: ٤٠٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ٩٧.

والجواب أنّه قد ثبت عن أبي هريرة النصّ الصريح بحضوره، على وجه لا يقبل التأويل أبداً. وحسبك ما أخرجه مسلم في باب السهو في الصلاة والسجود له من صحيحه(١) عن أبي هريرة، قال: بَيْنا أنا أُصلّي مع رسول اللّه ﷺ صلاة الظهر، سلّم في الركعتين، وساق الحديث. فهل يتأتّى التجوّز فيه؟ كلّا، بل مُنِينا[1] بقوم لا يتأمّلون، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون.

١٤. كان النبيّ يؤذي ويجلد ويسبّ ويلعن من لا يستحقّ!

أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً: اللهمّ إنّما محمّد بشر، يغضب كما يغضب البشر، وإنّي قد اتّخذت عندك عهداً لم تخلفنيه، فأيّما مؤمنٍ آذيته، أو سببته، أو لعنته، أو جلدته، فاجعلها له كفّارة وقربة تُقَرِّبُه بها إليك(٢)، الحديث.

---

(١) ص ٢١٦ من جزئه الأوّل[2].

(٢) أخرجه مسلم في ص ٣٩٢ والتي قبلها من الجزء الثاني من صحيحه في باب من لعنه النبيّ وليس هو أهلاً لذلك، من كتاب البرّ والصلة والآداب[3]، وطرقه ثمّة إلى أبي هريرة ثمانية.
وأخرجه البخاري أيضاً في صفحة ٧١ من الجزء الرابع من صحيحه في باب قول النبيّ: «من آذيته فاجعل ذلك له قربة إليك» من كتاب الدعوات[4].
وأخرجه أحمد في ٢٤٣ من الجزء الثاني من مسنده[5].

---

١. مُنِي به: قدّر له، ابتلي به. انظر الصحاح ٦: ٢٤٩٧، «م. ن. ا».

٢. صحيح مسلم ١: ٤٠٤، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ١٠٠ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٣. المصدر ٤: ٢٠٠٨، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٩٠ ـ ٩١.

٤. صحيح البخاري ٥: ٢٣٣٩، ح ٦٠٠٠ رواه بنقيصة.

٥. مسند أحمد ٣: ٥٥٢، ح ١٠٤٠٨.

وفيه: أنّ رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء لا يجوز عليهم أن يؤذوا، أو يجلدوا، أو يسبّوا، أو يلعنوا من لا يستحقّ، سواءً كان ذلك في حال الرضى أم في حال الغضب، بل لا يمكن أن يغضبوا بغير حقّ. وتعالى اللّه عن إرسال رسل يستفزّهم الغضب إلى جَلد من لا يستحقّ، أو لعنه، أو سبّه، أو أذيّته. وتنزّهت أنبياء اللّه عن كلّ قول أوفعل ينافي عصمتهم، وتقدّسوا عن كلّ ما لا يليق بالحكماء.

وقد علم البرّ والفاجر، والمؤمن والكافر، أنّ إيذاء من لا يستحقّ من المؤمنين، أو جلدهم، أو سبّهم، أو لعنهم على الغضب، ظلم قبيح وفسق صريح، يربأ عنه عدول المؤمنين، فكيف يجوز على سيّد النبيّين، وخاتم المرسلين؟ وقد قال ﷺ: «سِباب المسلم فسوقٌ»[(١)].

وعن أبي هريرة[(٢)] قال: قيل: يا رسول اللّه، ادع على المشركين. قال: «إنّي لم أُبعث لعّاناً، وإنّما بُعثتُ رحمةً».

هذه حاله مع المشركين فكيف به مع من لا يستحقّ من المؤمنين؟

وقد قال ﷺ[(٣)]: «لا يكون اللعّانون شُفعاء، ولا شهداء، يوم القيامة».

---

(١) من حديث أخرجه البخاري ص ٣٩ من الجزء الرابع من صحيحه، في باب ما ينهى عنه من السباب واللعن، من كتاب الآداب[١].

(٢) فيما أخرجه مسلم في ص ٣٩٣ من الجزء الثاني من صحيحه في باب النهي عن لعن الدوابّ وغيرها[٢].

(٣) فيما أخرجه مسلم في الصفحة المذكورة، أعني ص ٣٩٣ من جزء ٢ [٣].

---

١. صحيح البخاري ٥: ٢٢٤٧، ح ٥٦٩٧، ذكره في كتاب الأدب.

٢. صحيح مسلم ٤: ٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٨٧.

٣. المصدر: ٢٠٠٦، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٨٥.

وعن عبد اللّه بن عمرو[(١)]: لم يكن رسول اللّه فاحشاً ولا متفحّشاً، وكان يقول: «إنّ خيارَكم أحاسِنُكم أخلاقاً».

وعن أنس قال[(٢)]: لم يكن رسول اللّه ﷺ فاحشاً، ولا لعّاناً ولا سبّاباً.

وقال أبوذرّ[(٣)] لأخيه حين بلغه مبعث النبيّ ﷺ: اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق.

وعن عبداللّه بن عمرو قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول اللّه أُريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كلّ شيء تسمعه ورسول اللّه يتكلّم في الرضى والغضب؟ فأمسكت عن الكتاب، وذكرت ذلك لرسول اللّه ﷺ، فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال: «اكتب، فو الذي نفسي بيده، ما يخرج منه إلّا حقّ». انتهى.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه قال: قلت: يا رسولاللّه، أكتب كلّ ما أسمع منك؟ قال: «نعم» قلت: في الرضى والغضب؟ قال: «نعم، فإنّي لا أقول في ذلك كلّه إلّا حقّاً»[(٤)]. انتهى.

---

(١) فيما أخرجه البخاري في ص ٣٨ من الجزء الرابع من صحيحه في باب حسن الخلق[١].

(٢) فيما أخرجه البخاري في ص ٣٩ من الجزء الرابع من صحيحه في باب ما ينهى عنه من السباب واللعن[٢].

(٣) كما في ص ٣٨ من الجزء الرابع من صحيح البخاري[٣].

(٤) أخرج هذين الحديثين كليهما ابن عبد البرّ في كتابه جامع بيان العلم وفضله، فراجع من مختصره باب الرخصة في كتاب العلم ص ٣٦ [٤].

---

١. صحيح البخاري ٥: ٢٢٤٥، ح ٥٦٨٨.

٢. المصدر: ٢٢٤٧، ح ٥٦٩٩.

٣. المصدر: ٢٢٤٤، ح ٥٦٨٥.

٤. جامع بيان العلم وفضله ١: ٨٥، الرقم ٣٥٣ و٣٥٤؛ مختصر جامع بيان العلم وفضله: ٣٦.

وسئلت عائشة عن خُلق النبيّ ﷺ فقالت: هل قرأت القرآن؟ قال: نعم، قالت: خُلقه القرآن. قلت: يا لها كلمة تدلّ على بلاغتها ومعرفتها بكنه أخلاقه ﷺ ولا غرو فقد رأته ﷺ والقرآن نصب عينيه يهتدي بهديه، ويستضيء بنور علمه، متعبّداً بأوامره وزواجره، متأدّباً بآدابه، مطبوعاً على حكمته، يتبع أثره، ويقتفي سوره، فاقرأ خُلقه ـ إن شئت ـ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[١]،﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ وَإِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[٢]، ﴿وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣]، ﴿وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾[٤]، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ﴾[٥]، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٦]، ﴿وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً﴾[٧]، ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[٨]، ﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٩]، ﴿وَما لَنا أَلاّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلَنا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلىٰ ما آذَيْتُمُونا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[١٠]، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[١١]، ﴿وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٢]، ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ

---

١. الأحزاب (٣٣): ٥٨.
٢. الشورى (٤٢): ٣٧.
٣. آل عمران (٣): ١٣٤.
٤. الفرقان (٢٥): ٦٣.
٥. الأعراف (٧): ١٩٩.
٦. فصّلت (٤١): ٣٤.
٧. البقرة (٢): ٨٣.
٨. الحجّ (٢٢): ٣٠.
٩. المائدة (٥): ٨٧.
١٠. إبراهيم (١٤): ١٢.
١١. آل عمران (٣): ١٨٦.
١٢. الشعراء (٢٦): ٢١٥.

اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾[1].

هذا خُلق رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وهذه حاله مع المؤمنين وغيرهم، وهو القائل(١) «الرجل مَن ملك نفسه عند الغضب» وقال صلى الله عليه وآله(٢): «من يُحْرَمِ الرفقَ يُحرَم الخير» وقال صلى الله عليه وآله(٣): «الرفق لايكون في شيء إلّا زانه، ولا ينزع من شيء إلاّ شانَه» وقال صلى الله عليه وآله(٤): «إنّ اللّه رفيقٌ يحبّ الرِّفق، ويعطي على الرِّفْقِ ما لا يعطي على العُنْفِ، وما لا يعطي على ما سِواه» وقال صلى الله عليه وآله(٥): «المسلم مَن سَلمِ الناس من يده ولسانه».

وحسبك قوله تعالى ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

فكيف يجوز عليه ـ بعد هذا ـ أن يلعن أو يسبّ أو يجلد أو يؤذي على مجرّد الغضب، نعوذ باللّه وبه نستجير؟ ما قدروا اللّه حقّ قدره، فصبر جميل، واللّه المستعان على ما تصفون.

---

(١) فيما أخرجه مسلم في ص ٣٩٦ من الجزء الثاني من صحيحه[3].

(٢) فيما أخرجه مسلم في ص ٣٩٠ من الجزء الثاني من صحيحه[4].

(٣) فيما أخرجه مسلم في الصفحة المذكورة[5].

(٤) فيما أخرجه مسلم في الصفحة الآنفة الذكر، أعني ص ٣٩٠ من الجزء الثاني من صحيحه[6].

(٥) فيما أخرجه البخاري في الصفحة السادسة من الجزء الأول من صحيحه[7].

---

١. آل عمران (٣): ١٥٩.

٢. القلم (٦٨): ٤.

٣. صحيح مسلم ٤: ٢٠١٤، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ١٠٧، فيه: «إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

٤. المصدر: ٢٠٠٣، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٧٤.

٥ و٦. المصدر: ٢٠٠٤، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٧٧ و٧٨.

٧. صحيح البخاري ١: ١٣ ح ١٠.

إنّما وضع هذا الحديث على عهد معاوية، تزلّفاً إليه، وتـقرّباً إلى آل أبـي العـاص وسائر بني أُميّة، وتداركاً لما ثبت عن النـبيّ ﷺ مِـن لعـن جـماعة مـن مـنافقيهم وفراعنتهم، إذكانوا يصدّون عن سبيل اللّه ويـبغونها عـوجاً، فسـجّل عـليهم رسـول اللّه ﷺ بلعنه إيّاهم في كثيرٍ من مواقفه المشهودة خزياً مؤبّداً؛ ليعلم الناس أنّهم ليسوا من اللّه ورسوله في شيء، فيأمن على الدين من نفاقهم، وعلى الأُمّة من عيثهم، وما كان ذلك منه إلّا نصحاً للّه ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين من بعده، ولعامّتهم.

وقد كان ﷺ رأى في منامه كأنّ بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبره كما تنزو القردة، فيردّون الناس على أعقابهم القهقرى، فما رئي بعدها مستجمعاً ضاحكاً حتّى توفّي (١).

وقد أنزل الله تعالى في ذلك عليه قرآناً يتلوه المسلمون آناء الليل وأطراف النهار ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِى اَرَيْنَاكَ اِلّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ اِلاّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾[١] والشجرة الملعونة في القرآن هي الأُسرة الأمويّة أخبره الله تعالى بتغلّبهم على مقامه، وقتلهم ذرّيّته، وعيثهم في أُمّته، فلم ير بعدها ضاحكاً حتّى لحق بالرفيق الأعلى. وهذا من أعلام النبوّة وآيات الإسلام، والصحاح فيه متواترة، ولا سيّما من طريق العترة الطاهرة.

أعلن رسول الله ﷺ أمر هؤلاء المتغلّبين؛ ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة، وما على الرسول إلّا البلاغ المبين.

---

(١) أخرجه الحاكم في ص ٤٨٠ من الجزء الرابع مـن مسـتدركه في كـتاب الفـتن والمـلاحم، وصحّحه على شرط الشيخين[٢]. واعترف الذهبي بصحّته في تلخيص المستدرك[٣] على تعنّته.

---

١. الإسراء (١٧): ٦٠.

٢. المستدرك على الصحيحين ٥: ٦٧٧ ـ ٦٧٨، ح ٨٥٢٩.

٣. التلخيص ضمن المستدرك للحاكم ٤: ٤٨٠.

وحسبك من إعلانه أنّ الحكم بن أبي العاص استأذن عليه مرّة فعرف ﷺ صوته وكلامه، فقال(١): «ائذنوا له، عليه لعنة الله، وعلى من يخرج من صلبه إلّا المؤمن منهم(٢) وقليل ما هم، يشرفون[1] في الدنيا، ويضعون في الآخرة ذَوُو مكر وخديعةٍ، يُعطَون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاقٍ».

وقال ﷺ(٣): «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً، اتّخذوا مالَ اللّه دُوَلاً[2]، وعباد الله خَوَلاً[3]، ودين الله دَغَلاً»[4].

---

(١) فيما أخرجه الحاكم وصحّحه في صفحة ٤٨١، من الجزء الرابع من مستدركه، في كتاب الفتن والملاحم[5].

(٢) هذا المؤمن المسكين لم يبق له في عرف أبي هريرة حظّ من القرب لله، ولا نصيب من الرحمة، حيث استثناه النبيّ ﷺ من هذه اللعنة. فأولياء أبي هريرة يؤثرون عدم استثنائه، كما يتمنّون أن يلعنهم رسول الله ويلعن آباءهم؛ ليكون ذلك كفّارة لهم وقربةً.

(٣) أخرجه الحاكم بالإسناد إلى كلّ من أبي ذرّ وأميرالمؤمنين عليّ وأبي سعيد الخدري، وصحّحه في ص ٤٨٠ من الجزء الرابع من المستدرك[6]. وصحّحه الذهبي في تلخيصه أيضاً[7].

---

١. في المصدر: «يشرقون» بدل «يشرفون».

٢. «هو ما يتداول من المال فيكون لقومٍ دون قومٍ». النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ١٤٠، «د.و.ل».

٣. «أي خدماً وعبيداً، يعني أنّهم يستخدمونهم ويستعبدونهم». النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٨٨، «خ.و.ل».

٤. «أي يخدعون به الناس». النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ١٢٣، «د.غ.ل».

٥. المستدرك على الصحيحين ٥: ٦٧٩، ح ٨٥٣١.

٦. المصدر: ٦٧٧، ح ٨٥٢٥ـ٨٥٢٧.

٧. التلخيص ضمن المستدرك للحاكم ٤: ٤٨٠.

وقال ﷺ مرّة أُخرى: «إذا بلغ بنو أُميّة أربعين، اتّخذوا عباد الله خَوَلاً، ومال الله نِحْلاً، وكتاب اللّه دَغَلاً»(١).

وكان لا يولد لأحد مولود إلّا أُتي به النبيّ ﷺ فدعا له، فأدخل عليه مروان بن الحكم، فقال ﷺ(٢): «هو الوَزَغُ[1] ابن الوزغ، الملعونُ ابن الملعون».

وعن عائشة من حديث قالت فيه: ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه. قالت: فمروان قصصٌ من لعنة الله(٣).

وعن الشعبي عن عبداللّه بن الزبير قال: إنّ رسول الله ﷺ لعن الحكم وولده(٤).

والصحاح في هذا ونحوه متواترة، وحسبك منها ما أخرجه الحاكم في كتاب الفتن والملاحم من صحيحه المستدرك، إذ أخرج منها ما فيه بلاغ لأُولي الألباب،

---

(١) أخرجه الحاكم في ص ٤٧٩ من الجزء الرابع من صحيحه المستدرك بإسناده إلى أبي ذرّ من طريقين[2].

(٢) فيما أخرجه الحاكم وصحّحه في صفحة ٤٧٩ من الجزء الرابع من مستدركه[3].

(٣) أخرجه الحاكم وصحّحه على شرط الشيخين في ص ٤٨١، من الجزء الرابع من مستدركه[4].

(٤) أخرجه الحاكم وصحّحه في آخر صفحة ٤٨١ من الجزء الرابع من المستدرك[5].

---

١. «هي التي يقال لها: سامّ أبرص». النهاية في غريب الحديث والأثر ٥: ١٨١، «و. ز. غ».

٢. المستدرك على الصحيحين ٥: ٦٧٦، ح ٨٥٢٢ ـ ٨٥٢٣.

٣. المصدر: ٦٧٦، ح ٨٥٢٤.

٤. المصدر: ٦٧٩، ح ٨٥٣١.

٥. المصدر: ٦٧٧، ح ٨٥٢٤.

وختم الباب بقوله[(١)]:

ليعلم طالب العلم أنّ هذا باب لم أذكر فيه ثلث ما روي، وإنّ أوّل الفتن في هذه الأُمّة فتنتهم. قال: ولم يسعني فيما بيني وبين الله أن أُخلي الكتاب من ذكرهم. انتهى.

قلت: وهذا القدر كافٍ لإثبات ما قلناه من أنّهم إنّما اختلقوا هذا الحديث وأمثاله، تداركاً لتلك اللعنات. وممّا يوجب الأسف أنّ العامّة آثرت أُولئك اللُّعناء المنافقين على نبيّهاﷺ من حيث لا تشعر، إذ صحّحوا هذه الخرافة؛ صوناً للملعونين، ولم يأبهوا بما يلزم ذلك من اللوازم التي لا تليق برسول اللّهﷺ.

وما كان للأُمّة أن تحتفظ بكرامة من لعنهم نبيّها لنفاقهم، ونفاهم لفسادهم، فتضيّع على أنفسها المصلحة التي توخّاهاﷺ لها في لعنهم وإقصائهم. وهم الذين دحرجوا الدباب ليلة العقبة؛ لينفروا برسول الله فيطرحوه، وكان إذ ذاك قافلاً من غزوة تبوك في حديثٍ ثابتٍ مستفيضٍ[(٢)]، وهو طويل، وقد جاء في آخره: فلعنهم رسول اللهﷺ يومئذٍ.

---

(١) في أوّل صفحة ٤٨٠ من الجزء الرابع من مستدركه[١]، ولا يخفى ما في كلامه من الدلالة على تخوّفه من العامّة، وجمهور المسلمين، أن ينكروا عليه إخراج هذه الصحاح، فاعتذر إليهم بأنّه لم يسعه أن يخلي كتابه منها، وجعل اللّه شهيداً فيما بينه وبينهم على ذلك، وهنا عرفت معنى قول القائل:

ما المسلمون بأُمّة لمحمّد   كلّا ولكن أُمّة لعدوّه

(٢) وقد أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي الطفيل عامر بن وائلة في أواخر الجزء الخامس من مسنده[٢].

---

١. المصدر: ٦٧٩، ذيل الحديث ٨٥٣٢.

٢. مسند أحمد ٩: ٢٠٧ ـ ٢٠٨، ح ٢٣٨٥٣.

والعجب من المسلم ينتصر لهم، وقد جرّعوا النبيّ صلى الله عليه وآله كلّ غصّة، وقعدوا له في كلّ مرصد، ووثبوا عليه وعلى أهل بيته من بعده كلّ وثبة[1]، وما لعنهم إلّا ليطردهم الله

---

(١) ذكر الزبير بن بكّار قضيّة كانت في الشام بين إمام الأُمّة وسيّد شباب أهل الجنّة أبي محمّد الحسن السبط وخصومه ـ وهم: معاوية وأخوه عتبة وابن العاص وابن عقبة وابن شعبة ـ وقد احتدم فيها الجدال، فكان من جملة ما قاله الحسن يومئذٍ: «وأنتم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها» واسترسل في ذكرها موطناً موطناً، ثمّ تكلّم مع ابن العاص، فكان ممّا قاله يومئذٍ له: «إنّك لتعلم وكلّ هؤلاء يعلمون أنّك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتاً من الشعر، فقال صلى الله عليه وآله: اللّهمّ إنّي لا أقول الشعر، ولا ينبغي لي، اللهمّ العنه بكلّ حرف ألف لعنة؛ فعليك إذن من الله ما لا يحصى من اللعن».
والقضيّة طويلة، فراجعها في ص ١٠١ إلى ص ١٠٤ من المجلد الثاني من شرح النهج الحميدي[1].
وأوردها الطبرسي في احتجاجه، والمجلسي في بحاره[2]، وغير واحد من الخاصّة والعامّة[3].
وأخرج مسلم في آخر باب مَن لعنه النبيّ وليس أهلاً لذلك ـ ص ٣٩٢ من الجزء الثاني من صحيحه ـ بالإسناد إلى ابن عبّاس: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمره أن يدعوله معاوية، قال: فجئت فقلت: هو يأكل، ثمّ قال لي: «اذهب فادع لي معاوية» قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال صلى الله عليه وآله: «لا أشبعَ الله بطنَه»[4].
قلت: وجاء في بعض طرقنا إلى ابن عبّاس في هذا الحديث: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن معاوية يومئذٍ[5].
ويدلّك على لعنه يومئذٍ أنّ مسلماً أورد هذا الحديث في باب من لعنه النبيّ في صحيحه، كما سمعت، لكنّهم يحرّفون الكلم عن مواضعه؛ احتفاظاً منهم بكرامة هؤلاء المنافقين.

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٨٥ ـ ٢٩٤.
٢. الاحتجاج للطبرسي: ٢٧٤، احتجاج الإمام الحسن عليه السلام في مجلس معاوية؛ بحار الأنوار ٤٤: ٧٠ ـ ٨٦، كتاب الإمام الزكيّ الحسن المجتبى عليه السلام، الباب ٢٠، ح ١.
٣. كالصدوق في الخصال: ٣٩٧ ـ ٣٩٨، باب السبعة، ح ١٠٥.
٤. صحيح مسلم ٤: ٢٠١٠، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٩٦.
٥. حكاه ابن شهر آشوب عن البلاذري في مناقب آل أبي طالب ١: ٢١٠، ونصر بن مزاحم في وقعة صفّين: ٢٢٠.

من رحمته، ويجتنبهم المؤمنون من أُمّته جزاءً وِفاقاً، لا ليقرّبهم إلى اللّه زلفى كما يخرفون.

١٥ . عروض الشيطان لرسول الله وهو في الصلاة

أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة قال: صلّى رسول اللّه صلاة، فقال ﷺ: «إنّ الشيطان عرض لي، فشدّ عليّ ليقطع الصلاة علَيَّ، فأمكنني الله منه فذَعَتُّه ـ أي فخنقته[1] ـ ولقد هَمَمْتُ أن أُوثِقَه إلى ساريةٍ حتّى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكاً لاَ يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى﴾»(١). الحديث.

وفيه: أنّ أنبياء الله وخيرته من خلقه ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ يجب أن يكونوا في نجوة(٢) من هذا، وفي منتزح عنه(٣)؛ فإنّه ينافي عصمتهم، ويضع من قدرهم،

---

(١) أخرجه البخاري في ص ١٤٣ من الجزء الأوّل من صحيحه في باب: ما يجوز من العمل في الصلاة[2]. وأخرجه مسلم في ص ٢٠٤ من الجزء الأوّل من صحيحه في باب: جواز لعن الشيطان في الصلاة[3]. وأخرجه أحمد في ص ٢٩٨ من حديث أبي هريرة في الجزء الثاني من مسنده[4].

(٢) «النجوة» في الأصل ما ارتفع من الأرض، جمعه «نِجاء» تقول: إنّك من الأمر بنجوة، إذا كنت بعيداً منه بريئاً سالماً[5].

(٣) مأخوذ من «انتزح» بمعنى ابتعد[6].

---

١. ذعت ـ بالتخفيف ـ إذا خنقه أشدّ الخنق. الصحاح ١: ٢٤٩، «ذ.ع.ت». قال البخاري في صحيحه: «والصواب «فدَعَتُّهُ»» وروى المجلسي هذه الرواية في البحار ١٤: ٨٩، كتاب النبوّة، الباب ٦، ذيل الحديث ٢. وفيه: «فودعته» بدل «فذعتّه».

٢. صحيح البخاري ١: ٤٠٥، ح ١١٥٢، والآية في سورة ص (٣٨): ٣٥.

٣. صحيح مسلم ١: ٣٨٤، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ٣٩.

٤. مسند أحمد ٣: ١٥٧ ـ ١٥٨، ح ٧٩٧٤ بتفاوت.

٥. المصباح المنير: ٥٩٩، «ن.ج.و».

٦. المصدر: ٥٩٩ ـ ٦٠٠، «ن.ز.ح».

ومعاذ الله يشدّ الشيطان عليهم، أو يعرض لهم، أوتسول له نفسه الطمع فيهم، وقد قال الله ـ عزّ وجلّ ـ له: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1].

وعلم المسلمون على اختلافهم في المذاهب والمشارب أنّ الشيطان قد عَقِر(١) بمولد رسول الله ﷺ، ودهش بمبعثه، وبرق بهجرته، وخرق(٢) بظهوره ونصرته، وانماث كالملح في الماء بهديه وقوانينه ونظمه، وطار شعاعاً من صلاته، وذهب لماعاً بما أودعه الله فيها من الحِكم والأسرار، فإذا هي تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وكان ﷺ إذا قام إلى الصلاة تخلّى بنفسه المطمئنّة، وتجرّد بروحه الروحيّة عن كلّ شيء سوى الله وحده، يتمحّض إقبالاً على الله، وعبوديّة خالصة لوحدانيّته عزّ سلطانه، فإذا أحرم لها بالتكبير تعوّذ بالله قبل الشروع في القراءة؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2].

ومن البديهيّ أنّه إذا استعاذ بالله يعوذه، والشيطان لا يجهل هذه الحقيقة، وإن جهلها المخرفون.

---

(١) بفتح العين وكسر القاف، أي فاجأه الروع فدهش فلم يقدر أن يتقدّم أو يتأخّر[3].

(٢) أي بهت شاخصاً ببصره[4].

---

١. الحجر (١٥): ٤٢.

٢. النحل (١٦): ٩٨.

٣. لسان العرب ٤: ٥٩٨ ـ ٥٩٩، «ع.ق.ر».

٤. المصدر ٢: ٦١٤، «خ.ر.ق».

وقد روى أبو هريرة[(١)]: أنّ الشيطان إذا سمع الأذان للصلاة ـ من أيّ مسلمٍ كان ـ أدبر هارباً وولّى فَرَقاً، وله ضراط هلع وجزع.

فكيف يجرأ على رسول الله ﷺ فيتسوّر على مقامه الرفيع، وهو في ذلك الحرم المنيع، بين يدي الله، عائذاً بعزّته، لائذاً بعصمته، منقطعاً إليه عن كلّ شيء، هيهات هيهات ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[١].

فإن قلت: ما تقولون في الآية ٣٦ من حم السجدة، وهي قوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢]؟

قلنا: إنّ الله ـ جلّت آلاؤه ـ أدّب حبيبه محمّداً بآداب اختصّه بها، ففضّله على العالمين حتّى لم يبق نبيّ مرسل، ولا ملك مقرّب، ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد، إلّا بخع لآدابه، وخشع لأخلاقه، فما من أمرٍ في الذكر الحكيم الّا ائتمر به، وما من زجرٍ في القرآن العظيم إلّا انزجر به، وما من حكمةٍ إلّا أخذ بها، كان القرآن نصب عينيه، يقتفي أثره، ويتبع سوره، وهذه الآية ممّا جاء في سياق آدابه وأخلاقه، فانظر إلى ما قبلها من الآيات البيّنات تجد الحكمة، وفصل الخطاب، فإنّ ما قبلها بلافصل: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٣].

---

(١) فيما أخرجه البخاري في أوّل كتاب الأذان ص ٧٨ من الجرء الأوّل من صحيحه. وأخرجه مسلم في باب فضل الأذان وهرب الشيطان منه ص ١٥٣ من الجزء الأوّل من صحيحه[٤].

---

١. النحل (١٦): ٩٩ـ ١٠٠.

٢. فصّلت (٤١): ٣٦.

٣. فصّلت (٤١): ٣٤ـ ٣٥.

٤. صحيح البخاري ١: ٢٢٠، ح ٥٨٣؛ صحيح مسلم ١: ٢٩١، كتاب الصلاة، ح ١٩.

هذه هي الغاية في الأخلاق طبع الله عليها عبده وخاتم رسله، فكان ﷺ يمثّلها في هديه منذ قال في مبدأ أمره ـ ودم جبهته يسيل على وجهه ولحيته ـ: «اللهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون»[١] إلى أن نادى مناديه يوم الفتح ـ وكان في منتهى عمره ـ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن[٢].

أرهف الله عزائمه، وشحذ هممه للأخذ بهذه التعاليم، وحمله على هذه الأخلاق بكلّ أُسلوبٍ يأخذ إليها بالأعناق، ألا تراه ـ جلّ وعلا ـ كيف لم يكتف ببعثه عليها حتّى شوّقه إليها، وبلغ الغاية في تحظيضه عليها، فقال ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَمٰا يُلَقّاهٰا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمٰا يُلَقّاهٰا إِلاّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٣].

ثمّ لم يقف على هذا الحدّ في إرهاف عزيمته حتّى حذّره ممّا طبع البشر عليه من فورة تكون في النفس، ونزغة ـ أي نخسة ـ تكون في القلب، عند هجوم الأذى الممضّ من العدوّ الملحّ، وسمّى تلك النخسة البشريّة نزغاً من الشيطان على سبيل المجاز، تنفيراً منها وتنزيهاً عنها، فقال: ﴿وَإِمّٰا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطٰانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾[٤] أي: وإمّا ينخسنّك من الغضب الذي طبع عليه البشر نخس يشبه نزغ الشيطان في تضييق الصدر، وتوهين عرى الصبر ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾. ونظير هذه الآية قوله ـ عزّ من قائل ـ في سورة الأعراف: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجٰاهِلِينَ * وَإِمّٰا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطٰانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٥].

فإنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ أراد صيانة حبيبه عن مقابلة الجاهلين الذين قامت عليهم الحجّة

---

١. راجع: تاريخ مدينة دمشق ٦٢: ٢٤٧، الرقم ٧٩٣٢؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ١: ٢٨٨، ذيل الآية ١٢٨ من سورة آل عمران (٣)؛ فتح القدير ٢: ٦١، ذيل الآية ٦٧ من سورة المائدة (٥).

٢. مسند أحمد ٣: ١٤٦، ح ٧٩٢٧.

٣. فصّلت (٤١): ٣٥.

٤. فصّلت (٤١): ٣٦.

٥. الأعراف (٧): ١٩٩ ـ ٢٠٠.

فجحدوها وتمادوا بالكفر عناداً لله تعالى ورسوله ﷺ، فأمره بالإعراض عنهم. ولمزيد عنايته في تهذيبه وتفضيله على البشر حذّره بما طبع البشر عليه من التأثّر القلبي، والتنزفّر النفسي عند هجوم الجاهلين بسفههم وبذاءتهم، وسمّى ذلك التأثّر الطبيعي نزغاً من الشيطان على سبيل التجوّز؛ تنزيهاً لنبيّه عنه، وتنفيراً له منه إذ كان ﷺ لا ينفر من شيء نفوره من الشيطان، وممّا يشبه عمله، فقال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ يوهن صبرك عن احتمال سفه الجاهلين، ويدعوك إلى إظهار الغضب منهم ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾.

فأين هذا المعنى عمّا جاء في حديث أبي هريرة من شدّ الشيطان على رسول الله ﷺ ليقطع عليه صلاته؟ الأمر الذي لايجوز بحكم العقل والنقل.

فإن قلت: ما تقول في الآية ٥٢ من سورة الحجّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية [١].

قلنا: إنّ من المعلوم بحكم الضرورة من دين الإسلام أنّ رسول الله ﷺ وسائر الرسل والأنبياء عليهم السلام لايجوز عليهم أن يتمنّوا ما لا يرضى الله به، وحاشاهم أن يتمنّوا من الأُمور كلّها إلّا ما كان لله فيه رضى ولعباده صلاح.

وقد كان ﷺ يتمنّى لأهل الأرض كافّة، ولكلّ واحد منهم أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى، ولا سيّما الأقرب إليه منهم فالأقرب. والشيطان كان يلقي في هذه الأُمنيّة(١) بغروره وحيله ما يشوّهها في نظر من كان ـ كأبي لهب وأبي جهل ـ ممّن استحوذ عليهم بفتنته،

---

(١) الأُمنيّة ما يتمنّى، والجمع أمان وأمانيّ [٢].

---

١. الحجّ (٢٢): ٥٢ ـ ٥٤.

٢. لسان العرب ١٥: ٢٩٤، «م. ن. ى».

فصدّهم عمّا تمنّاه الرسول لهم من خير الدنيا والآخرة، حتّى أغراهم بقتاله واستئصاله.

وكان ﷺ يتمنّى لمن دخل في الإسلام كافّة، ولكلّ واحدٍ منهم أن يخلصوا لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولسائر عباده إخلاصاً تستوي فيه ظواهرهم وبواطنهم وعلانياتهم وسرائرهم، لكنّ الشيطان كان يلقي في هذه الأُمنيّة المبرورة من تسويله وتضليله ما يقتضي تشويش كثير من الناس، ويوجب نفاقهم.

وكان ﷺ يتمنّى لكلّ فرد من أُمّته أن ينهج منهاجه القويم، وصراطه المستقيم، لا يحيد قيد شعرة فما دونها عن سنّته المقدّسة، وكانت قصارى أمانيّه أن تتّفق الأُمّة على هديه، وتكون بأجمعها نصب أمره ونهيه، فلا يختلف منها كثير من الناس ما خدعهم عن السنن، فتفرّقت بهم السبل وكانوا طرائق قدداً. وهكذا كان الغرور الرجيم يرصد ما يتمنّاه الرسول من خير عامّ أو خاصّ، فيلقي فيه من التشويه في نظر المغترّين بزخارفه ما يصرفهم عنه.

والمنخدعون بأباطيل الشيطان وأضاليله كثيرون، قد أعدّ لهم خيله ورجله، ونصب لهم حبائله وأشراكه، ووقف لهم على ساقٍ، يريهم الحقّ بغروره باطلاً، والباطل بزخارفه حقّاً، لا يألو جهداً في تشويه ما يتمنّاه الرسول لهم، ولا يدّخر وسعاً في صدّهم عنه بكلّ حيلة.

وهذا ما أقضّ مضجع رسول الله ﷺ إشفاقاً على الناس من هذا الوسواس الخنّاس، وفَرَقاً من أضاليله وأباطيله أن تظهر على الحقّ المبين، فكان ﷺ بسبب ذلك مستوجباً للتعزية من الله ـ عزّ وجلّ ـ فعزّاه وخفّض عليه بهذه الآية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ(١) إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ﴾[1] مثل ما تمنّيت من الخير خاصّاً أو عامّاً

(١) «من» الأُولى لابتداء الغاية، و «من» الثانية زائدة لتأكيدها النفي، وهذه الآية دالّة بظاهرها على التغاير بين «الرسول» و «النبيّ». والتحقيق في هذا موكول إلى مظانّه.

١. الحجّ (٢٢): ٥٢.

﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[١] ما ألقاه في أُمنيّتك من التشويه بالتمويه على كثير من الناس، فصدّهم عنها بغروره وفتنته، فإنّ الرسل والأنبياء كانوا بأجمعهم يتمنّون لأهل الأرض عامّة أن يكونوا على هدى من ربّهم، وكانوا بأسرهم يتمنّون لمن آمنوا بهم أن يخلصوا لله إخلاصاً حقيقيّاً لا تشوبه شائبة، وكانت قصارى أمانيّهم أن تتّفق أُممهم على هديهم فلا يختلف في ذلك منهم اثنان، لكن الشيطان كان يلقي في هذه الأمانيّ الشريفة من وسوسته ما يخدعهم عنها، فلم تتحقّق أمانيّهم إلّا قليلاً، حتّى افترقت أُمّة موسى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت أُمّة عيسى اثنتين وسبعين فرقة، وهكذا أُمم الأنبياء كافّة لم تتحقّق فيهم أمانيّ رسلهم بسبب مايلقيه الشيطان فيها من التشويه بالتمويه، فلا يكبرنّ عليك ـ يا محمّد ـ ما مُنِيت به في أمانيّك المقدّسة، حيث لم تتحقّق في كثير من الأوقات بسبب ما يلقيه الشيطان فيها من التشويه الموجب لصرف كثير من الناس عنها، ولك أُسوة حسنة في هذا بجميع من كان قبلك من الرسل والأنبياء، فإنّك وإيّاهم في هذا الأمر شرع سواء ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾[٢].

وحيث كانﷺ مشفقاً من أباطيل الشيطان أن تظهر على الحقّ، أمّنه ـ عزّ وجلّ ـ من هذه الناحية، إذ قال: ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ﴾ أي فيزيل الله ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾[٣] في أمانيّك وأمانيّ الرسل والأنبياء من تشويهها بتمويهه الذي لايثبت أمام الحقّ الساطع والبرهان القاطع أبداً. ثمّ بشّره بظهور الحقّ الذي جاء به عن ربّه، وجاءت به الرسل والأنبياء من قبله وبقائه محكماً، فقال ـ وقوله الحقّ ووعده الصدق ـ: ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ﴾ أي يتقنها، كما قال في مقام آخر: ﴿وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[٤].

---

١. الحجّ (٢٢): ٥٢.

٢. الإسراء (١٧): ٧٧.

٣. الحجّ (٢٢): ٥٢.

٤. يونس (١٠): ٨٢.

وأُولو الألباب يعلمون أن ليس المراد من «النسخ» و«الإحكام» هنا معناهما المصطلح عليه في عرف المفسّرين، وإنّما المراد من النسخ والإحكام في هذه الآية معناهما اللغوي، فالنسخ بمعنى الإزالة، والإحكام بمعنى الإتقان. وهذه الآية في نسخها وإحكامها ليست إلّا كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾[١].

ثمّ لمزيد عنايته ـ عزّ وعلا ـ بنبيّه لَفَتَه إلى ما يوجب له مزيد الطمأنينة بفوز الأنبياء وخزي الشيطان، فقال: ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وسع كلّ شيء علماً وحكمة يعلم إخلاص الرسل والأنبياء في أمانيّهم، فيمدّهم بروح القدس من عنده، ويبوّئهم مبوّأ صدقٍ من كرامته، ويعلم عداوة الشيطان لله ولرسوله ولعباده بما يلقيه من التشويه في أمانيّ الرسل والأنبياء، فيخزيه بخبث سريرته ولؤم علانيته، على ما تقتضيه الحكمة من كرامة من يستحقّ الكرامة، وخزي من يستحقّ الخزي، فإنّ «الحكمة» وضع الأُمور مواضعها.

وقد شاءت حكمته تعالى أن يميّز الخبيث من الطيّب من عباده فابتلاهم بالغَرور الرجيم يلقي التشويه في أمانيّ الرسل والأنبياء ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ أي اختباراً وتمحيصاً ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ من النفاق ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ لا تلين لذكر الله وما نزل من الحقّ، إذ ران عليها ما سوّل الشيطان لهم من الكفر، فحجبها عن نور الإيمان والهدى ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ من المنافقين والكفّار ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي في عداوة لله ولرسوله لا أجل لها قد أعمت عن الحقّ أبصارهم، وأصمّت أسماعهم، ورانت على قلوبهم، ونعقوا بسببها مع كلّ ناعقٍ من الشيطان ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بوحدانيّة الله وحكمته، وبعثة الرسل والأنبياء ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾[٢] غير

١. الرعد (١٣): ١٧.

٢. الحجّ (٢٢): ٥٢ ـ ٥٤.

آبهين بالشيطان ولا بشيء من تهويله وتضليله.

وبالجملة، فإنّ الله سبحانه شاءت حكمته أن يميّز الخبيث من الطيّب فامتحن الناس بما قلناه، فازداد الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم مرضاً وقسوة، وازداد المؤمنين إيماناً ويقيناً، فقوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ إلى أن قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ جارٍ مجرى قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[2] وقوله ـ عزّ اسمه ـ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[3].

ولا غَرْوَ؛ فإنّ لله عزّ وجلّ أن يمتحن عباده من صنوف المحن وأنواع الفتن، له الحجّة في الثواب والعقاب، كما هو مبرهن عليه في محلّه من كتب الأصحاب ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4]، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[5].

ولنرجع إلى أصل الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[6] فإنّه لايراد بها أنّ الشيطان يلقي في نفس الرسول أو النبيّ شيئاً ـ والعياذ بالله ـ ليشكل الأمر فنحتاج إلى تخريج الآية على خلاف ظاهرها، وإنّما المراد ما نصّت الآية عليه من أنّ الشيطان يلقي في الأمنيّة نفسها، أي يلقي فيما يتمنّاه الرسول أو النبيّ من الخير والسعادة شيئاً من التشويه في نظر رعاع الشيطان والناعقين معه؛ ليصدّهم بسبب ذلك عمّا تمنّاه الرسول لهم، ويحول بين الأُمنيّة وتحقّقها في

١. العنكبوت (٢٩): ٢ ـ ٣.
٢. آل عمران (٣): ١٧٩.
٣. آل عمران (٣): ١٤١.
٤. الأنعام (٦): ١٤٩.
٥. الأنفال (٨): ٤٢.
٦. الحجّ (٢٢): ٥٢.

الخارج، فتكون الآية الحكيمة على حدّ قول القائل: ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه.

هذا هو المراد من الآية قطعاً، وهو المتبادر منها إلى الأذهان، وإن لم يذكره ـ فيما أعلمه ـ أحد من المفسّرين أو غيرهم، والعجب من غفلتهم عنه على وضوحه، وكونه هو اللائق بالذكر الحكيم والنبيّ العظيم وسائر الرسل والأنبياء عليهم السلام، فلا يجوز حمل الآية على ما سواه أبداً(١).

أمّا حديث الغرانقة فإنّه من مختلقات الزنادقة، كما أوضحناه على سبيل التفصيل في رسالة أفردناها لهذا الحديث، ولكلّ ما كان حوله متناً وسنداً، أسميناها خرافة الزنادقة أو سخافة(٢) الغرانقة، والله المسؤول أن يوفّقنا لنشرها فإنّها في بابها ممّا لا نظير له، والحمد لله على هدايته وعظيم عنايته.

ولنرجع إلى ما كنّا فيه من حديث أبي هريرة إذ قال: صلّى رسول الله صلاة فقال: «إنّ الشيطان عرض لي فشدّ عليَّ ليقطع الصلاة عليَّ، فأمكنني الله منه فذعَتُّه، ولقد هَمَمْتُ أن أُوثقه إلى ساريةٍ حتّى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرت قول سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾[١] الحديث.

فليسمح لي الشيخان وغيرهما ممّن يعتبرون حديث أبي هريرة لأسألهم: هل للشيطان جسم يشدّ وثاقه ويربط بالسارية حتّى يصبح، وتراه الناس بأعينها أسيراً مكبّلاً؟ ما أظنّ أنّ أحداً يقول بأنّ الشيطان ذو جسم كثيف يقع عليه ذلك.

---

(١) نشرنا هذا التفسير في المجلّد الحادي والثلاثين من مجلّة العرفان، ص ١١٣ وما بعدها.

(٢) كنّا أوّلاً تصدّينا في هذا المقام لحديث الغرانيق، فلم نبق ممّا يتعلّق به شيئاً إلّا فصّلناه تفصيلاً، حتّى أفضت بنا التفاصيل إلى الخروج عن موضوع الكتاب، لذلك آثرت أن أسلخ منه ما يتعلّق بسخافة الغرانقة، فأخرجته كتاباً غزير المادّة، جمّ الفوائد، داني القطوف.

---

١. تقدّم في بداية البحث عن الحديث ١٥، والآية في سورة ص (٣٨): ٣٥.

ولعلّ الذي جرّأ أبا هريرة على هذا الحديث قصور مداركه عن معاني الذكر الحكيم والفرقان العظيم، فظنّ أنّ بعض آياته تثبت وقوع مثل ذلك، إذ قال الله عزّ وجلّ فيما اقتصّ من خبر سليمان: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾[1]. فظنّ الرجل أنّهم كانوا كسائر المقرّنين بالأصفاد من البشر، ولم يدر أنّهم كانوا مقرّنين في عالمهم الشيطاني بأصفاد تتّفق مع طبائعهم الشيطانيّة، تمنعهم عمّا يحاولونه من العيث والفساد، من حيث لا يراهم من الآدميين أحد أبداً.

ذكر أبو هريرة في هذا الحديث: أنّ النبيّ ﷺ إنّما أطلق سراح الشيطان كراهة أن يكون له ملك سليمان، ولولا ذلك لأوثقه إلى سارية حتّى يصبحوا فينظروا إليه.

وقد اشتبه أبو هريرة، فإنّ الله ـ عزّ سلطانه ـ وهب لسليمان ملكاً سخّر له فيه الريح، غدوّها شهر ورواحها شهر، وأسال له عين القطر، ومن الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربّه، ومن يزغ منهم عن أمره يذقه من عذاب السعير ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾[2] فوهب له بهذا ملكاً لم يهبه لرسول الله في ظاهر الحال؛ فلو أوثق ﷺ شيطان أبي هريرة لا يكون بمجرّد ذلك مساوياً في الملك لسليمان، إذ تبقى الميزة لملك سليمان بتسخير الريح وإسالة عين القطر، وعمل الجنّ والشياطين من كلّ بنّاء وغوّاص، فالتعليل الذي ذكره أبو هريرة عليل، وحديثه من الأباطيل، وحاشا رسول الله أن يحيّر الحواسّ، ويدهش مشاعر الناس، وهو ﷺ الذي نصّ على اختصاص العقل بالخطاب، وحاكم إليه الخطأ والصواب، فجعل صحّة الدليل آية الحقّ، وأمرنا أن لا نسير إلّا على ضوئه ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3].

---

١. ص (٣٨): ٣٦ ـ ٣٨.

٢. سبأ (٣٤): ١٣.

٣. الملك (٦٧): ٢٢.

١٦ . نوم النبيّ عن صلاة الصبح

أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة ـ واللفظ لمسلم(١) ـ قال: عرّسنا مع نبيّ الله فلم نستيقظ حتّى طلعت الشمس، فقال النبيّ ﷺ: «ليأخُذْ كلّ رجلٍ منكم برأس راحلته، فإنّ هذا مَنزِلٌ حَضَره الشيطان». قال أبو هريرة: ففعلنا، ثمّ دعا بالماء فتوضّأ، ثمّ سجد سجدتين، ثمّ أُقيمت الصلاة فصلّى صلاة الغداة.

وهذا حديث يبرأ منه هدي رسول الله ﷺ، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[١] إلى أن قال ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ﴾[٢].

ويقول ـ مخاطباً له في مقام آخر ـ: ﴿أَقِمِ الصَّلوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كٰانَ مَشْهُوداً(٢) * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقٰاماً مَحْمُوداً﴾[٣] أي ومن الليل فصلّ بالقرآن زيادة لك على الفرائض الخمس التي أوجبتها الآية الأُولى وبيّنت أوقاتها، وذلك أنّ الفرائض الخمس واجبة

---

(١) في باب قضاء الصلاة الفائتة ص ٢٥٤ من الجزء الأوّل من صحيحه[٤].

(٢) إنّ الله سبحانه جعل في هذه الآية من دلوك الشمس الذي هو الزوال إلى غسق الليل وقتاً للصلوات الأربع: الظهر والعصر والمغرب والعشاء. فالظهر والعصر اشتركا في الوقت من الزوال إلى المغرب، إلّا أنّ الظهر قبل العصر. والمغربَ والعشاء اشتركا في الوقت من المغرب إلى الغسق، إلّا أنّ المغرب قبل العشاء. وأفرد الله صلاة الفجر بالذكر في قوله: ﴿وقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ ففي الآية بيان وجوب الصلوات الخمس، وبيان أوقاتها على ما هو المعروف من مذهبنا الإمامي.

---

١ و ٢. المزّمّل (٧٣): ١ ـ ٤ و ٢٠.

٣. الإسراء (١٧): ٧٨ ـ ٧٩.

٤. صحيح مسلم ١: ٤٧١ ـ ٤٧٢، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ٣٠٩.

على جميع المكلّفين، أمّا صلاة الليل فإنّما كانت فريضة عليه ﷺ خاصّة، لم تكتب على غيره.

وقال ـ مخاطباً له في مقام ثالث ـ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ﴾[١] أي يراك إذ تقوم لعبادته في الليل حين لا يطّلع عليك أحد، ويرى تصرّفك في المصلّين بالقيام والقعود والركوع والسجود والذكر والقراءة والدعاء والابتهال إذا صلّيت في جماعة.

وقال ـ مخاطباً له في مقام رابع ـ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾[٢].

وكان ﷺ يصلّي الليل كلّه، ويعلّق صدره بحبل حتّى لا يغلبه النوم(١) فيظلّ قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً حتّى اسمغدّت ـ أي: تورّمت[٣] ـ قدماه(٢) فقال له جبرائيل عن الله ـ عزّ وجلّ ـ: ابقِ على نفسك فإنّ لها عليك حقّاً وأوحى إليه: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ﴾[٤] والشقاء هو الاستمرار فيما يشقّ على

---

(١) كذا في تفسير آية طه من مجمع البيان نقلاً عن قتادة[٥].

(٢) تجد الرواية في تورّم قدميه في تفسير آية طه من الكشّاف[٦]. وعقد البخاري باباً لقيام النبيّ حتّى تفطّر قدماه وتورّم ساقاه في ص ١٣٥ من الجزء الأوّل من صحيحه[٧].

---

١. الشعراء (٢٦): ٢١٧ ـ ٢١٩.

٢. ق (٥٠): ٣٩ ـ ٤٠.

٣. الصحاح ٢: ٤٨٩، «س.م.غ.د».

٤. طه (٢٠): ١ ـ ٣.

٥. مجمع البيان ٧: ٢، ذيل الآية.

٦. الكشّاف ٣: ٤٩، ذيل الآية.

٧. راجع صحيح البخاري ١: ٣٨٠، الباب ٦ من أبواب التهجّد.

النفس، نقيض السعادة[١]. والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتستمرّ فيما يشقّ عليك، فتهلك نفسك بالعبادة وتحملها المشقّة الفادحة، وإنّما أنزلنا عليك القرآن تذكرة لمن يخشى، فرفْقاً بنفسك.

وقد عقد البخاري في صحيحه باباً لتهجّده في الليل[٢]، وباباً لطول سجوده في صلاة الليل[٣]، وباباً لطول قيامه فيها[٤]، وباباً لقيامه حتّى تورّمت ساقاه وتفطّرت قدماه[٥]. هذا دأبه في قيام الليل، فما ظنّك به في إقامة الفرائض الخمس، وهي أحد الأركان التي بني الإسلام عليها، أيجوز عليه أن ينام عنها؟ معاذ الله وحاشاالله، وهو الذي أهاب بأهل الأرض يتلو عليهم عن ربّهم ـ جلّ وعلا ـ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[٦] ونادى في الناس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[٧] إلى أن قال في وصفهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٨] وصاح في بني آدم: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾[٩] وأذّن فأسمع العالم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[١٠].

والقرآن الحكيم مشحون بمثل هذه الآيات البيّنات التي كان رسول الله ﷺ يحوط

---

١. مجمع البحرين ١: ٢٥١؛ الصحاح ٤: ٢٣٩٤، «ش. ق. ي».

٢. صحيح البخاري ١: ٣٨٥، الباب ١٦ من أبواب التهجّد.

٣. المصدر: ٣٧٨، الباب ٣ من أبواب التهجّد.

٤. المصدر: ٣٨١، الباب ٩ من أبواب التهجّد.

٥. المصدر: ٣٨٠، الباب ٦ من أبواب التهجّد.

٦. البقرة (٢): ٢٣٨.

٧ و٨. المؤمنون (٢٣): ١ ـ ٢ و ٩ ـ ١١.

٩. النساء (٤): ١٠٣.

١٠. الأعلى (٨٧): ١٤ ـ ١٥.

الناس بحكمتها وموعظتها الحسنة، وكم وَخَزَ الساهين عن عبادة ربّهم، بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * اَلَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ﴾[1] وفضح المنافقين بما أوحى الله إليه من صفاتهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلوٰةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسالىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كٰارِهُونَ﴾[2] وندّد برجلٍ نام عن صلاة الليل حتّى أصبح، فقالﷺ(١): «بال الشيطان في أُذنه».

يا لها كناية عن سوء حال من يستمرّ في عادته على النوم عن صلاة الليلِ، وما أبلغها من ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[3].

كلمة تقضّ مضاجع المؤمنين وتقلقهم، فلا ينامون بعدها عن نافلة الليل لو أنصفوا أنفسهم. وقد علم البرّ والفاجر، وشهد المسلم والكافر بأنّ محمّداًﷺ كان أوّل المبادرين إلى العمل بتعاليمه، وأعظم المتعبّدين بها، المستقيمين المستمرّين عليها، وأنّه كان يهذّب أُمّته بأفعاله، ويحملهم بها على البخوع لتعاليمه أكثر ممّا يهذّبهم بأقواله، وما كان ـ وهو سيّد الحكماء ـ ليندّد بمن نام عن صلاة الليل هذا التنديد، ثّم ينام هو بمنظر من أصحابه عن صلاة الصبح، سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ.

---

(١) فيما أخرجه البخاري في باب إذا نام ولم يصلّ بال الشيطان في أُذنه من كتاب الصلاة ص ١٣٦ من الجزء الأوّل من صحيحه[4].

---

١. الماعون (١٠٧): ٤ ـ ٦.

٢. التوبة (٩): ٥٤.

٣. التكوير (٨١): ١٩ ـ ٢١.

٤. صحيح البخاري ١: ٢٣٤، ح ٦٢٦.

وقد روى أبو هريرة نفسه(١) أنّ رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَدٍ، فإن استيقظ فذكر الله انحلّت عقدةٌ، فإن توضّأ انحلّت عقدةٌ، فإن صلّى انحلّت عقدةٌ، فأصبح نشيطاً طيّبَ النفس، وإلّا أصبح خبيث النفس كسلاناً».

وهذا الحديث فيه من الكناية البليغة ما في الحديث السابق، وهما يمثّلان نصح النبيّ ﷺ لأُمّته في تحذيرها من الشيطان، وتنشيطها إلى عبادة الرحمن. ولئن صدق فيه أبو هريرة في هذا الحديث، فقد كذب في نوم النبيّ عن صلاة الصبح.

وروى أبوهريرة أيضاً عن رسول الله ﷺ قال(٢): «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما، لأتَوْهُما ولو حَبْواً، لقد هَمَمْتُ أن آمر المؤذّن فيقيم، ثمّ آمر رجلاً يؤُمَّ الناس، ثمّ آخذ شُعلاً من نارٍ فأُحرِّقَ على من لا يخرج إلى الصلاة بعد». انتهى.

---

(١) فيما أخرجه البخاري في باب: عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصلّ بالليل، ص ١٣٦ من الجزء الأوّل من صحيحه[١]. والعجب من البخاري يثبت في صحيحه هذا الحديث عن أبي هريرة، ويثبت عنه أيضاً نوم النبيّ عن الفريضة[٢] فاعتبروا يا أُولي الألباب. وأخرجه أحمد عن أبي هريرة في ص ١٥٣ من الجزء ٢ من مسنده[٣].

(٢) فيما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في ص ٧٣ من الجزء الأوّل من صحيحه في باب فضل صلاة العشاء، من كتاب الصلاة[٤].

---

١. المصدر : ٣٨٣ ـ ٣٨٤، ح ١٠٩١، بتفاوت في بعض الألفاظ.

٢. تقدّم في ص ١٣١ ـ ١٣٢.

٣. مسند أحمد ٣: ٣٦، ح ٧٣١٢، بتفاوت في بعض الألفاظ.

٤. صحيح البخاري ١: ٢٣٤، ح ٦٢٦.

أتراه ﷺ يحضّ الناس على الصلاة هذا الحضّ، ويهتمّ بصلاة الفجر هذا الاهتمام، ويهدّد بالتحريق على من لايخرج إليها، ثمّ ينام عنها؟ حاشا لله ومعاذ الله أن يكون كذلك.

ورحم الله عبدالله بن رواحة[١] الصحابي الشهيد إذ يقول(١):

وفينا رسول الله يتلو كتابَه إذا انشقّ معروفٌ من الفجرِ ساطعُ

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبُنا به موقناتٌ أنّ ما قال واقعُ

يبيتُ يجافي جنبَه عن فراشِه إذا استثقلت بالعابدين المضاجعُ

[قرائن بطلان هذا الحديث]

نرجع إلى الحديث وما بقي من قرائن بطلانه، وهي أُمور:

أحدها: أنّهم ذكروا في خصائص النبيّ ﷺ أنّه كان لاينام قلبه إذا نامت عيناه، وصحاحهم صريحة بذلك(٢).

وهذا من أعلام النبوّة، وآيات الإسلام، فلا يمكن ـ والحال هذه ـ أن تفوته صلاة الصبح بنومه عنها، إذ لو نامت عيناه فقلبه في مأمن من الغفلة، ولا سيّما عن ربّه، لا تأخذه عن واجباته سنة ولا نوم. وقد صلّى مرّة صلاة الليل فنام قبل أن يوتر، فقالت

---

(١) فيما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ص ١٣٨ من الجزء الأوّل من صحيحه[٢].

(٢) وقد أفرد البخاري في صحيحه لهذه الخصيصة باباً على حدة، فراجع ص ١٧٩ من جزئه الثاني[٣].

---

١. عبدالله بن رواحة بن ثعلبي الأنصاري، صحابي، يعدّ من الأُمراء والشعراء الراجزين. كان يكتب في الجاهليّة، وشهدالعقبة مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدراً وأُحداً والخندق والحديبية ....، كان أحد الأُمراء في وقعة مؤتة فاستشهد فيها. راجع الأعلام للزركلي ٤: ٨٦.

٢. صحيح البخاري ١: ٣٨٨، ذيل الحديث ١١٠٤.

٣. المصدر ٣: ١٣٠٨، الباب ٢١ من كتاب المناقب.

له إحدى زوجاته: يا رسول الله، تنام قبل أن توتر؟ فقال لها(١): «تنام عيني ولا ينام قلبي». أرادﷺ أنّه في مأمن من فوات الوتر بسبب ولوعه فيها، ويقظة قلبه تجاهها، فهو هاجع في عينه، يقظان في قلبه، منتبه إلى وتره. وإذا كانت هذه حاله في نومه قبل صلاة الوتر، فما ظنّك به إذا نام قبل صلاة الصبح؟

ثانيها: أنّ أبا هريرة صرّح ـ كما في صحيح مسلم(٢) ـ بأنّ هذه الواقعة قد اتّفقت لرسول الله ﷺ وهو قافل من غزوة خيبر، فكيف يدّعي أبو هريرة حضوره فيها؟ وأين كان أبو هريرة عن غزوة خيبر؟ وإنّما أسلم بعد خروج النبيّ ﷺ إليها باتّفاق أهل العلم، وإجماع أهل الأخبار(٣).

---

(١) كما في باب: كان النبيّ ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، ص ١٧٩ من الجزء الثاني من صحيح البخاري[١]. وأخرجه أحمد في ص ٢٥١ من حديث أبي هريرة في الجزء ٢ من مسنده[٢].

(٢) راجع ص ٢٥٤ من جزء الأوّل في باب قضاء الصلاة[٣].

(٣) نعم كان أبو هريرة في أواخر حياته يقول: قدمت المدينة في نفر من قومي لنسلم، وقد خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري، فصلّينا خلفه صلاة الصبح، فلمّا فرغنا من صلاتنا زوّدنا سباع شيئاً حتّى قدمنا على رسول الله ﷺ وقد افتتح خيبر، فكلّم المسلمين فأشركونا في سهامهم[٤].
وهذا الحديث ممّا انفرد به أبو هريرة، فلم يثبت عن غيره، ولكنّ الجمهور أخذوا به؛ اعتماداً على أبي هريرة ـ كما هي طريقتهم ـ فأرسلوا حضوره خيبر إرسال المسلّمات، ولا دليل في الحقيقة لهم على ذلك. والحقّ ما هو المأثور عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام من أنّ قدومه إلى المدينة وإسلامه إنّما كانا وقت رجوع النبيّ ﷺ من خيبر[٥].

---

١. المصدر: ١٣٠٨، ح ٣٣٧٦.

٢. مسند أحمد ٣: ٥٤، ح ٧٤٢١؛ ٤٣٩، ح ٩٦٦٣.

٣. صحيح مسلم ١: ٤٧١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ٣٠٩.

٤. انظر سير أعلام النبلاء ٢: ٥٨٩، الرقم ١٢٦.

٥. لم نعثر عليه.

ثالثها: أنّ أبا هريرة يقول في هذا الحديث: «ليأخذ كلّ رجل منكم برأس راحلته، فإنّ هذا منزل حضره الشيطان» قال: ففعلنا[1].

وقد علمت ممّا أسلفناه أنّ الشيطان لا يدنو من النبيّ أبداً، وعلم الناس كافّة أنّ أبا هريرة كان في تلك الأوقات لا يملك شبع بطنه، فمن أين له الراحلة ليأخذ برأسها، كما زعم إذ قال: ففعلنا؟

رابعها: أنّه قال في هذا الحديث: ثمّ دعا بالماء فتوضّأ ثمّ سجد سجدتين، ثمّ صلّى صلاة الغداة.

أمّا صلاة الغداة فإنّها قضاء عمّا فات، لكنّ السجدتين لم نعرف لهما وجهاً، ولا محلّاً من الإعراب، والفاضل النووي طفر عنهما في شرحه[2].

خامسها: أنّ من عادة الجيش وقوّاده أن يكون لهم حرس يقوم عليهم إذا ناموا، ولا سيّما إذا كان فيهم المَلِك أو نحوه، وكان له من الأعداء الألدّاء الموتورين مَن لا تؤمن معرّتهم، وكان في جيشه من المنافقين من يتربّص به الدوائر، ويقلّب له الأُمور، ويعضّون الأنامل من الغيظ وقد مردوا على النفاق، فرسول الله ﷺ لا يخالف عادة القوّاد والأُمراء في المحافظة على نفسه وعلى جيشه، ولا ينام بأصحابه في تلك الفلاة المحاطة بذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب من أعدائه الذين وترهم وسفك دماءهم، إلّا والحرس قائم بوظيفته من مراقبة العدوّ الخارجي والمنافق الداخلي. وحاشا رسول الله ﷺ أن يغفل عن هذه المهمّة وهو سيّد الحكماء قبل أن يكون سيّد الأنبياء، فهل نام الحرس أيضاً كما نام المؤذّنون؟ كلّا، بل أنذر ﷺ بكثرة الكذّابة عليه.

سادسها: أنّ النبيّ ﷺ كان يومئذٍ في جيش مؤلّف من ألف وستّمائة رجل فيهم مائتا فارس، فالعادة تأبى أن يناموا بأجمعهم، فلا ينتبه أحد منهم أصلاً.

---

١ و ٢. تقدّم لفظ الحديث بتمامه في بداية المبحث، أي الحديث ١٦.

وعلى فرض عدم انتباههم من أنفسهم فلابدّ بحكم العادة المألوفة أن ينتبهوا بصهيل مائتي فرس، وضربها الأرض بحوافرها في طلب علفها عند حضور وقته من الصبح، فما هذا السُبات العميق الشامل لجميع من كان ثمّة من إنسان وحيوان؟ ولعلّ هذا من خوارق أبي هريرة.

١٧ . بقرة وذئب يتكلّمان بلسان عربي مبين

أخرج الشيخان عن أبي هريرة، قال: صلّى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثمّ أقبل على الناس، فقال: «بينا رجل يسوقُ بقرةً إذْ ركِبَها فضربها، فقالت: إنّا لم نُخلَق لهذا، إنّما خُلقنا للحَرْث» فقال الناس: سبحان الله بقرةٌ تكلّمُ؟ قال ﷺ: «فإنّي أُؤمِنُ بهذا أنا وأبوبكر وعمر وماهما ثَمّ، وبينا رجلٌ في غنمه إذ عدا الذئب، فذهب منها بشاةٍ، فطلبها حتّى استنقذها منه، فقال له الذئب: استنقذتها منّي، فمَن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري؟» فقال الناس: سبحان الله ذئبٌ يتكلّم؟ قال ﷺ: «فإنّي أُؤمِن بهذا أنا وأبوبكر وعمر وماهما ثَمّ»(١). انتهى.

---

(١) أي وماهما بحاضرين هناك، وهذا الحديث تجده في ص ١٧١ من الجزء الثاني من صحيح البخاري، وأورده أيضاً في ١٩٠ من الجزء نفسه في فضل أبي بكر[١].

وأخرجه مسلم من عدّة طرق عن أبي هريرة في ص ٣١٦ والتي بعدها من الجزء الثاني من صحيحه[٢] في فضائل أبي بكر.

وأخرجه أحمد في أوّل ص ٢٤٦ من الجزء الثاني من مسنده[٣] من حديث أبي هريرة.

---

١. صحيح البخاري ٣: ١٢٨٠، ح ٣٢٨٤، و١٣٣٩ ـ ١٣٤٠، ح ٣٤٦٣.

٢. صحيح مسلم ٤: ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨، كتاب فضائل الصحابة، ح ١٣. بتفاوت في بعض الألفاظ.

٣. مسند أحمد ٣: ٣٢٥، ح ٨٩٧٢، بتفاوت في بعض الألفاظ.

إنّ أبا هريرة نَزوع إلى الغرائب، توّاق إلى العجائب، قد استخفّته إلى خوارق العادات نزيّة من الشوق والهيام(١)، فتراه طروباً إلى التحدّث بما هو فوق النواميس الطبيعيّة، كفِرار الحجر بثياب موسى[1] وكضرب موسى ملك الموت حتّى فقأ عينه[2]، ونزول جراد الذهب على أيّوب[3]، وأمثال ذلك من المستحيلات عادة.

وها هو الآن يحدّث بأنّ بقرةً وذئباً يتكلّمان بلسان عربيّ مبين فيفصحان عن عقل وعلم وحكمة، الأمر الذي لم يقع أصلاً، ولا هو واقع قطعاً، ولن يقع أبداً. وسنّة الله في خلقه تحيل وقوعه إلّا في مقام التحدّي والتعجيز، حيث يكون آية للنبوّة، وبرهاناً على الاتّصال بالله ـ عزّ سلطانه ـ ومقام الرجل حيث ساق بقرته إلى الحقل فركبها في الطريق لم يكن مقام تحدٍّ وإعجاز؛ لتصدر فيه الآيات وخوارق العادات، وكذلك مقام راعي الغنم حين عدا الذئب عليه، فلا سبيل إلى القول بإمكان صحّة هذا الحديث عقلاً، فإنّ المعجزات وخوارق العادات لاتقع عبثاً بإجماع العقلاء.

وما أغنى أبابكر وعمر عن هذه الفضيلة، وليتهما سَمِعا أبا هريرة يحدّث بها، ولو فعل على عهدهما، لأعذرا إلى الله تعالى فيه، ولكنّه تذرّع بهما إلى إشباع شهوة الإغراب والتخريف في نفسه، ومشى في ظلّهما إلى ذلك، وهو يعلم أنّ مكذّبه يُمنى بسخط الرأي العامّ، ويُرمى بالخروج على الخليفتين.

---

(١) النزيّة من الشوق والهيام: ما فاجأ الإنسان منها[4].

---

١. تقدّم في ص ٩١.

٢. تقدّم في ص ٨٨ ـ ٨٩.

٣. تقدّم في ص ١٠٤.

٤. لسان العرب ١٥: ٣٢١، «ن.ز.ي».

١٨ . تأمير أبي بكر على الحجّ سنة تسع، ونداء أبي هريرة ببراءة سنتئذٍ

أخرج الشيخان عن حُمَيد بن عبدالرحمن بن عوف أنّ أبا هريرة أخبره: أنّ أبابكر الصدّيق بعثه ـ في الحجَّة التي أمّره عليها رسول اللهﷺ قبل حجّة الوداع بسنة ـ يوم النحر في رهطٍ يؤذّنون في الناس أن: «لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»(١).

وأخرج البخاري، عن حُمَيْد، عن أبي هريرة ـ أيضاً ـ قال: بعثني أبوبكر الصدّيق في تلك الحَجَّة في مؤذّنين ـ بعثهم يوم النحر ـ يؤذّنون بمنىٰ أن «لايحجّ بعد العام مشركٌ، ولايطوف بالبيت عريانٌ» قال: ثمّ أردف النبيّﷺ بعليّ، فأمره أن يؤذّن بـ«براءة» فأذّن معنا عليّ في أهل منىً يوم النحر(٢). الحديث.

لا عجب من سياسة الشام إذا فرضت هذا الباطل على أبي هريرة وحُمَيْد، ولا عجب منهما إذا تطوّعا لها فتواطآ عليه.

فإنّ أبا هريرة إنّما أتى الشام متّجراً بما يروّج فيها من سلعته، والدنيا يومئذ متّسقة مستوسقة لسلطان بني أُميّة، والدعايات ضدّ الوصيّ وآل النبيّ أربح تجارات الدجّالين في ذلك العهد.

---

(١) هذا لفظ الحديث في ص ١٩٢ من الجزء الأول من صحيح البخاري، في باب لا يطوف بالبيت عريانٌ، من كتاب الحجّ. وأخرجه مسلم في ص ٥١٧ من الجزء الأوّل من صحيحه في باب لايحجّ بالبيت مشركٌ ولايطوف بالبيت عريانٌ[1].

(٢) أخرجه البخاري بهذا اللفظ في ص ٩٠ من الجزء ٣ من صحيحه[2] في تفسيره سورة براءة.

---

١. صحيح البخاري ٢: ٥٨٦، ح ١٥٤٣؛ صحيح مسلم ٢: ٩٨٢، كتاب الحجّ، ح ٤٣٥.

٢. المصدر ٤: ١٧١٠، ح ٤٣٧٩، بتفاوت، ورواه بعينه أيضاً في ١: ١٤٤، ح ٣٦٢، أبواب الصلاة في الثياب.

و«حُمَيْد» كان ممّن صُنعوا على عين معاوية لحمل أمثال هذا الحديث؛ وللرئاء بالعبادة والتقشّف، وللولوع بالسماع من أعداء عليّ(١)، وكان في بني أُميّة كألدّهم خصومة وأشدّهم لهجة، وقد وشجت به عروقهم، وولدته العبشميّات من أُمّهاتهم، فإنّ أُمّه أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بن ذكوان بن أُميّة بن عبد شمس، فهي أُخت الوليد بن عقبة لأبيه وأُمّه، وأُمّ أُمّه أُمّ عثمان بن عفّان(٢) واسمها «أروى» بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس «شنشنة نعرفها».

على أنّ أباه عبدالرحمن كان منحرفاً عن عليّ، وقد آثر يوم الشورى عثمان لصهره(٣) مع هنٍّ وهنّ، فلا غرْوَ أن تواطآ أبو هريرة وحُمَيْد على هذا الباطل في تلك الظروف فأذاعته الدعايات الجبّارة حتّى استطار.

وممّا نحتجّ به على بطلانه أنّ أبا هريرة ـ قبل أن يتّصل بأسباب بني أُميّة ـ

---

(١) سمع معاوية، وحديثه عنه في صحيح البخاري[1] وسمع النعمان بن بشير، وحديثه عنه في صحيح مسلم[2]. وله عن المغيرة بن شعبة وابن الزبير ومروان وغيرهم من أمثالهم[3].

(٢) فعثمان أخو أُمّه لأُمّها أروى فقط، وأُمّ أروى هذه البيضاء وتكنّى أُمّ حكيم، وهي بنت عبدالمطّلب بن هاشم، وبهذا كان يقال لعثمان: إنّه ابن أُخت الهاشميّين.

(٣) كان عبدالرحمن بن عوف زوج أُمّ كلثوم بنت عقبة، وهي أُخت عثمان لأُمّه، وأُخت الوليد لأبيه وأُمّه، كما بيّنّاه في الأصل.

---

١. صحيح البخاري ١: ٣٩، ح ٧١.

٢. صحيح مسلم ٣: ١٢٤١ ـ ١٢٤٢، كتاب الهبات، ح ٩ ـ ١٠.

٣. للمزيد راجع: رجال صحيح مسلم ١: ١٦٠ ـ ١٦١، الرقم ٣٢٠؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٨٨ ـ ٨٩، الرقم ٣٤٢.

كان يقول(١): كنت في البعث الذين بعثهم رسول الله ﷺ مع عليّ ببراءة، فقال له ولده المحرّر: فيم كنتم تنادون؟ قال: كنّا نقول: لايدخل الجنّة إلّا مؤمن، ولا يحجّ بعد العام مشركٌ، ولايطوف بالبيت عريانٌ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله إلى أربعة أشهر(٢)، فناديت حتّى صحل صوتي. انتهى.

هذا حديثه الثابت منه من طريق الثقات الأثبات لم يذكر فيه أبابكر بالمرّة، وإنّما نصّ فيه على أنّ البعث الذين بعثهم رسول الله ﷺ تلك السنة إلى مكّة ـ وهم الحُجّاج ـ إنّما بعثهم مع عليّ وفي ركابه، وهذه هي الإمرة التي أسندها أبو هريرة في ذلك الحديث إلى أبي بكر.

وإذا كان مبعوثاً مع عليّ بأمر النبيّ ﷺ ـ كما يزعم في هذا الحديث ـ فما معنى قوله في ذلك الحديث: بعثني أبوبكر الصدّيق في تلك الحجّة في مؤذّنين بعثهم

---

(١) فيما أخرجه الحاكم وصحّحه في تفسير سورة براءة من مستدركه ص ١٣١ من جزئه الثاني[١]. وأورده الذهبي في التلخيص[٢] مصرّحاً بصحّته أيضاً. وأخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ص ٢٩٩ من الجزء الثاني من مسنده[٣]، ولفظه عنده: كنت مع عليّ حين بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكّة ببراءة.

(٢) أنكر العلماء قوله: «فأجله إلى أربعة أشهر» لأنّ الذي كان في خطبة أميرالمؤمنين يومئذٍ، ومن كان له عهد من المشركين، فأجله إلى أمده بالغاً ما بلغ، ومن ليس له أمد فأجله إلى أربعة أشهر. والظاهر أنّ أبا هريرة لم يكن ممّن حضر الموسم ليعي الأذان بكنهه وحقيقته، ولاعجب؛ فإنّه كثيراً مّا يدّعي الحضور في وقائع لم يحضرها فينقلها على غير وجهها، كما ستسمعه في الفصل ١٣ من الأصل.

---

١. المستدرك على الصحيحين ٣: ٦٤، ح ٣٣٢٨.

٢. التلخيص ضمن المستدرك للحاكم ٢: ٣٣١.

٣. مسند أحمد ٣: ١٥٩، ح ٧٩٨٢.

يوم النحر؟ وما الوجه في قوله: ثمّ أردف النبيّ بعليّ فأذّن معنا؟ وهل هذا إلّا تهافت؟[(١)] يريدون ليطفئوا نورالله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره.

وإنّي بعون الله تعالى ممحّص لك الحقيقة في هذه العجالة مَجلُوّةً في مباحث:

المبحث الأوّل: في بيان الواقع من هذه المهمّة على سبيل الاختصار

ومجمل القول هنا أنّه لمّا نزلت «براءة» على رسول الله ﷺ، بعث بها أبابكر ليتلوها يوم الحجّ الأكبر على رؤوس الأشهاد أذاناً ببراءة الله ورسوله من المشركين، ونبذاً لعهودهم، ومنْعاً لهم عن مكّة، وإعلاناً لتحريم الجنّة عليهم، وأن لا يطوف بالبيت عريانٌ.

فلمّا سار غير بعيد أوحى الله إلى نبيّه أن: «لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك» فاستدعى عليّاً وأمره بلحاق أبي‌بكر، وأخذ براءةَ منه والمضيّ بها إلى مكّة لأداء المهمّة عن الله ورسوله، وعهد إليه بالولاية العامّة على الموسم[(٢)]، وأمره بأن يخيّر أبابكر بين أن يسير مع ركابه أو يرجع إلى المدينة، فركب على ناقة رسول الله ﷺ العضباء ولحق أبابكر، فقال له: فيم جئت يا أبا الحسن؟ قال: «أمرني رسول الله أن آخذ منك

---

(١) التهافت بين الحديثين واضح، من حيث تعيين الأمير، ومن حيث تعيين الباعث لأبي هريرة وغيره من المؤذّنين، ومن حيث مكان بعثهم هل كان من المدينة أم من مكّة؟ ومن حيث زمان البعث هل كان يوم النحر أو قبله؟ كما لا يخفى على من تدبّر الحديثين.

(٢) قال الإمام الطبرسي عند ذكر القصّة ص ٣ من المجلّد ٣ من مجمع البيان[1] طبع صيدا: وروى أصحابنا أنّ النبيّ ﷺ ولّاه ـ يعني عليّاً ـ على الموسم، وأنّه حين أخذ براءة من أبي‌بكر رجع أبوبكر، أي إلى المدينة.

---

١. راجع مجمع البيان ٥: ٣، ذيل الآية ١ من سورة التوبة (٩).

الآيات فأنبذ بها عهد المشركين[(١)]، ولك الخيار في الذهاب معي أو الرجوع إليه » قال: بل أرجع إليه، فمضى عليّ بمن معه من حجّاج المدينة وما حولها إلى مكّـة، ورجـع أبوبكر إلى المدينة، فقال: يا رسول الله، أهّلتني لأمر طالت الأعـناق إليّ فـيه فـلمّا توجّهت له رددتني عـنه، مـالي؟ أُنـزِل فـيّ قـرآن؟ قـال ﷺ: «لا، ولكـنّ الأمـين جبرئيل عليه السلام هبط إليّ عن الله ـ عزّ وجلّ ـ بأنّه: لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك،

(١) **فإن قلت**: كيف يدفع النـبيّ بـراءة لأبي بكـر لـينبذ بهـا عـهد المـشركين أيّـام المـوسم ثمّ يعزله قبل وقت الموسم؟ أليس هذا من النَسْخ قبل حضور وقت العمل وهو محال على الله ورسوله؟

قلنا: كلّا، بل تبيّن لنا من أمره إيّاه بالذهاب، وإرجاعه إيّاه من الطريق قبل حضور الموسم، أنّه إنّما كان في الواقع ونفس الأمر مكلّفاً بالمسير نحو مكّة؛ ليرجعه من الطريق ويـرسل عليّاً مكانه، فيظهر بذلك من تفضيل عليّ عليه السلام ما لايظهر بإرسال عليّ من أوّل الأمر، ألا ترى أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ كان في ظاهر الحال ـ قد أمر خليله إبراهيم بذبح ولده عليهما السلام ثمّ لمّا همّ بذلك وتلّه للجبين أوحى الله إليه: أن قد صدّقت الرؤيا يا إبراهيم، فظهر أنّه لم يكن في الواقع ونفس الأمر مأموراً بذبح ولده، وأنّه إنّما كان مأموراً بمقدّمات الذبح؛ ليـظهر مـن فضله وفضل ولده الذبيح ما كان يجهله الناس، ولم يكن هذا من النسخ في شيء[١].

وللغاية التي ذكرناها بعث رسول الله يوم خيبر أبابكر أوّلاً فرجع، فبعث عـمر فـرجـع، فقال ﷺ: «أما والله لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يـديه، يحبّ الله ورسـوله، ويحبّه الله ورسوله»[٢] فأعطاها عليّاً، فكان الفتح على يديه، وظهر من فضله ما لايظهر لو بعثه من أوّل الأمر، ولهذه القضايا نظائر يعرفها المتتبّعون.

١. لاحظ سورة الصافّات (٣٧): ١٠٣ ـ ١١١.

٢. صحيح البخاري ٤: ١٥٤٢، ح ٣٩٧٢؛ عمدة عيون صحاح الأخبار: ١٩٠ ـ ٢٠٧، الفصل ١٧؛ الأمالي للطوسي: ١٧١، المجلس ٦، ح ٣٩؛ ٥٤٦، المجلس ٢٠، ح ٤.

وعليّ منّي، ولا يؤدّي عنّي إلّا عليّ»[١]. انتهى.

والأخبار في هذا المعنى متواترة من طريق العترة الطاهرة(١).

المبحث الثاني: في يسير ممّا جاء من طريق الجمهور؛ مؤيّداً لما ذكرناه، وحسبك نصّ أبيبكر الصحيح الصريح حجّةً بالغةً، قال: إنّ النبيّ ﷺ بعثني ببراءة لأهل مكّة لا يحجّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ، ولا يدخل الجنّة إلّا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله مدّة فأجله إلى مدّته، والله بريء من المشركين ورسوله. قال: فسرت بها ثلاثاً. ثمّ قال رسول الله ﷺ لعليّ: «الحقْ أبابكر فردّه علَيَّ وبلّغها أنت» قال: ففعل عليّ ذلك ورجعت إلى المدينة، فلمّا قدمت على النبيّ ﷺ بكيت إليه وقلت: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟ قال: «ما حدث فيك إلّا خيرٌ، ولكنّي أُمرت أن لا يبلّغها إلّا أنا أو رجل منّي».

هذا حديث أبيبكر بلفظه(٢)، فهل ترى بكاءه وإشفاقه يجتمعان مع تأميره؟ كلّا، وإنّما يكونان بتنحيته.

---

(١) فراجع منها ما أخرجه الثقة الثبت الحجّة عليّ بن إبراهيم في تفسير سورة التوبة من تفسيره الشهير، وما أرسله شيخنا المفيد إرسال المسلّمات في إرشاده[٢].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الصفحة الثانية من الجزء الأوّل من مسنده[٣] من طريق وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق.

---

١. راجع مجمع البيان ٥ : ٣، ذيل الآية ١ من سورة التوبة (٩).

٢. تفسير عليّ بن إبراهيم ١: ٢٨١، ذيل الآية؛ الإرشاد للمفيد ١ : ٦٥ ـ ٦٦.

٣. مسند أحمد ١: ١٨، ح ٤.

ومثله حديث عليّ إذ قال(١): «لمّا نزلت عشر آيات من سورة براءة، دعا النبيّ ﷺ أبابكر، فبعثه بها ليقرأها على أهل مكّة، ثمّ دعاني فقال لي: أدرك أبابكر، فحيثما لحقته خذ الكتاب منه، فاذهب به إلى أهل مكّة فاقْرأهُ عليهم، فلحقته فأخذت الكتاب منه، فرجع إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، نزل فيّ شيء؟ قال: لا، ولكن جبرائيل جاءني فقال: لن يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك» انتهى.

وحدّث عليه السلام في مقامٍ آخر، فقال(٢): «إنّ رسول الله ﷺ بعث ببراءةَ إلى أهل مكّة مع أبيبكر، ثمّ أتبعه بي، فقال لي: خذ الكتاب منه فامض به إلى أهل مكّة ـ قال ـ: فلحقت أبابكر فأخذت الكتاب منه، فانصرف إلى المدينة وهو كئيب، فقال: يا رسول الله، أُنزِل فيّ شيء؟ قال: لا، إلّا أنّي أُمرت أن أُبلّغه أنا أو رجل من أهل بيتي».

ونحوه حديث ابن عبّاس، وقد احتجّ يوماً على خصوم أميرالمؤمنين عليه السلام، فأفاض في خصائصه وموجبات تفضيله على الأُمّة بعد نبيّها ﷺ، فقال ـ من

---

(١) فيما أخرجه الإمام أحمد في ص ١٥١ من الجزء الأوّل من مسنده[١].

(٢) فيما أخرجه النسائي في ص ٢٠ من خصائصه العلوية[٢]، والإمام أحمد من حديث عليّ من مسنده[٣]، ورواه غير واحد من أثبات الخاصّة[٤] والعامّة[٥].

---

١. المصدر: ٣١٨، ح ١٢٩٦.

٢. خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: ١٠٨ ـ ١٠٩، ح ٧٥.

٣. أنظر مسند أحمد ١: ١٧١ ـ ١٧٢، ح ٥٩٤.

٤. كما في تفسير فرات الكوفي ١: ١٦٠ ـ ١٦١، ح ٢٠٣.

٥. تقدّم آنفاً.

حديث طويل(١) ـ: ثمّ بعث رسول الله أبابكر بسورة التوبة، فبعث عليّاً خلفه فأخذها منه وقال ﷺ: «لايذهب بها إلّا رجل هو منّي وأنا منه». الحديث.

فبخع لابن عبّاس بهذا حسدة عليّ، ولو كان أبوبكر أميراً في ذلك الموسم ما بخعوا ولا ارعووا، ولكن رأوا الحجّة قاطعة فاستكانوا لها.

وكم لحَبر الأُمّة، وذي حجّتها البالغة، ومِقْولها الصارم، وابن عمّ نبيّها، عبدالله بن العبّاس، من أمثال هذا.

قال مرّة: إنّي لأُماشي عمر بن الخطّاب في سكّة من سكك المدينة، إذ قال لي: يابن عبّاس، ما أرى صاحبك إلّا مظلوماً. قال: فقلت في نفسي: والله لايسبقني بها، فقلت له: يا أميرالمؤمنين، فاردد إليه ظلامته، فانتزع يده من يدي، ومضى يهمهم ساعة، ثمّ وقف فلحقته، قال: يابن عبّاس، ما أظنّهم منعهم عنه إلّا أنّهم استصغروه، فقلت: والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك، فأعرض عنّي وأسرع(٢). الحديث.

---

(١) أخرجه الحاكم في ص ٣٢ من الجزء الثالث من المستدرك[1] في فضائل عليّ وصحّحه. واعترف الذهبي بصحّته إذْ أورده في تلخيص المستدرك[2] وأخرجه النسائي في ص ٦ من الخصائص العلويّة، والإمام أحمد أخرجه من حديث ابن عبّاس في ص ٣٣١ من الجزء الأوّل من مسنده[3].

(٢) رواه الزبير بن بكّار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوّام في تاريخه الموفّقيات[4]، الذي ألّفه للموفّق بالله ابن المتوكّل الخليفة العبّاسي. وإنّ من ←

---

١. المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٩٧، ح ٤٤٣٢.

٢. التلخيص ضمن المستدرك للحاكم ٣: ٥٢.

٣. خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: ٥١ ـ ٥٣، ح ٢٤؛ مسند أحمد ١: ٧٠٨ ـ ٧٠٩، ح ٣٠٦٢.

٤. حكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢: ٤٦.

فللّه أبوه كيف استظهر على الخليفة بهذه الحجّة البالغة فأخذه من بين يديه ومن خلفه ومن جميع نواحيه، حتّى لم يبق في وسعه أن يثبت فأعرض وأسرع، ولو أنّ صاحبه كان هو الأمير في ذلك الموسم ـ كما يزعم أبو هريرة ـ مالاذ إلى الإسراع، بل كانت له الحجّة على ابن عبّاس، وعمر كان مع أبي بكر إذ توجّه ببراءة وإذ رجع من الطريق، فهو من أعرف الناس بحقائق تلك الأحوال.

← سرّ الله الذي لا يخفى، ونوره الذي لا يطفأ أن يروي الزبير بن بكّار مثل هذه الرواية في كتابه الذي ألّفه لابن المتوكّل؛ فإنّ ابن بكّار ممّن عرف بالعداوة لعليّ وأهل البيت، وهو الذي استحلفه رجل من الطالبيّين بين القبر والمنبر الشريفين فحلف كاذباً، فرماه الله بالبرص، وكان ينال من العلويّين ومن جدّهم عليّ، فأجمعوا على قتله، فهرب منهم إلى عمّه مصعب بن عبدالله بن مصعب، فسأله أن يكلّم المعتصم في تأمينه، فلم يجد عنده ما أراد، إذ لم يكن عمّه على رأيه في مكاشفة العلويّين. ذكر ذلك ابن الأثير في سيرة المعتصم من تاريخه الكامل[1].

أمّا أبوه بكّار فقد كان من المكاشفين للرضا في النصب والعداوة، فدعا عليه الرضا فسقط من قصره فاندقّ عنقه.

وأما جدّه عبدالله بن مصعب فهو الذي أفتى هارون الرشيد بقتل يحيى بن عبدالله بن الحسن، فقال: اقتله يا أميرالمؤمنين وفي عنقي دمه، فقال الرشيد: إنّ عنده صكّاً منّي أعطيته فيه الأمان، فقال عبدالله بن مصعب: لا أمان له يا أميرالمؤمنين. وعمد إلى يحيى فانتزع الصكّ منه قهراً، ومزّقه بيده عداوة ورثوها عن جدّهم، ورثها عدوّ عن عدوّ عن عدوّ من عبدالله بن الزبير حتّى انتهت إلى الزبير بن بكّار، وبها نال الحظوة عند المتوكّل فاختاره لتأديب ولده الموفّق. وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة تخوت من الثياب، وعشرة بغال يحمل عليها رحله إلى سامراء، فأدّب ولده الموفّق، وألّف له الموفّقيات، وهو من الكتب الممتازة الممتعة، ننقل عنه كثيراً في إملائنا هذا وفي غيره.

---

١. الكامل في التاريخ ٦: ٥٢٦، حوادث سنة ٢٢٧، فيه: «قدم على عمّه مصعب بن عبد الله بن الزبير».

وسئل الحسن البصري عن عليّ عليه السلام فقال: ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع: ائتمانه على براءة، وما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك: «فلو كان يفوته شيء غير النبوّة لاستثناه» وقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «الثقلان: كتاب الله وعترتي»، وأنّه لم يؤمّر عليه أمير قطّ، وقد أمّرت الأُمراء على غيره. هذا كلامه بعين لفظه(١).

وأنت تعلم إخلاصه لأبي بكر وحرصه على بيان فضله، فلو كان أبوبكر هو الأمير على الحجّ عام براءة دون عليّ، ما كتم إمارته، ولابخسه حقّه، ولا شهد لعليّ بأنّه لم يؤمّر عليه أحد قطّ، ولا عرّض بأبي بكر إذ يقول: وقد أُمّرت الأُمراء على غيره. ومن تدبّر كلامه هذا علم أنّه يقدّر الائتمان على براءة حقّ قدره، وأنّه يراه خصيصة مقصورة على عليّ ليس لها كفؤ سواه.

وكان الصحابة إذا أشادوا بذكر عليّ في المدينة الطيّبة على عهد الخليفتين يحدّثون بهذه الخصيصة من مناقبه، فلا يناقشهم فيها أحد.

هذا سعد يقول(٢): بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبابكر ببراءة حتّى إذا كان ببعض الطريق أرسل عليّاً، فأخذها منه ثمّ سار بها، فوجد أبوبكر في نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يؤدّي عني إلّا أنا أو رجل منّي». انتهى.

---

(١) فراجعه في ص ٣٦٩ من المجلّد الأوّل من شرح النهج الحميدي نقلاً عن الواقدي[١].

(٢) فيما أخرجه النسائي في ص ٢٠ من الخصائص العلوية عند ذكر توجيه براءة مع عليّ، ورواه الإمام أحمد في مسنده[٢].

---

١. شرح نهج البلاغة ٤: ٩٥ ـ ٩٦. للمزيد راجع وفيات الأعيان ٢: ٣١١ ـ ٣١٢، الرقم ٢٤٠.

٢. خصائص أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب: ١١٠، ح ٧٦؛ مسند أحمد ٤: ٤٢٣، ح ١٣٢١٣.

وهذا أنس يقول(١): بعث النبيّ ﷺ براءة مع أبي بكر ثمّ دعاه فقال: «لا ينبغي أن يبلّغ هذا إلّا رجل من أهلي» فدعا عليّاً، فأعطاه إيّاها.

وهذا عبدالله بن عمر يسأله جميع بن عمير الليثي عن عليّ، فينتهره ابن عمر، ثمّ يقول له(٢): ألا أُحدّثك عن عليّ؟ هذا بيت رسول الله في المسجد، وهذا بيت عليّ. إنّ رسول الله بعث أبابكر وعمر(٣) ببراءة إلى أهل مكّة فانطلقا فإذا هما براكب، فقالا: مَن هذا؟ قال: «أنا عليّ، يا أبابكر هات الكتاب الذي معك» قال: مالي؟ قال: «والله ما علمت إلّا خيراً» فأخذ عليّ الكتاب فذهب به، ورجع أبوبكر وعمر إلى المدينة، فقالا: مالنا يا رسول الله؟ قال: «مالكما إلّا خير ولكن قيل لي: إنّه لايبلغ عنك إلّا أنت أو رجل منك».

والسنن المأثورة في هذا متضافرة، وكلّها صريح برجوع أبي بكر إلى المدينة كئيباً مشفقاً من نزول الوحي فيه، وهذا ما لا يجتمع مع تأميره في ذلك الموسم أبداً، لكنّ الدعاية ضدَّ الوصيّ كانت في منتهى القوّة، فكان لها أثرها في فجر الإسلام.

---

(١) فيما أخرجه النسائي ص ٢٠ من الخصائص العلوية، والإمام أحمد من حديث أنس ص ٢١٦ من الجزء الثالث من مسنده[١].

(٢) فيما أخرجه الحاكم في ص ٥١ من الجزء ٣ من المستدرك[٢].

(٣) إنّما كان عمر يومئذٍ تابعاً لأبي بكر، وكان ممّن خرج معه من الصحابة، وكانوا ثلاثمائة فيهم عبدالرحمن بن عوف. وكان عمر أخصّهم بأبي بكر، ولذا رجع معه إلى المدينة دونهم، وقد انضووا ـ بعد رجوع أبي بكر ـ إلى لواء عليّ وسار بهم إلى مكّة مهيمناً عليهم، وشهد الجميع رجوع أبي بكر إلى المدينة، وفي نفسه من ذلك شيء.

---

١. خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: ١٠٧، ح ٧٤؛ مسند أحمد ٤: ٤٢٣، ح ١٣٢١٣ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٢. المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٧٩، ح ٤٤٣١.

المبحث الثالث: فيما ترتّب من الآثار الشريفة على نبذ عهد المشركين، وما كان لأمير المؤمنين بسبب قيامه بهذه المهمّة من علوّ المقام عند العرب كافّة، وما بوّأه الله تعالى ورسوله ﷺ من المجد والعلاء باختيارهما إيّاه لهذه المهمّة، ولا سيّما بعد إرجاع أبي بكر عنها، إلى خصائص أُخر تتّصل بذلك، وتوجب كونه أفضل الأمّة وأولاها برسول الله ﷺ حيّاً وميّتاً.

كان بنبذ النبيّ ﷺ عهد المشركين، ومنعه إيّاهم عن الحجّ وعن مكّة، وإعلانه تحريم الجنّة عليهم، وأذانه بالبراءة منهم، كمال الدين وصلاح أمر المسلمين، وقوّة الحقّ وأهله، ووهن الباطل وأهله.

أدرك المسلمون به منتهى العزّة، ونالوا به غاية المجد، فهدأت فورة الشرك، وذلّت نواصي المشركين، فكان الدين كلّه لله عزّ سلطانه.

وقد شاء الله سبحانه أن يجري ذلك كلّه على يد عبده ووصيّ نبيّه عليّ بن أبي طالب؛ تنويهاً باسمه، وتنبيهاً إلى فضله، وإعلاء لذكره، وإعلاناً لعظيم قدره، وتمهيداً للعهد بالخلافة إليه، ومقدّمة للنصّ في العام المقبل عليه(١) فنشر ﷺ ذكره ـ بإرساله إيّاه لأداء هذه المهمّة عنه ـ انتشار الصبح، وأطار صيته في العرب استطارة البرق، وذلك أنّ نبذ العهد كان مختصّاً عندهم بالزعيم الذي عقده، ولا يتجاوزه إلّا إلى من كان يمثّله في زعامته، ويخلفه في مكانته، ويأمن وهنه، ولا يخشى سقطته، ولا يرتاب في أحكامه، ولا يعتريه شكّ في نقضه وإبرامه.

---

(١) إذ كان نبذ العهد سنة تسع، وكان النصّ عليه سنة عشر، والنبيّ ﷺ قافل من حجّة الوداع.

يرشدك إلى هذا كلّه قول رسول الله ﷺ لعليّ ـ حين بعثه ليأخذ براءة من أبي بكر ويذهب بها هو إلى مكّة ـ: «لابدّ أن أذهب بها أنا، أو تذهب بها أنت» قال عليّ: «فإن كان ولابدّ فسأذهب بها أنا» قال رسول الله ﷺ: «فانطلق، فإنّ الله يثبّت لسانك، ويهدي قلبك»[(١)]. الحديث.

وأنت تعلم أنّ المهمّة التي لا يقوم بها إلّا النبيّ ﷺ، أو مَن كان جارياً مجرى نفسه، لَهي الغاية القصوى في المهمّات، لا يتعلّق بها درك، قد أحرز بها عليّ قصب السبق، واستولى على الأمد، فأنّى يسبقه سابق، أو يلحقه لاحق، أو يطمع في إدراكه طامع.

ومن أنعم النظر في إرجاع أبي بكر عن المهمّة وإرسال عليّ فيها، ظهرت له الحقيقة بأجلى مظاهرها.

ويجدر بنا أن نمعن في قول النبيّ ﷺ إذ بيّن السبب فقال[(٢)]: «جاءني جبرائيل فقال: لن يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك» لمكانة «لن» من النفي مؤكّداً ومؤبّداً، ومكانة المفعول المحذوف من العموم، أعني مفعول الفعل المنفيّ بـ«لن»؛ إذ تقدير الحديث: لن يؤدّي عنك شيئاً من الأشياء إلّا أنت أو رجل منك، ولولا قصد العموم ما حذف المفعول.

فإن قلت: مورد هذا الحديث يفرض علينا تخصيصه به، فيكون معناه: لن يؤدّي عنك هذه المهمّة إلّا أنت أورجل منك، فلا عموم هنا.

---

(١) أخرجه أحمد في ص ١٥٠ من الجزء الأوّل من مسنده[١]، وهو من الأحاديث الصحيحة المستفيضة من طريق الفريقين[٢].

(٢) فيما استفاض عنه من حديث عليّ، وقد مرّ عليك في المبحث الثاني.

---

١. مسند أحمد ١: ٣١٦، ح ١٢٨٦.

٢. رواه العيّاشي في تفسيره ٢: ٢١٥ ـ ٢١٦، ح ٩/١٧٧٦.

قلنا: إنّ المورد لايخصّص الوارد. على أنّ هذا الحديث ليس بالوحيد في بابه، فإنّ في الصحاح من نظائره نصوصاً تعنو لها الجباه بخوعاً، لم ترد في مورد خاصّ لتختصّ به، بل جاءت عامّة لفظاً ومورداً.

وحسبك منها عهده يوم عرفة من حجّة الوداع، وقد أهاب بأهل الموقف يدلّهم على مفزعهم في أداء رسالته، وهو إذ ذاك على ناقته يناديهم بأعلى صوته، فأشخص أبصارهم وأسماعهم وأفئدتهم إليه، فإذا به يقول: «عليّ منّي وأنا من عليّ، ولايؤدّي عنّي إلّا أنا أو عليّ»(١).

ياله عهداً ما أخفّه على اللسان، وما أثقله في الميزان، جعل لعليّ من صلاحية الأداء عنه صلى الله عليه وآله وسلم عين الصلاحية الثابتة للنبيّ في الأداء عن نفسه، فأشركه في أمره وائتمنه على سرّه، كما كان هارون من موسى، إلّا أنّ عليّاً لم يكن بنبيّ، وإنّما هو وزير ووصيّ يطبع على غرار نبيّه، ويبيّن عنه للناس ما اختلفوا فيه.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في فضائل الصحابة ص ٩٢ من الجزء الأوّل من سننه، ورواه الترمذي والنسائي في صحيحيهما، وهو الحديث ٢٥٣١ في ص ١٥٣ من الجزء السادس من كنز العمّال[1]. وأخرجه الإمام أحمد من حديث حبشي بن جنادة ص ١٦٤ من الجزء الرابع من مسنده[2] بطرق متعدّدة كلّها صحيحة، وحسبك أنّه أخرجه عن يحيى بن آدم، عن إسرائيل بن يونس، عن جدّه أبي إسحاق السبيعي، عن حبشي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلّ هؤلاء حجج عند الشيخين وغيرهما. ومن راجع هذا الحديث في مسند أحمد علم أنّه إنّما صدر في حجّة الوداع التي ما لبث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعدها في هذه الدار الفانية إلّا قليلاً.

---

١. سنن ابن ماجة ١: ٤٤، ح ١٢٠؛ الجامع الصحيح ٥: ٢٧٥، ح ٣٠٩٠، فيه: «لا ينبغي لأحد أن يبلّغ هذا إلّا رجل من أهلي، فدعا عليّاً فأعطاه»؛ ولم نعثر عليه في سنن النسائي إلّا أنّه رواه في خصائصه: ١٠٦، ح ٧٣؛ كنز العمّال ١١: ٦٠٢، ح ٣٢٩١٣.

٢. مسند أحمد ٦: ١٦٣، ح ١٧٥١٨ ـ ١٧٥٢٠.

وتلك ذروة ما جعل الله تعالى ورسوله لغير عليّ أن يتبوّأها أبداً ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرىٰ مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[١] ولقد رفع رسول الله عليّاً إلى مستوى هو أعلى من مستوى الأُمّة؛ إذ مزج لحمه بلحمه، ودمه بدمه، وسمعه وبصره وفؤاده وروحه بسمعه وبصره وفؤاده وروحه، فقال: «عليّ منّي وأنا من عليّ» ثمّ لم يكتف حتّى قال: «ولا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو عليّ» فجمع فأوعى، وعمّ فاستقصى ولاغرو فإنّ الله تعالى يقول ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ﴾[٢].

فأين أُولوا النظر يمعنون في هذا العهد؛ ليعلموا أنّه ـ على اختصاره ـ لا يقلّ وزناً عن نصوص يوم الغدير، فإنّ الأداء عن رسول الله ﷺ المختصّ به وبعليّ، المنفيّ في هذا الحديث عمّن سواهما، إنّما هو الأداء التشريعي الكاشف عن حكم الله في الواقع ونفس الأمر، المعصوم عن الخطأ عصمة القرآن عنه، فيكون بمجرّده حجّة قاطعة يجب على الأُمّة التعبّد به، كما يجب عليهم التعبّد بأحكام القرآن العظيم والذكر الحكيم.

يدلّك على أنّ هذا هو المراد إجماع الأُمّة على إباحة الأداء عن النبيّ ﷺ على غير هذا الوجه لكلّ عالم بقوله سماعاً منه، أو استنباطاً صحيحاً من سنّته، فإنّ الصحابة كانوا يؤدّون عنه ما سمعوه من أقواله، وما رأوه من أفعاله، وكان المجتهدون بعدهم يؤدّون عنه ما استنبطوه من الأدلّة الشرعيّة، فلو لم يحمل الحديث على ما قلناه، لم يبق له معنى يصحّ حمله عليه.

---

١. الملك (٦٧): ٣ ـ ٤.

٢. الدخان (٤٤): ٣٢ ـ ٣٣.

ويؤيّد هذا قول رسول الله ﷺ: «عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لا يفترقان»(١).

وقوله ﷺ: «رحم الله عليّاً، اللّهمّ أدر الحقّ معه حيث دار»(٢) إلى كثير من أمثال هذه النصوص التي ترمي إلى عصمته، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[١].

المبحث الرابع: فيما كان من أعداء عليّ من المكر به والبغي عليه، وما كان من دجاجيلهم في صرف خصائصه عنه، وما تزلّف به أبو هريرة إليهم من تحريف هذا الحديث.

إنّ أعداء عليّ من المنافقين، وحسدة فضله ومنافسيه من الناكثين والقاسطين والمارقين، ولا سيّما أهل الحول والطول منهم كمعاوية وأعوانه لم يطيقوا الخصائص العليا التي كانت لعليّ، فلم يصبروا عن تحويرها وتحريفها، فسخّروا دجاجيلهم في تشويهها ومسخها ومعارضتها بما استطاعوا، أو أنّ الدجاجيل تزلّفوا إليهم بذلك. ولا ذنب لعليّ، ولا عذر لهم، إلّا ما اختصّه الله تعالى من فضله إذ بلغ بسوابقه ـ في إيمانه وجهاده ـ منزلةً عندالله ورسوله تقاصرت عنها الأقران، ونال ـ بعلمه وعمله مخلصاً لله ولرسوله وللأُمّة ـ رتبة تراجعت عنها الأكفاء، وأدرك ـ بذاته وصفاته وسماته ونسبه وصهره وأهله ونسله ـ غايةً تطاولت إليها أعناق الأمانيّ وشأواً تقطّعت دونه المطامع.

---

(١) أخرجه الحاكم وصحّحه على شرط الشيخين في ص ١٢٤ من الجزء الثالث من مستدركه[٢]، وأورده الذهبي في تلخيصه[٣] معترفاً بصحّته.

(٢) أخرجه الحاكم في الصفحة نفسها على شرط مسلم[٤].

---

١. آل عمران (٣): ٥٣.

٢. المستدرك على الصحيحين ٤: ٩٣، ح ٤٦٨٥، وفيه: «ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض».

٣. التلخيص ضمن المستدرك للحاكم ٣: ١٢٤.

٤. المستدرك على الصحيحين ٤: ٩٣، ح ٤٦٨٦.

فدبّت بذلك له عقارب الحسد في قلوب المنافقين(١).

وسادت في منافسيه آكلة الأكباد(٢)، فكشفوا لمناصبته وجوههم، وقعدوا له في كلّ مرصدٍ، مرهفين للمكر به كلّ حيلة، ناصبين للبغي عليه كلّ أحبولة، والحاسد مغتاظ على من لا ذنب له(٣).

تطوّروا في كيده أطواراً مختلفة، نزعوا أيديهم من يده، قطعوا رحمه، سلبوه سلطان ابن أُمّه(٤)، هجروا السبب الذي أُمروا بمودّته، نقلوا البناء عن رصِّ أساسه، فبنوه في غير موضعه(٥)؛ تصغيراً منهم لعظيم منزلته، وإجماعاً على منازعته أمراً هُوَ لَه(٦).

---

(١) إنّ لِبطل الإسلام ـ بكلّ ما للبطولة من معانٍ شريفة ـ محمّد بن أميرالمؤمنين ـ المعروف بابن الحنفيّة ـ كلاماً في هذا المعنى يفرغ به الحقيقة لا ريب فيها، قدع به ابن الزبير أيّام إمارته في الحجاز، فبخعه ما أولى أهل البحث بالوقوف عليه ص ٣٥٠ من المجلّد الأوّل من شرح النهج الحميدي[١].

(٢) تورية لطيفة.

(٣) هذا مثل معروف[٢].

(٤) قال عليه السلام في كتابٍ كتبه إلى أخيه عقيل: «فجزَت قُريشاً عنّي الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطانَ ابنِ أُمّي»[٣].

(٥) هذا مقتبس من الخطبة ١٤٦ من ص ٤٨ والتي بعدها من الجزء الثاني من نهج البلاغة[٤].

(٦) هذا مقتبس من الخطبة ١٦٧ من النهج[٥] أيضاً.

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٦٢ ـ ٦٣.

٢. ومن رواية رواها الخوارزمي في مناقبه: ٣٧٦، ح ٣٩٥، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٤١٤، الباب ٥٩، ح ١٢٥.

٣. نهج البلاغة: ٥٦٠، كتاب ٣٦.

٤. المصدر: ٢٧٣ ـ ٢٧٤، الخطبة ١٥٠.

٥. المصدر: ٣٢٧ ـ ٣٢٨، الخطبة ١٧٢.

ثمّ كان من الناكثين والقاسطين والمارقين ما ملأ الأجواء، وطبّق الأرض والسماء، وما اكتفوا حتّى:

لَـعنوا أمـيرَ المـؤمنين　　　كـمثلِ إعـلانِ الإقـامهْ

وليتهم لم يتناولوا السنن المقدّسة بتمزيق ما جاء منها في تفضيله؛ حيث حكموا ـ بغير دليل ـ على صحيحها بالوضع، وعلى صريحها بالتأويل، وعلى رواتها بالرفض، وعلى إثباتها بالتضعيف، فشوّهوا كثيراً من خصائصها الحُسنى، ومسخوا كثيراً من أمثالها العليا، وحرّفوا كثيراً منها عن مواضعه، وصرفوا الكثير منها إلى غير أهله، كما فصّلناه في كتابنا تحفة المحدّثين[1]، وكما يمثّله أبو هريرة في حديثه هذا إذ يقول: بعثني أبو بكر في الحجّة التي أمّره عليها رسول الله ﷺ ـ قبل حجّة الوداع بسنة ـ في مؤذّنين بعثهم يوم النحر يؤذّنون بمنى أن: «لا يحجّ بعد العام مشركٌ، ولايطوف بالبيت عريانٌ» ثمّ أردف رسول الله بعليّ بن أبي طالب فأذّن معنا يوم النحر. الحديث.

كأن لم يكن لعليّ بن أبي طالب في ذلك الموسم سوى أنّه أذّن في معيّة أبي هريرة، ولا عجب من أبي هريرة في هذه الجرأة، فإنّه كان يفتئت الأحاديث فيفتئتها ويرتجلها(١) مُزَخْرَفة مُزَوّقة على ريق لم يبلعه، ونفس لم يقطعه، فيخرجها لرعاع الناس بالوشي الذي يحبّه السواد الأعظم من العامّة، وتقتضيه السياسة الغاشمة، وتوجبه دعاياتها الكاذبة.

ألا تراه كيف حرّف الحديث عن موضعه، وصرف الفضل فيه عن أهله؛ متقرّباً فيما حرّف إلى أولياء الأُمور، ومتحبّباً فيما صحّف إلى سواد الجمهور، اختلق

---

(١) يفتئتها بمعنى يبتدعها، ويقتّها بمعنى يزوّرها ويحسّنها، ويرتجلها بمعنى يختلقها لساعته.

---

١. للمزيد راجع الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ١١؛ وج ٥، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، المطلب الثاني، الرقم ٧ من نفائسه المفقودة.

لهم ما يروقهم من تأمير أبي بكر الصدّيق.

وما أدراك ما فعل؟ إنّه أخرس بذلك ألسنة الثقات الأثبات عن معارضته، وألجم أفواههم أن تنبس في بيان الحقيقة ببنت شفة؛ خوفاً من تألّب العامّة ورعاع الناس، وإشفاقاً من نكال أُولي الأمر ووبالهم يومئذٍ؟ وما أدراك ما يومئذٍ!

أراد أبو هريرة بحديثه هذا أن يجتاح المقام المحمود الذي رفع الله ورسوله يومئذٍ سمكه ـ مقام أمير المؤمنين في ذلك الموسم ـ إذ كان يرمي إلى أمرين:

أحدهما: أنّ المهمّة التي جاء بها عليّ إنّما كان أمرها بيد أبي بكر الصدّيق بسبب إمارته على الحجّ، وولايته العامّة تلك السنة على الموسم، وأنّ أبابكر لم يكتف بعليّ في أداء المهمّة حتّى بعث أبا هريرة في رهطٍ من أمثاله الأقوياء الأشدّاء!! اهتماماً بأدائها.

ثانيهما: أنّه لم يكن لعليّ في تلك المهمّة أكثر ممّا كان لأبي هريرة وسائر الرهط الذين بعثهم أبوبكر؛ لأنّهم قاموا بأدائها كما قام عليّ معهم بذلك.

وحسبك في تزييف هذا أنّ الله تعالى لم ير أبابكر نفسه أهلاً لأداء هذه المهمّة فأرجعه عنها، وأوكلها إلى أحد كفئيها اللذين لا ثالث لهما، إذ لم يكن لها ثمّة سوى النبيّ والوصيّ، كما سمعت النصّ عليه، إذ قال ﷺ: «لابدّ أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت» قال عليّ: «فإن كان ولابدّ فسأذهب بها أنا»[1].

وقد روت الأُمّة أحاديث صحيحة صريحة في ذلك لا تزال تدوّي فتملأ الخافقين.

على أنّ أبا هريرة كان قبل أن يتسخّر لدعاية بني أُميّة يحدّث عن هذه المهمّة، فلا يؤمّر أبابكر، ولا يأتي على ذكره وكان يضيف نفسه وسائر البعث إلى عليّ، فيزعم أنّه إنّما كان في البعث الذي كان في ركابه عليه السلام، وقد مرّ عليك حديثه في هذا، فراجع[2].

والنفس لا تطمئنّ ـ شهد الله ـ بكلا حديثيه، ولا بكونه ممّن نادى يوم النحر،

---

١ و ٢. تقدّم في ص ١٥٦.

ولا بكونه ممّن حضر الموسم، ولا بشيء ممّا يرويه مطلقاً، والله على ما أقول وكيل.

المبحث الخامس: في الإشارة إلى ما جنته الدعاية السياسيّة على الآثار النبويّة، وما اختلقته دجاجيلها؛ تزلّفاً إليها، وما زوّقوه ليشتروا به ثمناً قليلاً، وما افتأتوه من الأسانيد؛ تثبيتاً لحديث حُمَيْد عن أبي هريرة.

كان وضع الحديث على عهد معاوية حرفة منمّقة، يتّجر بها كلّ متزلّف إلى تلك الدولة وعمّالها، وكان لأُولئك المتزلّفين المتّجرين لباقة في تزويق تجارتهم وترويجها، لا يشعر بها ـ على عهدهم ـ إلّا أُولو البصائر النافذة، والأحلام الراسخة، وقليل ما هم. وكان من ورائهم من يرفع ذكرهم من الخاصّة، ويروّج حديثهم من حفظة السنن المستأجرين، وحملة العلم المتزلّفين، ومن المرائين بالعبادة والتقشّف، كحُميد بن عبدالرحمن ومحمّد بن كعب القرظي وأمثالهما، ومن زعماء القبائل في الحواضر، وشيوخ العشائر في البوادي. وكان هؤلاء كلّهم إذا سمعوا ما يحدّث به أُولئك الدجّالون روّجوه عند العامّة، وأذاعوه في رعاع الناس ـ من مسلمي الفتوحات بعد النبيّ ـ وخطبوا به على المنابر، واتّخذوه حجّة، واعتدّوه أصلاً من الأُصول المتّبعة.

وكان الثقات الأثبات من سدنة الآثار النبويّة، لا يسعهم في ذلك العهد إلّا السكوت عن معارضة أُولئك المتزلّفين المؤيّدين برعاية أُولي الأمر، وعناية أهل الحول والطول، فكان المساكين إذا سئلوا عمّا يحدّث به أُولئك الدجّالون يخافون ـ من مبادهة العامّة بغيرما عندهم ـ أن تقع فتنة عمياء بكماء صمّاء، ولا سيّما إذا كان الحديث موضوعاً في فضل الصدّيق والفاروق، فكانوا يضطرّون في الجواب إلى اللواذ بالمعاريض من القول؛ خوفاً من تألّب أُولئك المتزلّفين ومروّجيهم من الخاصّة، وتألّب من ينعق معهم من العامّة ورعاع الناس، فضاعت بذلك حقائق، وحفظت أباطيل.

وكان هذا الباطل ـ أعني حديث حُمَيْدْ عن أبي هريرة ـ أوفرها حظّاً من كلّ عدوّ

لأهل البيت، اختلقوا في سبيل تأييده أحاديث ترادفه في معناه، فركّبوها على أسانيد رفعوا أحدها إلى عليّ نفسه، ورفعوا الثاني إلى ابن عمّه وخرّيج حوزته عبدالله بن العبّاس، والثالث إلى وليّه وخصّيصه جابر بن عبدالله الأنصاري، والرابع إلى حفيده ووارث علمه الإمام أبي جعفر الباقر. وهذه مكيدة اعتادها خصوم عليّ، فاستمرّت عليها سيرتهم في مكابرة أهل البيت ونكاية أوليائهم، من حيث لاتشعر عامّة الناس. وجاء بعدهم قوم ممّن جمعوا الأخبار على علّاتها فاغترّوا بهم، فأثبتوها فيما جمعوه وهم غافلون.

والآفة فيما أسنده من هذا الباطل إلى عليّ أبو زرعة وهب بن راشد، وكان مفرطاً في النصب، أخذ عداوة بني هاشم وبغض عليّ بالخصوص عن شيخه أبي يزيد يونس بن يزيد أبي النجاد الأبلي مولى معاوية بن أبي سفيان(١).

وآفة ما أسندوه إلى ابن عبّاس أبوالقاسم مِقْسَم بن مجزأة، كان لايكتم عداوة أميرالمؤمنين، وقد اغترّ الحاكم به لظنّه أنّه من رجال البخاري، فأخرج في ص ٥١ من

(١) ذكر أبو نصر الكلاباذي وأبو بكر الأصبهاني وأبوالفضل الشيباني المعروف بابن القيسراني ـ كلّهم ـ يونس بن يزيد هذا في كتبهم التي ترجموا فيها رجال الأسانيد، فنصّوا جميعاً على أنّه من موالي معاوية بن أبي سفيان، فراجع ص ٤٨٥ من كتاب ابن القيسراني[1].
وهذا الأُموي السفياني يونس الأبلي هو الذي روى موت أبي طالب على الكفر، فيما أخرجه مسلم عنه في ص ٣٠ من الجزء الأوّل من صحيحه[2]، وهو شيخ أبي زرعة وهب ومربّيه، تستفيد ذلك من ترجمة وهب بن راشد في ميزان الذهبي[3].

١. راجع : رجال صحيح مسلم ٢ : ٣٧٠، الرقم ١٨٩٩؛ رجال صحيح البخاري ٢ : ٨١٨، الرقم ١٣٨١؛ الجمع بين رجال الصحيحين ٢ : ٥٨٤، الرقم ٢٢٧٩.
٢. صحيح مسلم ١: ٥٤، كتاب الإيمان، ح ٣٩.
٣. ميزان الاعتدال ٤: ٣٥٢، الرقم ٩٤٢٩.

الجزء ٣ من مستدركه [١] ما لفّقه هذا الناصب ـ من إمرة أبي بكر ـ عن ابن عبّاس، مع أنّ مِقسماً أحد الضعفاء الذين نصّ البخاري على ضعفهم في كتابه الذي أفرده لهم [٢]، وقد ترجمه الذهبي في الميزان، فنقل تضعيفه عن البخاري وعن ابن حزم [٣]، وترجمه ابن سعد في ص ٣٤٦ من الجزء ٥ من طبقاته، فقال: وكان كثير الحديث، ضعيفاً [٤].

قلت: ولضعفه أعرض عنه الشيخان، فلم يرويا له شيئاً. نعم، روى البخاري عن عبدالكريم بن مالك الجزري أنّه سمع مقسماً يقول: قال ابن عبّاس: لايستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون إلى بدر [٥].

وقد أورد البخاري هذا التفسير عن ابن عبّاس بواسطة مقسم في موضعين من صحيحه: أحدهما في غزوة بدر(١)، والثاني في تفسير سورة النساء(٢)، ولم يرو عن مقسم في جميع صحيحه سوى هذا التفسير، وإنّما رواه عنه ـ مع جزمه بضعفه ـ لإجماع الأُمّة على التسامح في أمثال هذا التفسير؛ إذ لم يشتمل على حكم شرعي. على أنّه لم يرفع إلى رسول الله ﷺ ليكون من السنن التي اشترط صحّتها، كما لا يخفى.

---

(١) في الصفحة الثانية من الجزء الثالث من الصحيح [٦].

(٢) ص ٨١ من الجزء نفسه [٧].

---

١. المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٩٧ ـ ٥٩٨، ح ٤٤٣٢.

٢. لم نعثر عليه في كتابه الضعفاء الصغير.

٣. ميزان الاعتدال ٤: ١٧٦، الرقم ٨٧٤٥.

٤. الطبقات الكبرى ٥: ٤٧١.

٥ و ٦. صحيح البخاري ٤: ١٤٥٦، ح ٣٧٣٨.

٧. المصدر: ١٦٧٨، ح ٤٣١٩.

وآفة ما رفعوه إلى جابر بن عبدالله الأنصاري أبو صالح إسحاق بن نجيح الملطي، فإنّه رجل سوء خبيث مفرط في الكذب، جرئ على وضع الحديث، ساقط بإجماع أهل الجرح والتعديل، وقد ترجمه الذهبي في ميزانه[١]، فأورد ما قاله الأئمّة في خبثه وكذبه ودجله.

وآفة ما أسندوه من هذا الباطل إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام محمّد بن إسحاق، إذ أورده في سيرته التي شحنها بأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان.

وعلى كلٍّ فالأمر سهل في هذه الأضاليل، لانحطاطها بانحطاط طرقها عن درجة الاعتبار، ولركّة متونها ومناقضتها للصحيح الثابت عمّن أُسندت إليهم، بل لمناقضتها لما أوردناه في المبحث الثاني[٢] من حديث أبي بكر وعليّ وابن عبّاس وابن عمر وسعد وأنس، ولا تتّفق مع سيرة النبيّ في بعوثه صلى الله عليه وآله، فإنّه ما أمّر على عليّ أحداً مدّة حياته، بل كانت له الإمرة، وكان حامل لوائه في كلّ زحف بخلاف غيره، فإنّ أبابكر وعمر ومن دونهما كانوا ـ حين لحق النبيّ صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى ـ في بعث أُسامة بإجماع أهل الأخبار، وكانا في غزوة ذات السلاسل في بعث عمرو بن العاص بالاتّفاق، ولهما قضيّة في تلك الغزوة مع أميرها ابن العاص(١).

أمّا عليّ فلم يكن طيلة حياة النبيّ تابعاً لغيره صلى الله عليه وآله، ألا ترى أنّه لم يرسله في جيش أُسامة، ولا في جيش ابن العاص، ولا في جيش أبي بكر وعمر حين بعثهما إلى

---

(١) أخرجها الحاكم وصحّحها في ص ٤٣ من الجزء الثالث من المستدرك[٣]، وأوردها الذهبي فصحّحها أيضاً في تلخيصه[٤].

---

١. ميزان الاعتدال ١: ٢٠٠ ـ ٢٠١، الرقم ٧٩٥.
٢. راجع ص ١٤٩ ـ ١٥٤.
٣. المستدرك على الصحيحين ٥: ١٥ ـ ١٦، ح ٦٧٩٥ ـ ٦٨٠٠.
٤. التلخيص ضمن المستدرك للحاكم ٤: ١٢.

خيبر، فلمّا رجعا وبعث عليّاً كانا كلاهما تحت لوائه حتّى فتح الله عليه. ولمّا بعث خالد بن الوليد إلى اليمن بجيش، وبعث عليّاً إليها بجيش آخر، عهد إليهما بأنّه: «إذا التقيتما فعليّ على الجيشين، وإن افترقتما فكلّ منكما على جيشه»(١). الحديث.

وقد قال ابن عبّاس: إنّ لعليّ أربع خصال ليست لأحد، هو أوّل عربيّ وعجمي صلّى لِلّه تعالى مع رسوله ﷺ، وهو الذي كان لِواؤه معه في كلّ زحف...(٢). الحديث.

وقد مرّ عليك آنفاً قول الحسن البصري: ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع: ائتمانه على براءة[1]، وما قال له رسول الله في غزوة تبوك إلى أن قال: وإنّه لم يؤمّر عليه أمير قطّ وقد أُمّرت الأُمراء على غيره[2].

وهذا القدر كافٍ لما أردناه في هذه العجالة، والحمد لله على الهداية والتوفيق.

١٩ . الملائكة تكلّم عمر

أخرج البخاري(٣) عن أبي هريرة مرفوعاً: «لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في ص ٣٥٦ من الجزء الخامس من مسنده[3].

(٢) أخرجه الحاكم في ص ١١١ من الجزء الثالث من مستدركه[4].

(٣) في باب مناقب عمر، في أوّل ص ١٩٤ من الجزء الثاني من صحيحه[5].

---

١. تقدم في ص ١٥٣.

٢. المستدرك على الصحيحين ٥: ١٥ ـ ١٦، ح ٦٧٩٥ ـ ٦٨٠٠.

٣. مسند أحمد ٩: ٢٣ ـ ٢٤، ح ٢٣٠٧٤.

٤. المستدرك على الصحيحين ٤: ٧٤ ـ ٧٥، ح ٤٦٣٩.

٥. صحيح البخاري ٣: ١٣٤٩، ح ٣٤٨٦. روى مثله أيضاً في ص ١٢٧٩ ـ ١٢٨٠، ح ٣٢٨٢.

رجال يكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أُمّتي منهم أحد فعمر»(١). انتهى.

وأخرج البخاري(٢) عن أبي هريرة مرفوعاً أيضاً، قال: «إنّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأُمم محدّثون، وإنّه إن كان في أُمّتي هذه منهم فإنّه عمر بن الخطّاب». انتهى.

حديث مفترى صاغه أبو هريرة من زخرف القول ـ بعد وفاة عمر بأعوام ـ فجاء مزوّقاً منمّقاً على ما تقتضيه سياسة الخاصّة يومئذٍ ممّا تصفّق له العامّة طرباً، فقد كان للخاصّة من ساسة البغي الأُموي مآرب ضدّ الوصيّ وآل النبيّ لا تتمّ على زعمهم إلّا برفع أبي بكر وعمر إلى مستوى الأنبياء والمعصومين، وكان غوغاء الأُمّة وسوادها مندفعين إلى ذلك كلّ الاندفاع بما فتح الله على المسلمين في أيّام الخليفتين، فكان أبو هريرة

(١) قال القسطلاني في تفسير هذا الحديث من كتابه إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ص ٣٤٩ من جزئه السابع ما هذا لفظه:

يكلَّمون ـ بفتح اللام المشدّدة ـ تكلّمهم الملائكة. قال: وليس قوله: «فإن يكن» للترديد بل للتأكيد، كقولك: إن يكن لي صديق ففلان، إذ المراد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الأصدقاء. قال: وإذا ثبت أنّ هذا وجد في غير هذه الأُمّة المفضولة، فوجوده في هذه الأُمّة الفاضلة أحرى[1]. انتهى.

(٢) في ص ١٧١ من الجزء الثاني من صحيحه بعد حديث أقرع وأبرص وأعمى بمقدار صفحة من كتاب بدء الخلق. وهو موجود في باب مناقب عمر من البخاري أيضاً[2]. وأخرجه النسائي في المناقب[3].

١. إرشاد الساري ٦: ١٠٣.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٢٧٩ ـ ١٢٨٠، ح ٣٢٨٢، ذكره في كتاب الأنبياء، و ١٣٤٩، ح ٣٤٨٦، بتفاوت يسير في بعض الألفاظ.

٣. حكاه عنه القسطلاني في إرشاد الساري ٥: ٤٣٠.

يتزلّف بهذا الحديث وأمثاله إلى كلّ من سائس الأُمّة ومَسوسها، وبهذا نال الحظوة من الخاصّة، والمنزلة في نفوس العامّة. ولو حدّث بهذه الأحاديث على عهد عمر، لأخذت درّة الخليفة من ظهره مأخذها. لكن خلاله الجوّ على عهد معاوية فجاء بمرمات الأخبار.

وقد علم أُولو الألباب أنّ من كان من الأُمم الماضية مكلّماً أو محدَّثاً على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز فإنّما هم المعصومون، كانوا جميعاً بين نبيّ ووصيّ نبيّ، فالنبيّ تحدّثه الملائكة، وتكلّمه على سبيل الحقيقة. والوصيّ يلهمه الله الحقّ فيتجلّى له ـ كفلق الصبح ـ لا يختلج فيه ريب، حتّى كأنّ ملكاً حدّثه به عن الله ـ عزّ وجلّ ـ ولا محدِّث ولا مكلِّم في الحقيقة، وإنّما هو ما يلقيه الله تعالى في روعه من الصواب.

ولا كلام في أنّ عمر قد توغّل الدرجات الرفيعة في الإسلام، وبلغ الأقدار الخطيرة في هذه الأُمّة، لكنّه لم يكن بنبيّ ولا بوصيّ ولا بمعصوم إجماعاً وقولاً واحداً، فلا تكلّمه الملائكة على سبيل الحقيقة، ولا تحدّثه على سبيل المجاز، وإنّما تحدّث من كان في هذه الأُمّة بمنزلة هارون، أو كان في أقلّ المراتب كيوشع أو شمعون.

على أنّ بوادر عمر ـ على عهد رسول الله ﷺ وبعده ـ لا تجتمع مع كونه محدّثاً مطلقاً.

٢٠ . تركة النبيّ صدقة

أخرج الشيخان[(١)] بالإسناد إلى أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقتسِم

---

(١) راجع من صحيح البخاري ص ١٢٥ من جزئه الثاني في باب نفقة نساء النبيّ بعد وفاته، من كتاب الجهاد[١]، وراجع من صحيح مسلم ص ٧٤ من جزئه الثاني في آخر باب قول النبيّ: «لا نورث، ما تركناه فهو صدقة»[٢].

---

١. صحيح البخاري ٣: ١١٢٨ ـ ١١٢٩، ح ٢٩٢٩، رواه في كتاب الخمس. ورواه أيضاً في ٣: ١٠٢١، ح ٢٦٢٤؛ ٦: ٢٤٧٥، ح ٦٣٤٨.

٢. صحيح مسلم ٣: ١٣٨٢، كتاب الجهاد والسير، ح ٥٥.

ورثتي ديناراً، ما تركتُ بعدَ نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة».

هذا مضمون الحديث الذي انفرد أبوبكر بروايته عن رسول الله ﷺ محتجّاً به على عدم توريث الزهراء، أخرجه الشيخان وغيرهما بالإسناد إلى عائشة إذ قالت[(١)]: إنّ فاطمة بنت النبيّ أرسلت إلى أبي بكر تسألهُ ميراثَها من رسول الله ﷺ، فقال أبوبكر: إنّ رسول الله قال: «لا نورثُ، ما تركنا صدقة»[(٢)] قالت عائشة: فأبىٰ أبوبكر أن يدفع منه شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر، فهجرته فلم تكلّمْه حتّى توفِّيَت، وعاشت بعد النبيّ ﷺ ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليٌّ ليلاً

(١) كما في ص ٣٧ والتي بعدها من الجزء الثالث من صحيح البخاري أثناء غزوة خيبر[١]، وص ٧٢ من الجزء الثاني من صحيح مسلم في باب قول النبيّ: «لا نورث، ما تركناه فهو صدقة» من كتاب الجهاد والسير[٢]، وص ٦ من الجزء الأوّل من مسند أحمد[٣].

(٢) هذا الحديث ردّته الزهراء والأئمّة من بنيها، وهو مع ذلك لا يصلح لأن يكون حجّة عليها، إلّا أن يكون لفظ «صدقة» مرفوعاً على الإخبار به عن «ما» الموصولة في قوله: «ما تركناه» ولا سبيل إلى إثبات مجيئه مرفوعاً. ولعلّ «ما» الموصولة في محلّ نصب على المفعوليّة بـ«تركناه»، و«صدقة» حال من «ما» فإنّ الأموال التي تركها كان منها ما هو ملكه، ومنها ما هو صدقة يضعها في مواضعها، فلعلّه خشي ﷺ أن يتوهّم متوهّم بأنّ الأنبياء يورثون كلّ ما كان في قبضتهم، سواءً كان ملكهم أم كان صدقة، فقال: «نحن لا نورث، ما تركناه صدقة» ليعلم أنّ حالهم في هذه المسألة حال الناس.

١. صحيح البخاري ٤: ١٥٤٩، ح ٣٩٩٨.

٢. صحيح مسلم ٣: ١٣٨٠، كتاب الجهاد والسير، ح ٥٢.

٣. مسند أحمد ١: ١٩، ح ٩؛ ٢٥، ح ٢٥؛ ٣٢ ـ ٣٣، ح ٥٨.

ـ بوصيّة منها ـ[١] ولم يؤذِن بها أبابكر، الحديث. وتراه صريحاً بوَجْدها وغضبها وهجرها حتّى توفّيت عليها السلام.

نعم، غضبت على أثارة[٢]، واستقلّت غضباً[٣]، فلاثت خمارها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لُمّةٍ من حفَدَتها ونساء قومها، تَطأُ ذُيولها، ما تخرم مشيتُها مشيةَ رسول الله صلّى الله عليه وآله، حتّى دخلت على أبي بكر، وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطَتْ دونها مُلاءة[٤]، ثمّ أَنَّتْ أَنَّةً أجهش لها القوم بالبكاء، وارتجّ المجلس، فأمهلتهم حتّى سكن نشيجهم وهدَأت فورَتُهم، افتتحت الكلام بحمد الله عزّ وجلّ، ثمّ انحدرت في خطبتها:

تعظُ القومَ في أتمّ خطاب　　حكت المصطفى به وحكاها

فخشعت الأبصار، وبخعت النفوس، ولولا السياسة ضاربة يومئذٍ بجرانها، لردّت شوارد الأهواء، وقادت حرون الشهوات، لكنّها السياسة توغّل في غاياتها لاتلوي على شيء.

---

(١) كما اعترف به شارحو البخاري، فراجع ص ١٥٧ من المجلّد الثامن من كلّ من إرشاد الساري[1] وتحفة الباري إذ ينتهيان فيهما إلى هذا الحديث.

(٢) إنّما يقولون: غضب فلان على أثارة ـ بالفتح ـ إذا كان غضبه مسبوقاً بغضب، كغضب الزهراء لإرثها مسبوقاً بغضبها لكشف بيتها.

(٣) إنّما يقولون: استقلّ غضباً، إذا أشخصه فرط الغضب، كما أشخص الزهراء من بيتها حتّى دخلت على الخليفة محتجّة.

(٤) الملاءة: الإزار والريطة ذات لفقين.

---

١. إرشاد الساري ٦: ٣٧٦. راجع أيضاً فتح الباري ٧: ٦٢٩.

ومن وقف على خطبتها في ذلك اليوم(١)، عرف ما كان بينها وبين القوم(٢) حيث

---

(١) السلف من بني عليّ وفاطمة يروي خطبتها في ذلك اليوم لمن بعده، ومن بعده رواها لمن بعده، حتّى انتهت إلينا يداً عن يدٍ، فنحن الفاطميّون نرويها عن آبائنا، وآباؤنا يروونها عن آبائهم، وهكذا كانت الحال في جميع الأجيال إلى زمن الأئمّة من أبناء عليّ وفاطمة، ودونكموها في كتاب احتجاج الطبرسي وفي بحار الأنوار[1].

وقد أخرجها من أثبات الجمهور وأعلامهم أبوبكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة وفدك بطرق وأسانيد ينتهي بعضها إلى السيّدة زينب بنت عليّ وفاطمة، وبعضها إلى الإمام أبي جعفر محمّد الباقر، وبعضها إلى عبدالله بن الحسن بن الحسن يرفعونها جميعاً إلى الزهراء، كما في ص ٨٧ من المجلّد الرابع من شرح النهج الحميدي[2].

وأخرجها أيضاً أبو عبدالله محمّد بن عمران المرزباني بالإسناد إلى عروة بن الزبير عن عائشة ترفعها إلى الزهراء، كما في ص ٩٣ من المجلّد الرابع من شرح النهج[3].

وأخرجها المرزباني أيضاً ـ كما في ص ٩٤ من المجلّد المذكور ـ بالإسناد إلى أبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عن أبيه، عن جدّه يبلغ بها فاطمة عليها السلام[4].

ونقل ثمّة عن زيد أنّه قال: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونها عن آبائهم ويعلّمونها أولادهم[5].

(٢) وممّا كان بينها وبينهم أن قالت لأبي بكر ـ حين منعها إرثها ـ: «لئن متَّ اليوم يا أبابكر من يرثك؟» قال: ولدي وأهلي. قالت: «فلم ورثت أنت رسول الله دون ولده وأهله؟» ←

---

١. الاحتجاج للطبرسي: ٩٧ ـ ١١٢، احتجاج فاطمة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ على القوم لمّا منعوها فدك و...؛ بحار الأنوار ٢٩: ٢٢٠ ـ ٢٣٣، كتاب الفتن والمحن، خطبة الزهراء سلام الله عليها.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١١.

٣. المصدر: ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣١.

٤ و ٥. المصدر: ٢٥٢ـ٢٥٣.

أقامت على إرثها آيات محكمات هنّ (من) أُمّ الكتاب، حججاً لا تردّ ولا تكابر.

← قال: ما فعلتُ يا بنت رسول الله. قالت: «بلى عمدتَ إلى فدك وكانت صافيةً لرسول الله فأخذتها منّا، وعمدتَ إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنّا». الحديث.

أخرجه أبوبكر بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة وفدك ـ كما في ص ٨٧ من المجلّد الرابع من شرح النهج [١] ـ بسنده إلى مولى أُمّ هاني.

وأخرجه الجوهري في كتابه المذكور ـ كما في ص ٨٢ من المجلّد الرابع من شرح النهج ـ بالإسناد إلى أبي سلمة: إنّ فاطمة لمّا طلبت إرثها قال لها أبوبكر: سمعت رسول الله يقول: «إنّ النبيّ لايورث» ولكنّي أعول من كان النبيّ [يعوله]، وأُنفقُ على من كان النبيّ ينفق عليه، فقالت: «يا أبابكر، أيرثك بناتك ولايرث رسول الله بناته؟» فقال: هو ذاك [٢].

وأخرج الإمام أحمد بالإسناد إلى أبي سلمة نحوه، فراجع ص ١٠ من الجزء الأوّل من مسنده [٣] حيث أورد حديث أبي بكر.

وأخرج الجوهري في كتاب السقيفة وفدك أيضاً ـ كما في ص ٨١ من المجلّد الرابع من شرح النهج ـ بالإسناد إلى أُمّ هاني بنت أبي طالب: أنّ فاطمة قالت لأبي بكر: «مَن يرثك إذا متّ؟» قال: ولدي وأهلي. قالت: «فما لك ترث رسول الله دوننا؟» قال: يا بنت رسول الله ما ورّث أبوك شيئاً، قالت: «بلى سهم الله الذي جعله لنا، وصار فيئنا، وهو الآن في يدك» فقال لها: سمعت رسول الله يقول: «إنّما هي طعمة أطعمناها الله، فإذا متُّ كانت بين المسلمين» [٤].

وعن أبي الطفيل فيما أخرجه الجوهري مثله [٥]. ←

---

١. شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٣٢.

٢. المصدر: ٢١٩.

٣. مسند أحمد ١: ٢٣، ح ٦٠.

٤. شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٨.

٥. المصدر: ٢١٨ ـ ٢١٩.

فكان ممّا أدلت به يومئذٍ أن قالت: «أعلى عمد تركتم كتاب الله، ونـبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾»[1]. وقال فيما اقتصّ من خبر زكريّا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾[2] وقـال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾[3] وقـال: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ

← والأخبار في هذا متواترة، ولا سيّما من طريق العترة الطاهرة[4]، وحسبك خطبتها العصماء التي أشرنا إليها في الأصل. ولها خطبة أُخرى تتعلّق بالخلافة، أخرجها الجوهري في كتاب السقيفة وفدك، كما في ص ٨٧ من المجلّد الرابع من شرح النهج بـالإسناد إلى عـبدالله بـن الحسن بن الحسن عن أُمّه فاطمة بنت الحسين، قالت: لمّا اشتدّ بفاطمة بـنت رسـول الله الوجع وثقلت في علّتها، اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار، فقلن لها: كيف أصبحتِ يا بنت رسول الله؟ قالت: «أصبحتُ والله عائفة لدنيا كنّ، قاليةً لرجالكنّ»[5]. الخطبة.

وهي من أبلغ المأثورعن أهل البيتعليهم‌السلام ، وقد أخرجها أيضاً الإمام أبوالفضل أحمد بن أبي طاهر في ص ٢٣ من كتابه بلاغات النساء بالإسناد إلى الزهراء، وأصحابنا يروونها بالإسناد إلى سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي عـن الزهـراء، وقـد أوردهـا المجـلسي في البحار والطبرسي في الاحتجاج[6].

---

١. النمل (٢٧): ١٦.

٢. مريم (١٩): ٥ ـ ٦.

٣. الأنفال (٨): ٧٥.

٤. للمزيد راجع: الاحتجاج للطبرسي: ٩٧ ـ ١٠٧؛ احتجاج فاطمة الزهراء ـ سلام الله عـليها ـ عـلى القـوم لمّـا منعوها فدك و...؛ بحار الأنوار ٢٩: ٢١٦ ـ ٢٤٦، كتاب الفتن والمحن، خطبة الزهراء سلام الله عليها.

٥. شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٣٣، ورواه المجلسي أيضاً في بحار الأنوار ٤٣: ١٥٩ ـ ١٧٠، الباب ٧، ح ٩ ـ ١٠.

٦. بلاغات النساء: ٢٣ ـ ٣٣؛ بحار الأنوار ٢٩: ٢٢٠ ـ ٢٣٣، كتاب الفتن والمحن، خطبة الزهراء سلام الله عليها؛ الاحتجاج للطبرسي: ١٠٨ ـ ١٠٩، احتجاج فاطمة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ على القوم لمّا منعوها فدك و.... رواه أيضاً السيّد المرتضى في كتابه الشافي ٤: ٦٨ ـ ٧٧.

لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[١] وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[٢]».

ثمّ قالت: «أخصّكم الله بآية أخرج بها أبي؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟ أم تقولون: أهل ملّتين لايتوارثان؟». الخطبة.

فانظر كيف احتجّت أوّلاً على توريث الأنبياء بآيتي داود وزكريّا الصريحتين بتوريثهما، ولعمري إنّهاﷺ أعلم بمفاد القرآن ممّن جاؤوا متأخّرين عن تنزيله فصرفوا الإرث هاهنا إلى وراثة الحكمة والنبوّة دون الأموال؛ تقديماً للمجاز على الحقيقة بلا قرينة تصرف اللفظ عن معناه الحقيقي المتبادر منه بمجرّد الإطلاق، وهذا ممّا لايجوز. ولو صحّ هذا التكلّف لعارضها به أبوبكر يومئذٍ أوغيره ممّن كان في ذلك الحشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم(١) على أنّ هناك قرائن تعيّن وراثة الأموال،

(١) لكنّهم لم يعارضوها يومئذٍ به، ولابشيء سوى المصادرة؛ إذ أجابها أبوبكر بقوله: يا ابنة رسول الله، والله ما خلق الله خَلقاً أحبّ إليّ من رسول الله أبيكﷺ، ولَوددْتُ أنّ السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوكﷺ، والله لأن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من أن تفتقري، أترينني أُعطي الأبيض والأحمر حقّه وأظلمك حقّك وأنت بنت رسول الله؟ وإنّ هذا المال لم يكن للنبيّ، وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل به النبيّ الرجال، وينفقه في سبيل الله. فلمّا توفّي وليته كما كان يليه. قالت: «والله لا كلّمتك أبداً» قال: والله لا هجرتك أبداً. قالت: «والله لأدعونّ الله عليك» قال: لأدعونّ الله لك.

فلمّا حضرتها الوفاة أوصت أن لايصلّي عليها. الحديث. ←

١. النساء (٤): ١١.

٢. البقرة (٢): ١٨٠.

كما أفاده سيّدنا علم الهدى في كتابه الشافي(١).

واحتجّت ثانياً على استحقاقها الإرث من أبيها ﷺ بعموم آيات المواريث، وعموم آية الوصيّة، منكرة عليهم تخصيص تلك العمومات بلا مخصّص شرعي من كتاب أوسنّة، وما أشدّ إنكارها على وجود المخصّص في الكتاب إذ قالت: «أخصّكم الله بآية أخرج بها أبي؟» ثمّ قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟» فنفت بهذا الاستفهام التوبيخي وجود المخصّص في السنّة، بل نفت وجوده مطلقاً، إذ لو كان ثمّة مخصّص لَبيّنه لها النبيّ والوصيّ، ويستحيل عليهما الجهل به لو

← أخرجه أبوبكر الجوهري بهذه الألفاظ في كتاب السقيفة وفدك ـ كما في ص ٨٠ من المجلّد الرابع من شرح النهج[1] ـ وتراه ما عارضها فيما فهمته من التوريث في آيتي داود[2] وزكريّا[3]، وإنّما عارضها بدعواه: أنّ هذا المال لم يكن للنبيّ، فلم تقنع منه؛ إذ هي أعلم بشؤون أبيها، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

(١) حيث اعتبر ـ أعلى الله مقامه ـ خوف زكريّا من الموالي قرينة على أنّه إنّما أراد وراثة الأموال؛ لأنّ الموالي كانوا ورثته إذ لم يكن له ولد وكانوا من سفهاء الفسقة، فلا يمكن أن يكونوا أنبياء ولا حكماء ليخاف أن يرثوا مكانته من العلم والحكم والنبوّة، وإنّما كان يخشى أن يرثوا أمواله فيصرفوها في عيثهم وفسادهم، فسأل ربّه أن يهب له ولداً؛ ليكون أحقّ بوراثة أمواله منهم. واعتبر أيضاً ـ قدّس الله سرّه ـ شرط زكريّا على ربّه أن يجعل وارثه رضيّاً قرينةً أُخرى على إرادة إرث المال؛ إذ لو أراد إرث النبوّة لكان هذا الشرط لغواً وجهلاً، وكان جارياً فيه مجرى من يقول: اللهمّ ابعث لنا نبيّاً، واجعله صادقاً غير كاذب[4].

---

١. شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٤.

٢. النمل (٢٧): ١٦.

٣. مريم (١٩): ٥ ـ ٦.

٤. الشافي ٤: ٧٩ ـ ٨١.

كان في الواقع موجوداً، ولا يجوز عليهما أن يهملا تبيينه لها؛ لما في ذلك من التفريط في البلاغ، والتسويف في الإنذار، والكتمان للحقّ، والإغراء بالجهل، والتعريض لطلب الباطل، والتغرير بكرامتها، والتهاون في صونها عن المجادلة والمجابهة والبغضاء والعداوة بغير حقّ، وكلّ ذلك محال ممتنع على الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام.

وبالجملة، كان كلف النبيّ صلى الله عليه وآله ببضعته الزهراء وإشفاقه عليها فوق كلف الآباء الرحيمة، وإشفاقهم على أبنائهم البررة، يؤويها إلى الوارف من ظلال رحمته، ويفدّيها بنفسه[1]، مسترسلاً إليها بأنسه. وكان يحرص بكلّ ما لديه على تأديبها وتهذيبها وتعليمها وتكريمها، حتّى بلغ في ذلك كلّ غاية، يزقّها المعرفة بالله والعلم بشرائعه زقّاً، لا يألو في ذلك جهداً، ولا يدّخر وسعاً، حتّى عرج بها إلى أوج كلّ فضل، ومستوى كلّ مكرمة. فهل يمكن أن يكتم عليها أمراً يرجع إلى تكليفها الشرعي؟ حاشا لله. وكيف يمكن أن يعرّضها ـ بسبب الكتمان ـ لكلّ ما أصابها من بعده في سبيل الميراث، بل يعرّض الأُمّة للفتنة التي ترتّبت على منع إرثها؟

وما بال بعلها ـ خليل النبوّة، والمخصوص بالأُخوّة ـ يجهل حديث: «نحن لانورث» مع ما آتاه الله من العلم، والحكم، والسبق، والصهر، والقرابة، والكرامة، والمنزلة، والخصيصة، والولاية، والوصاية، النجوى؟

---

(١) ذكرها صلى الله عليه وآله مرّة، فقال: «فداؤها أبوها، فداؤها أبوها، فداؤها أبوها» ـ ثلاث مرّات ـ في حديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، ونقله عنه وعن غيره ابن حجر في الأمر الثاني من الأُمور التي ذكرها في خاتمة الآية الرابعة عشر من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه ص ١٠٩[1].

---

١. الصواعق المحرقة: ١٨٢، الباب ١١، الفصل ١.

وما بال رسول الله ﷺ يكتم ذلك عنه، وهو حافظ سرّه، وكاشف ضرّه، وباب مدينة علمه، وباب دار حكمته، وأقضى أُمّته، وباب حطّتها، وسفينة نجاتها، وأمانها من الاختلاف؟

وما بال أبي الفضل العبّاس ـ وهو صنو أبيه، وبقيّة السلف من أهليه ـ لم يسمع بذلك الحديث؟

وما بال الهاشميّين كافّة ـ وهم عيبته وبيضته التي تفقّأت عنه ـ لم يبلغهم الحديث حتّى فوجئوا به بعد النبيّ ﷺ؟

وما بال أُمّهات المؤمنين يجهلنه فيرسلن عثمان يسأل لهنّ ميراثهنّ من رسول الله ﷺ؟(١)

وكيف يجوز على رسول الله ﷺ أن يبيّن هذا الحكم لغير الوارث ويدع بيانه للوارث؟ ما هكذا كانت سيرته ﷺ إذ يصدع بالأحكام فيبلغها عن الله ـ عزّ وجلّ ـ ولا هذا هو المعروف عنه في إنذار عشيرته الأقربين، ولا مشبه لما كان يعاملهم به من جميل الرعاية، وجليل العناية.

بقي للطاهرة البتول كلمة استفزّت بها حميّة القوم، واستثارت حفائظهم، بلغت بها أبعد الغايات، ألا وهي قولها: «أم تقولون: أهل ملّتين لا يتوارثان؟» تريد بهذا أنّ عمومات المواريث لاتتخصّص بمثل ما زعمتم، وإنّما تتخصّص بمثل قوله ﷺ: «لا توارث بين أهل ملّتين. وإذن فهل تقولون ـ إذ تمنعونني الإرث من أبي ـ: إنّي لست على ملّته فتكونون ـ لو أثبتم خروجي من الملّة ـ على حجّة شرعيّة فيما تفعلون؟ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون».

---

(١) فيما أخرجه أبوبكر الجوهري في كتاب السقيفة وفدك، كما في ص ٨٣ من المجلّد الرابع من شرح النهج الحميدي[1].

---

١. شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٢٣.

وبالجملة، أخفقت الزهراء يومئذٍ في طلبها بسبب هذا الحديث، وقد انفرد الخليفة به فلم يروه على عهده أحد سواه، وربما قيل بأنّه قد رواه معه مالك بن أوس بن الحدثان(١).

نعم، ذكروا أنّه ترافع عليّ والعبّاس إلى عمر أيّام خلافته ـ وكان عنده حينئذٍ عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد ـ فقال لهم(٢): هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة» فاضطرّ الرهط إلى التصديق، ولم يسعهم في تلك الظروف سوى الإذعان للخليفتين.

أمّا أبو هريرة، فلم يكن تلك الأيّام في عيرها ولا نفيرها، ولا كان ممّن يصغىٰ إليهم، أو يؤبه بهم، وكان متّهماً في لهجته، لا يجرأ مع وجود أُولئك الأعلام على الحديث، ولا يرى في نفسه أهليّة الانضواء إلى من ينتصر الخليفة بروايته، لذلك لم ينبس في هذا الموضوع يومئذٍ ببنت شفة حتّى ذهب معظم الصحابة، وفتحت الأمصار كالشام ومصر وإفريقيا والعراق وفارس والهند وغيرها، وأسلم أهلوها جميعاً، فدخل المسلمون في دور جديد قد نوّه بنو أُميّة فيه باسم أبي هريرة، وأشادوا بذكره، فأطلقوا عنه ربقة الخمول، وكسوه نضرة بعد الذبول، فتسنّى له حينئذٍ أن يقول ماشاء أن يقول، فكان يحدّث العامّة وسواد الناس بما يستوجب حبّهم إيّاه وعطفهم عليه، فكان هذا الحديث ممّا تزلّف به إلى ساسة الأُمّة وسوقتها؛ لما فيه من تأييد الخليفة المحبوب، تأييده لدى الرأي العامّ وجمهور المسلمين.

---

(١) فيما نصّ عليه جماعة من الأثبات، فراجع صفحة ٩١ من المجلّد الرابع من شرح النهج[1].

(٢) فيما أخرجه البخاري ص ١٢٤ من الجزء الثاني من صحيحه في باب فرض الخمس[2].

---

١. شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٢٧ ـ ٢٢٨، ٢٤٥.

٢. صحيح البخاري ٣: ١١٢٦ ـ ١١٢٨، ح ٢٩٢٧.

٢١ . أبو طالب أبي الشهادتين

قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ لعمّه أبي طالب: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: لولا أن تعيّرني قريش يقولون: إنّما حمله على ذلك الجزع، لأقررتُ بها عينيك. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[1]. انتهى.

وقال في مقام آخر: قال رسول الله ﷺ لعمّه عند الموت: «قل لا إله إلّا الله أشهد لك بها يوم القيامة» فأبى، قال: فأنزل الله تعالى ...(١). الحديث.

إنّ أبا طالب ـ رضوان الله وبركاته ورحمته عليه ـ قضى في مكّة سنة عشر للبعثة قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بل قضى سنة تسع، وقيل: سنة ثمان، قبل قدوم أبي هريرة إلى الحجاز بعشر سنين في أقلّ ما يفرض، فأين كان أبو هريرة عن النبيّ وعمّه عليهما السلام وهما يتبادلان الكلام الذي أرسله عنهما كأنّه رآهما بعينيه وسمع كلامهما بأذنيه؟ نعوذ بالله ممّن لم يكن لدينه ولا لعقله على لسانه رقيب.

إنّ هذا الحديث ممّا ارتجله المبطلون؛ تزلّفاً لأعداء آل أبي طالب، وعملت الدولة الأُمويّة في نشره أعمالها، وقد كفانا السلف الصالح من أعلامنا مؤونة الاهتمام بتزييفه، وتلك مؤلّفاتهم تثبت إيمانه بأدلّة لا تجحد، وحجج

---

(١) أخرجه والذي قبله مسلم في ص ٣١ من الجزء الأوّل من صحيحه[2] من طريقين عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة.

---

١. صحيح مسلم ١: ٥٥، كتاب الايمان، ح ٤١، والآية في سورة القصص(٢٨): ٥٦.

٢. المصدر: ٥٥، كتاب الايمان، ح ٤٢.

لا تكابر، نحيل عليها من أراد الوقوف على الحقيقة(١) من شأن عمّ رسول الله ومربّيه

---

(١) حسبك منها كتاب الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب[1] لمؤلّفه الإمام شمس الدين أبي عليّ فخار بن الشريف معدّ الموسوي، وهذا الكتاب طبع في المطبعة العلويّة في النجف الأشرف سنة ١٣٥١، وعليه تعليقة شريفة للشريف العلّامة البحّاثة السيّد الصادق الحسني الطباطبائي النجفي، تصدّى في آخرها لذكر المؤلّفات في هذا الموضوع ومؤلّفيها، فكان ممّا ذكره كتاب ولدي الأكبر أبي عبد الرؤوف عافاه الله وشافاه. قال الطباطبائي:

وشيخ الأبطح أو أبو طالب[2] للعلّامة السيّد محمّد عليّ آل شرف الدين الموسوي العاملي ـ دام علاه ـ طبع في بغداد سنة ١٣٤٩. ـ قال: ـ وهذا الكتاب خير كتاب ألّف في هذا الموضوع، حلّل فيه نفسيّة شيخ الأبطح، وبيّن ما له من الفضل وكبير القدر في جميع أدوار حياته، وبحقّ ظهر للوجود وحيداً في بابه، تأريخيّاً فلسفيّاً علميّاً، جيّد التبويب والترتيب، مفرغاً في قالب بديع متين، وأُسلوب جذّاب، وألفاظ قويّة بليغة، أثبت إيمان أبي طالب عليه السلام وإسلامه بأدلّة قطعت الخصام، وبراهين سطعت، فأماطت عن وجه الحقيقة سترة الظلام، ولذا لم يمض على طبعه أكثر من شهر واحد حتّى انتشر في الأقطار الإسلاميّة جمعاء، وبعد مضيّ خمسة أشهر من تاريخ طبعه ترجمه في لكنهوء ـ إحدى حواضر الهند الكبرى ـ العالم الفاضل السيّد ظفر مهديّ إلى اللغة الهنديّة ـ الأُورديّة ـ ونشر بتلك اللغة أيضاً أوّلاً في الجزء ٨ و٩ و١٠ من المجلّد الخامس من مجلّة سهيل يمن ثمّ طبعه ثانياً مستقلاً.

وتقديراً لجهود مؤلّفه الجليل أتيت بكلمتي هذه، كما قدّر جهوده قبلي جمهور من الأماثل، فقد اطّلعت على الكتب التي جاءت للمؤلّف من الأقطار في إطراء كتابه، وهي كثيرة، وفيها التقاريظ القيّمة من العلماء الأعلام ومن ملوك الإسلام، فمنهم مَن ←

---

١. طبع الطبعة الثالثة دار الزهراء في بيروت سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م، واسمه في هذا الطبع «إيمان أبي طالب المعروف بكتاب الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب».

٢. طبع أخيراً ـ رمضان ١٤٠٧ هـ ـ في بيروت بمطبعة دار الأرقم، وقدّم له محمّد مهدي شمس الدين.

وكافله وحاميه المنادي:

يـــا شـــاهدَ اللهِ عـــليَّ فـــاشهدِ أنّـــي عـــلى ديـنِ النبيّ أحـمدِ(١)

ذي الأيادي التي هي من المسلمين طوق الهوادي، شيخ الأباطح وبيضة البلد:

لولاه مـــا شـــدّ أزر المسـلمين ولا عين الحـنيفة سـالت فـي مـجاريها
آوىٰ وحـامى وسـاوى قـيدَ طـاقته عـن خـيرِ حـاضرِها طـراً وبـاديها
ما كـان ذاك الحـفاظ المرّ أطّـةَ أر حـام وضـربَ عـروقٍ فـارَ غـاليها
بـل للإلهِ كـما فـاهت روائـعُه الـ عصماء في كلّ شـطر مـن قـوافـيها
ضاقت بما رحـبت أُمّ القـرى بـرسو لِ الله مـن بـعدِهِ وأسـودّ ضـاحيها
فـانصاع يـدعو له بـالخيرِ مـبتهلا بـدعوةٍ ليس بـالمجبوهِ داعـيها
لو لم تكن نفسُ عمِّ المـصطفى طـهرت مـا فـاه فـوهُ بـما فـيهِ يـنجّيها
عـاماً قـضى عـمُّه فـيه وزوجـتُه قـضاه بـالحزنِ يـبكيهِ ويـبكيها
أعظِمْ بإيمانٍ مُبكي المـصطفى سـنةً أيّـامُها البـيضُ أدجـى مـن ليـاليها
مـن صـلبِه انـبثتّ الأنـوارُ قـاطبةً فالمرتضى بَدؤها والذّخـرُ تـاليها(٢)

← آتاه الله من فضله العلم والملك، وجمع له بين السلطتين الدينيّة والزمنيّة، عاهل اليمن الإمام يحيى خلّد الله ملكه.

وأمّا تقاريظ الصحف في العراق وسوريا ومصر، فقد كانت حافلة بالشكر والثناء، والمدح والإطراء، كثّر الله في رجال العلم والعمل أمثال السيّد المؤلّف، ولا حرم العالم الإسلامي من ثمرات جهوده، وجزاه عن جدّه أبي طالب، وعن الحقيقة خير جزاء المحسنين.

(١) ولأبي طالب أشعار كثيرة سائرة تثبت إيمانه[1].

(٢) هذه الأبيات من القصيدة العلويّة العصماء ذات البروج لناظم عقودها سلطان العلماء وأمير الشعراء الشيخ عبد الحسين الصادقي العاملي ﵀.

---

١. للمزيد راجع كتاب إيمان أبي طالب: ٢١١ - ٢٧٢.

٢٢ . الإنذار يوم الدار

أخرج الشيخان عن أبي هريرة(١) قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1] فقال: «يا معشر قريش لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد منافٍ لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا عبّاس لا أُغني عنك من الله شيئاً، يا صفيّة لا أُغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمّد سليني من مالي ما شئت، لا أُغني عنك من الله شيئاً».

قلت: هذه الآية إنّما نزلت في مبدأ البعثة قبل ظهور الإسلام بمكّة حيث كان أبو هريرة في اليمن، وإنّما كان قدومه إلى الحجاز وإسلامه بعد نزولها بعشرين سنة تقريباً. وقد بتر أبو هريرة هذا الحديث، وحرّفه عن مواضعه، جرياً على مقتضيات السياسة السفيانيّة، وموجبات دعايتها ضدّ الوصيّ، وسائر آل النبيّ، فإنّه ﷺ جمع عشيرته الأقربين يوم نزول الآية، وفيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعبّاس ـ رضي الله عنهم ـ وأبو لهب تبّت يداه، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وكان ممّا قاله يومئذٍ لهم: «فأيّكم يؤازرني على أمري هذا على أن يكون أخي ووزيري ووصيّي ووارثي

---

(١) راجع من صحيح البخاري[2] ص ٨٦ من جزئه الثاني في باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب، من كتاب الوصايا، حيث أخرجه ثمّة من حديث الزهري عن سعيد بن المسيّب، وأبي سلمة عن أبي هريرة.
وأخرجه مسلم من طريق عبد الملك بن عمير، ومن طريق الزهري عن ابن المسيّب وأبي سلمة عن أبي هريرة[3]. وله طرق أُخر عن أبي هريرة في مسند أحمد[4] وغيره[5].

---

١. الشعراء (٢٦): ٢١٤.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٠١٢، ح ٢٦٠٢، بتفاوت يسير.

٣. صحيح مسلم ١: ١٩٢ ـ ١٩٣، كتاب الإيمان، ح ٣٥١، بتفاوت يسير.

٤. مسند أحمد ٣: ٢٣٠، ح ٨٤١٠؛ ٤: ٦٠٤، ح ١٠٧٣٠؛ ٢٨٤، ح ٨٧٣٤ ـ ٨٧٣٥، بتفاوت يسير.

٥. كصحيح البخاري ٣: ١٢٩٨، ح ٣٣٣٦.

وخليفتي؟» فقال عليّ ـ وهو إذ ذاك أصغرهم ـ: «أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه» فأخذ رسول الله ﷺ حينئذٍ برقبته، فقال: «إنّ هذا أخي ووزيري ووصيّي ووارثي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»(١). الحديث.

٢٣ . لعب الحبشة في المسجد عند النبيّ ﷺ

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: بَيْنا الحَبَشةُ يلعبون في المسجد عند النبيّ ﷺ بِحِرابِهم، دخل عمر فأهوى إلى الحَصىٰ فحصبهم بها، فقال النبيّ ﷺ: «دعهم يا عمر»(٢). الحديث.

قلت: إنّ رسول الله ﷺ أبعد عن اللعب، وأرفع عن العبث، وأعرف بحرمات الله ورسوله من أن يوسع للجهّال مجالاً إلى اللهو في المسجد بمحضر منه، وإنّ أوقاته الشريفة المفعمة بالمهمّات الأُخرويّة والدنيويّة لا يتّسع للّهو منها شيء. وحاشا لله أن يشغل مسجده الشريف بعبثٍ أو لهوٍ أو لغوٍ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾[1].

---

(١) هذا الحديث من صحاح السنن، كما بيّنّاه في أوّل المبحث الثاني من المراجعات[2]، حيث فصّلنا مَن أخرجه مِن أصحاب السنن والمسانيد، وأرباب السير والتواريخ من المسلمين وغيرهم، فلا مندوحة لكلّ بحّاثة عن المراجعات، فإنّ ثمّة ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين.

(٢) في باب اللهو بالحِراب ص ١٢٠ من الجزء الثاني من صحيحه[3] في كتاب الجهاد والسير.

---

١. الكهف (١٨): ٥.

٢. الموسوعة ج ١، المراجعات، المراجعة ٢٠.

٣. صحيح البخاري ٣: ١٠٦٣، ح ٢٧٤٥.

٢٤ . النسخ قبل حضور وقت العمل

أخرج البخاري[(١)] عن أبي هريرة قال: بعثنا رسول الله في بعثٍ، فقال ﷺ: «إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار» قال: ثمّ قال رسول الله ﷺ لنا ـ حين أردنا الخروج ـ: «إنّي أمرتُكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإنّ النار لا يعذّب بها إلّا الله تعالى، فإن وجدتموهما فاقتلوهما». انتهى.

قلت: هذا الحديث باطل؛ لاشتماله على النسخ قبل حضور وقت العمل، وذلك محالٌ على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ، كما هو مقرّر في محلّه، فإنّ رسول الله حين قال: «أحرقوا فلاناً وفلاناً» فإنّما قال ذلك عن الله عزّ وجلّ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ * إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١] فكيف يمكن نسخ هذا القول قبل حضور وقت العمل به؟! أليس نسخه ـ والحال هذه ـ مستلزماً للجهل؟ تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

٢٥ . إيقاع الفعل في وقت لا يسعه

أخرج البخاري عن أبي هريرة يرفعه قال: خُفِّفَ على داود القرآن، فكان يأمر بدابّته فتُسرَج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج[(٢)]. الحديث.

(١) في باب لا يعذّب بعذاب الله، ص ١١٤ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب الجهاد والسير[٢].

(٢) راجعه في باب قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ ص ١٠١ من الجزء الثالث من صحيحه في كتاب تفسير القرآن[٣]. وتجده أيضاً في أحاديث الأنبياء عليهم السلام ص ١٦٤ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب بدء الخلق[٤].

١. النجم (٥٣): ٣ ـ ٤.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٠٩٨، ح ٢٨٥٣.

٣. المصدر ٤: ١٧٤٧، ح ٤٤٣٦، بتفاوت في بعض الألفاظ، والآية في سورة الإسراء (١٧): ٥٥.

٤. صحيح البخاري ٣: ١٢٥٦، ح ٣٢٣٥.

قلت: هذا محال من وجهين:

أحدهما: أنّ القرآن إنّما أُنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد ﷺ وقبله لم يكن، فكيف يقرؤه داود عليه السلام ؟

أجابوا بأنّ المراد بالقرآن هنا إنّما هو الزبور والتوراة، وأنّه إنّما سمّاه قرآناً؛ لوقوع المعجزة بهما، كوقوعها بالقرآن، فيكون المراد به مصدر القراءة لا القرآن المنُزَل على محمّد ﷺ (١).

قلت: في هذا الجواب نظر، إذ حملوا فيه كلام أبي هريرة على ما لم يقصده، والله أعلم.

ثانيهما: أنّ مدّة إسراج الدابّة لتضيق عن قراءة القرآن، سواء أُريد به المنزل على رسول الله ﷺ، أم أُريد به الزبور والتوراة، ومن المقرّر بحكم الضرورة العقليّة امتناع وقوع الفعل في وقت لا يسعه، وهذا ممّا لا سبيل إلى التشكيك فيه أبداً.

وإذن لا يؤبه بما ذكره العلّامة القسطلاني في هذا المقام من إرشاد الساري، إذ قال(٢):

وقد دلّ هذا الحديث على أنّ الله تعالى يطوي الزمان لمن شاء من عباده، كما يطوي المكان لهم قال: قال النووي: إنّ بعضهم كان يقرأ أربع ختمات بالليل وأربعاً بالنهار،

---

(١) تجد هذا الجواب في أوّل ص ٥٠٠ من الجزء الثامن من إرشاد الساري عند انتهائه إلى هذا الحديث من شرح صحيح البخاري[١].

(٢) في ص ١٨٢ من جزئه السابع[٢]، حيث تكلّم في شرح هذا الحديث، فراجع. وحين تكلّم في شرحه أيضاً في ص ٥٠٠ من الجزء الثامن[٣]، أعاد هذه القصص، وزاد: أنّ رجلاً من اليمن ختم القرآن في شوط واحد من أشواط الطواف، أو في أسبوع، فتأمّل واعجب.

---

١. إرشاد الساري ٧: ٢٠٦.

٢. المصدر ٥: ٣٩٦.

٣. المصدر ٧: ٢٠٧ـ٢٠٨.

ولقد رأيت أبا الطاهر بالقدس الشريف سنة سبع وستّين وثمانمائة، وسمعت عنه إذ ذاك أنّه كان يقرأ فيهما أكثر من عشر ختمات، بل قال لي شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف ـ أدام الله النفع بعلومه ـ عنه أنّه كان يقرأ خمس عشرة ختمة في اليوم والليلة. قال: وهذا باب لا سبيل إلى إدراكه إلّا بالفيض الربّاني. انتهى بلفظه.

قلت: بل لا سبيل إلى إمكانه إلّا إذا أمكن وضع الدنيا على سعتها في البيضة على ضيقها.

وأُولو الألباب يعلمون أنّ طيّ الزمان وطيّ المكان كليهما ممّا لا حقيقة له، ولو فرض وقوعهما فلا وجه لطيّ الزمان هنا، إذ بطيّه يزداد الإشكال.

نعم، لو قال: «بطيّ الكلام» في هذا المقام، لكان أنسب لمراده، وإن كان باطلاً. ولا يمكن أن يكون ما نقله في هذا الحديث عن داود معجزة له عليه السلام؛ لأنّ معجزات الأنبياء خوارق للعادة وهذا خارق للعقل، كما لا يخفى.

٢٦. أُمّةٌ مسخت فأراً

أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً[(١)] قال: فُقِدَت أُمّةٌ من بني إسرائيل، لا يُدرى ما فَعَلَت، وإنّي لا أراها إلّا الفأر، إذا وُضع لها ألبانُ الإبل لم تشرب،

(١) في ص ١٤٩ من الجزء الثاني من صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق، وفي باب الفأر وأنّه مسخ، ص ٥٣٦ من الجزء الثاني من صحيح مسلم[١].

١. صحيح البخاري ٣: ١٢٠٣، ح ٣١٢٩؛ صحيح مسلم ٤: ٢٢٩٤، كتاب الزهد والرقائق، ح ٦١ ـ ٦٢، فيه «أهما قالتاه...». رواه أحمد أيضاً في مسنده ٣: ٥٦٠، ح ١٠٤٥٧.

وإذا وضع لها ألبان الشاة شربت[(١)]. الحديث.

قلت: هذا من السخافة بمثابة تربأ عنها الأمة الوكعاء إلّا أن تكون مدخولة العقل، لكنّ الشيخين يلبسان هذا المخرّف على غثيثته[(٢)]، ويحتجّان به على سخافته، ولو أنّ هذا لايعود على الإسلام بوصمة، لقلّدناه حبله، لكنّها السنّة المعصومة يجب الذود عن حياضها بكلّ ما أُوتي المسلم من قوّة علميّة وعمليّة، فإنّ هذه الخرافات من أعظم ما مُني به الإسلام من الآفات، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

٢٧ . المكروه عليه فاعتذر بسماعه من الفضل

أخرج مسلم من طريق عبدالملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أبي بكر، قال: سمعت أبا هريرة يقصّ في قصصه[(٣)]: من أدركه الفجر جنباً فلايصم. قال: فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحرث لأبيه[(٤)] فأنكر ذلك، فانطلق عبدالرحمن، وانطلقت معه حتّى دخلنا على عائشة وأُمّ سلمة، فسألهما عبدالرحمن عن ذلك، قال: فكلتاهما قالت:

---

(١) أين أُولو الألباب ينظرون إلى هذا التخريف في أصل الدعوى وفي دليلها، وقد لايخفى أنّ الدليل أظهر في السخافة من جهات شتّى.

(٢) أي فساد عقله[١].

(٣) لايخفى ازدراؤه بأبي هريرة؛ إذ جعله قصّاصاً، والقصّاص في اللغة من يقرأ القصص في مجتمعات الناس؛ ليأخذمنهم الجزاء عليها[٢]، وأكثر القصّاصين مخرّفون.

(٤) هكذا هو في جميع النسخ، وهو صحيح، ومعناه: ذكره أبو بكر لأبيه عبدالرحمن، فقوله: «لأبيه» بدل من «عبدالرحمن» لإعادة حرف الجرّ.

---

١. لسان العرب ٢: ١٧١، «غ. ث. ث».

٢. أقرب الموارد ٢: ١٠٠٦؛ المنجد في اللغة: ٦٣١، «ق. ص. ص».

كان النبيّ ﷺ يصبح جنباً من غير حلم(١)، ثمّ يصوم. قال: فانطلقنا حتّى دخلنا على مروان ـ وهو والي المدينة من قِبل معاوية ـ فذكر ذلك له عبد الرحمن، فقال مروان: عزمت عليك إلّا ما ذهبتَ إلى أبي هريرة، فرددتَ عليه ما يقول(٢). قال: فجئنا أبا هريرة، فذكر عبدالرحمن له ذلك، فقال أبو هريرة: أهما قالتا لك؟ قال: نعم، قال: هما أعلم. ثمّ ردّ أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العبّاس، فقال: سمعت ذلك من الفضل، ولم أسمعه من النبيّ ﷺ، قال: فرجع أبو هريرة عمّا كان يقول(٣). الحديث.

قلت: من المعلوم أنّ الفضل بن العبّاس قد توفّي على عهد أبي بكر(٤)، وهذه القضيّة إنّما كانت على عهد معاوية(٥)، وبهذا تسنّى لأبي هريرة أن يقول: سمعت ذلك

---

(١) أنّ رسول الله ﷺ أجلّ وأفضل وأكمل ممّا يظنّون، وحاشاه أن يصبح جنباً، ولا سيّما في أيّام الصوم، والأنبياء لايجوز عليهم الاحتلام؛ لأنّه من تلاعب الشيطان وهم منزّهون عنه.

(٢) أراد مروان بهذا النصح لأبي هريرة إشفاقاً عليه من الفضيحة إذا لم يتدارك خطأه قبل أن يتّسع الفتق.

(٣) تجده في باب صحّة صوم من طلع عليه الفجر وهو مجنب، صفحة ٤١٢ من الجزء الأوّل من صحيح مسلم في كتاب الصوم[1]، فراجع.

(٤) هذا هو الصحيح، وقيل: مات على عهد عمر، وعلى كلّ فقد مات قبل هذه الواقعة بإجماع أهل الأخبار، فراجع ترجمته في الاستيعاب، والإصابة وأسد الغابة وطبقات ابن سعد[2]، وغيرها[3].

(٥) حيث كان مروان والياً على المدينة من قبل معاوية، كما سمعت النصّ عليه في هذا الحديث.

---

١. صحيح مسلم ٢: ٧٧٩ ـ ٧٨٠، كتاب الصيام، ح ٧٥.

٢. الاستيعاب ٣: ١٢٦٩ ـ ١٢٧٠، الرقم ٢٠٩٣؛ الإصابة ٥: ٢٨٨، الرقم ٧٠١٨؛ أُسد الغابة ٤: ١٨٣؛ الطبقات الكبرى ٤: ٥٥، فيه: «وذلك في خلافة عمر».

٣. كما في الكامل في التاريخ ٢: ٤١٨، حوادث سنة ١٣.

من الفضل ولم أسمعه من رسول الله ﷺ، ولو كان الفضل حيّاً، ما اجترأ عليه.

٢٨ . حديثان متناقضان

أخرج البخاري(١) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا عَدْوَى ولا صَفَر(٢) ولا هامَةَ(٣)» قال: فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال الإبل تكون في الرمل كأنّها الظِباء، فيخالطها البعير الأجرب فيُجْرِبُها؟ فقال رسول الله ﷺ: «فمَنْ أعْدَى الأوّل؟».

أورد البخاري هذا الحديث، ثمّ روى بعده بلا فصل عن أبي سلمة أنّه سمع أبا هريرة فيما بعد يحدّث، فيقول: قال النبيّ ﷺ: «لا يوردَنَّ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ» فقال أبوسلمة: يا أبا هريرة، ألم تحدِّث أنّه لا عَدْوَى؟ قال: فأنكر حديثه الأوّل(٤) ورَطَن بالحبشيّة(٥).

---

(١) في باب لا هامة ص ١٥ من الجزء الرابع من صحيحه، في أواخر كتاب الطبّ[١]. وأخرجه مسلم أيضاً في باب لا عدوى ولا طيرة في ص ٢٥٨ والتي بعدها من الجزء الثاني من صحيحه[٢].

(٢) لعلّه نفي لما يتوهّم من حصول الدواهي في شهر صفر، أوفي آخر أربعاء منه.

(٣) الهامة: بتخفيف الميم على الأفصح، طائر كان أهل الجاهليّة يزعمون أنّ روح الميّت ـ وقيل: عظامه ـ تنقلب هامة، فأبطل الإسلام هذه الخرافة. وقد يقال: إنّ الهامة هنا هي البومة يتشاءمون بها، فأبطل هذا التشاؤم[٣].

(٤) قد اتّسع الخرق بإنكاره على الراقع؛ إذ لا محلّ بعده لتأويل الحديثين بحملها على وجه يرتفع به تناقضها، كما لا يخفى.

(٥) إنّما رطن بالحبشيّة حيث ارتجّت عليه العربيّة، فأخذ من جميع نواحيه فلم يجد سبيلاً إلّا الرطانة.

---

١. صحيح البخاري ٥: ٢١٧٧، ح ٥٤٣٧.

٢. صحيح مسلم ٤: ١٧٤٢ ـ ١٧٤٣، كتاب السلام، ح ١٠١.

٣. لسان العرب ١٢: ٦٢٤، «هـ. و. م».

قلت: هذا شأن من لاتتساير خيلاه(١)، وكفى بهذا بلاغاً للناس ولينذروا به، وليذكّر أُولو الألباب.

٢٩ . مولودان يتكلّمان بالمغيبات

أخرج الشيخان(٢) عن أبي هريرة ـ مرفوعاً ـ من حديث قال فيه: وكان في بني إسرائيل رجل يقال له: جُرَيج، كان يصلّي فجاءته أُمّه فدعته، فقال: أُجيبها أو أُصلّي؟ فقالت أُمّه: اللهمّ لا تُمِتْه حتّى تُرِيَه وجوه المؤمِسات.

قال: وكان جريج في صومعته، فتعرّضت له امرأة فأبى، فأتت راعياً فأمكَنَتْهُ من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: مِن جُرَيج، فأتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه وسَبّوه، فتوضّأ(٣) وصلّى، ثمّ أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال الغلام: إنّ أبي لهو الراعي. قالوا: نبني صومعتك من ذهبٍ، قال: لا إلّا من طينٍ.

قال أبو هريرة: وكانت امرأةٌ تُرضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمرّ بها رجلٌ راكب ذو شارَةٍ، فقالت: اللهمّ اجعل ابني مثلَه، فترك ثَدْيَها وأقبل على الراكب فقال: اللهمّ لا تجعلني مثله، ثمّ أقبل على ثديها يمصّه.

---

(١) أي لا تسير في طريق واحد، والمراد أنّه لا يوثق بأقواله؛ لتناقضها.

(٢) راجع باب واذكر في الكتاب مريم، ص ١٦٧ من الجزء الثاني من صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق. وأخرجه أيضاً في ص ٤٩ من الجزء الثاني، وفي ص ١٤٣ من الجزء الأوّل[١].
أمّا مسلم فأخرجه في ص ٣٧٧ من الجزء الثاني من صحيحه في باب: تقديم برّ الوالدين على التطوّع بالصلاة وغيرها، من كتاب البرّ والصلة والآداب[٢].

(٣) كأنّ أبا هريرة لم يعلم أنّ الوضوء لم يكن مشروعاً قبل الإسلام.

---

١. صحيح البخاري ٣: ١٢٦٨، ح ٣٢٥٣؛ و٢: ٨٧٧، ح ٣٢٥٠؛ و١: ٤٠٤، ح ١١٤٨.

٢. صحيح مسلم ٤: ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٧ ـ ٨، بتفاوت في بعض الألفاظ.

قال أبو هريرة: كأنّي أنظر إلى النبيّ ﷺ يمصّ إصبعه، ثمّ مرّت أُمّ الغلام بأمةٍ فقالت: اللهمّ لاتجعل ابني مثل هذه، فترك الغلام ثدي أُمّه فقال: اللهمّ اجعلني مثلها، فقالت له أُمّه: لِمَ ذاك؟ فقال لها: الراكب جبّارٌ من الجبابرة، وهذه الأمة يقول لها الناس: سرقت، زنيت، ولم تفعل. انتهى.

قلت: لم يكن جريج من الأنبياء، وكذلك هذان الطفلان، فلا يمكن أن تصدر على أيديهم خوارق العادات، فإنّ الخوارق إنّما تكون من النبيّين في مقام تعجيز البشر؛ إثباتاً لنبوّتهم، كما هو مقرّر في محلّه.

وكلام هذين المولودين وأخبارهما بالمغيبات ممّا تأباه: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

٣٠. توكيله بحفظ زكاة الفطرة ومجيء الشيطان في ثلاث ليالٍ ليسرق منها

أخرج البخاري بسنده(١) إلى أبي هريرة قال: وكّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ، فجعل يحثومن الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنّك إلى رسول الله. قال: إنّي محتاج وعليّ عيال، ولي حاجة شديدة. قال: فخلّيت عنه، فأصبحت، فقال النبيّ ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرُك البارحة؟» فقلت: يا رسول الله، شكا حاجةً شديدةً وعيالاً، فرحمته فخلّيت سبيله. قال ﷺ: «أما إنّه قد كذبك، وسيعود». قال: فرصدته، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله، قال: دعني فإنّي محتاجٌ وعليّ عيال، لاأعود، فرحمته فخلّيت سبيله، فأصبحت،

(١) في الصفحة الثانية من كتاب الوكالة، وهي ص ٢٩ من الجزء الثاني من صحيحه[2].

١. الروم (٣٠): ٣٠.

٢. صحيح البخاري ٢: ٨١٢ ـ ٨١٣، ح ٢١٨٧ بتفاوت يسير.

فقال لي رسول الله: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله، شكا حاجةً شديدةً وعيالاً، فرحمته فخلّيت سبيله. قال ﷺ: «أما إنّه قد كذبك، وسيعود» قال: فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله، قال: دعني أُعلّمك كلماتٍ ينفعك الله بها، إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنّك لن يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يَقْرَبنّك شيطان حتّى تصبح، فخلّيت سبيله، فلمّا أصبحت قال لي رسول الله: «ما فعل أسيرك البارحة؟» فحكيت له القصّة، فقال: «أتعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟» قلت: لا، قال ﷺ: «ذلك الشيطان!». انتهى.

أقول: هذه خرافة لا يصغي إليها إلّا من ركّ عقله، وطفئت شعلة ذهنه، تدهور أبو هريرة بها في مهواة سحيقة، فإنّ رحمة هذا السارق فرع تصديقه، وفي تصديقه تكذيب لقول رسول الله ﷺ: «أما إنّه قد كذبك» يكرّر ذلك ثلاث مرّات.

وكبا أبو هريرة في هذا الحديث ليديه وفمه من جهة أُخرى؛ إذ حلف بالله ليرفعنّه إلى رسول الله ﷺ، فحنث ولم يرفعه، بل خلّى عنه ورحمه أوّلاً وثانياً وثالثاً، فهل كان الحنث بالأيمان على رأي أبي هريرة مباحاً؟

وهناك سقطة ثالثة، وعثرة لا تقال؛ إذ لم يكن أبو هريرة وكيلاً بالعطاء، وإنّما كان ـ فيما زعم ـ وكيلاً بحفظ الزكاة(١)، فكيف ترك هذا السارق يأخذ منها؟ وهل يجوز للوكيل بحفظ الشيء أن يتسامح في حفظه أوّلاً وثانياً وثالثاً؟ وهل هذا التسامح من الأمانة في شيء؟

---

(١) كما هو صريح قوله في أوّل هذا الحديث: وكّلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان.

وقد صرّح الزركشي وغيره: أنّ أبا هريرة لم يكن وكيلاً بالعطاء، بل بالحفظ خاصّة، فراجع صفحة ٢٣١ من الجزء الخامس من إرشاد الساري للقسطلاني أثناء شرحه لهذا الحديث[1].

---

١. إرشاد الساري ٤: ١٦٦.

وما أغرب ما يحدّثنا به أبو هريرة عن شياطينه ـ وكلّ ما انفرد بـه أبـو هـريرة غريب ـ تارة يزعم أنّهم يسرقون الطعام لعيالهم، وأُخرى أنّ لهـم ضـراطاً إذا سـمعوا الأذان، وثالثة أنّهم يربطون بسارية المسجد فتراهم الناس موثّقين، إلى غير ذلك مـن القصص التي يربأ أُولو العقول الوافرة، والأذهان النيّرة عن سماعها. نعوذ بالله من سبات العقل، وضعف التمييز.

٣١ . إسلام أُمّه بدعاء النبيّ، ودعاؤهﷺ بأن يحبّبها إلى المـؤمنين ويحـبّب المؤمنين إليها

أخرج مسلم(١) بسنده إلى أبي هريرة، قال: كنت أدعو أُمّـي إلى الإسـلام وهـي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول اللهﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله وأنا

(١) في باب فضائل أبي هريرة ص ٣٥٧ من الجزء الثاني من صحيحه[1].
وأخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة في آخر ص ٣١٩ من الجزء الثاني من مسنده[2].
وأخرجه ابن سعد في ترجمة أبي هـريرة ص ٥٤ مـن القـسم الثـاني مـن الجـزء الرابـع من طبقاته[3].
ونقله ابن حجر العسقلاني في ترجمة أُميمة بنت صفيح من إصابته عن مسـلم[4] ونـقله في ترجمة أبي هريرة من الإصابة أيضاً عن أحمد بن حنبل[5]. والحديث موجود في الجمع بين الصحيحين[6] والجمع بين الصحاح الستّة.

١. صحيح مسلم ٤: ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩، كتاب فضائل الصحابة، ح ١٥٨.
٢. مسند أحمد ٣: ٢٠٣ ـ ٢٠٤، ح ٨٢٦٦.
٣. الطبقات الكبرى ٤: ٣٢٨.
٤. الإصابة ٨: ٣٣، الرقم ١٠٨٦٠.
٥. المصدر ٧: ٣٥٥، الرقم ١٠٦٨٠.
٦. الجمع بين الصحيحين ٣: ٦٢٥، ح ٤٣٩٩.

أبكي، قلت: يا رسول الله، أسمعتني أُمّي فيك ما أكره، فادع الله أن يهديها، فقال ﷺ: «اللهمّ اهد أمّ أبي هريرة» فخرجت مستبشراً، فلمّا بلغت الباب فإذا هو مُجافٌ[1] فسمعتْ أُمّي وطء قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ خَضْخَضة الماء، فاغتسلتْ ولبستْ درعها، وعجِلَتْ عن خمارها، ففتحت الباب، ثمّ قالت: يا أبا هريرة، أشهدُ أن لا إله إلّا الله، وأشهدُ أنّ محمّداً عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله وأنا أبكي من الفرح، فقلت: يا رسول الله، أبشر قد استجاب الله دعوتك، فهدى أُمّ أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً. قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يُحَبِّبَني أنا وأُمّي إلى عباده المؤمنين، ويحبّبهم إلينا، قال: فقال رسول الله: «اللهمّ حبّب عُبَيْدَك هذا وأُمّه إلى عبادك المؤمنين، وحبّب إليهم المؤمنين» فما خلق مؤمن يسمع بي، ولا يراني إلّا أحبّني. انتهى.

قلت: في هذا الحديث نظر من وجوه:

أحدها: أنّه لم يروه عن رسول الله ﷺ سوى أبي هريرة، فهو إذن معطوفٌ على سائر ما انفرد به.

ثانيها: أنّه إذا كانت أُمّه على الحال التي ذكرها ـ من الإصرار على الشرك، والإمعان في الكفر ـ تأبى الإسلام، وتنال من رسول الله ﷺ إذا دعيت إليه، فبأيّ أمل هاجرت من اليمن ـ وهي مسقط رأسها ومحلّ أنسها ـ إلى المدينة الطيّبة، وهي دار هجرة النبيّ ومحلّ نصرته ﷺ؟ وهلّا بقيت ـ وحالها هذه ـ في أوطانها عاكفة على أوثانها أُسوة بأهل اليمن في ذلك الزمن؟ فما ذا يقول أولياء أبي هريرة في الجواب عن هذا؟ وليخبروني هل لديهم عن أُمّ أبي هريرة شيء يسند إلى غير أبي هريرة من هجرتها وإسلامها وسائر شؤونها؟ فإن كان لديهم شيء من ذلك فليرشدونا إليه، فإنّي ـ كما يشهد الله ـ لم أجد فيمن كانت له صحبة أحداً ذكر أُمّ أبي هريرة بشيء ما سوى

(١) مأخوذ من أجاف الباب، أي ردّها.

الخليفة الثاني حين عزل أبا هريرة عن البحرين، فقال له: ما رجّعت بك أُميمة إلّا لرعية الحمر. وهذا لا يدلّ على أكثر من معرفة اسمها.

أمّا أصحاب المعاجم والتراجم فقد يذكرونها معتمدين فيما ينقلونه من أحوالها على أبي هريرة لاغير، كما لايخفى.

ثالثها: أنّ أبا هريرة كان من أشدّ مساكين الصفّة فاقةً وفقراً، يلتمس في الطريق صدقة تمسك رمقه، كما مرّ عليك في أحواله على عهد النبوّة. وقد سمعت ثمّة قوله: رأيتني وإنّي لأخرّ فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشيّاً عليّ، فيجيء الجائي، فيضع رجله على عنقي، و يرى إنّي مجنون، ما بي إلّا الجوع[١].

وسمعت اعترافه بأنّه وسائر أهل الصفّة كانوا ضيوف الإسلام لا يأوون إلى أحدٍ ولاعلى أحدٍ؛ إذ لم تكن لهم منازل يأوُون إليها، فكانوا ينامون في المسجد ويظلّون فيه، وكانت صُفّة المسجد مثواهم ليلاً ونهاراً، وأبو هريرة كان أشهر من سكن الصفّة، واستوطنها طول عمر النبيّ، ولم ينقل عنها حتّى مضى ﷺ لسبيله. كما سمعت مفصّلاً، بل كان عريف من سكن الصفّة من القاطنين ومن نزلها من الطارقين[٢]، فمن أين له البيت الذي ذكره في حديثه هذا يا أُولي الألباب؟

رابعها: لو صحّ ما قاله أبو هريرة في هذا الحديث، لكان من أعلام النبوّة، وآيات الإسلام، وأدلّة أهل الحقّ، حيث استجاب الله دعاء النبيّ ﷺ على سبيل الفور، فهدى الله به أُمّ أبي هريرة، وقلب حقيقتها، فإنّها بينا كانت تمعن في الكفر، وتسترسل في الضلال؛ إذا هي من المؤمنات القانتات المؤدّبات بالآداب الشرعيّة(١). وأعلام النبوّة

---

(١) يدلّك على آدابها ما سمعته من غسلها ولبسها درعها قبل فتح الباب، وعجلتها عن خمارها.

---

١ و ٢. تقدّم في الفصل ٣.

كلّها متواترة يحدّث بها كبار الصحابة وصغارهم، فما بالهم يعرضون عن هذه الآيـة، فلم يروها منهم سوى أبي هريرة لو كانت صحيحة؟

خامسها: لو صحّ ما زعمه أبو هريرة من دعاء النبيّ له ولأُمّـه بأن يـحبّبهما إلى المؤمنين ويحبّب المؤمنين إليهما، لأحبّه أهل بـيت النـبوّة ومـوضع الرسـالة، فـإنّهم سادة المؤمنين، وقادة أهل المـلّة والديـن، فـما بـال أئـمّتهم الاثـني عشـر وسـائر علمائهم يرذلونه ويسقطون حديثه، ولا يأبـهون بشـيء مـمّا انـفرد بـه، حـتّى قـال أمير المؤمنين عليه السلام[1]: «ألا إنّ أكذب الناس ـ أوقال: أكذب الأحـياء ـ عـلى رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبو هريرة الدوسي».

ولو كان أبو هريرة في حبّ المؤمنين إيّاه وحبّه إيّاهم ـ كما زعم ـ لما قال له عمر حين عزله عن البحرين[2]: يا عدوّ الله وعدوّ كتابه، سرقت مال الله، إلى آخره. فكيف يكون عدوّ الله وعدوّ كتابه محبّاً للمؤمنين كافّة، ومحبوباً منهم جميعاً؟ وقد ضربه عمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين ثدييه[3] ضربة خرّ بـها لاِسـته. وضـربه بـالدرّة بـعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى أدمى ظهره، وانتزع منه عشرة آلاف سرقها من مال المسلمين،

---

(١) في هذا المعنى أخبار متواترة عن أئمّة العترة الطاهرة[1]، وقـد أرسـل هـذه الكـلمة عـن أمير المؤمنين عليه السلام بالخصوص إمام المعتزلة أبو جعفر الإسكافي، كما في ص ٣٦٠ من المجلّد الأوّل من شرح النهج الحميدي[2].

(٢) مرّ عليك حديث عزله في أحوال أبي هريرة على عهد الخليفتين[3].

(٣) فيما أخرجه مسلم في ص ٣٤ من الجزء الأوّل من صحيحه[4].

---

١. راجع بحار الأنوار ٣٣: ٢١٥، أبواب ما جرى بعد قتل عثمان، الباب ١٧، ذيل الحديث ٤٨٩.

٢. شرح نهج البلاغة ٤: ٦٨.

٣. تقدّم في الفصل ٤.

٤. صحيح مسلم ١: ٥٩ ـ ٦١، كتاب الإيمان، ح ٥٢.

فأرجعها إلى بيت المال. وضربه مرّة ثالثة حين قال له[(١)]: أكثرت يا أبا هريرة من الرواية وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ. وقال له مرّة متغيّظاً: لتتركنّ الحديث أو لألحقنّك بأرض دوسٍ، أوبأرض القردة[(٢)]؟

وهناك نوادر كانت بينه وبين كلّ من عبدالله بن عبّاس وعائشة وغيرهما لا تجتمع مع تبادل المحبّة بينه وبينهم أبداً.

نعم، كانت المحبّة متبادلة في آخر أمره بينه وبين آل أبي العاص، وآل أبي معيط، وآل أبي سفيان، حبّبه إليهم حديثه إذ وجدوا فيه ضالّتهم المنشودة لدعايتهم الكاذبة. وحبّبهم إليه سوابغ نعمهم عليه، إذ أنعشوه بعد الخمول، وأنالوه النضرة بعد الذبول. كان مروان بن الحكم يستخلفه على المدينة[(٣)] كلّما غاب عنها، وهو الذي زوّجه بسرة بنت غزوان[(٤)]، وما كان ليرمقها بطرفه لولا آل أبي العاص وآل أبي سفيان. ولمّا مرض مرض الموت كان مروان يبرّهُ ويصله، وكان

(١) كما في ص ٣٦٠ من المجلّد الأوّل من شرح النهج الحميدي[1].

(٢) أخرجه ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد، وهو الحديث ٤٨٥٧ في ص ٢٣٩ من الجزء الخامس من كنز العمّال[2].

(٣) كما أخرجه في ترجمة أبي هريرة كلّ من ابن سعد في طبقاته، وابن قتيبة في معارفه، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده[3]، كما بيّنّاه إذ ذكرنا أيادي بني أُميّة عليه[4].

(٤) تعرف ذلك من ترجمة بُسرة في إصابة ابن حجر[5].

١. شرح نهج البلاغة ٤: ٦٨.

٢. تاريخ مدينة دمشق ٥٠ : ١٧٢، الرقم ٥٨١٧؛ ٦٧ : ٣٤٣، الرقم ٨٨٩٥؛ كنز العمّال ١٠: ٢٩١، ح ٢٩٤٧٢.

٣. الطبقات الكبرى ٤: ٣٣٦؛ المعارف: ٢٧٨؛ مسند أحمد ٣: ٤٢١، ح ٩٥٥٤؛ ٦٢١، ح ١٠٨٢٣.

٤. راجع الفصل ٨.

٥. الإصابة ٨: ٥١ ـ ٥٢، الرقم ١٠٩٣٨.

مشفقاً عليه، فكان يدعو له بالشفاء حين يعوده، وقد عاده في آخر أيّام حياته، فلمّا انصرف عنه أدركه إنسان، فقال له[(١)]: قضى أبو هريرة. وحين حمل نعشه كان مروان أمام الجنازة[(٢)]، وكان أبناء عثمان يحملون النعش حتّى بلغوا به البقيع، فصلّى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ونعاه إلى عمّه معاوية، فأمره أن يدفع إلى ورثته عشرة آلاف وأن يحسن جوارهم. وهذه صورة تريك عطفهم عليه، ومزيد إحسانهم إليه، وتلمسك انقطاعه إليهم، وعكوفه عليهم، فهل كانوا في اصطلاح أبي هريرة هم المؤمنين، الذين حبّبهم الله إليه، وحبّبه إليهم؟

٣٢ . غلام أبي هريرة في هجرته!

أخرج البخاري[(٣)] بسنده إلى أبي هريرة، قال: لمّا قدمت على النبيّ ﷺ قلت في الطريق:

يا ليلةً من طولها وعنائها   على أنّها من دارة الكُفْر نجَّتِ

قال: وأبق غلام لي في الطريق، فلمّا قدمت على النبيّ ﷺ فبايعته، فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام، فقال لي النبيّ: «يا أبا هريرة، هذا غلامك؟» قلت: هو لوجه الله فأعتَقْتُه. انتهى.

(١) فيما أخرجه ابن سعد في ترجمة أبي هريرة من طبقاته[1].
(٢) كما أخرجه ابن سعد في ترجمة أبي هريرة من الطبقات[2].
(٣) في قصّة دَوْسٍ والطُفَيْلِ بن عمرو الدَوْسي ص ٥٥ من الجزء الثالث من صحيحه. وأخرجه ابن سعد في ترجمة أبي هريرة من طبقاته[3].

١. الطبقات الكبرى ٤: ٣٣٩.
٢. المصدر: ٣٤٠.
٣. صحيح البخاري ٤: ١٥٩٦، ح ٤١٣١؛ الطبقات الكبرى ٤: ٣٢٦.

إنّ أبا هريرة ليحيّر الحواسّ، ويدهش مشاعر الناس، بينا يقول: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لفلان وفلانة بطعام بطني، أسوق بهم إذا ركبوا، وأخدمهم إذا نزلوا، إذا هو يدّعي أنّه يوم هجرته كان يملك غلاماً فأعتقه لوجه الله.

والظاهر أنّه إنّما حدّث بهذا في أواخر حياته، حين كان مغموراً بنعمة مروان وآل أبي سفيان، فنسي حاله يوم الهجرة وقبلها وبعدها، حيث كان طاوياً خاوياً كاسفاً خاسفاً تئطّ أمعاؤه، وتنقّ أحشاؤه، مطروحاً على الطريق يعتمد على كبده من الجوع، ملتمساً صدقة من المارّة تمسك رمقه، كما أفصح عنه إذ قال: والله الذي لا إله إلّا هو إن كنت لأعتمد على كبدي من الجوع، وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع، الحديث، وقد مرّ عليك[1]. وفيه: قعوده على الطريق يلتمس الصدقة.

وقد قال في حديث آخر: رأيتني وأنّي لأخرّ فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشيّاً عليّ، فيجيء الجائي، فيضع رجله على عنقي، ويرى أنّي مجنون وما بي من جنون، ما بي إلّا الجوع[2]. إلى كثير من كلماته الصريحة بأنّه كان ممّن لا يمضّه الهوان، ولا يؤلمه الامتهان، وأنّ غاية مايرجوه شبعة من طعام، فمن أين له الغلام وحاله هذه يا أُولي الألباب؟

ولو قلنا لأبي هريرة: كيف عرفه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمجرّد أن طلع؟ لأحرجنا مقامه؛ إذ لم تكن له صلى الله عليه وآله وسلم معرفة به سابقة، ولعلّ لأبي هريرة جلالة تستوجب الوحي إلى النبيّ في شأنه وشأن غلامه!

---

١. تقدّم في ص ٣٠.

٢. صحيح البخاري ٦: ٢٦٧٠ ـ ٢٦٧١، ح ٦٨٩٣.

٣٣ . قصّة خياليّة ترمي إلى حسن عواقب الصدقة

أخرج مسلم عن أبي هريرة ـ مرفوعاً ـ قال: بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسقِ حديقة فلانٍ، فتَنَحّى ذلك السحاب فأفرغ ماءه كلّه في تلك الحديقة، وإذا رجلٌ قائمٌ في الحديقة، يحوّل الماء بمِسْحَاتِهِ، فقال له: يا عبدالله ما اسمك؟ قال: فلانٌ، للاسم الذي سمعه في السحابة، فقال له: لم تسألني عن اسمي؟ قال: إنّي سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه، يقول له: اسقِ حديقة فلانٍ ـ لاسمك ـ فما تصنع فيها؟ قال: أمّا إذا قلتَ هذا فإنّي أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدّق بثُلُثِه(١). الحديث.

وهذا ممّا تحكم العادة بامتناع وقوعه، وتأباه نواميس الفطرة التي فطرت الأكوان عليها، لكنّ أبا هريرة أفتأته كرواية خياليّة ترمي إلى حسن عواقب الصدقة، وتقوّله على رسول الله ﷺ، كما هي عادته في قصصه الخياليّة وغيرها، فلا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

٣٤ . خياليّة أُخرى ترمي إلى حسن عواقب الوفاء بالشرط

أخرج البخاري عن أبي هريرة ـ مرفوعاً ـ: أنّه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفَه ألف دينارٍ، فقال: ائتني بالشهداء أُشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صَدقْتَ، فدفعها إليه إلى أجلٍ مسمّىً، فخرج في البحر فقضى حاجَتَه، ثمّ التَمَسَ مركباً يركبها يقدَمُ عليه للأجل

(١) أخرجه مسلم في باب الصدقة في المساكين ص ٥٣٣ من الجزء الثاني من صحيحه[1].

١. صحيح مسلم ٤: ٢٢٨٨، كتاب الزهد والرقائق، ح ٤٥.

الذي أجّله، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقَرَها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفةً منه إلى صاحبه، ثمّ زجّج موضعَها، ثمّ أتى بها إلى البحر، فقال: اللهمَّ إنّك تعلم أنّي كنت تسلَّفْتُ فلاناً ألف دينارٍ، فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً فرضي بك، وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً فرضي بك، وإنّي أجهد أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإنّي أستودعُكَها. فرمى بها في البحر حتّى وَلَجَت فيه، ثمّ انصرف فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظر لعلّ مركباً قد جاء بمالِه، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حَطَباً، فلمّا نشرها وجد المال والصحيفة(١). الحديث.

وهو في البُعد إلى حدّ السقوط عن درجة الاعتبار.

على أنّ إلقاء ألف دينار في البحر ممّا لا يبيحه شرع ولا عقل، ولايستوجب براءة ذمّة المدين لو لم يصل المال إليه. والعقلاء يعدّون هذا العمل منه سفهاً أو جنوناً يستوجبان التحجير عليه، ولو فرض وقوع هذا الأمر في بني إسرائيل أو غيرهم فرسول الله ﷺ لا يحدّث به حتّى يعلّق عليه كلمة تستوجب عدم العمل على مقتضاه؛ إذ لو حدّث به من غير تعليق عليه ـ كما في الحديث ـ لأغرى به المؤمنين من اُمّته، وذلك محال عليه ﷺ، لكنّ أبا هريرة صاغه كما تصاغ الروايات الخياليّة، ومرماه الارتباط بالشرط، والوفاء بالعقد، ثمّ تقوّله على رسول الله ﷺ ترويجاً لبضاعته.

---

(١) أخرجه البخاري بهذه الألفاظ في باب الكفالة في القرض والديون، ص ٢٦ من الجزء الثاني من صحيحه، وأخرجه أيضاً بألفاظ اُخر في الاستقراض، واللقطة، والاستئذان، والشروط، والبيع، والزكاة[١]، فراجع.

---

١. راجع صحيح البخاري ٢: ٨٠١، ح ٢١٦٩، و٨٤٧، ح ٢٢٧٤؛ ٨٥٦، ح ٢٢٩٨؛ و ٥: ٢٣١٠، ح ٥٩٠٦؛ و٢: ٩٨٠ ـ ٩٨١، ح ٢٥٨٣، و ٧٢٧ ـ ٧٢٨، ح ١٩٥٧؛ ٥٤٥، ح ١٤٢٧.

٣٥ . خياليّة ثالثة ترمي إلى عواقب شكر النعم وعواقب كفرها

أخرج البخاري(١) عن أبي هريرة ـ مرفوعاً ـ قال: إنّ ثلاثة من بني إسرائيل ـ أبرص وأقرع وأعمى ـ بدا لله ـ عزّ وجلّ ـ أن يبتليهم(٢) فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص، فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟ قال: لونٌ حسن، وجلد حسن قد قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه، فأُعطي لوناً حسناً، وجلداً حسناً، فقال: أيّ المال أحبّ إليك؟ قال: الإبل، فأُعطي ناقةً عشراء، فقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأقرع، فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟ قال: شعر حسن وقد قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب، وأُعطي شعراً حسناً. قال: فأيّ المال أحبّ إليك؟ قال: البقر، فأعطاه بقرة حاملاً، وقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأعمى، فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟ قال: يردّ الله إليّ بصري، قال: فمسحه فردّ الله إليه بصره. قال: فأيّ المال أحبّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه الله شاة والداً، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من إبل، ولهذا وادٍ من بقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

---

(١) في ص ١٧٠ من الجزء الثاني من صحيحه في باب ما ذكر عن بني إسرائيل، في كتاب بدء الخلق[1].

(٢) «بدا» ـ بفتح الباء الموحّدة وفتح الدال المهملة المخفّفة، بعدها ألف مقلوبة عن «واو» بغير همز ـ بمعنى سبق في علم الله الأزليّ ولم يكن ظاهراً للناس فأراد الله عزّ وجلّ إظهاره، وهذا هو البداء الذي تقول به الشيعة الإماميّة وأخطأ من رماهم بالدواهي، والحمد لله إذ وجدنا في حديث أبي هريرة دليلاً عليه، فإنّ خصومنا لا يقنعهم حديث العترة الطاهرة.

---

١. صحيح البخاري ٣: ١٢٦٧، ح ٣٢٧٧، ذكره في كتاب الأنبياء.

ثمّ إنّه أتى الأبرص في صورته وهيئته ـ التي كان الأبرص أوّلاً عليها ـ فقال له: رجل مسكين تقطّعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلّا بالله ثمّ بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمالَ بعيراً أتبلّغ عليه في سفري، فقال له: إنّ الحقوق كثيرة، فقال له: كأنّي أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: ورثت هذا كابراً عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل تقطّعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلّا بالله ثمّ بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاةً أتبلّغ بها في سفري، فقال: كنت أعمى فردّ الله بصري، وفقيراً فأغناني، فخذ ما شئت، فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك فإنّما ابتليتهم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك.

قلت: هذا الحديث من منسوجات أبي هريرة، وقد رقّشه ووَشاه، فكان كأحدث رواية خياليّة يمثّلها المزخرفون على مسارحهم في عصرنا الحاضر، يرمي بها إلى عاقبتي شكر النعمة والكفر بها.

٣٦. خياليّة رابعة ترمي إلى سوء عاقبة الظلم

أخرج الشيخان بسندهما إلى أبي هريرة(١) ـ مرفوعاً ـ قال: دخلت امرأةٌ النار في هرَّةٍ رَبَطتْها، فلم تُطْعِمْها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض. انتهى.

---

(١) راجع ص ١٤٩ من الجزء الثاني من صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق، و أوّل ص ٤٤٥ من الجزء الثاني من صحيح مسلم، في باب سعة رحمة الله، من كتاب التوبة، تجد الحديث[1].

---

١. صحيح البخاري ٣: ١٢٠٥، ح ٣١٤٠؛ صحيح مسلم ٤: ٢١١٠ ـ ٢١١١، كتاب التوبة، ح ٢٦.

وهذا الحديث ممّا أنكرته عائشة على أبي هريرة، فكان ممّا قالت له إذ بلغها: إنّ المؤمن أكرم على الله من أن يعذّبه في هرّة، فإذا حدّثت عن رسول الله فانظر كيف تحدّث[(١)].

قلت: وهذا من رواياته الخياليّة يرمي فيه إلى سوء عواقب الظلم والعدوان.

٣٧ . خياليّة خامسة ترمي إلى حسن عواقب الرحمة

أخرج البخاري عن أبي هريرة[(٢)] يرفعه قال: غُفر لامرأة مومِسَة مرّت بكَلْبٍ على رأس ركيّ يَلْهَث ـ قال: وكاد يقتله العطش ـ فنزعت خفّها، وأوثقَتْه بخمارها، فنزعت له من الماء، فشرب، فغفر لها بذلك.

٣٨ . رواية خياليّة هدفها هدف سابقتها

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ـ يرفعه ـ قال: بينما رجلٌ يمشي في طريقٍ، اشتدّ عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثمّ خرج، فإذا كلبٌ يلهثُ يأكل الثرى من العطش. قال: فنزل الرجل البئر فملأ خُفَّه، ثمّ أمسكه بفِيهِ، فسقى الكلبَ، فشكر الله له وغفر له بذلك[(٣)]. الحديث.

---

(١) هذا الردّ مشهور عن عائشة، وقد رواه عنها شارحو صحيح البخاري ومسلم عند انتهائهم إلى هذا الحديث في شروحهم، فراجع ص ٨٤ من المجلّد السابع من إرشاد الساري[١].

(٢) في ص ١٥٠ من الجزء الثاني من صحيحه، وأخرجه أيضاً في مواضع أُخر[٢].

(٣) تجده في باب رحمة الناس بالبهائم، ص ٣٦ من الجزء الرابع من كتاب الأدب، و في باب فضل سقي الماء، ص ٣٥ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب المساقاة[٣]، فراجع.

---

١. إرشاد الساري ٥: ٣١٤.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٢٠٦، ح ٣١٤٣، و ١٢٧٩، ح ٣٢٨٠.

٣. المصدر ٥: ٢٢٣٨، ح ٥٦٦٣؛ و ٢: ٨٣٣، ح ٢٢٣٤.

وقد تعلم أنّ هذا الحديث والذي قبله إنّما هما من مخيّلة أبي هريرة، يمثّل بهما حسن عواقب العطف والحنان، ويحضّ بهما على البرّ والإحسان.

٣٩ . مسرفٌ كافرٌ غفر له

أخرج مسلم عن معمر، قال: قال لي الزهري: ألا أُحدّثك بحديثين عجيبين؟[١] أخبرني حميد بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة، عن النبيّ قال: «أسرف رجل على نفسه، فلمّا حضره الموت أوصى بنيه، فقال: إذا أنا متُّ فأحرقوني، ثمّ اسحقوني، ثمّ اذروني في الريح في البحر، فو الله لئن قدر عليَّ ربّي[٢] ليعذّبني عذاباً ما عذّب به أحداً، ففعلوا ذلك به، فقال الله للأرض: أدّي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: مخافتك يا ربّ، فغفر له بذلك».

قال الزهري: وحدّثني حميد بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها، فلا هي أطْعَمَتْها ولا هي أرسَلَتْها تأكل من خشاش الأرض»[٣]. الحديث.

قلت: أمّا المرأة ذات الهرّة فإن كانت مؤمنة، كانت ـ كما قالت عائشة ـ أكرم على الله من يعذّبها في النار بهرّة، وإن كانت كافرة فإنّما تعذّب بكفرها.

---

(١) يحقّ للزهري أن يعجب من هذين الحديثين، وأُولو الألباب كلّهم يعجبون منهما.

(٢) تأمّل كلمته هذه تجدها صريحة بأنّه كان لا يؤمن بأنّ ربّه قادر على بعثه بعد إنجاز وصيّته، فهو كافر بذلك.

(٣) تجده في ص ٤٤٤ من الجزء الثاني من صحيح مسلم في باب سعة رحمة الله وأنّها سبقت غضبه، من كتاب التوبة[1].

---

١. صحيح مسلم ٤: ٢١١٠، كتاب التوبة، ح ٢٥.

وأمّا ذلك المسرف فإنّه ـ على ما يقتضيه الحديث ـ لم يكن أهلاً للمغفرة؛ إذ لم يكتف بتمرّده على الله تعالى طيلة حياته، وتجاوزه الحدّ في موبقاته، حتّى مات مصرّاً على تمرّده، يائساً من روح الله، فارّاً من سلطانه، إلى حيث لا تناله على زعمه قدرة الله ـ عزّ سلطانه ـ التي أحاطت بكلّ شيء، ولذلك أوصى تلك الوصيّة البربريّة، فهو كافر بيأسه من رحمة الله وإنكاره لقدرة الله ـ عزّ وجلّ ـ والكافر لا يستحقّ المغفرة، ولا هو لها بأهلٍ؛ إجماعاً وقولاً واحداً.

على أنّ أُسلوب هذا الحديث إنّما هو أُسلوب حكاية خياليّة ترمي إلى عدم اليأس من رحمة الله ولو مع الإسراف، وإلى عدم الأمن من عذاب الله ولو مع الإيمان. وهاتان الحقيقتان في غنىً عن روايات أبي هريرة وخيالاته؛ لثبوتهما بنصّ الذكر الحكيم، والفرقان العظيم ﴿وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لا يَايْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾[١]، ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ﴾[٢] فالسنن المقدّسة تبرأ أنوار أساليبها من هذا الحديث وأُسلوبه، كما لا يخفى.

وأيضاً لو فرض وقوع تلك الوصيّة من ذلك المسرف، وفرض أنّها بمجرّدها كانت سبباً لمغفرة ذنوبه، فرسول الله ﷺ لا يمكن أن يحدّث بها حتّى يعلّق عليها كلمة تحضرها، إذ لو حدّث بها من غير تعليق ـ كما نقله أبو هريرة ـ لأغرى بها المسرفين من أُمّته، و هذا محال، كما لا يخفى.

٤٠. مذنبٌ يتوب إلى الله ثمّ يؤوب إلى ذنوبه، يكرّر ذلك فيقول الله له: اعمل ما شئت فقد غفرت لك

قال أبو هريرة: أذنب عبدٌ ذنباً، فقال: اللهمّ اغفر لي ذنبي، فقال الله ـ تبارك

١. يوسف (١٢): ٨٧.

٢. الأعراف (٧): ٩٩.

وتعالى ـ: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أنّ له ربّاً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب. قال: ثمّ عاد فأذنب، فقال: أي ربّ اغفر لي ذنبي، فقال ـ تبارك [و] تعالى ـ: عبدي أذنب ذنباً، فعلم أنّ له ربّاً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب. ثمّ عاد فأذنب، فقال: أي ربّ اغفر لي ذنبي، فقال ـ تبارك وتعالى ـ: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أنّ له ربّاً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك(١). الحديث.

قلت: وهذا كسابقه معنى ومرمىً وأُسلوباً، نسجته يدا أبي هريرة من غزل مخيّلته، كحكاية العجائز والقصّاصين يرمي به إلى سعة مغفرة الله ـ عزّ وجلّ ـ وسعة مغفرة الله ورحمته في غنى عن الروايات الخياليّة؛ لثبوتها بحكم العقل والنقل، كتاباً وسنّةً، ولإجماع الأُمّة عليها، بل إجماع أهل الأديان كافّةً، بل هي من ضروريّات الإسلام وغيره من سائر الأديان.

وأنت تعلم أن ليس بين الله ـ عزّ وجلّ ـ وبين أحدٍ من خلقه هوادة في حمى حرّمه على العالمين، ألا تراه كيف يقول عزّ من قائل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[1] فكيف يمكن بعدها أن يحابي هذا المذنب الراجع عن توبته مراراً فيقول له: اعمل ما شئت فقد غفرتُ لك؟ وبأيّ شيء استحقّ هذا الضعيف في ذات الله أن ينال هذه الهوادة التي ما نالها الصدّيقون والأنبياء والمرسلون؟

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً، في باب قبول التوبة من الذنب وإن تكرّرت الذنوب و التوبة، ص ٤٤٥ من الجزء الثاني من صحيحه[2] في كتاب التوبة.

---

١. الحاقّة (٦٩): ٤٤ ـ ٤٧.

٢. صحيح مسلم ٤: ٢١١٠، كتاب التوبة، ح ٢٥.

وكم لأبي هريرة من هذه القصص الخياليّة يحدّث بها الطغاة؛ تهويناً لجرائمهم، وتعزية لهم عن موبقاتهم، كقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حضر ملك الموت رجلاً يموت فلم يجد فيه خيراً، وشقّ عن قلبه فلم يجد فيه شيئاً، ثمّ فكّ عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول: لا إله إلّا الله، فغفر الله له»(١). الحديث.

ومن سخافات هذا الرجل قوله: أُقيمت الصلاة، وعدّلت الصفوف، فلمّا قام رسول الله ﷺ في مصلّاه ذكر أنّه جنبٌ(٢). الحديث.

نبرأ إلى الله منه وممّن يجيزه على رسول الله ﷺ، الذي كان في جميع أوقاته على طهور، وكان الوضوء على الوضوء عنده نوراً على نور، وأنبياء الله كافّة منزّهون عن مضمونه، معصومون عمّا هو دونه، ممّا لا يليق بالصدّيقين وصالحي المؤمنين.

ومنها: حديثه(٣) في النهي عن تفضيل النبيّ على موسى.

وحديثه(٤) في أنّ من قال: إنّ رسول الله خيرٌ من يونس بن متّى، فقد كذَبَ.

---

(١) أخرجه الخطيب في ترجمة سعد بن عبد الحميد، ص ١٢٥ من المجلّد ٩ من تاريخ بغداد[١].

(٢) أخرجه البخاري في باب إذا ذكر في المسجد أنّه جنب يخرج ولا يتيمّم، ص ٤١ من الجزء الأوّل من صحيحه[٢].

(٣) الذي أخرجه البخاري في الخصومات ص ٤٠ من الجزء الثاني من صحيحه[٣].

(٤) الذي أخرجه البخاري في باب قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ في ص ٨٢ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب تفسير القرآن[٤].

---

١. تاريخ بغداد ٩: ١٢٥، الرقم ٤٧٤٢.

٢. صحيح البخاري ١: ١٠٦، ح ٢٧١.

٣. المصدر ٢: ٨٤٩ ـ ٨٥٠، ح ٢٢٧٩ ـ ٢٢٨١.

٤. المصدر ٤: ١٦٨١، ح ٤٣٢٧، والآية في سورة النساء (٤): ١٦٣.

وقد أجمعت الأُمّة على تفضيله، وثبت ذلك بالنصوص الصريحة الصحيحة، وقامت عليه الضرورة من دين الإسلام.

وحديثه(١) بأنّه «لن يدخل أحداً عمله الجنّة». قال: قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا».

يضرب بهذا الحديث عرض الحائط لمخالفته كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ في كثير من آياته، وحسبك منها: ﴿إِنَّ هٰذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾[1].

وحديثه(٢) في أنّه «ما بعث نبيّ إلّا ورَعى الغنم». وهذا في البُعد إلى حدّ السقوط.

ومثله حديثه(٣) في أنّ إبراهيمعليه السلام قد اختَتَنَ بالقَدوُم(٤) بعد ثمانين سنة من عمره.

---

(١) الذي أخرجه البخاري في باب تمنّي المريض الموت، من آخر كتاب المرضى، ص ٦ من الجزء الرابع من صحيحه[2].

(٢) الذي أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، ص ٢٢ من الجزء الثاني من صحيحه[3].

(٣) الذي أخرجه البخاري في باب الختان، ص ٦٥ من الجزء الرابع من صحيحه، في أواخر كتاب الاستئذان[4].

(٤) ولعلّ هذا القدوم كان على رأي أبي هريرة ممّا ورثه إبراهيم عن نوح، وأنّه ممّا استعمله نوح في صنع فلكه.

---

١. الإنسان (٧٦): ٢٢.

٢. صحيح البخاري ٥: ٢١٤٧، ح ٥٣٤٩.

٣. المصدر ٢: ٧٨٨، ح ٢١٤٣.

٤. المصدر ٥: ٢٣٢٠، ح ٥٩٤٠.

وحديثه(١) في أنّ عيسى بن مريم عليه السلام رأى رجلاً يسرق، فقال له: أسرَقْتَ؟ فقال: كلّا، والذي لا إله إلّا هو. فصدّقه وكذّب عينيه.

وحديثه: إذ خلق الله آدم فمسح ظهره، فسقط من ظهره كلّ نَسَمَةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة أمثال الذرّ، ثمّ جعل بين عيني كلّ إنسان منهم وبيصاً ـ أي بريقاً ـ من نورٍ، ثمّ عرضهم على آدم، فقال آدم: مَن هؤلاء يا ربّ؟ قال: ذُرّيّتك، فرأى آدم رجلاً منهم أعجبه وبيصُ ما بين عينيه، فقال: يا ربّ من هذا؟ قال: هذا ابنك داود. قال آدم: كم جعلت له من العُمُر؟ قال: ستّين سنة. قال: يا ربّ زده من عمري أربعين سنة حتّى يكون عمره مائة سنة، فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ: إذن يكتب ويختم فلا يبدّل. فلمّا انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت لقبض روحه، قال آدم: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال له ملك الموت: أو لم تجعلها لابنك داود؟ قال: فجحد فجحدَتْ ذرّيّته(٢). الحديث.

ومثله حديثه(٣) عن آدم وموسى حيث مثّلهما يتحاجّان على كيفيّة تدلّ على أنّهما

---

(١) الذي أخرجه البخاري في باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾[1] ص ١٦٨ من الجزء الثاني من صحيحه[2].

(٢) أخرجه الحاكم وصحّحه في ص ٣٢٥ من الجزء الثاني من المستدرك في كتاب التفسير في شرح ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[3]. وأورده الذهبي وصحّحه في تلخيص المستدرك[4].

(٣) الذي أخرجه البخاري في باب وفاة موسى ص ١٦٣ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب بدء الخلق[5].

---

١. مريم (١٩): ١٦.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٢٧١، ح ٣٢٦٠، بتفاوت يسير في بعض الألفاظ.

٣. المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٥، ح ٣٣١٠، والآية في سورة الأعراف (٧): ١٧٢.

٤. التلخيص ضمن المستدرك للحاكم ٢: ٣٢٥.

٥. صحيح البخاري ٣: ١٢٥١، ح ٣٢٢٨، ذكره في كتاب الأنبياء.

كانا من القدريّة الجبريّة، وقد ظهر فيها آدم على موسى فحجّه. إلى كثير ممّا لا يليق بالأنبياء، ويجب تنزيههم عنه.

وما أكثر حديثه في خوارق النواميس الطبيعيّة، وحسبك منها ـ مضافاً إلى ما سمعته آنفاً ـ حديثان نجعلهما خاتمة هذا الفصل:

أحدهما: حديثه إذ كان ـ فيما زعم ـ مع العلاء بن الحضرمي لمّا بعث في أربعة آلاف إلى البحرين، فانطلقوا حتّى أتوا على خليج من البحر ما خاضه قبلهم أحد ولا يخوضه بعدهم أحد.

قال أبو هريرة: أخذ العلاء بعنان فرسه فسار على وجه الماء وسار الجيش وراءه، قال: فو الله ما ابتلّ لنا قدم ولا خفّ ولا حافر(١). الحديث.

وهذا لو كان حقّاً لرواه كلّ واحد من ذلك الجيش المؤلّف من أربعة آلاف صحابي، فكان في طليعة الأحاديث المتواترة، فما باله لا يسند إلّا إلى أبي هريرة يا أُولي الألباب؟

ثانيهما: حديث المِزْوَد إذ قال: أُصبت بثلاث مصيبات في الإسلام لم أُصب بمثلهنّ: موت رسول الله ﷺ وكنت صويحبه، وقتل عثمان، والمِزْوَد. قالوا: وما المِزْوَد، يا أبا هريرة؟ قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال: «يا أبا هريرة، أمعك شيء؟»

---

(١) رواه الشيخ الإمام العلّامة أبوبكر بن محمّد الوليد الفهري الطرطوشي المعروف بابن أبي رندة ـ المتوفّى سنة اثنتين وخمسمائة في الإسكندريّة ـ في كتابه الذي أفرده للدعاء. ونقله عنه الشيخ كمال الدين الدميري في مادّة «البعوض» من كتابه حياة الحيوان[1]، وأشار إلى هذه القصّة صاحبا الاستيعاب والإصابة في ترجمة العلاء وقالا: إنّها مشهورة[2].

---

١. حياة الحيوان: ١٧٢.

٢. الاستيعاب ٣: ١٠٨٥ ـ ١٠٨٧، الرقم ١٨٤١؛ الإصابة ٤: ٤٤٥، الرقم ٥٦٨٥.

قال: قلت: تمرٌ في مِزْوَد. قال: «جئ به» فأخرجت تمراً فأتيته به، قال: فمسّه ودعافيه، ثمّ قال: «ادع عشرة» فدعوت عشرة فأكلوا حتّى شبعوا، ثمّ كذلك حتّى أكل الجيش كلّه وبقي من تمر معي في المِزْوَد، فقال: «يا أبا هريرة، إذا أردت أن تأخذ منه شيئاً فأدخل يدك فيه ولا تكفه» قال: فأكلت منه حياة النبيّ، وأكلت منه حياة أبي بكر كلّها، وأكلت منه حياة عمر كلّها، وأكلت منها حياة عثمان كلّها، فلمّا قتل عثمان انتهب ما في يدي وانتهب المِزْوَد، ألا أُخبركم كم أكلتُ منه؟ أكلت منه أكثر من مائتي وسق.

قلت: لا ريب في أنّ رسول الله ﷺ كان يطعم الجمّ الغفير من الزاد اليسير في كثير من أيّامه المباركة، وذلك من أعلام نبوّته وآيات رسالته، لكن هذا الحديث بالخصوص ممّا صنعته يدا أبي هريرة مدلاّ على السواد من أحزاب بني أُميّة، والغوغاء من أشياعهم العاكفين على قميص عثمان، وأصابع زوجته بالبكاء والعويل؛ ليستنهض معروفهم، ويجتدي برّهم، وهذا من أساليبه المدهشة في تزلّفه إلى بني أُميّة وامتياح فضلهم.

وممّا يدلّك على وضعه أنّ أبا هريرة كان يتلوّن فيه تلوّن الحرباء، ويتطوّر في نقله على أنحاء، كما يعلمه متتبّعو طرق المِزْوَد في مسانيد السنّة وكتبها[1].

---

(١) حديث المِزْوَد أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من طريقين، وأبوبكر البيهقي من طريقين آخرين[1]، وأخرجه غيرهما[2] من طرق أُخر. فليراجعها من أراد الوقوف على ما فيها من التهافت والتناقض الحاكمين بسقوطها. وقد أورد ابن كثير جملة منها في ص ١١٦ من الجزء السادس من البداية والنهاية[3].

---

١. مسند أحمد ٣: ٢٦٧ ـ ٢٦٨، ح ٨٦٣٦؛ دلائل النبوّة ٦: ١٠٩.

٢. كأبي عيسى في الجامع الصحيح ٥: ٦٨٥، ح ٣٨٣٩.

٣. البداية والنهاية ٦: ١٢٨ ـ ١٢٩، ذكر مزودة أبي هريرة.

ولأبي هريرة كيس وسع هذا المزود وغيره، كان عيبة علمه، يتناول منه ما يشاء، متى شاء، وكيف شاء، وربّما سئل عمّا يحدّث، فقال له أبو هريرة: سمعت هـذا مـن رسول الله ﷺ ؟ فيقول: لا، هذا من كيس أبي هريرة(١).

وعجائب أبي هريرة يضيق عنها إملاؤنا هذا، وحسبنا منها ما أوردناه حجّة على ما أردناه، والحمد لله.

---

(١) هذا نصّه من حديث أخرجه عنه البخاري في أوّل كتاب النفقات ص ١٨٩ من الجـزء الثالث من صحيحه[1].

---

١. صحيح البخاري ٥: ٢٠٤٨، ح ٥٠٤٠.

[الفصل] ١٢

مسنده في حكم المرسل

كان من دأب أبي هريرة في حديثه عن رسول الله ﷺ أن يسند إليه ما بلغه عنه بالواسطة لا يقيم عليها قرينة، كما يسند إليه ما سمعه منه مشافهة لا يفرّق بين هذا وذاك في شيء مّا. وهذا ما جعل حديثه كلّه في حكم المرسل لا يصلح حجّةً ولا يقوم دليلاً.

وإن كنت في ريب ممّا قلناه في دأبه فإنّي أُحيلك على قوله: قال رسول الله ﷺ لعمّه أبي طالب: «قل لا إله إلّا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: لولا أنْ تُعَيِّرَني قريشٌ (١). الحديث.

وقد علم الناس أنّ أبا طالب عليه السلام إنّما توفّي قبل قدوم أبي هريرة إلى الحجاز بعشر سنين في أقلّ الروايات، فأين كان عن النبيّ وعمّه عليهما السلام وهما يتبادلان الكلام الذي أسنده إليهما كأنّه رآهما بعينيه، وسمعهما بأُذُنيه؟

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ص ٣١ من الجزء الأوّل من صحيحه[1]، وقد أوردناه وعلّقنا عليه في الفصل السابق من هذا الإملاء[2].

---

١. صحيح مسلم ١: ٥٥، كتاب الإيمان، ح ٤٢.

٢. تقدّم في الفصل ١١، الحديث ٢١.

وقال: قام رسول الله حين أنزل الله عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1] فقال: «يا معشر قريش... لا أُغني عنكم من الله شيئاً»(١). الحديث.

وأُولو العلم بأسرهم مجمعون على أنّ هذه الآية إنّما نزلت في مبدأ الدعوة الإسلاميّة قبل ظهورها في مكّة، وأبو هريرة إذ ذاك في اليمن جاهليّاً، وإنّما أتى الحجاز بعد نزول هذه الآية بنحو عشرين سنة، فأين كان عند نزولها ليقول: قام رسول الله حين نزلت فقال: يا معشر قريش. إلى آخر حديثه الذي أسنده إلى النبيّ، كأنّه رآه قائماً بعينيه، وسمعه ينذر عشيرته بأُذنيه؟

وقال: كان النبيّ يدعو في القنوت فيقول: «اللهمَّ انج سلمة بن هشام، اللهمّ انج الوليد بن الوليد، اللهمّ انج عيّاش بن أبي ربيعة، اللهمَّ انج المستضعفين من المؤمنين» الذين حبسهم المشركون عن الهجرة، في حديث صحيح(٢).

ومن المعلوم بحكم الضرورة من أخبار السلف أنّه إنّما حبس هؤلاء عن الهجرة فقنت رسول الله ﷺ بالدعاء لهم قبل إسلام أبي هريرة بنحو سبع سنين، فأين كان عن رسول الله ﷺ ليسند هذا الحديث إليه كأنّه رآه بعينيه قانتاً، وسمعه بأُذنيه داعياً؟

---

(١) أخرجه البخاري في ص ٨٦ من الجزء الثاني من صحيحه، ومسلم وأحمد[2]، وقد أوردناه وعلّقنا عليه في الفصل السابق من الأصل[3].

(٢) أخرجه البخاري في باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ص ١٠٥ من الجزء الثاني من صحيحه[4].

---

١. الشعراء (٢٦): ٢١٤.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٠١٢، ح ٢٦٠٢؛ صحيح مسلم ١: ١٩٢ ـ ١٩٣، كتاب الإيمان، ح ٣٥١ بتفاوت يسير؛ مسند أحمد ٣: ٢٣٠، ح ٨٤١٠، و٦٠٤، ح ١٠٧٣٠، و٢٨٤، ح ٨٧٣٤ ـ ٨٧٣٥.

٣. تقدّم في الفصل ١١، الحديث ٢١.

٤. صحيح البخاري ٣: ١٠٧٢، ح ٢٧٧٤. رواه أيضاً في المصدر ١: ٣٤١، ح ٩٦١.

قال: وقال أبو جهل: هل يُعَفِّرُ محمّد وجهَهُ بين أظهُرِكم؟ فقيل: نعم[(١)]، الحديث.

فإن كان هذا القول واقعاً من أبي جهل فإنّه إنّما يكون قبل إسلام أبي هريرة وقبل قدومه من اليمن بنحو عشرين سنة، فأين كان عن أبي جهل ليسنده إليه كأنّه سمعه بأُذنيه؟

وأين كان عن وقعة الرجيع وعن أميرها عاصم بن ثابت الأنصاري المستشهد فيها ليحدّث عنها وعنه حديث المشاهد لهما؟[(٢)] وقد كانت تلك الوقعة في صفر سنة أربع للهجرة قبل إسلامه بثلاث سنين تقريباً.

ومن وقف على سيرة أبي هريرة المستمرّة في حديثه علم أنّ دأبه ما قلناه، وحسبك هذا القدر دليلاً على ما ادّعيناه.

وقد انتبه إليه أحمد أمين المصري البحّاثة المعاصر، إذ قال في كلام له[(٣)] حول أبي هريرة: ويظهر أنّه لم يكن يقتصر على ما سمعه من رسول الله ﷺ، بل يحدّث عن رسول الله بما أخبره به غيره.

---

(١) أخرجه مسلم في باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ ص ٤٦٧ من الجزء الثاني من صحيحه[١].

(٢) حديثه عنهما ثابت في الصحاح، فراجعه في كتاب الجهاد والسير، ص ١١٧ من الجزء الثاني من صحيح البخاري[٢].

(٣) تجده في ص ٢٦٢ والتي بعدها من كتاب فجر الإسلام في الفصل الثاني من الباب السادس[٣].

---

١. صحيح مسلم ٤: ٢١٥٤، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ح ٣٨، والآية في سورة العلق (٩٦): ٦.

٢. صحيح البخاري ٣: ١١٠٨ ـ ١١٠٩، ح ٢٨٨٠.

٣. فجر الإسلام: ٢١٩.

قلت: واعترف بهذا أبو هريرة نفسه إذ حدّث عن رسول الله ﷺ بأنّ من أدركه الفجر جُنباً فلا يصم، فلمّا أنكرت عائشة وأُمّ سلمة عليه ذلك جعل الجناح فيه على الفضل بن العبّاس ـ وكان الفضل يومئذٍ ميّتاً[(1)] ـ فقال: سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من النبيّ. وهذا ـ سواء كان حقّاً أم باطلاً ـ اعتراف منه صريح بأنّه كان يسند إلى النبيّ ﷺ ما لا يسمعه منه كما ترى.

فإن قلت: أيّ مانع للعدل أن يسند إلى النبيّ الحديث يسمعه من غيره مرفوعاً إليه ﷺ ؟

قلنا: لا مانع من ذلك غير أنّ الحديث في هذا الفرض لا يكون حجّة، ولا يوصف بالصحّة وإن رواه العدل وإنّما يكون مرسلاً حتّى تعرف الواسطة وتحرز عدالتها.

وبعبارة أُخرى عدالة الراوي شرط في صحّة حديثه، فلابدّ من إحرازها، ولا يمكن ذلك في الواسطة المجهولة.

ومجمل القول في هذا الفصل أنّ في حديث أبي هريرة مراسيل كثيرة لا يمكن الاحتجاج بها، وقد اشتبهت بمسانيده؛ إذ لم يفرّق بينهما في شيء، وهذا ما أوجب سقوط الجميع؛ عملاً بالقاعدة المقرّرة في الشبهات المحصورة.

---

(١) فإنّ هذه القضيّة كانت ومروان بن الحكم أمير على المدينة في عهد معاوية، كما جاء في حديث البخاري عنها في باب: الصائم يصبح جنباً، ص ٢٢٥ من الجزء الأوّل من صحيحه[1]. وبه صرّح شارحو الصحيح كالقسطلاني وغيره[2]. وقد استشهد الفضل يوم أجنادين في خلافة أبي بكر، وقيل: بل يوم مرج الصفر سنة ١٣، وقيل: يوم اليرموك سنة ١٥ في خلافة عمر. وقيل: مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة[3]، ولم يبق حيّاً إلى سنة العشرين إجماعاً وقولاً واحداً.

---

١. صحيح البخاري ٢: ٦٧٩ ـ ٦٨٠، ح ١٨٢٥.

٢. إرشاد الساري ٣: ٣٦٦ ـ ٣٦٧. راجع أيضاً فتح الباري ٤: ١٨٢.

٣. راجع الإصابة ٥: ٢٨٧ ـ ٢٨٨، الرقم ٧٠١٨.

[الفصل] ١٣

دعواه الحضور في وقائع لم يحضرها

وقد اضطرّنا هذا الرجل إلى الريب فيه بدعواه الحضور في وقائع لم يحضرها قطعاً.

وحسبك منها قوله: دخلت على رقيّة بنت رسول الله ﷺ ـ امرأة عثمان ـ وبيدها مشط، فقالت: خرج رسول الله من عندي آنفاً رجلت شعره، فقال لي: كيف تجدين أباعبدالله؟ ـ يعني عثمان ـ قلت: بخير. قال: «أكرميه فإنّه من أشبه أصحابي بي خُلقاً».

أخرجه الحاكم(١) ثمّ قال:

هذا حديث صحيح الإسناد، واهي المتن، فإنّ رقيّة ماتت سنة ثلاث من الهجرة عند فتح بدر، وأبو هريرة إنّما أسلم بعد فتح خيبر.

قلت: وأورده الذهبي في تلخيص المستدرك، ثمّ قال: صحيحٌ منكر المتن، فإنّ رقيّة ماتت وقت بدر، وأبو هريرة أسلم وقت خيبر[1].

(١) في أحوال رقيّة ص ٤٨ من الجزء الرابع من المستدرك[2].

١. التلخيص ضمن المستدرك للحاكم ٤: ٤٨.

٢. المستدرك على الصحيحين للحاكم ٥: ٦٢ـ٦٣، ح ٦٩٣٩.

وقال في سهو النبيّ: صلّى بنا النبيّ ﷺ الظهر أو العصر، فسلّم في ركعتين، فقال له ذو اليدين: أنقصت الصلاة أم نسيت؟[1] الحديث.

وذو اليدين هذا استشهد ببدر قبل أن يسلم أبو هريرة بزمانٍ، كما بيّنّا في الفصل ١١ من هذا الإملاء(١).

وكم كان يتبجّح فيقول: افتتحنا خَيبر، ولم نغنم ذهباً ولا فضّةً، إنّما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط(٢). الحديث.

مع أنّه لم يحضر الفتح إجماعاً وقولاً واحداً، وإنّما جاء بعد الفتح، ولذا ارتبك شارحو الصحيحين عند انتهائهم إلى قوله: افتتحنا خيبر، فحملوا كلمته هذه على التجوّز، وأنّ المراد جنسه من المسلمين(٣).

وكم كان يحدّث فيقول: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال لرجل معه ممّن

---

(١) فراجع منه الحديث ١٣[2].

(٢) أخرجه البخاري في باب غزوة خيبر، ص ٣٧ من الجزء الثالث من صحيحه[3].

(٣) راجع ص ١٥٤ من المجلّد الثامن من شرحي البخاري المطبوعين معاً في اثني عشر مجلّداً، وهما إرشاد الساري للقسطلاني[4] وتحفة الباري للأنصاري[5] تجد التأويل المذكور مع التصريح بأنّ أبا هريرة لم يحضر فتح خيبر. وكذلك فعل السندي فيما علّقه على هذا الحديث من تعليقته المطبوعة في هامش الصحيح[6].

---

١. صحيح البخاري ١: ٤١١ ـ ٤١٢، ح ١١٦٩؛ صحيح مسلم ١: ٤٠٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ٩٧.

٢. راجع ص ١٠٧.

٣. صحيح البخاري ٤ : ١٥٤٧، ح ٣٩٩٣.

٤. إرشاد الساري ٦: ٣٦٢.

٥. تحفة الباري للأنصاري لم تصل إلينا.

٦. حاشية السندي ضمن صحيح البخاري ٣: ٥٤، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.

يدّعي الإسلام: «هذا من أهل النار» فلمّا حضر القتال قاتل الرجل أشدّ القتال، حتّى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس أن يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة، فأهوى بيده إلى كِنانته، فاستخرج منها أسْهُماً فنَحَر بها نفسه(١). الحديث.

قلت: هذا محلّ النظر من وجهين:

أحدهما: دعواه أنّه شهد الوقعة مع رسول الله ﷺ، وقد عرفت أنّه لم يشهدها، ولذلك ارتبك شارحو هذا الحديث، فقالوا:

أمّا قول أبي هريرة: شهدنا مع رسول الله خيبر، فمحمول على المجاز، والمراد جنسه من المسلمين؛ لأنّ الثابت أنّه إنّما جاء بعد أن فتحت خيبر.

انتهى بلفظ الشارح القسطلاني(٢).

ثانيهما: أنّ الرجل الذي قتل نفسه إنّما هو قُزمان بن الحرث حليف ظفر المنافق، كان يقاتل على الأحساب، وقضيّته ـ التي ذكرها أبو هريرة في حديثه هذا ـ معروفة(٣)، وقد قتل بأُحد قبل إسلام أبي هريرة بدهر، لكنّ أبا هريرة قد راب في أمره فخلط الحابل بالنابل.

---

(١) أخرجه البخاري في باب غزوة خيبر، ص ٣٤ من الجزء الثالث من صحيحه، وفي باب: أنّ الله يؤيّد الدين بالرجل الفاجر، من كتاب الجهاد والسير، ص ١٢٠ من الجزء الثاني من الصحيح[1].

(٢) في باب: أنّ الله يؤيّد الدين بالرجل الفاجر، ص ٣٢٢ من الجزء السادس من إرشاد الساري[2].

(٣) وقد ذكرها الواقدي[3] وابن إسحاق[4] وغيرهما، وترجمه ابن حجر في الإصابة[5] وكثير من أصحاب المعاجم والتراجم. ←

---

١. صحيح البخاري ٤: ١٥٤٠، ح ٣٩٦٧؛ و٣: ١١١٤ ـ ١١١٥، ح ٢٨٩٧.

٢. إرشاد الساري ٥: ١٧٦.

٣. المغازي للواقدي ١: ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

٤. لم نعثر عليه في سيرته، ولكن حكاه عنه ابن حجر في الإصابة ٥: ٣٣٥، الرقم ٧١٢٣.

٥. الإصابة ٥: ٣٣٥، الرقم ٧١٢٣.

وقد قال: رأيت سبعين من أصحاب الصفّة ما منهم عليه رداء(١). الحديث.

قلت: استشهد هؤلاء السبعون بأجمعهم يوم بئر معونة، فحزن النبيّ ﷺ عليهم، وقنت شهراً يدعو في الصلاة على قاتليهم، وكانت هذه الوقعة في صفر سنة أربع من الهجرة قبل إسلام أبي هريرة، وقبل قدومه من اليمن، فكيف يدّعي رؤيتهم؟

وقال القسطلاني(٢): إنّ السبعين الذين رآهم أبو هريرة غير أُولئك السبعين، والله تعالى أعلم.

وبالجملة، علمنا من تعقّب أبي هريرة واستقراء حديثه أنّه كان كثيراً مّا يحدّث عن النبيّ ﷺ بما لم يسمعه منه، وكثيراً مّا يحدّث عن الوقائع التي لم يحضرها، وربما ادّعى حضورها، وربما سمع شيئاً من كعب الأحبار أو غيره فراقه فحدّث به عن رسول الله ﷺ، كما فعل في حديث: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستّون ذراعاً

← وقُزمان هذا هو الذي كان في أُحد، لا يدع للمشركين شاذّةً ولا فاذّةً إلّا اتّبعها يضربها بسيفه، حتّى قيل لرسول الله ﷺ يومئذٍ: ما أجزأ عنّا أحد كما أجزأ فلانٌ، فقال النبيّ: «أما إنّه من أهل النار» فجُرح جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثديه، ثمّ تحامل عليه فقتل نفسه. الحديث.

أخرجه البخاري بالإسناد إلى سهل بن سعد في باب لا يقول فلانٌ شهيدٌ، من كتاب الجهاد والسير، ص ١٠١، من الجزء الثاني من صحيحه[١].

(١) أخرجه البخاري في ص ٦٠ من الجزء الأوّل من صحيحه[٢]، وقد أوردناه في أحوال أبي هريرة على عهد النبيّ ﷺ من هذا الإملاء[٣].

(٢) في شرح هذا الحديث صفحة ٢٢٠ من الجزء الثاني من إرشاد الساري[٤].

---

١. صحيح البخاري ٣: ١٠٦١ ـ ١٠٦٢، ح ٢٧٤٢.

٢. المصدر ١: ١٧٠، ح ٤٣١.

٣. تقدّم في الفصل ٣، هناك حكاه عن الجزء الثاني من صحيح البخاري وهو الصحيح.

٤. إرشاد الساري ١: ٤٣٨.

في عرض سبعة أذرع»(١) وهذا ما يضطرّ المؤمن إلى اتّقاء حديث هذا الرجل.

والعجب من أصحاب الصحاح يشحنون بـه مسـانيدهم، لا يـلتفتون إلى لوازمـه الباطلة، ولا يأبهون بما يكتنفه من دلائـل الوضـع والاخـتلاق، ومـن تـتبّع حـديث الصحيحين عجبَ من بساطة الشيخين، وإليك مثلاً يلمسك هذه الحقيقة:

أخرج مسلم في باب فضائل أبي سفيان من طريق عكـرمة بـن عـمّار العـجلي اليمامي: أنّ المسلمين كانوا لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبيّ ﷺ: يا نبيّ الله ثلاثٌ أعطِنيهنّ. قال: نعم. قال: عندي أحسن العرب وأجمله أمّ حبيبة بنت أبي سفيان أُزوِّجُكَها. قال: نعم. قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك. قال: نعم. قال: وتأمرني أن أُقاتل الكفّار كما كنت أُقاتل المسلمين، قال: نعم(٢). الحديث.

اقتصر عليه مسلم في باب فضائل أبي سفيان إذ لم يجد ـ والحمد لله ـ سواه. وهو باطلٌ بالإجماع؛ لأنّ أبا سفيان إنّما دخل في عداد المسلمين يوم فتح مكّة إجـماعاً وقولاً واحداً، وقبل الفتح كان عدوّاً لله ولرسوله ومحارباً لهما.

---

(١) وقد فصّلنا القول فيما يتعلّق بهذا الحديث، إذ أوردناه أوّل الفصل ١١ من هذا الإملاء[1].

(٢) تقف عليه في ص ٣٦١ من الجزء الثاني من صحيحه[2]، وهو من الأبـاطيل التي وضـعها عكرمة اليمامي، وقد جزم بذلك ابن حزم، كما نقله عنه النووي حيث أتى على هذا الحديث في شرح صحيح مسلم[3]، فراجع.

وقال الذهبي في آخر ترجمة عكرمة بن عمّار من ميزان الاعتدال ما هذا نصّه:

وفي صحيح مسلم قد ساق له أصلاً منكراً عن سماك الحنفي، عن ابن عبّاس في الثلاثة التي طلبها أبو سفيان، وثلاثة أحاديث أُخر بالإسناد[4]. انتهى. ←

---

١. تقدّم في الفصل ١١، الحديث ١.

٢. صحيح مسلم ٤: ١٩٤٥، كتاب فضائل الصحابة، ح ١٦٨.

٣. شرح صحيح مسلم للنووي ١٦: ٢٩٦.

٤. ميزان الاعتدال ٣: ٩٠ ـ ٩٣، الرقم ٥٧١٣؛ صحيح مسلم ٤: ١٩٤٥، كتاب فضائل الصحابة، ح ١٦٨.

أمّا بنته أُمّ حبيبة ـ واسمها رملة ـ فقد أسلمت قبل الهجرة، وحسن إسلامها، فكانت ممّن هاجر إلى الحبشة هرباً من أبيها وقومها. وقد تزوّجها رسول الله ﷺ وأبـوها ممعنٌ في الكفر، مسترسلٌ في محاربته للنبيّ، فلمّا بلغه أنّ النبيّ قد تزوّجها قال: ذلك الفحل لا يقدع أنفه.

وقدم بعد ذلك على المدينة يريد أن يزيد في الهدنة، فدخل على بنته أُمّ حبيبة، فلمّا أراد الجلوس على فراشها طوته دونه، فقال لها: رغبت به عنّي؟ فقالت: نعم هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجسٌ مشركٌ[١].

نصّ على هذا كلّه أعلام الأُمّة وأثباتها، وهو ممّا لا ريب فيه، ومن راجع كتب السير والأخبار وقف على أحوال أُمّ حبيبة في كتب المعاجم والتراجم على التفصيل.

وحسبك ما أورده النووي عند بلوغه إلى هـذا الحـديث فـي شرحـه لـصحيح مسلم(١). والحمد لله على الهداية للصواب، والشكـر له إذ جـعلنا مـن أُولي الألبـاب، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم.

← قلت: ومن منكرات عكرمة هذا ما رواه عن أياس، عن أبيه سلمة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «أبو بكر خير الناس» الحديث. رواه ابن عديّ في كتابه الكامل[٢] وهو ـ كما قال الذهبي في أوّل ميزانه[٣] ـ أكمل الكتب وأجلّها في معرفة الضعفاء.

(١) شرح النووي مطبوع في هامش شرحي صحيح البخاري، وهما إرشاد الساري وتحفة البـاري، وما أحلناك هنا عليه من شرح النووي موجود في آخر ص ٣٦٠ وما بـعدها مـن المجـلّد الحادي عشر[٤]، فراجعه لتكون على بصيرة واعجب من ابن الصلاح وهذيانه.

---

١. راجع الطبقات الكبرى ٨: ٩٩ ـ ١٠٠؛ تاريخ مدينة دمشق ٦٩: ١٥٠، الرقم ٩٣٣٨.

٢. الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ٢٧٦، الرقم ١٤١٢.

٣. ميزان الاعتدال ١: ٢، مقدّمة الكتاب.

٤. شرح صحيح مسلم للنووي ١٦: ٢٩٦.

[الفصل] ١٤

إنكار السلف عليه

أنكر الناس على أبي هريرة واستفظعوا حديثه على عهده، إذ أفرط في الإكثار، وانفرد بأُسلوبٍ خاصٍّ يوجب الشكّ فيه؛ فلهذا وذاك كاشفه الناس، وانكروا عليه من حيث كمّيّة حديثه، ومن حيث كيفيّته.

يدلّك على هذا قوله ـ متألّماً متظلّماً ـ: يقولون: إنّ أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدّثون مثل حديثه؟

فيصرّح بأنّ كمّيّة حديثه وكيفيّته كانتا كلتاهما مدار الإنكار، وقد تهدّدهم بالله وبالدار الآخرة على ذلك، إذ قال: والله الموعد، متفجّعاً متوجّعاً منهم حتّى زعم أنّه لولا تكليفه الشرعي، ما حدّثهم بشيء أبداً لسوء ظنّهم به، فقال في آخر الحديث.

والله لولا آيتان في كتاب الله، ما حدّثتكم شيئاً أبداً ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾(١). الحديث، وهو كما ترى صحيح صريح بما قلناه.

---

(١) أخرجه البخاري في أوّل المزارعة وآخر البيوع من صحيحه[1]. وأخرجه مسلم في←

---

١. صحيح البخاري ٢: ٨٢٧، ح ٢٢٢٣، و٢: ٧٢٢، ح ١٩٤٢، والآية في سورة البقرة(٢): ١٥٩.

وأصرح منه ما حدّث به أبو رزين، إذ قال(١): خرج إلينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته فقال: ألا إنّكم تحدّثون أنّي أكذب على رسول الله لتهتدوا وأضلّ. الحديث.

ولمّا أتى العراق مع معاوية عام الجماعة، ورأى كثرة مستقبليه من الناس، جثا على ركبتيه في مسجد الكوفة، وجعل يضرب صلعته مراراً يلفت الناس بذلك إليه، وحين اجتمعوا عليه أهاب بهم: يا أهل العراق، أتزعمون أنّي أكذب على الله و على رسوله فأُحرق نفسي بالنار؟ إلى آخر ما استرسل فيه يومئذٍ من التحامل على الوصيّ؛ تزلّفاً إلى أعدائه في كلام باطل(٢).

وحسبك أنّ في مكذّبيه عظماء الصحابة، قال المعاصر البحّاثة أحمد أمين المصري من كلام له(٣) حول أبي هريرة:

> وقد أكثر بعض الصحابة من نقده على الإكثار من الحديث عن رسول الله ﷺ وشكّوا فيه، كما يدلّ على ذلك ما روى مسلم في صحيحه.

← الصحيح [١] أيضاً، وسنذكره في الفصل الآتي [٢]، فنتوسّع فيما نعلّقه عليه ممّا يقتضيه المقام، إن شاء الله تعالى، فراجع.

(١) فيما أخرجه مسلم في كتاب اللباس، ص ٢١٧ من الجزء الثاني من صحيحه، فراجع منه باب إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين [٣].

(٢) نقله عنه الإمام أبو جعفر الإسكافي من طريق الأعمش، كما في ص ٣٥٩ من المجلّد الأوّل من شرح النهج الحميدي طبع مصر [٤].

(٣) في الفصل الثاني من الباب السادس، ص ٢٦٢ والتي بعدها من كتابه فجر الإسلام [٥].

---

١. صحيح مسلم ٤: ١٩٣٩، كتاب فضائل الصحابة، ح ١٥٩.

٢. سيأتي في بداية الفصل ١٥.

٣. صحيح مسلم ٣: ١٦٦٠، كتاب اللباس والزينة، ح ٦٩.

٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٦٧.

٥. فجر الإسلام: ٢١٩.

ثمّ أورد حديثين أخرجهما مسلم صريحين في نقده والشكّ فيه.

وقال الفاضل المعاصر مصطفى صادق الرافعي المصري من كلام له في هذا الموضوع:

وكان أكثر الصحابة روايةً أبو هريرة. ـ قال: ـ وقد صحب ثلاث سنين، ولهذا كان عمر وعثمان وعليّ وعائشة ينكرون عليه ويتّهمونه، وهو أوّل راوية اتّهم في الإسلام، وكانت عائشة أشدّهم إنكاراً عليه. إلى آخر كلامه(١).

وقال النظّام(٢): أكذب أبا هريرة كلّ من عمر وعثمان وعليّ وعائشة. انتهى.

وحين حاول ابن قتيبة الدفاع عن أبي هريرة والردّ على النظّام لم يستطع إلّا الاعتراف بما نقله النظّام في هذا المقام، وإليك ردّه بعين لفظه، قال(٣):

وأمّا طعن النظّام على أبي هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعليّ وعائشة له، فإنّ أبا هريرة صحب رسول الله ﷺ نحواً من ثلاث سنين، وقد أكثر الرواية عنه، فلمّا أتى من الرواية عنه ما لم يأت بمثله من صحبه من جلّة الصحابة والسابقين الأوّلين إليه اتّهموه، وأنكروا عليه(٤)، وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟ ومن سمعه معك؟ قال: وكانت عائشة

---

(١) فراجعه في مبحث «الرواية بعد الإسلام» ص ٢٨٢ من الجزء الأوّل من كتابه آداب العرب [١].

(٢) فيما نقله عنه ابن قتيبة في ص ٢٧ من كتابه تأويل مختلف الحديث [٢] حيث ذكر أقاويل النظّام في الصحابة.

(٣) في ص ٤٨ من كتابه تأويل مختلف الحديث [٣].

(٤) أراد ابن قتيبة أن يردّ على النظّام، فأيّد قوله ولم يقتصر على ذكر عمر وعثمان وعليّ وعائشة في مكذّبي أبي هريرة حتّى أضاف إليهم بقيّة السابقين الأوّلين، فإنّ «الواو» في: اتّهموه وأنكروا عليه، راجع إليهم جميعاً كما ترى.

---

١. تاريخ آداب العرب ١: ٢٧٤.

٢. تأويل مختلف الحديث: ٣٨ ـ ٣٩.

٣. المصدر: ٢٢.

أشدّهم إنكاراً عليه، لتطاول الأيّام بها وبه. وكان عمر أيضاً شديداً على مَنْ أكثر الرواية، أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه.

إلى آخر كلامه الذي أجراه الحقّ على لسانه، فكان ـ بالرغم عنه ـ مصدّقاً للنظّام فيما نقله عن أُولئك الأعلام. ولا غرو فالحقّ ينطق منصفاً وعنيداً.

أمّا ما زعمه ابن قتيبة(١) من إمساك الصحابة عن أبي هريرة لمّا أخبرهم بمنزلته الخاصّة من رسول الله، فجزافٌ لا يصغى إليه؛ فإنّ عظماء الصحابة يعرفون منزلته بكنهها، فلا حاجة بهم إلى من يعرّفهم بها، فلو كانت له في نفوسهم منزلة الصادقين ما كذّبوه ولا اتّهموه، وقد مرّ عليك حديثه(٢) إذ يخرّ بين المنبر والحجرة مغشيّاً عليه ـ في العهد النبويّ ـ فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقه، يرى أنّه مجنون، وهذا ما لا يجتمع مع احترامه، فضلاً عن سموّ مقامه.

وبالجملة، فإنّ إنكار الأجلّاء من الصحابة والتابعين عليه، واتّهامهم إيّاه، ممّا لا ريب فيه، ما تورّع منهم عن ذلك أحد حتّى مضوا لسبيلهم، وإنّما تورّع الجمهور ممّن جاء بعدهم، إذ قرّروا القول بعدالة الصحابة أجمعين أكتعين أبصعين، ومنعوا من النظر في شؤونهم، وجعلوا ذلك من الأُصول المتّبعة وجوباً، فاعتقلوا العقول بهذا، وسملوا العيون، وجعلوا على القلوب أكنّة، وعلى الأسماع وقراً، فإذاهم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[١].

---

(١) في ص ٥٠ من كتابه تأويل مختلف الحديث[٢].

(٢) في أوائل هذا الإملاء[٣].

---

١. البقرة (٢): ١٨.

٢. تأويل مختلف الحديث: ٤٠.

٣. تقدّم في الفصل ٣.

حاشا أئمّة أهل البيت عليهم السلام فإنّهم أنزلوا الصحابة حيث أنزل الصحابة أنفسهم(١)، فرأيهم في أبي هريرة لم يعدّ رأي عليّ وعمر وعثمان وعائشة. وتبعهم في هذا شيعتهم كافّة ـ القدماء منهم والمتأخّرون ـ من عهد أمير المؤمنين إلى يومنا هذا.

ولعلّ جُلّ المعتزلة على هذا الرأي. قال الإمام أبو جعفر الإسكافي(٢) ما هذا نصّه:

وأبو هريرة مدخول(٣) عند شيوخنا، غير مرضيّ الرواية. ـ قال: ـ ضربه عمر بالدرّة، وقال: قد أكثرت من الرواية، وأحرِ بك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ـ قال: ـ وروى سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم التيمي قال: كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلّا ما كان من ذكر جنّةٍ أو نارٍ.

ـ قال: ـ وروى أبو أُسامة عن الأعمش قال: كان إبراهيم صحيح الحديث، فكنتُ إذا سمعت الحديث أتيتُه فعرضته عليه، فأتيته يوماً بأحاديث من أحاديث أبي صالح عن أبي هريرة، فقال: دعني من أبي هريرة، إنّهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه.

---

(١) قال الفاضل المعاصر أحمد أمين في ص ٢٥٩ من فجر الإسلام:

ويظهر أنّ الصحابة أنفسهم في زمنهم كان يضع بعضهم بعضاً موضع النقد، وينزلون بعضاً منزلة أسمى من بعض، فقد كان منهم إذا روي له حديث طلب من المحدّث برهاناً، بل روي ما هو أكثر من ذلك، فقد روي أنّ أبا هريرة روى حديثاً فلم يأخذ ابن عبّاس بخبره وردّ عليه. وحدّث بحديث فلم تأخذ به عائشة وردّت عليه. وروت فاطمة بنت قيس حديثاً يتعلّق بزوجها فردّه عمر قائلاً: لا نترك كتاب ربّنا وسنّة نبيّنا بقول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت، حفظت أم نسيت. وردّته عائشة أيضاً فقالت لفاطمة: ألا تتّقين الله ؟ قال: ومثل هذا كثير.

(٢) كما في ص ٣٦٠ من المجلّد الأوّل من شرح النهج الحميدي [١].

(٣) أي كان في عقله دخل.

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٦٧ ـ ٦٨.

ـ قال: ـ وقد روي عن عليّ أنّه قال: «إنّ أكذب الناس ـ أو قال: أكذب الأحياء ـ على رسول الله ﷺ لأبو هريرة الدوسي». ـ قال: ـ وروى أبو يوسف أنّه قال: قلت لأبي حنيفة: يجيء الخبر عن رسول الله ﷺ يخالف قياسنا فما نصنع به؟ قال: إذا جاءت به الرواة الثقات عَملنا به وتركنا الرأي، فقلت: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: ناهيك بهما. قلتُ وعليّ وعثمان؟ قال: كذلك. فلمّا رآني أعدّ الصحابة، قال: والصحابة كلّهم عدول ما عدا رجالاً، ثمّ عدّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك.

قلت: وقد علمنا أنّ الإمام أبا حنيفة وأصحابه كانوا يتركون حديث أبي هريرة إذا عارض قياسهم، كما فعلوا في حديثه عن المصرّاة ـ وهي البقرة أو الشاة أو الناقة يجمع اللبن في ضرعها، ويحبس أيّاماً لاتحلب فيها؛ لإيهام المشتري أنّها غزيرة اللبن ـ إذ روي أنّ رسول الله ﷺ قال: لا تصرّوا الإبل والغنم، مَن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين من بعد أن يحلبها، فإن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردّها وصاعاً من تمرٍ، فلم يأبهوا بحديثه هذا وقالوا:

أبو هريرة غير فقيه، وحديثه هذا مخالف للأقيسة بأسرها، فإنّ حلب اللبن من التعدّي، وضمان التعدّي يكون بالمثل أو القيمة، والصاع من التمر ليس واحداً منهما. إلى آخر كلامهم (١).

وعلمنا أيضاً أنّ من رأي أبي حنيفة وأصحابه كافّة بطلان الصلاة بالكلام مطلقاً، ولو عن نسيان أو جهل أو ظنّ المصلّي بأنّه خرج من الصلاة. والفقه الحنفي صريح بهذا الرأي، وعليه سفيان الثوري في أصحّ الروايتين عنه. وهذا ممّا يدلّ على أنْ لا قيمة عندهم لحديث أبي هريرة؛ إذ حدّث بأنّ النبيّ ﷺ سها، فسلّم في الرباعية عن

---

(١) راجعه في مظانّه من فقه الحنفيّة، وقد نقله عنهم الفاضل أحمد أمين في آخر ص ٢٦٣ والتي بعدها من كتابه فجر الإسلام[1].

---

١. فجر الإسلام: ٢٢٠.

ركعتين، ثمّ قام من مصلّاه ودخل حجرته، ثمّ رجع، فقيل له: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال: «لم تقصر ولم أنس» فقالوا: بلى صلّيت بنا ركعتين. وبعد حوارٍ كان بينه وبينهم أيقن بما يقولون، فبنى على الركعتين وأتمّ الصلاة، ثمّ سجد للسهو(١). وبهذا أخذ مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وغيرهم، فأفتوا بأنّ كلام الناسي للصلاة والذي يظنّ أنّه ليس فيها لا يبطلها، لكنّ أبا حنيفة حيث لم يأبه بحديث أبي هريرة أفتى بالبطلان(٢).

ولنختم الفصل بنوادر كانت بين أبي هريرة وبعض الصحابة تلمسك منزلته في نفوسهم.

فمنها: ما ذكره أبو هريرة، إذ قال: لمّا بلغ عمر حديثي استدعاني، فقال لي: أكنت معنا يوم كنّا في بيت فلانٍ؟ فقلت: نعم، وإنّ رسول الله ﷺ قال يومئذٍ: «مَنْ كَذَب عليَّ متعمِّداً فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَه من النار»(٣). الحديث.

---

(١) وقد مرّ حديثه هذا في الفصل ١١، فراجعه وأمعن فيما علّقناه عليه[1].

(٢) وقد نقل النووي في شرح صحيح مسلم بطلان الصلاة في هذا الفرض عن أبي حنيفة وأصحابه، وعن الثوري في أصحّ الروايتين عنه، ونقل عدم البطلان عمّن سواهم، عملاً بحديث أبي هريرة. هذا، فراجع شرح الحديث في آخر ص ٢٣٤ والتي بعدها من الجزء الرابع من شرح النووي[2] المطبوع في هامش شرحي البخاري.

(٣) أخرجه مسدّد في مسنده من طريق خالد بن يحيى، عن أبيه، عن أبي هريرة[3]، ونقله ابن حجر في ترجمة أبي هريرة من الإصابة[4].

---

١. مرّ في الفصل ١١، الحديث ١٣.

٢. شرح صحيح مسلم ٥ ـ ٦: ٦٦ ـ ٦٧، كتاب المساجد والمواضع للصلاة.

٣. لم يصل إلينا.

٤. الإصابة ٧: ٣٥٨ ـ ٣٥٩، الرقم ١٠٦٨.

وهذا من الأدلّة على أنّه لم يكن ممّن يحدّث بحضرة عمر، ولا ممّن كان عمر يراهم أو يسمعهم يحدّثون، وإنّما بلغه حديثه من أفواه الناس فاتّهمه به لغرابته، فاستدعاه لينذره بالنار إذا كذب.

ومنها: أنّه زجره مرّة فقال له[١]: لتتركنّ الحديث عن رسول الله ﷺ أو لأُلحقنّك بأرض دوسٍ أو بأرض القردة.

ومنها: أنّه غضب عليه بإكثاره على رسول الله ﷺ، فضربه بالدرّة ردعاً، وهو يوبّخه بقوله[٢]: أكثرت يا أبا هريرة، وأحْرِبك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ.

ومنها: أنّه عزله عن البحرين بعد أن ضربه فأدمى ظهره، وانتزع منه عشرة آلاف لبيت المال، ووبّخه بكلام فظيع، كما فصّلناه آنفاً[٣].

ومنها: أنّه ضربه على عهد النبيّ ﷺ ضربةً خرّ بها لإسته[٤].

ومنها: أنّ عليّاً لمّا بلغه حديث أبي هريرة قال[٥]: «ألا إنّ أكذب الناس ـ أو قال:

---

(١) فيما أخرجه ابن عساكر، وهو الحديث ٤٨٨٥ في ص ٢٣٩ من الجزء الخامس من كنز العمّال[١]، وتراه صريحاً في أمره بترك الحديث بالمرّة.

(٢) فيما رواه الإمام الإسكافي، وقد مرّ عليك قريباً[٢].

(٣) فراجع أحواله على عهد الخليفتين[٣].

(٤) فيما أخرجه مسلم في ص ٣٤ من الجزء الأوّل من صحيحه[٤].

(٥) فيما رواه أبو جعفر الإسكافي، وقد مرّ عليك قريباً[٥].

---

١. كنز العمّال ١٠: ٢٩١، ح ٢٩٤٧٢.

٢. في ص ٢٢٩.

٣. راجع الفصل ٤.

٤. صحيح مسلم ١: ٥٩ ـ ٦٠، كتاب الإيمان، ح ٥٢.

٥. في ص ٢٣٠.

أكذب الأحياء ـ على رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي».

ومنها: أنّه بلغ عليّاً أنّ أبا هريرة يبتدئ بميامنه، فقال(١): «لأخالفنّ أبا هريرة».

ومنها: أنّ أبا هريرة كان يقول: حدّثني خليلي، ورأيت خليلي، وقال لي خليلي رسول الله، فبلغ عليّاً ذلك فقال له: «متى كان النبيّ خليلك يا أبا هريرة؟!» ينكر عليه قوله هذا، إذ كان سيّء الرأي فيه(٢)، وعليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لن يفترقا حتّى يردا الحوض على رسول الله ﷺ(٣)، وعليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، يدور معه كيف دار(٤).

ومنها: أنّ عائشة دعت أبا هريرة إذ بلغها حديثه، فقالت له: ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنّك تحدّث بها عن النبيّ ﷺ، هل سمعت إلّا ما سمعنا، ورأيت إلّا ما رأينا؟

---

(١) العهدة في هذه الرواية على ابن قتيبة في ص ٢٧ من تأويل مختلف الحديث[1].

(٢) قاله ابن قتيبة في ص ٥٢ من تأويل مختلف الحديث[2].

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني في الأوسط عن أُمّ سلمة مرفوعاً، وهو الحديث ٢٥٢٩ في ص ١٥٣ من الجزء السادس من كنز العمّال[3].

(٤) عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ: «الحقّ مع ذا، الحقّ مع ذا» يشير إلى عليّ، أخرجه أبو يعلى في مسنده، وسعيد بن منصور في سننه، وهو الحديث ٢٦٣٧ في ١٥٧ من الجزء السادس من الكنز[4].

---

١. تأويل مختلف الحديث: ٢٣.

٢. المصدر: ٤١.

٣. المستدرك على الصحيحين ٤: ٩٣، ح ٤٦٨٥؛ المعجم الأوسط للطبراني ٥: ٤٥٤، ح ٤٨٧٧؛ كنز العمّال ١١: ٦٠٣، ح ٣٢٩١٢.

٤. مسند أبي يعلى ٢: ٣١٨، ح ١٠٥٢؛ كنز العمّال ١١: ٦٢١، ح ٣٣٠١٨.

قال: يا أُمّاه، إنّه كان يشغلك عن رسول الله المرآة والمكحلة(١). الحديث.

ومنها: أنّه روى أنّ الكلب والمرأة والحمار تقطع الصلاة، فكذّبته عائشة وقالت: رأيت رسول الله يصلّي وسط السرير وأنا على السرير معترضة بينه وبين القبلة.

ومنها: أنّه روى حديثاً في النهي عن المشي بالخفّ الواحد، فبلغ عائشة ذلك فمشت بخفّ واحد وقالت: لأُخالفنّ أبا هريرة.

ومنها: أنّه روى: من أصبح جنباً فلا صيام له، فردّت عليه عائشة وحفصة وكذّبتا حديثه، فاعترف أبو هريرة لهما، ورجع عن قوله معتذراً بأنّه لم يكن سمع ذلك من رسول الله، وإنّما سمعه من الفضل بن العبّاس، وكان الفضل ـ حين اعتذر بهذا ـ ميّتاً(٢).

ومنها: أنّ رجلين دخلا على عائشة فقالا: إنّ أبا هريرة يحدّث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّما الطيرة في المرأة والدابّة» فطارت عائشة شغفاً، ثمّ قالت: كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم مَن حدّث بهذا عن رسول الله ﷺ(٣). الحديث.

---

(١) أخرجه وصحّحه الحاكم في ص ٥٠٩ من الجزء الثالث من صحيحه المستدرك[١]، وصحّحه الذهبي إذ أورده في تلخيص المستدرك[٢] وعائشة لم تقبل عذره بدليل أنّها ما أمسكت عنه حتّى ماتت.

(٢) تجد حديث الكلب والمرأة والحمار، وحديث: المشي في الخفّ الواحد، وحديث: من أصبح جنباً، في ص ٢٧ والتي بعدها من تأويل مختلف الحديث[٣]، والصواب أنّ اللتين ردّتا حديثه فيمن أصبح جنباً إنّما هما عائشة وأُمّ سلمة، كما نقلناه في الحديث ٢٧ عن صحيح البخاري[٤].

(٣) أورده ابن قتيبة في صفحة ١٢٦ والتي بعدها من تأويل مختلف الحديث[٥].

---

١. المستدرك على الصحيحين ٤ : ٦٤٩، ح ٦٢١٦.

٢. التلخيص ضمن المستدرك للحاكم ٣: ٥٠٩.

٣. تأويل مختلف الحديث: ٢٢ ـ ٢٣، ٩٠.

٤. راجع الفصل ١١، الحديث ٢٧.

٥. تأويل مختلف الحديث: ١٠٤ ـ ١٠٥.

ومنها: أنّه جلس مرّة إلى جنب حجرة عائشة يحدّث عن النبيّ ﷺ وهي مشغولة في سُبحتها، فقالت بعد فراغها: ألا يعجبك أبو هريرة يجلس إلى جنب حجرتي، يحدّث عن النبيّ، يُسمعني ذلك وكنتُ أُسبّح، فقام قبل أن أقضي سُبحتي، ولو أدركته لرددت عليه(١). الحديث.

ومنها: أنّه روى عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «متى استيقظ أحدكم من نومه، فليغسل يده قبل أن يضعها في الإناء؛ فإنّ أحدكم لا يدري أين باتت يده» فأنكرت عائشة عليه(٢)، فلم تأخذ به وقالت: كيف نصنع بالمهراس(٣).

ومنها: أنّ أبا هريرة روى عن رسول الله ﷺ «أنّ من حمل جنازة فليتوضّأ» فلم يأخذ ابن عبّاس بخبره وردّه صريحاً، قال: لا يلزمنا الوضوء في حمل عيدان يابسة(٤).

ومنها: أنّ ابن عمر كان يروي أنّ رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب إلّا كلب صيد، أو كلب غنم، أو ماشية، فقيل لابن عمر: إنّ أبا هريرة يقول: أو كلب زرع، فلم يأبه بذلك ابن عمر، وقال في ردّه: إنّ لأبي هريرة زرعاً. يتّهمه بزيادة كلب الزرع في حديث رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه مسلم في ص ٣٥٨، وفي ص ٥٣٨ من الجزء الثاني من صحيحه في فضائل أبي هريرة، وفي التثبّت في الحديث[1].

(٢) نقل ذلك أحمد أمين ص ٢٥٩ من فجر الإسلام[2]، والإنصاف أنّ إنكار عائشة في هذا على أبي هريرة إنّما يكون متّجهاً؛ لعدم وثاقته، أمّا نقضها عليه بالمهراس فغير متّجهٍ، كما لا يخفى.

(٣) المهراس: حجر منقور ضخم لا يقلّه الرجال ولا يحرّكونه لثقله، يملؤونه ماء ويتطهّرون منه[3].

(٤) رواه جماعة من الأثبات، ونقله الأُستاذ أحمد أمين في ص ٢٥٩ من فجره[4].

---

١. صحيح مسلم ٤: ١٩٤٠، كتاب فضائل الصحابة، ح ١٦٠.

٢. فجر الإسلام: ٢١٦، رواه أيضاً ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث: ١٣٠.

٣. لسان العرب ٦: ٢٤٨، «هـ. ر. س».

٤. فجر الإسلام: ٢١٦.

احتفاظاً بكلبه، واحتياطاً على زرعه، والحديث في صحيح مسلم(١).

ومثله ما في صحيح مسلم أيضاً(٢) عن أبي هريرة مرفوعاً: مَن اتّخذ كلباً إلّا كلبَ ماشيةٍ، أو صيدٍ، أو زرعٍ، انتقص من أجره كلّ يوم قيراط، فذكر لابن عمر قول أبي‌هريرة هذا فقال: يرحم الله أبا هريرة، كان صاحب زرع. يتّهمه بزيادة كلب الزرع؛ إيثاراً لمصلحته.

وقد اتّهمه بهذا أيضاً سالم بن عبدالله بن عمر في حديثٍ أخرجه مسلم أيضاً(٣).

ومنها: أنّ ابن عمر لم يصدّق أبا هريرة في حديثه في القنفذ، وبقي شا كّاً فيه.

ومنها: أنّ ابن عمر سمعه يحدّث بأنّ من اتّبع جنازةً فله قيراط من الأجر، فقال: أكثَرَ علينا أبو هريرة. ولم يصدّقه حتّى بعث إلى عائشة يسألها عن ذلك، فروته له، فصدّق حينئذٍ، والحديث في هذا ثابت(٤).

وكذلك فعل عامر بن شريح بن هاني إذ سمع أبا هريرة يحدّث بأنّ: من أحبّ لقاء

---

(١) راجعه في صفحة ٦٢٥ من الجزء الأوّل من صحيحه[١] في باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخها.

(٢) راجعه في صفحة ٦٢٧ من الجزء الأوّل من صحيحه[٢] في باب تحريم اقتناء الكلاب إلّا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك.

(٣) في صفحة ٦٢٧ من الجزء الأوّل من صحيحه[٣].

(٤) أخرجه مسلم في باب فضل الصلاة على الجنائز واتّباعها ص ٣٤٩ والتي بعدها من الجزء الأوّل من صحيحه[٤]. وأخرج الحاكم في ص ٥١٠ من الجزء الثالث من المستدرك[٥] نحوه.

---

١. صحيح مسلم ٣: ١٢٠٠، كتاب المساقاة، ح ٤٦.

٢. المصدر: ١٢٠٣، كتاب المساقاة، ح ٥٨.

٣. المصدر: ١٢٠٢، كتاب المساقاة، ح ٥٤.

٤. المصدر ٢: ٦٥٣، كتاب الجنائز، ح ٥٥.

٥. المستدرك على الصحيحين ٤: ٦٥١ ـ ٦٥٢، ح ٦٢٢٣.

الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فلم يصدّق أبا هريرة بذلك حتّى سأل عائشة، فروته له وأفهمته المراد منه، والحديث في ذلك ثابت أيضاً[(١)].

ولو أردنا استقصاء الموارد التي رَدّ فيها السلف حديث أبي هريرة، وأنكروا فيها عليه، لطال بنا الكلام، وهذا القدر كافٍ لما أردناه، والحمد لله.

وناهيك تكذيب كلّ من عمر وعثمان وعليّ وعائشة له، وقد تقرّر بالإجماع تقديم الجرح على التعديل في مقام التعارض. على أنّه لا تعارض هنا قطعاً، فإنّ العاطفة بمجرّدها لا تعارض تكذيب من كذّبه من الأئمّة.

أمّا أصالة العدالة في الصحابة فلا دليل عليها، والصحابة لا يعرفونها، ولو فرض صحّتها فإنّما يعمل على مقتضاها في مجهول الحال، لا فيمن يكذّبه عمر وعثمان وعليّ وعائشة، ولا فيمن قامت على جرحه أدلّة الوجدان، فإذن نحن من جرحه على يقينٍ جازمٍ.

سبوح لها منها عليها شواهد.

ونحن الإماميّة لنا في الصحابة رأي هو أوسط الآراء، عقدنا لبيانه في أجوبة[١] موسى جار الله فصلاً مخصوصاً[(٢)]، وعقدنا لتأييده فصلاً آخر[(٣)]، فليراجعها من أراد التحقيق من أُولي الألباب، والحمد لله على الهداية للصواب.

---

(١) أخرجه مسلم ص ٤٢٢ في باب من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، من الجزء الثاني من صحيحه[١].

(٢) تجده في ص ١١ وما بعدها إلى منتهى ص ١٥ من الأجوبة[٢].

(٣) تجده في ص ٢٣ و ما بعدها إلى ص ٢٧ من الأجوبة[٣] أيضاً.

---

١. صحيح مسلم ٤: ٢٠٦٦، كتاب الذكر والدعاء و...، ح ١٧، ،فيه: «...عامر عن شريح بن هاني» وعلى هذا كان السؤال فعل شريح لا عامر.

٢ و٣. راجع الموسوعة ج ٤، أجوبة مسائل موسى جار الله، المسألة الثالثة.

[الفصل] ١٥

احتجاجه على متّهميه

كان أبو هريرة يحتجّ على مكذّبيه ومتّهميه، فيقول(١): يقولون: إنّ أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد. ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدّثون مثل أحاديثه؟ وإنّ إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق، وإنّ إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم! وكنت امرءاً مسكيناً أَلزم رسول الله على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون.

وقال النبيّ ﷺ يوماً: «لن يبسط أحدٌ منكم ثوبه حتّى أقضي مقالتي هذه ثمّ

---

(١) فيما أخرجه في البخاري في آخر المزارعة ص ٣٤ من الجزء الثاني من صحيحه، وأخرجه في البيوع، وفي غير موضع من الصحيح[1]. وكذلك مسلم في عدّة مواضع من صحيحه، وأحمد في مواضع من الجزء الثاني من مسنده[2]. وجميع أصحاب السنن والمسانيد أخرجوه من حديث أبي هريرة بطرق إليه كثيرةٍ، والألفاظ مختلفة.

---

١. صحيح البخاري ٢: ٨٢٧، ح ٢٢٢٣؛ ٢: ٧٢٢، ح ١٩٤٢؛ ٦: ٢٦٧٧، ح ٦٩٢١، والآية في سورة البقرة (٢): ١٥٩ ـ ١٦٠.

٢. صحيح مسلم ٤: ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠، كتاب فضائل الصحابة، ح ١٥٩ و ١٦٠؛ مسند أحمد ٣: ٣٠، ح ٧٢٧٩.

يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً» فبسطت نَمِرةً ليس عليَّ ثوبٌ غيرها حتّى قضى النبيّ ﷺ مقالته، ثمّ جمعتها إلى صدري، فو الذي بعثه بالحقّ، ما نسيتُ من مقالته تلك شيئاً إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدّثتكم شيئاً أبداً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ـ إلى قوله: ـ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

قلت: إنّ أبا هريرة كلّما ازداد مثالة زاده الله رعالة[1]، يريد أن يقنع المنكرين عليه في كمّيّة أحاديثه وكيفيّتها فجاءهم بهذا الحديث؛ تزكيةً لنفسه، واحتجاجاً عليهم، فإذا حجّته جفاء، أو ثَأْطَةٌ مُدَّت بماءٍ[2]،كأنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ سخّره بهذا الحديث حجّةً للمنكرين عليه، ودليلاً على صحّة ما نسبوه إليه، فإنّي ـ وشرف الصدق، وعلوّ مقام الصادقين ـ ما رأيت في كلّ ما صنعته أيدي المخرّفين أبرد من هذا الحديث، ولا أبعد منه عن الصدق، وما كنت لأُلِمَّ به ولا لأُعرّج عليه لو لا أنّ الشيخين وأمثالهما قد نظموه في سلك الصحاح بكلّ ارتياح، وإنّما فعلوا ذلك تعبّداً برأيهم في كلّ صحابيّ، وقد خالفوا في ذلك الأدلّة عقليّةً ونقليّةً، وخالفوا السلف الصالح من أُولي الألباب، كما أوضحناه في كتابنا تحفة المحدّثين[1]، ولنا على بطلان هذا الحديث وجوه:

---

(١) أي كلّما ازداد رزقاً زاده الله حُمقاً.

(٢) الجفاء هنا ما نفاه الباطل، والثأطَةُ: الحمأة. كلّما ازدادت ماء قلّ تماسكها[2].

---

١. للمزيد راجع: الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ١١؛ وج ٥، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، المطلب الثاني، الرقم ٧ من نفائسه المفقودة.

٢. مَثَلٌ يضرب لفاسدٍ يقوّى بمثله، ذكره ابن منظور في لسان العرب ٧: ٢٦٦، «ث. ء. ط».

الأوّل: زعم أنّ المهاجرين كان يشغلهم عن النبيّ ﷺ الصفق بالأسواق(١)، والأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم(٢) فساق السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار كافّة بعصاً واحدةٍ. لقد هزلت[1]، وحنّ قدح ليس منها. وأيّ قيمة للقول بأنّ جميع المهاجرين كان يلهيهم الصفق بالأسواق؟ بعد قوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ...﴾[2] الآية، وهل لمعارض كتاب الله إلّا الضرب بعرض الجدار؟ ومن هو أبو هريرة؟ ليحضر حين يغيب الخصّيصون برسول الله ﷺ، ويحفظ حين ينسون، يقول هذا القول بملء فيه غير متّئد ولا خجل ولا وجل إذ قاله على عهد معاوية، حيث لا عمر ولا عثمان ولا عليّ ولا طلحة ولا الزبير ولا سلمان ولا عمّار ولا المقداد ولا أبوذرّ ولا أمثالهم، كبرت كلمة تخرج من فيه، ما أبعدها عن الصدق!

وقد علم الناس موضع عليّ من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعه في حجره وهو ولد يضمّه إلى صدره، ويكنفه إلى فراشه، ويمسّه جسده، ويشمّه عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمه إيّاه، وما وجد له كذبة في قول، ولا خطلة في عمل. ولقد قرن الله به ﷺ ـ من لدن أن كان فطيماً ـ أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طرق المكارم ومحاسن أخلاق العالم، فكان عليّ يتّبع رسول الله اتّباع الفصيل أثر أُمّه، يرفع

---

(١) الصفق: كناية عن التبايع إذ كان البايعان يتصافقان بالأكفّ، وكان عمر يقول عمّا جهله من السنن: ألهاني عنه الصفق بالأسواق، أي الخروج إلى التجارة، أخرجه في صفحة ٤ من الجزء الثاني من صحيحه، في باب الخروج بالتجارة[3].

(٢) أي إدارة حدائقهم، إذ كانوا أهل نخيل.

---

١. هذا جزء من بيت شعر، تمامه:

لقد هزلت حتّى بدت من هزالها كُلاها وحتّى استامها كلّ مفلسِ

٢. النور (٢٤): ٣٧.

٣. صحيح البخاري ٢: ٧٢٧، ح ١٩٥٦.

له في كلّ يوم من أخلاقه عَلَماً ويأمره بالاقتداء به. ولقد كان معه ـ هو والصدّيقة الكبرى خديجة أُمّ المؤمنين ـ بحراء، فيرى نور الوحي والرسالة، ويشمّ ريح النبوّة. وكان بعد ذلك باب مدينته، وأقضى أُمّته، وعيبة سرّه، ووليّ أمره، ووارث حكمه، وفارج همّه، وصاحب الأُذن الواعية، ومَن عنده علم الكتاب. فهل يمكن أن ينسى من سننه ما حفظه أبو هريرة، أو يكتم منها ما بيّنه أبو هريرة؟ سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ.

على أنّه لم يكن من المهاجرين من يصفق في الأسواق إلّا القليل، وحسبك أبوذرّ والمقداد وعمّار، ورفقاء أبي هريرة في الصفّة، وهم سبعون كانوا ـ كما وصفهم أبو هريرة ـ ما منهم رجل عليه رداء، وإنّما عليه إمّا إزار وإمّا كساء قد ربطوه في أعناقهم، إلى آخر كلامه في وصفهم(١). فما بالهم لم يحدّثوا بمثل أحاديثه، ولم يكثروا كما أكثر، بل لم يكن المجموع من حديثهم كافّة إلّا دون حديثه خاصّة.

وكذا الأنصار لم يكونوا بأجمعهم من أهل الأموال والأشغال كما زعم. وحسبك ممّن لا مال له منهم سلمان الفارسي الذي قال رسول الله ﷺ فيه: «سلمان منّا أهل البيت»[١]، وقال ـ كما في ترجمة سلمان من الاستيعاب ـ: «لو كان الدين عند الثريّا لناله سلمان»[٢].

وقالت عائشة ـ كما في ترجمته من الاستيعاب أيضاً ـ: كان لسلمان مجلس من رسول الله، ينفرد به في الليل، حتّى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) فراجعه في أحواله على عهد النبيّ ﷺ من هذا الإملاء[٤].

---

١. كما في ترجمة سلمان من أُسد الغابة ٢: ٤٩٢، الرقم ٢١٥٠.

٢ و ٣. الاستيعاب ٢: ٦٣٦، الرقم ١٠١٤.

٤. راجع الفصل ٣.

وفي الاستيعاب أيضاً: قال عليّ: «إنّ سلمان الفارسي مثل لقمان الحكيم، علم الأوّل والآخر، بحر علم لاينزف»[١]. وقال كعب الأحبار ـ كما في الاستيعاب وغيره[٢] ـ: سلمان حُشي علماً وحكمةً، إلى آخر ما هو مأثور عنه من أمثال هذه الخصائص.

وقد علم الناس أنّ أبا أيّوب الأنصاري لم يكن له من العيش إلّا بلغة لا تشغله عن علم ولا عن عمل، وكذلك أبو سعيد الخدري، وأبو فضالة الأنصاري، وغيرهم من نظرائهم من علماء الأنصار وعظمائهم رضي الله تعالى عنهم.

على أنّ سيّد الحكماء وخاتم الأنبياء ﷺ لم تكن أوقاته فَوْضَى، وإنّما كانت في الليل والنهار مرتبة للمهمّات، على ما تقتضيه الحكمة في تلك الأوقات، وقد خصّص منها لإلقاء العلم وقتاً لا يعارض أوقات الصفق في الأسواق، ولا أوقات العمل في الأموال. وكان المهاجرون والأنصار لايغيبون في ذلك الوقت أبداً، وهم أحرص على العلم ممّا يخرّفه المخرّفون.

الثاني: لو صحّ ما زعمه أبو هريرة ـ من قول النبيّ ﷺ لأصحابه: «لن يبسط أحد منكم ثوبه حتّى أقضي مقالتي هذه، ثمّ يجمعه إلى صدره، فينسى من مقالتي شيئاً أبداً ـ لَتسابقوا إليه، واجتمعوا بقضّهم وقضيضهم عليه، فإنّه الفضل لا يبلغه الطالب بشدّ الرحال، والعلم لا يناله ببذل الأموال. وما الذي ثبّطهم عن نيله، ومنعهم عن بسط أثوابهم في سبيله؟ وكيف زهدوا في هذه الغنيمة، وضيّعوا على أنفسهم تلك الفوائد العظيمة؟ أترى أنّهم كانوا بهذه المثابة من الزهد في العلم، والرغبة عمّا يدعوهم الرسول إليه؟ كلّا! ما هكذا الظنّ بهم، ولا هذا بمشبه لما كانوا عليه من التعبّد بأوامره، والمبادرة إلى ما يدعوهم إليه.

الثالث: لو صحّ ما زعمه أبو هريرة لعظم ندم الصحابة، وأسفهم على ما ضيّعوه من

---

١. الاستيعاب ٢: ٦٣٦، الرقم ١٠١٤، ولكن لم يذكر فيه: «إنّ سلمان الفارسي مثل لقمان الحكيم».

٢. المصدر ٢: ٦٣٦، الرقم ١٠١٤. وراجع أيضاً الطبقات الكبرى ٤: ٨٥.

ذلك الفضل الكبير، والعلم الغزير، ولتواتر لهفهم على ما أهملوه من بسط أثوابهم لرسول الله حين أنّه لا كلفة فيه ولا مشقّة عليهم، ولندّد بعضهم ببعض، وتلاوموا على تركهم ذلك بسوء اختيارهم، ولتواترت منهم الغبطة لأبي هريرة بالفوز به دونهم، على حين أنّه لم يكن عليه إلّا ثوب واحد، وما منهم من أحد إلّا وعليه ثوبان أو أكثر، فلمّا لم يكن شيء من ذلك، علمنا أنّ هذا من كيس أبي هريرة.

الرابع: لو كان الأمر كما قصّه أبو هريرة، لحدّث به غيره ممّن دعاهم النبيّ ﷺ يومئذٍ إلى بسط أثوابهم، بل لو كان لَعدّه الصحابة والتابعون من أعلام النبوّة، وآيات الإسلام، وأدلّة الدين، ولَتواترت به الأخبار، واشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار، فلمّا لم نجده إلّا في حديث أبي هريرة، عطفناه على واهياته.

الخامس: أنّه قد تناقض كلام أبي هريرة في هذه القصّة، فتارة حدَّث بها كما سمعت، إذ قال ـ فيما رواه الأعرج عنه(١) ـ: إنّ النبيّ ﷺ قال يوماً لأصحابه:

---

(١) الأعرج هو عبدالرحمن بن هرمز، وحديثه هذا عن أبي هريرة موجود في آخر المزارعة، ص ٣٤ من الجزء الثاني من صحيح البخاري[١]؛ وموجود في فضائل أبي هريرة ص ٣٥٧ من الجزء الثاني من صحيح مسلم[٢].

وأخرج البخاري نحوه في أوّل البيوع في الصفحة الأُولى من الجزء الثاني من صحيحه بالإسناد إلى سعيد بن المسيّب وأبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة، ولفظه: أنّ رسول الله قال في حديث حدّثه: «إنّه لن يبسط أحدٌ ثوبه حتّى أقضي مقالتي هذه، ثمّ يجمع إليه ثوبه إلّا وعى ما أقول» فبسطت نمرة عليَّ حتّى قضى مقالته، جمعتها إلى صدري فما نسيت من مقالته تلك من شيء[٣].

---

١. صحيح البخاري ٢: ٨٢٧، ح ٢٢٢٣.

٢. صحيح مسلم ٤: ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠، كتاب فضائل الصحابة، ح ١٥٩.

٣. صحيح البخاري ٢: ٧٢٢، ح ١٩٤٢.

«لن يبسط أحدٌ منكم ثوبه حتّى أقضي مقالتي هذه، ثمّ يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً». قال: فبسطت نَمِرة ليس عليّ ثوب غيرها حتّى قضى النبيّ ﷺ مقالته، ثمّ جمعتها إلى صدري، فو الذي بعثه بالحقّ، ما نسيت من مقالته تلك شيئاً إلى يومي هذا، انتهى بلفظه.

وتارة حدّث بها، فقال ـ فيما رواه عنه المَقْبُري[١] ـ: قلت: يا رسول الله، إنّي أسمع منك حديثاً أنساه، قال ﷺ: «ابسط رداءك» فغرف بيديه[٢]، ثمّ قال: «ضمّه» فضممته، فما نسيت شيئاً بعده. انتهى بنصّه.

وأنت ترى أنّ القصّة على مقتضى الحديث الأوّل ـ حديث الأعرج ـ إنّما كانت بين رسول الله ﷺ وأصحابه، والمبتدئ فيها إنّما كان رسول الله، إذ دعاهم إلى بسط أثوابهم إشفاقاً عليهم من النسيان، وأنّها على مقتضى الحديث الثاني ـ حديث المقبري ـ إنّما كانت بين أبي هريرة خاصّة ورسول الله، والمبتدئ فيها إنّما هو أبو هريرة، حيث شكا نسيانه إلى رسول الله ﷺ.

وأيضاً فإنّ الحديث الأوّل ـ حديث الأعرج ـ يقتضي تخصيص عدم النسيان بتلك

---

(١) هو سعيد بن أبي سعيد، وحديثه هذا عن أبي هريرة موجود في ص ٢٤ من الجزء الأوّل من صحيح البخاري[١]، في باب حفظ العلم من كتاب العلم.

(٢) قال القسطلاني في شرح هذه الكلمة: فغرف بيديه من فيض فضل الله، فجعل الحفظ كالشيء الذي يغرف منه، ورمى به في ردائه. إلى آخر كلامه، فراجعه في ص ٣٧٩ من الجزء الأوّل من إرشاد الساري[٢] في شرح هذا الحديث من صحيح البخاري.

---

١. صحيح البخاري ١: ٥٥، ١١٨.

٢. إرشاد الساري ١: ٢١١.

المقالة فقط(١)؛ لقوله فيه: ما نسيت من مقالته تلك شيئاً، والحديث الثاني ـ حديث المقبري ـ يقتضي العموم في عدم النسيان لكلّ شيء من الأشياء ـ حديثاً كان أم غيره ـ مطلقاً؛ لقوله فيه: ما نسيت شيئاً بعده؛ فإنّ النكرة في سياق النفي حقيقة في العموم.

وقد ارتبك هنا شارحو البخاري، وأُرتجت عليهم أبواب الاعتذار عنه، حتّى قرّر ابن حجر في فتح الباري وقوع هذه القضيّة مرّتين(٢): مرّة كان عدم النسيان فيها مختصّاً بتلك المقالة، وأُخرى كان عدم النسيان فيها عامّاً لكلّ شيء من الأشياء سواءاً كان حديثاً أم كان غيره مطلقاً. وهذا كما ترى(٣).

---

(١) وقع في جامع الترمذي وحلية أبي نعيم[1] التصريح بهذه المقالة، وأنّها كانت ما هذا لفظه: ما من رجلٍ يسمع كلمة أو كلمتين ممّا فرض الله تعالى عليه فيتعلّمهنّ ـ أو يعلّمهنّ ـ إلّا دخل الجنّة.

(٢) قال القسطلاني في شرح هذه الأحاديث في باب حفظ العلم من كتاب العلم، ص ٣٨٠ من الجزء الأوّل من إرشاد الساري ما هذا لفظه:

ويحتمل أن يكون وقعت له ـ أي لأبي هريرة مع النبيّ ـ قضيّتان، فالتي رواها الزهري عن الأعرج مختصّة بتلك المقالة، والتي رواها المقبري عامّة. قال: هكذا قرّره في فتح الباري قال: وهذا من المعجزات الظاهرات حيث رفع ﷺ عن أبي هريرة النسيان الذي هو من لوازم الإنسان حتّى قيل: إنّه مشتقّ منه، وحصول هذا في بسط الرداء الذي ليس للعقل فيه مجال[2].

(٣) فإنّ مثل هذا لو صدر مرّة واحدة ـ فضلاً عن مرّتين أو أكثر ـ لَتواتر الخبر به، فاستطار استطارة البرق، فما بال الصحابة أغفلوه فلم يروه منهم أحد غير أبي هريرة؟

---

١. الجامع الصحيح ٥: ٦٨٤، ح ٣٨٣٧؛ حلية الأولياء ١: ٣٨١، الرقم ٨٥.

٢. إرشاد الساري ١: ٢١١.

على أنّ مسلماً أخرجه(١) من طريق يونس عن ابن المسيّب على وجه ثالث، إذ قال فيه أبو هريرة: فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدّثني بهﷺ. وهذا يقتضي كون عدم النسيان أعمّ ممّا اقتضاه حديث الأعرج، وأخصّ ممّا اقتضاه حديث المقبري(٢).

ونحوه حديث ابن سعد(٣) بسنده إلى عمرو بن مِرْداس بن عبدالرحمن الجندي، عن أبي هريرة، قال لي رسول اللهﷺ: «ابسط ثوبك» فبسطته، فحدّثني النهار، ثمّ ضممت ثوبي إلى بطني، فما نسيت شيئاً ممّا حدّثني. انتهى. لكن قوله فيه: «فحدّثني النهار» لا يوجد في هذا الحديث إلّا من هذا الطريق طريق الجندي فقط، وبه كان مخالفاً لكلّ ما جاء في هذا الموضوع من سائر الطرق إلى أبي هريرة.

وقد أخرجه أبو يعلى من طريق أبي سلمة على وجه خاصّ يخالف سائر الوجوه في سائر الطرق، إذ روى أنّ أبا هريرة جاء يعود النبيّ في شكواه، فسلّم عليه وهو قائم، والنبيّﷺ متساند إلى صدر عليّ، ويد عليّ على صدر النبيّ، يضمّه إليه والنبيّ باسط

(١) في ص ٣٥٨ من الجزء الثاني من صحيحه[١] في فضائل أبي هريرة.

(٢) أمّا كونه أعمّ من حديث الأعرج فواضح؛ لاختصاص عدم النسيان في حديث الأعرج بتلك المقالة فقط. وأمّا كونه أخصّ ممّا اقتضاه حديث المقبري، فلأنّ حديث المقبري يقتضي تعميم عدم النسيان لكلّ شيء من حديث وغيره، وهذا الحديث ـ أعني حديث يونس عن الزهري عند مسلم ـ يقتضي تخصيص عدم النسيان بجميع الأحاديث التي سمعها من النبيّ، دون غيرها من سائر الأشياء، وقد نصّ القسطلاني في ص ٣٨٠ من الجزء الأوّل من إرشاد الساري[٢] على أنّ مسلماً رواه على وجه ثالث، فراجع.

(٣) في صفحة ٥٦ من القسم الثاني من الجزء الرابع من طبقاته[٣] حيث ترجم أبا هريرة.

١. صحيح مسلم ٤: ١٩٤٠، ح ٢٤٩٢، كتاب فضائل الصحابة، ح ١٦٠.

٢. إرشاد الساري ١: ٢١١.

٣. الطبقات الكبرى ٤: ٣٣٠.

رجليه، فقالﷺ: «أُدنُ يا أبا هريرة» فدنا، ثمّ قال: «أُدن يا أبا هريرة» فدنا، ثمّ قال له: «أُدن يا أبا هريرة» فدنا، حتّى مسّت أصابع أبي هريرة أصابع النبيّﷺ، ثمّ قال له: «اجلس» فجلس، فقال له: «أدنِ منّي طرف ثوبك» فمدّ أبو هريرة ثوبه ففتحه وأدناه من النبيّﷺ فقال له النبيّ: «أُوصيك يا أبا هريرة بخصال لا تدعهنّ ما بقيت» قال: أوصني ما شئت، فقال له: «عليك بالغسل يوم الجمعة، والبُكور إليها، ولاَ تـلْغُ، ولا تَلْهَ، وأُوصيك بصيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر، فإنّه صوم الدهر، وأُوصيك بركعتي الفجر لا تدعهما وإن صلّيْتَ الليل كلّه؛ فإنّ فيهما الرغائب» قالها ثلاثاً. ثمّ قال: «ضُمَّ إليك ثوبك» فضمّ ثوبه إلى صدره(١). الحديث.

وأخرج أبويعلى ـ كما في ترجمة أبي هريرة من الإصابة[1] ـ من طريق الوليد بن جميع عن أبي هريرة قال: شكوت إلى رسول اللهﷺ سوء الحفظ فقال: «افتح كساءك» ففتحته، ثمّ قال: «ضمّه إلى صدرك» فضممته، فما نسيت حديثاً بعد.

وأخرج أبويعلى ـ كما في الإصابة[2] أيضاً ـ من طريق يونس بن عبيد، عن الحسن البصري، عن أبي هريرة، أنّ رسول اللهﷺ قال: «مَن يأخذ منّي كلمةً أو كلمتَيْن أو ثلاثاً فيصرّهنّ في ثوبه، فيتعلّمهنّ ويعلّمهنّ؟» قال: فنشرت ثوبي بين يديه وهو يحدّث، ثمّ ضممته فأرجو أن لا أكون نسيتُ حديثاً ممّا قال. انتهى.

قلت: وأخرج أحمد ـ كما في الإصابة[3] أيضاً ـ من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن نحوه.

---

(١) هذا الحديث وسائر الأحاديث التي بعده موجودة بأسرها في ترجمة أبي هريرة من الإصابة[4]، فراجع.

---

١ ـ ٤. الإصابة ٧: ٣٥٦، الرقم ١٠٦٨٠.

وأخرج أبو نعيم(١) من طريق عبدالله بن أبي يحيى، عن سعيد بن أبي هند، عن أبي هريرة، أنّ رسول الله ﷺ قال: «يا أبا هريرة، ألا تسألني عن هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟» فقلت: أسألك أن تعلّمني ممّا علّمك الله، قال: فنزعت نَمِرَة على ظهري، فبسطتها بيني وبينه، حتّى كأنّي أنظر إلى القمّل يدبّ عليها، فحدّثني حتّى استوعبت حديثه، قال: «اجمَعْها فصِرْها إليك» فأصبحت لا أُسقط حرفاً ممّا حدّثني. انتهى.

ومن ألمّ بهذا الحديث من جميع الطرق، وجده مختلف الألفاظ والمعاني باختلاف طرقه لا تتجارى معانيه ولا ألفاظه إلى غاية، ولا تتساير في حلبة، يصدم كلّ منها الآخر فإذا هو زاهق، والحمد لله ربّ العالمين.

السادس: أنّه قال: فبسطت نَمِرة ليس عليَّ ثوب غيرها، فيقتضي على الظاهر أن تبدو سوأته، لكنّ القسطلاني وزكريّا الأنصاري تأوّلا كلامه، إذا بلغا إليه في آخر المزارعة من شرحيهما، فحملاه على أنّه بسط بعض النمرة لئلّا تنكشف عورته.

السابع: أنّ هذه الحكاية في ذاتها تشبه قصص المخرّفين، ولا تكاد تمتاز عن خلط الدجّالين، وحاشا لله أن تمتزج بمعجزات الرسول، أو يصدّق بنسبتها إليه أصحاب العقول، فإنّ معجزاته ﷺ بهرت أُولي النهى بأنوار حقيقتها، وقهرت جبابرة الأرض بحسن أُسلوبها واعتدال طريقتها، فظلّت أعناقهم لها خاضعين.

ضرب بيده ﷺ على صدر عليّ ـ لمّا بعثه قاضياً إلى اليمن ـ فقال(٢): «اللهمّ اهد قلبه، وسدّد لسانه» قال عليّ عليه السلام: «فوالله ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين».

---

(١) في ص ٣٨١ في ترجمة أبي هريرة من حلية الأولياء[1]، فراجع.

(٢) كما في ترجمة عليّ من الاستيعاب وغيره[2]، وأخرجه أصحاب المسانيد بطرقهم وأسانيدهم.

---

١. حلية الأولياء ١: ٣٨١، الرقم ٨٥.

٢. الاستيعاب ٣: ١١٠٠، الرقم ١٠٨٩. راجع أيضاً: الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٧؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٣٦٩، ح ٣٢٠٧١؛ ٧: ٣٩٤ـ ٣٩٥، ح ٣٦٨٧٢.

ولمّا أنزل الله عزّ سلطانه ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[1] قالﷺ[(١)] مخاطباً لعليّ: «سألت الله أن يجعلها أُذنك» قال عليّ: «فما نسيت شيئاً بعدها، وما كان لي أن أنسى».

وقالﷺ يوم خيبر حين أخذ الراية عليّ؈: «اللهمَّ اكفه الحرّ والبرد» قال عليّ[(٢)]: «فما آذاني بعدها حرّ ولا برد» وكان بعد ذلك يخرج في الشتاء في إزار ورداء وثوبين خفيفين، وفي الصيف يخرج في القباء المحشوّ والثوب الثقيل؛ إظهاراً لمعجزة رسول اللهﷺ، وإلفاتاً إليها على الدوام.

ولمّا شكا جابر إليهﷺ دَيناً كان على أبيه، انطلق معه إلى بيدر تمره فمشى حوله ودعا بالبركة فيه، ثمّ جلس عليه وحضر الغرماء فأوفاهم الذي لهم، وبقي لجابر وذويه مثل ما كانوا يستغلّون. وهكذا كانﷺ إذا أراد بأحد خيراً دعا له، وإذا أراد به غير ذلك دعا عليه، كما فعل بمعاوية إذ قالﷺ: «لا أشبع الله له بطنه»[2] وكما فعل مع الحكم بن أبي العاص وما عهدناهﷺ يفعل شيئاً يشبه الذي حكاه أبو هريرة، حاشا حكمته التي تستصبح بها البصائر الضالّة، وتنكشف بها معالم الهدى فتحلّ عقد الأشكال، وتمزق ظلمات الغيّ والضلال.

---

(١) هذا مذكور في كشّاف الزمخشري، وفي تفسير الثعلبي والرازي وغيرهما[3]، فراجع.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، وابن أبي شيبة، والبزار، وابن جرير وصحّحه[4]، كما في صفحة ٤٤ من الجزء الخامس من منتخب كنز العمّال المطبوع في هامش مسند أحمد[5].

---

١. الحاقّة (٦٩): ١٢.

٢. صحيح مسلم ٤: ٢٠١٠، كتاب البرّ والصلة والآداب، ح ٩٦.

٣. الكشّاف ٤: ٦٠٠؛ الكشف والبيان ١٠: ٢٨؛ التفسير الكبير ١٥ (الجزء الثلاثون): ١٠٨، ذيل الآية ١٢ من سورة الحاقّة (٦٩)، راجع أيضاً: مناقب عليّ بن أبي طالب؈: ٣٣٨، ح ٥٦٨ ـ ٥٧٠؛ المناقب للخوارزمي: ٢٨٢ ـ ٢٨٣، ح ٢٧٧ ـ ٢٧٨، ينابيع المودّة ١: ٢٦٠ ـ ٢٦١، الباب ٣٩، ح ٢٤ ـ ٢٥.

٤. حكاه عنهم المتّقي الهندي في كنز العمّال ١٣: ١٢١ ـ ١٢٢، ح ٣٦٣٨٨. راجع أيضاً المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٣٦٩.

٥. منتخب كنز العمّال ٤: ٦٥٨، فضائل عليّ؈.

[الفصل] ١٦

نظرة في فضائله

تتبّعنا الأسانيد فيما يرسله الناس في فضائل أبي هريرة، فلم نجد لها مصدراً في الأغلب سواه، وإليك مثلاً يلمسك هذه الحقيقة:

قال صاحب الاستيعاب[١] في أحواله:

أسلم أبو هريرة عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ ثمّ لزمه وواظب عليه رغبة في العلم، راضياً بشبع بطنه، فكانت يده في يد رسول الله، وكان يدور معه حيث دار. وكان من أحفظ أصحاب رسول الله، كان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار؛ لاشتغال المهاجرين بالتجارة، والأنصار بحوائطهم. وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنّه حريص على العلم والحديث، وقال له: يا رسول الله، إنّي سمعت منك حديثاً كثيراً وأنا أخشى أن أنسى، فقال ﷺ: «ابسط رداءك» قال: فبسطته فغرف فيه. ثمّ قال: «ضمّه» فضممته، فما نسيت شيئاً بعد. انتهى.

قلت: هذه الفضائل ونحوها ليست إلّا مضامين أحاديث كان أبو هريرة يحدّث بها عن نفسه، ولم نجد لها مستنداً سواه، وهكذا سائر خصائصه إنّما أُخذت عنه، كما يعلمه المتتبّعون.

---

١. الاستيعاب ٤: ١٧٧١، الرقم ٣٢٠٧.

ولنوضح هذه الجملة فنقول: أمّا إسلامه عام خيبر فمسلّم ؛ لثبوته من حديث غيره.

وأمّا كونه شهدها مع رسول الله ﷺ فلم يُروَ إلّا عنه، وأهل العلم يتأوّلون دعواه الحضور، كما أوضحناه سابقاً[١].

وأمّا لزومه لرسول الله، ومواظبته عليه رغبةً في العلم، ورضاً بشبع بطنه، وأنّ يده كانت في يده يدور معه حيث دار، فأُمور كان أبو هريرة يدّعيها، فالعهدة فيها عليه، إذ قال(١): قدمت المدينة ورسول الله بخيبر وأنا يومئذٍ قد زدت على الثلاثين، فأقمت معه حتّى مات، وأدور معه في بيوت نسائه !(٢) وأخدمه، وأغزو معه، وأحجّ !(٣) وكنت أعلم الناس بحديثه ! وقد والله سبقني قوم بصحبته، فكانوا يعرفون لزومي له، فيسألونني عن حديثه، منهم عمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير. إلى آخر كلامه.

قلت: لعلّ أُولي الألباب يعجبون من جرأة أبي هريرة على التحديث بمثل هذا، لمخالفته الواقع، وبُعده عن الصدق، لكن من عرف الحقيقة علم أنّه ما كان ليحدّث به

---

(١) فيما أخرجه ابن سعد بالإسناد إلى أبي هريرة، كما في ترجمته من الإصابة[٢].

(٢) إنّ من عرف النبيّ ﷺ وأنَفَته من دخول الرجال على نسائه لا يمكن أن يصدّق بهذا أبداً.

(٣) قوله: «وأحجّ» ظاهر في استمراره على الحجّ معه ﷺ مرّة بعد أُخرى، وهذا عارٍ عن الحقيقة؛ فإنّ رسول الله ما حجّ بعد الهجرة سوى حجّة الوداع. ولو قال: وحججت معه، لكان ممكن الوقوع.

---

١. تقدّم في الفصل ١٣.

٢. الطبقات الكبرى ٤: ٣٢٥؛ الإصابة ٧: ٣٥٩، الرقم ١٠٦٨٠.

على عهد الشيوخ والعلماء والعظماء منهم، وإنّما اجترأ على التحديث به و بأمثاله بعد موت أكثر الصحابة، وفتح الشام والعراق ومصر وأفريقيا وفارس وغيرها من الأمصار، حيث قلّت الصحابة وكثر مسلمو الفتوحات الذين لا إلمام لهم بشيء ممّا كان على عهد النبوّة، فكأنّه حينئذٍ وسائر الكِذابة وجدوا أنفسهم في عالم آخر لا يعرف شيئاً ممّا كان في الصدر الأوّل، ورأوا عالمهم الجديد يصدّقهم ويتعبّد بما سمعه منهم، لكونهم في نظره من البقيّة الباقية من أصحاب رسول الله، الأُمناء على سننه والموكول إليهم تبليغها، وكانت السلطة الأُمويّة بذلت في تأييدهم جهدها، فتسنّى لهم بهذه الأسباب كلّها أن يحدّثوا بما حدّثوا به من الواهيات والمنكرات، وبما لا يجوز شرعاً، وبما لا يمكن عقلاً، وبكلّ سخافة، وبكلّ باطل حسبما اقتضته أغراضهم، أو أوجبته دعاية الظالمين الذين اتّخذوا دين الله دغلاً، وعبادالله خولاً، ومال الله دولاً. وكانت هذه الكذابة قد اتّصلت بأسباب أُولئك الغاشمين، فتوسّلت إليهم بالطامّات، فأرضعوها أخلاف برّهم، وأوّلوها فوق ذلك أنّهم أنفقوا في تأييدها قواهم الجبّارة، إذ كانت ـ ولا سيّما على عهد معاوية ـ أداة من أدواتهم، بل كانت لسان دعايتهم، وعين تجسّسهم ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[1].

وإنّي وأيم الله لا ينقضي عجبي من البخاري ومسلم وأحمد وأمثالهم ممّن يرجعون إلى عقل أصيل ورأي جميع، ثمّ ينقادون انقياد الأكمه الأبله إلى ما يشاء أبو هريرة وأمثاله، فهل في إمكانهم أن يعلموا متى سأله عليّ وعمر وعثمان وطلحة والزبير وغيرهم من أهل السوابق؟ وهل كان سؤالهم إيّاه في اليقظة أو في النوم أو في عالم الخيال؟ وأيّ حديث سألوه عنه؟ ومن روى هذا عنهم غير أبي هريرة؟ وأيّ

١. البقرة (٢): ٧٩.

رجلٍ من أهل المعاجم والتراجم أومن غيرهم عدّ واحداً من هؤلاء في زمرة من روى عن أبي هريرة ولو حديثاً واحداً ؟(١) ومتى كان هؤلاء يأبهون بحديثه؟ فإنّا ما عهدناه يحدّث في مجالسهم، وما كان ليجرأ على الحديث بحضورهم، وكانوا يرذلونه ويكذّبونه، كما سمعته مفصّلاً[١].

ولنرجع الآن إلى ما ذكره ابن عبدالبرّ في ترجمة أبي هريرة[٢]، فنقول:

وأمّا قوله: وكان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ، فإنّه مأخوذ من قول أبي هريرة في الحديث السابق: وكنت أعلم الناس بحديثه.

وأمّا قوله: كان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار، فإنّه مأخوذ من حديثه الذي ذكره فيه بسط النَمِرة، وقد بيّنّاه سابقاً[٣]، وعلّقنا عليه ما نلفت كلّ بحّاثة إليه...

وأمّا قوله: بأنّه قد شهد له رسول الله ﷺ بأنّه حريص على العلم والحديث، فإنّما هو مأخوذٌ من قول أبي هريرة: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال ﷺ: «لقد ظننتُ أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولى

---

(١) قد أحصى الحاكم[٤] في ترجمة أبي هريرة من روى عنه من الصحابة، فكانوا ثمانية وعشرين رجلاً، ليس فيهم عليّ ولا عمر ولا عثمان ولا طلحة ولا الزبير، أمّا غيرهم من الصحابة فإنّما رووا عنه أُموراً تتعلّق بالجنّة والنار، أو بالأخلاق والحضّ على العلم، دون الأحكام التكليفيّة.

---

١. راجع الفصل ١٤.

٢. تقدّم في ص ٢٥٠.

٣. راجع الفصل ١٥.

٤. المستدرك على الصحيحين ٤: ٦٥٤، ح ٦٢٣٣.

منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث»(١).

ومن خصائصه التي تداولتها أقلام مترجميه: المِزْوَد الذي أكل منه أكثر من مائتي وسق تمراً؛ وغلامه الآبق الذي أعتقه لوجه الله؛ وحفظه وعاءين من العلم بثّ أحدهما وكتم الآخر؛ ودعاء رسول الله ﷺ له ولأُمّه؛ ومشيه على وجه الماء حتّى عبر خليجاً من البحر فما ابتلّ له قدم، إلى غير ذلك من المضحكات المبكيات في آنٍ واحدٍ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة، ونقله ابن حجر في ترجمة أبي هريرة من الإصابة، وكان أبو هريرة يقول ـ كما في ترجمته من الإصابة ـ: صحبت رسول الله ثلاث سنين لم يكن أحد أحرص على أن يعي الحديث عنه منّي[1].

---

١. صحيح البخاري ١: ٤٩، ح ٩٩؛ الإصابة ٧: ٣٥٤ ـ ٣٥٥، الرقم ١٠٦٨٠.

[الفصل] ١٧

نوادره

أخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة(١) عن محمّد بن زياد قال: كان مروان ـ أيّام ولايته على المدينة في خلافة معاوية ـ يستخلف أبا هريرة على المدينة، فيضرب برجليه، فيقول: خلّوا الطريق، خلّوا الطريق، قد جاء الأمير، قد جاء الأمير. يعني نفسه.

وأخرج ابن قتيبة الدينوري في ترجمة أبي هريرة من معارفه(٢) عن أبي رافع قال: كان مروان يستخلف أبا هريرة على المدينة، فيركب حماراً قد شدّ عليه برذعة في رأسه خلبة من ليف، فيسير فيلقى الرجل، فيقول: الطريق! قد جاء الأمير. قال: وربّما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب، فلا يشعرون بشيء

(١) ص ٤٣ من الجزء الثاني من مسنده[1].

(٢) في ص ٩٤ منها[2].

١. مسند أحمد ٣: ٣٨١، ح ٩٣١٦، و ٤٢٢، ح ٩٥٥٩.

٢. المعارف: ٢٧٨.

حتّى يلقي نفسه بينهم، ويضرب برجليه(١). الحديث.

وأخرج أبو نعيم(٢) بسنده إلى ثعلبة بن أبي مالك القرظي، قال: أقبَلَ أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذٍ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك، فقلت له: يكفي هذا، فقال: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه. انتهى.

وأخرج أبو نعيم أيضاً(٣) من طريق أحمد بن حنبل، عن عثمان الشحّام، عن فرقد السبخي، قال: كان أبو هريرة يطوف بالبيت ـ أعزّه الله تعالى ـ وهو يقول: ويل لي [من] بطني إذا أشبعته كظّني، وإن أجعته سبّني.

وعن ربيع الأبرار للزمخشري قال: كان أبو هريرة يقول: اللهمَّ ارزقني ضرساً طحوناً، ومعدةً هضوماً(٤)، ودبراً نثوراً.

---

(١) وأخرجه أيضاً ابن سعد بأسانيد متعدّدة في ترجمة أبي هريرة آخر ص ٦٠ من القسم الثاني من الجزء الرابع من الطبقات[1].

(٢) في أحوال أبي هريرة صفحة ٣٨٢ من الجزء الأوّل من حلية الأولياء[2].

(٣) في أحوال أبي هريرة من كتابه حلية الأولياء ص ٣٨٢ من جزئه الأوّل[3].

(٤) بزنة فعول، يستوي فيها المؤنّث والمذكّر كرغوث، نقله عن ربيع الأبرار[4] جماعة من الأثبات، كالشيخ القمّي في أحوال أبي هريرة من كتاب الكنى والألقاب[5].

---

١. الطبقات الكبرى ٤: ٣٦٦.

٢. حلية الأولياء ١: ٣٨٥، الرقم ٨٥.

٣. المصدر: ٣٨٢، الرقم ٨٥.

٤. ربيع الأبرار ٢: ٦٨٠.

٥. الكنى والألقاب ١: ١٨٠.

وعن ربيع الأبرار أيضاً(١) قال: وكان يعجبه ـ يعني أبا هريرة ـ المَضيرَة جدّاً، فيأكلها مع معاوية، وإذا حضرت الصلاة صلّى خلف عليّ، فإذا قيل له، قال: مَضيرَة معاوية أدسم، والصلاة خلف عليّ أفضل، فكان يقال له: شيخ المَضيرَة(٢)¹.

وعن أبي عثمان النهدي أنّ أبا هريرة كان في سفرٍ، فلمّا نزلوا وضعوا السفرة وبعثوا إليه، وهو يصلّي، فقال: إنّي صائم فلمّا كادوا يفرغون جاء فجعل يأكل الطعام، فنظر القوم إلى رسولهم فقال: ما تنظرون؟ قد والله أخبرني أنّه صائم، فقال أبو هريرة: صدق، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: صوم رمضان وصوم ثلاثة أيّام من كلّ شهر صومُ الدهر، وقد صمت ثلاثة أيّام من أوّل الشهر، فأنا مفطر في تخفيف الله، صائم في تضعيف الله. أخرجه أبو نعيم(٣).

---

(١) كما في أحوال أبي هريرة من الكنى والألقاب² للمعاصر القمّي.

(٢) المضيرة هي مريقة تطبخ باللبن المضير، أي الحامض³ ويظهر من هذه الحكاية وغيرها أنّه كان ممّن حضر وقعة صفّين، وأنّه كان يصانع الفئتين شأن المتلوّن ذي الوجهين واللسانين، يريد بهذا أن لا يقطع على نفسه خطّ الرجعة إلى الفئة المنتصرة، وقد رأينا بين سوريا والعراق على مقربة من صفّين مقاماً مشاداً يدعى مقام أبي هريرة، وحدّثني غير واحد أنّ أبا هريرة كان في بعض أيّام صفّين يصلّي في جماعة عليّ ويأكل في جماعة معاوية، فإذا حمي الوطيس لحق الجبل، فإذا سئل قال: عليّ أعلم، ومعاوية أدسم، والجبل أسلم.

(٣) في أواخر ترجمة أبي هريرة ص ٣٨٥ من الجزء الأوّل من الحلية⁴.

---

١. ربيع الأبرار ٢: ٧٠٠ ـ ٧٠١.

٢. الكنى والألقاب ١: ١٨٠.

٣. أقرب الموارد ٢: ١٢١٩؛ المنجد في اللغة: ٧٦٥، «م. ض. ر».

٤. حلية الأولياء ١: ٣٨٢، الرقم ٨٥.

وأخرج البخاري[(١)] عن محمّد بن سيرين قال: كنّا عند أبي هريرة، وعليه ثوبان مُمَشَّقان من كتّان، فتمخّط بهما، فقال: بَخٍ بَخٍ، أبو هريرة يتمخّط في الكتّان، لقد رأيتني وإنّي لأُخرُّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشيّاً عليّ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي، ويرى أنّي مجنونٌ وما بي من جنونٍ، ما بي إلّا الجوع.

ومن نوادره: أنّه كان يلعب السُدَّر، قال ابن الأثير في مادّة «السدر» من نهايته ما هذا لفظه:

> وفي حديث بعضهم قال: رأيت أبا هريرة يلعب السُدَّر، ـ ثمّ قال: ـ السُدَّر لعبة يقامر بها، وتكسر سينها وتضمّ، وهي فارسيّة معرَّبة عن ثلاثة أبواب[(٢)]. انتهى.

وفي هذه المادّة من لسان العرب عين ما في النهاية، وزاد عليه فقال: ومنه حديث يحيى بن أبي كثير: السدَّر هي الشيطانة الصغرى ـ قال: ـ يعني أنّها من أمر الشيطان[(٣)]. انتهى بلفظه.

---

(١) ص ١٥٧ من الجزء الرابع من صحيحه في أواخر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة. وأخرجه أبو نعيم في ص ٣٧٩ من الجزء الأوّل من حليته[١].

(٢) قوله: «معربة عن ثلاثة أبواب» أي أنّ أصلها في لغة الفرس «سه در» ومعناه عندهم ثلاثة أبواب، فاستعملها العرب وتصرّفوا فيها، فقالوا: سدّرة.

(٣) فراجعه في ص ٣٠ ج ٦، مادّة «س.د.ر»[٢].

---

١. صحيح البخاري ٦: ٢٦٧٠ ـ ٢٦٧١، ح ٦٨٩٣؛ حلية الأولياء ١: ٣٧٩، الرقم ٨٥.

٢. لسان العرب ٤: ٣٦٥، «س.د.ر».

وذكر الدميري في مادّة «عقرب» من حياة الحيوان[١]:

لعب الشطرنج ـ فقال: ـ وروى الصعلوكي تجويزه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب وأبي البسر وأبي هريرة. ـ ثمّ قال: ـ والمرويّ عن أبي هريرة من اللعب به مشهور في كتب الفقه. ـ قال: ـ وروى الآجري عن أبي هريرة أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بالأزلام الشطرنج والنرد فلا تسلّموا عليهم»(١).

(١) لكنّ الدميري ضَعّف إسناد هذا الحديث[٢]، وكذّب الصولي فيما نقله عن الإمام زين العابدين من القول بإباحة الشطرنج؛ فإنّ ائمّة أهل البيت كافّة يحرّمونه، وكذلك مالك وأحمد وأبو حنيفة.

١ و ٢. حياة الحيوان: ١٢٦.

[الفصل] ١٨

وفاته وعقبه

كانت وفاته في قصره بالعقيق(١) فحمل إلى المدينة، فكان ولد عثمان بن عفّان يحملون سريره حتّى بلغوا به البقيع؛ حفظاً بما كان من رأيه في أبيهم(٢)، فصلّى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان يومئذٍ أميراً على المدينة، وكان مروان معزولاً(٣).

---

(١) نصّ على ذلك ابن حجر في ترجمة أبي هريرة من الإصابة. ونقل موته بالعقيق ابن عبد البرّ إذ ترجمه في الاستيعاب. وأخرجه الحاكم في ترجمته من المستدرك، وأرسله أهل الأخبار[١].

(٢) أخرج ذلك ابن سعد في ص ٦٣ من القسم الثاني من الجزء الرابع من الطبقات في ترجمة أبي هريرة، ورواه أهل الأخبار[٢].

(٣) نصّ على ذلك أصحاب الاستيعاب والإصابة والطبقات والمستدرك[٣] في ترجمة أبي هريرة.

---

١. الإصابة ٧: ٣٦٢، الرقم ١٠٦٨٠؛ الاستيعاب ٤: ١٧٧٢، الرقم ٣٢٠٨؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٦٤٧، الرقم ٦٢٠٦. راجع أيضاً: تاريخ مدينة دمشق ٦٧ : ٣١٣، الرقم ٨٨٩٥؛ أُسد الغابة ٦ : ٣٣٩، الرقم ٦٣١٩؛ البداية والنهاية ٨ : ١٢٢، حوادث سنة ٥٩.

٢. الطبقات الكبرى ٤: ٣٤٠.

٣. الاستيعاب ٤: ١٧٧٢، الرقم ٣٢٠٨؛ الإصابة ٧: ٣٦١، الرقم ١٠٦٨٠؛ الطبقات الكبرى ٤: ٣٤٠؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٦٤٨، ح ٦٢١٣.

وإنّما صلّى عليه الوليد؛ تكريماً له، تقدّم للصلاة عليه بعد أن صلّى بالناس فريضة العصر، وفي القوم ابن عمر وأبو سعيد الخدري وأضرابهما(١).

وكتب الوليد إلى عمّه معاوية ينعى إليه أباهريرة، فكتب إليه معاوية(٢): انظر من ترك، وادفع إلى وَرثَته عشرة آلاف درهم، وأحسِن جوارهم، وافعل إليهم معروفاً، فإنّه ممّن نصر عثمان وكان معه في الدار.

وكانت وفاته سنة سبع وخمسين، قيل: سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة[١].

أمّا عقبه، فإنّما نعرف منه ولده المحرّر ابن أبي هريرة، وبنته التي كان يقول لها: قولي: أبى أبي أن يحلّيني الذهب، يخشى على حرّ اللهب.

ونعرف لمحرّر ولداً اسمه نعيم، وهو الذي روى عن جدّه أبي هريرة أنّه كان له خيط فيه ألفا عقدة، فلا ينام حتّى يسبّح به(٣).

---

(١) نصّ على ذلك كلّ من ذكرناهم ممّن ترجموا أبا هريرة.

(٢) كما في ترجمة أبي هريرة من مستدرك الحاكم، وطبقات ابن سعد، وإصابة ابن حجر[٢]، وغيرها من كتب الأخبار.

(٣) وقد جاء في ص ٣٨٠ من الجزء الأوّل من حلية الأولياء ذكر بنت أبي هريرة التي كان لا يلبسها الذهب، وفي ص ٣٨٣ ذكر نعيم بن المحرّر بن أبي هريرة الذي روى عن جدّه التسبيح بالخيط[٣].

---

١. راجع الإصابة ٧: ٣٦٢، الرقم ١٠٦٨٠.

٢. المستدرك على الصحيحين ٤: ٦٤٨، ح ٦٢١٣؛ الطبقات الكبرى ٤: ٣٤٠؛ الإصابة ٧: ٣٦١ ـ ٣٦٢، الرقم ١٠٦٨٠. راجع أيضاً: تاريخ مدينة دمشق ٦٧: ٣٩١، الرقم ٨٨٩٥؛ البداية والنهاية ٨: ١٢٢، حوادث سنة ٥٩؛ سير أعلام النبلاء ٢: ٦٢٥ ـ ٦٢٦، الرقم ١٢٦.

٣. حلية الأولياء ١: ٣٨٠، الرقم ٨٥، و ٣٨٣، الرقم ٨٥.

وروي عنه أيضاً: أنّ رجلاً سأل النبيّ ﷺ بما تأمرني أن أتّجر، قال ﷺ: «عليك بالبزّ؛ فإنّ صاحب البزّ يعجبه أن يكون الناس بخير وفي جِدَة».

أمّا المحرّر فقد ترجمه ابن سعد في طبقاته(١) وذكر سلسلة نسبه المتّصلة بدوس، وأنّه توفّي في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وأنّه كان قليل الرواية(٢).

---

(١) ص ١٨٨ من جزئها الخامس[1].

(٢) إنّ لأبي هريرة في إمارة الحجّ سنة تسع للهجرة حديثين متناقضين. يروي عنه أحدهما ولده المحرّر والثاني يرويه حميد. والحديثان في الصحاح، وقد أوردناهما فيما سبق من الأصل، وبسطنا القول فيهما، فراجع الحديث ١٨ من الفصل ١١.

---

١. الطبقات الكبرى ٥: ٢٥٤.

خاتمة الكتاب

ولنختم إملاءنا هذا بكلمتين لرسول الله ﷺ تتعلّقان بأبي هريرة، ضربهما النبيّ ﷺ على غرار فذّ من أغرّته الحكيمة في التدليل على زيغ الزائغين والتحذير منهم.

الكلمة الأُولى: يشترك فيها أبو هريرة، والرحّال بن عنفوة، والفرات بن حيّان؛ وذلك أنّهم خرجوا ذات يوم من مجلسه الشريف، فقال ﷺ مشيراً إليهم(١): «لضرس أحدكم في النار أعظم من أُحد، وإنّ معه لقفا غادر». انتهى.

فكان أبو هريرة والفرات يقولان بعدها(٢): فما آمنّا بعد هذا حتّى ارتدّ الرحّال وقتل مع مسيلمة الكذّاب.

---

(١) فيما أخرجه سيف بن عمر في الفتوح من طريق أحمد بن فرات بن حيان، ونقله في ترجمة فرات صاحبا الاستيعاب والإصابة[1] وغير واحد[2].

(٢) فيما نقله صاحبا الاستيعاب والإصابة[3] في ترجمة الفرات، ورواه غير واحد من حفظة الآثار[4].

---

١. الاستيعاب ٣: ١٢٥٨، الرقم ٢٠٧٠؛ الإصابة ٥: ٢٧٣، الرقم ٦٩٨٠.

٢. كخليفة بن خيّاط في تاريخه: ١٧٠.

٣. الاستيعاب ٣: ١٢٥٨، الرقم ٢٠٧٠؛ الإصابة ٥: ٢٧٣، الرقم ٦٩٨٠.

٤. كخليفة بن خيّاط في تاريخه: ١٧٠.

قلت: كأنّهما كانا يحاولان تأويل الحديث فيجعلان المراد منه واحداً منهم بعينه، وهو الرحّال بقرينة التحاقه بعد النبيّ ﷺ بمسيلمة وقتله مرتدّاً.

وهذا تضليل عن الحقيقة المتبادرة من الحديث عند إطلاقه، فإنّه على حدّ قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾[١] ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٢] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلاً﴾[٣] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٤] إلى كثيرٍ من أمثال ذلك في الكتاب والسنّة وكلام العرب، تقول في المدح: كفّ أحدهم تمطر ذهباً، وقلب أحدهم يفيض حناناً. وفي الذمّ: وجه أحدهم عنوان الوقاحة، وقلب أحدهم أقسى من الصلد، فلا تريد واحداً منهم بعينه، وإنّما تريد الجميع. وهذا هو المراد في الحديث، وهو المتبادر منه إلى الأذهان.

ولو أراد ﷺ واحداً منهم بعينه، لأبانه بقرينة تعيّنه؛ فإنّ تأخير البيان في مثل هذا المقام ممّا لا يجوز على الأنبياء؛ لقبحه عقلاً؛ بسبب استلزامه ظلم البريئين منهم؛ لأنّه متى علم أنّ أحدهم من أهل النار، وأنّه غدّار، ولم يعرف بعينه تفصيلاً، سقط الثلاثة عن درجة الاعتبار؛ إذ لا يركن بعدها إليهم، ولا يعتمد عليهم، ولا يؤبه بما يقولون في أُصول أو فروع، ولا يحتجّ بحديثهم، ولا تقبل لهم شهادة في مرافعة أو غيرها، ولا يولّون أمراً من أمور المسلمين، ولا يوكل إليهم شأن تشترط الوثاقة فيمن يوكل إليه، فيحرمون بأجمعهم من الحقوق المدنيّة في الإسلام، ويجب على الأُمّة اجتنابهم في كلّ شيء تشترط فيه العدالة؛ نزولاً على حكم القاعدة العقليّة في الشبهة المحصورة مع العلم الإجمالي، كما هو مقرّر في محلّه من الأُصول.

وحسبك بهذا سقوطاً لكلّ من الثلاثة على السواء.

---

١. البقرة (٢): ٢٦٦.

٢. البقرة (٢): ٩٦.

٣. الزخرف (٤٣): ١٧.

٤. النحل (١٦): ٥٨.

وإذا كان أحدهم بعينه هو الجهنّمي الغادر المستوجب للحرمان فما ذنب الآخرين؟ أيجوز على سيّد الحكماء وخاتم الأنبياء أن يسقط بريئين، فيجعلهما طيلة حياتهما بحكم الغدّار من أهل النار؟ ثمّ يلقى الله تعالى عن غير بيان؟ حاشالله، وما الذي منعه أن يقول ـ مشيراً إليه نفسه ـ: «لضرس هذا في النار أعظم من أُحد» لو لم يكونوا جميعاً في الأمر على السواء؟

فإن قلت: لعلّه ﷺ عيّن الرحّال حينئذٍ بقرينة لفظيّة أو حاليّة، كالإيماء إليه بالخصوص مثلاً ثمّ خفيت علينا.

قلنا: لو كان ثمّة قرينة ما خفيت على أبي هريرة وفرات، وقد استفرغا الوسع فلم يتشبّثا بشيءٍ سوى ردّة الرحّال، وحينئذٍ سجدا للهِ شكراً، وكانا بعد ذلك يقولان: فما آمنّا بعد قول النبيّ ﷺ ما قال حتّى صنع الرحّال ما صنع(١).

على أنّه لا فرق في هذه المشكلة بين عدم البيان وخفائه بعد صدوره؛ لاتّحاد النتيجة فيهما؛ إذ لا مندوحة لنا ـ على كلا الفرضين ـ عن العمل بما يقتضيه العلم الإجمالي في الشبهة المحصورة، كما لا يخفى.

فإن قلت: إنّما كان المنصوص عليه بهذا الذمّ مجملاً قبل التحاق الرحّال بمسيلمة وموته مرتدّاً، وبمجرّد صنعه ما صنع تعيّن أنّه هو المراد دون صاحبيه، وحينئذٍ لا إجمال ولا إشكال.

قلنا **أوّلاً**: إنّ المتبادر من قوله ﷺ: «لضرس أحدكم في النار» إنّما هو الجميع على حدّ المتبادر من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَىٰ﴾ وإذن فلا إجمال في المنصوص عليه

---

(١) سجودهما حينئذٍ لله شكراً، وقولهما: «فما آمنّا» ثابتان عنهما، ومذكوران في ترجمة فرات من الاستيعاب والإصابة، وغيرهما[1].

---

١. الاستيعاب ٣: ١٢٥٨، ١٢٥٩، الرقم ٢٠٧٠؛ الإصابة ٥: ٢٧٣، الرقم ٦٩٨٠. راجع أيضاً تاريخ خليفة بن خيّاط: ١٧٠.

بالذمّ هنا، ولا أثر لردّة الرحّال؛ للعلم بسوء حاله وحال صاحبيه منذ باؤوا بـالضرس والقفا.

وثانياً: إنّ الأنبياء عليهم‌السلام كما يمتنع عليهم ترك البيان مع الحاجة إليه، يستحيل عليهم تأخيره عن وقت الحاجة. ولعلّك تعلم أنّ وقت الحاجة هنا متّصل بصدور هذه الكلمة في حقّهم من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ لو كان لأحدهم شيء من الاعتبار ـ لأنّهم منذ أسلموا كانوا محلّ الابتلاء في حديثهم، وشهاداتهم، والائتمام بهم، والوصاية إليهم، والتولية لهم، وما إلى ذلك من الحقوق المدنيّة في الدين، فلولا وجوب إقصائهم عنها، لما ترك صلى‌الله‌عليه‌وآله البيان حتّى لحق بالرفيق الأعلى، وما كان ليتّكل في ذلك على ما صنع الرحّال من الردّة بعد وفاته.

وثالثاً: إنّ الفرات بن حيّان كان جاسوساً للمشركين، وعيناً لأبـي سـفيان عـلى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله والمسلمين، فلمّا أرادوا قتله بأمر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ كما في ترجمته من الاستيعاب والإصابة وغيرهما ـ أسلم؛ حـقناً لدمـه، فـقال النـبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله(١): «إنّ

---

(١) كما في ترجمة فرات من الاستيعاب والإصابة[١] وغيرهما[٢]، وأخرج الحاكم في كتاب الحدود ص ٣٦٦ من الجزء ٤ من المستدرك حديثاً ذكر فيه الفرات بن حيّان وإنّه كان عيناً لأبي سفيان وحليفاً له وكان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قد أمر بقتله فمرّ على حلقة من الأنصار فقال: إنّي مسلمٌ، فقال بعضهم: يا رسول الله، إنّه يقول: إنّي مسلمٌ، فقال رسول الله: «إنّ منكم رجالاً نَكِلُهم إلى إيمانهم منهم الفرات بن حيّان»[٣]. وهذا الحديث صحّحه الحاكم في المستدرك، والذهبي في تلخيصه[٤].

---

١. الاستيعاب ٣: ١٢٥٨، الرقم ٢٠٧٠؛ الإصابة ٥: ٢٧٣، الرقم ٦٩٨٠.

٢. كأُسد الغابة ٤: ٣٧٢ ـ ٣٧٣، الرقم ٤١٩٩؛ المعارف لابن قتيبة: ٣٢٦.

٣. المستدرك على الصحيحين ٥: ٥٢٣، ح ٨١٥٧.

٤. التلخيص ضمن المستدرك للحاكم ٤: ٣٦٦.

منكم من أتألّفه على الإسلام منهم الفرات بن حيّان» فالرجل في سوء الحال معطوف على الرحّال، فكيف مع ذلك يكون صنع الرحّال قرينة على تخصيصه بالجرح والقدح دون الفرات الذي ما أسلم إلّا حقناً لدمه، ودون أبي هريرة الذي تبوّأ مقعده؟

الكلمة الثانية: يشترك فيها أبو هريرة وسمرة بن جندب الفزاري وأبو محذورة الجمحي إذ أنذرهم صلى الله عليه وآله فقال لهم ذات يوم(١): «آخرُكم موتاً في النار».

وهذا أُسلوب حكيم من أساليبه في إقصاء المنافقين عن التصرّف في شؤون الإسلام والمسلمين، فإنّه صلى الله عليه وآله لمّا كان عالماً بسوء بواطن هؤلاء الثلاثة، أراد أن يشرب في قلوب أُمّته الريب فيهم والنفرة منهم؛ إشفاقاً عليها أن تركن إلى واحد منهم في شيء ممّا يناط بعدول المؤمنين وثقاتهم، فنصّ بالنار على واحد منهم وهو آخرهم موتاً، لكنّه أجمل القول فيه على وجه جعله دائراً بين الثلاثة على سواء، ثمّ لم يتبع هذا الإجمال بشيءٍ من البيان. وتمضي الأيّام والليالي على ذلك، ويلحق صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى ولا بيان، فيضطرّ أُولو الألباب من أُمّته إلى إقصائهم جميعاً عن كلّ أمر يناط بالعدول والثقاتِ من الحقوق المدنيّة في دين الإسلام؛ لاقتضاء العلم الإجمالي ذلك بحكم القاعدة العقليّة في الشبهات المحصورة، فلولا أنّهم في وجوب الإقصاء على السواء، لاستحال عليه ـ وهو سيّد الحكماء ـ عدم البيان في مثل هذا المقام.

---

(١) كما في ترجمة سمرة من الاستيعاب والإصابة وغيرهما[١].

---

١. الاستيعاب ٢: ٦٥٣ ـ ٦٥٤، الرقم ١٠٦٣؛ الإصابة ٣: ١٥٠، الرقم ٣٤٨٨. راجع أيضاً: المعارف لابن قتيبة: ٣٠٥؛ تهذيب الكمال ٨: ١٣٧ ـ ١٣٨، الرقم ٢٥٦٨.

فإن قلت: لعلّه بيّن هذا الإجمال بقرينة خفيت علينا بتطاول المدّة.

قلنا: لو كان ثمّة قرينة ما كان كلّ من هؤلاء في الوجل من هذا الإنذار على السواء[١].

على أنّك قد عرفت ممّا سبق أنّه لا فرق في هذه المشكلة بين عدم البيان واختفائه بعد صدوره؛ لاتّحاد النتيجة فيهما بالنسبة إلينا؛ إذ لا مندوحة لنا عن العمل بما يقتضيه العلم الإجمالي من تنجيز التكليف في الشبهة المحصورة على كلا الفرضين، كما بيّنّاه آنفاً.

فإن قلت: إنّما كان المنصوص عليه بالنار مجملاً قبل موت الأوّل والثاني منهم، وبسبقهما إلى الموت تبيّن وتعيّن أنّه إنّما هو الباقي بعدهما بعينه دون سابقيه، وحينئذٍ لا إجمال ولا إشكال.

قلنا أوّلاً: علمت ممّا ذكرناه آنفاً أنّ الأنبياء عليهم السلام كما يمتنع عليهم ترك البيان مع الحاجة إليه يستحيل عليهم تأخيره عن وقت الحاجة، وعلمت أيضاً أنّ وقت الحاجة هنا متّصل بصدور هذا الإنذار لو كان لأحد الثلاثة شيء من الاعتبار؛ لأنّهم منذ أسلموا كانوا محلّ ابتلاء المسلمين في الحقوق المدنيّة الدينيّة ـ كما بيّنّاه آنفاً ـ فلولا وجوب إقصائهم عنها، لما أخّر البيان اتّكالاً على صروف الزمان، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقصي أحداً عن حقّه طرفة عينٍ. ومعاذ الله أن يخزي من لا يستحقّ الخزي ثمّ يبقيه على خزيه حتّى يموت مَخزيّاً؛ إذ لا تعرف براءته ـ بناءً على هذا الفرض الفاسد ـ إلّا بموته.

وثانياً: إنّا ـ شهد الله ـ بذلنا الطاقة بحثاً وتنقيباً، فلم يكن في الوُسع أن نعلم أيّهم

(١) كما يعلمه متتبّعو شؤونهم حول هذا الوعيد.

المتأخّر موتاً؛ لأنّ الأقوال في تأريخ وفياتهم بين متناقض متساقط[(١)]، وبين مجمل متشابه، لا يركن إليها، كما يعلمه متتبّعوها.

وثالثاً: لم يكن من خُلق رسول الله ﷺ وهو «العزيز عليه عنت المؤمنين، الحريص عليهم، الرؤوف بهم، الرحيم لهم»[١] أن يجابه بهذا القول: ـ «آخركم موتاً في النار» ـ من يحترمه، وما كان أنّه ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢] ليفاجئ به ـ أو بقوله: «لضرس أحدكم في النار» ـ غير مستحقّيه ولو أنّ في واحد من هؤلاء الثلاثة ـ أو من أُولئك ـ خيراً، ما أشركه في هذه المفاجأة القاسية، والمجابهة الغليظة، لكن اضطرّه الوحي إلى ذلك، نصحاً لله تعالى وللأمّة ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[٣]... .

على أنّ أحوال هؤلاء الثلاثة كلّها قرائن قطعيّة على ما قلناه حول إنذارهم هذا، كما أنّ أحوال أُولئك أدلّة ما قلناه فيهم.

وحسبك من أبي هريرة ما تبوّأه من مقعده، ويكفيك من سمرة إسرافه الفظيع في

(١) أمّا تناقضها: فلأنّ بعضها نصّ بموت سمرة سنة ثمان وخمسين، وموت أبي هريرة سنة تسع وخمسين[٤] وهذا منقوض بالقول بأنّ موت أبي هريرة كان سنة سبع وخمسين[٥]. وهكذا بقيّة الأقوال في موت الثلاثة. وأمّا المجمل المتشابه منها فكالقول بموت الثلاثة كلّهم في سنة تسع وخمسين، من غير بيان اليوم والشهر الذي وقع فيه الموت.

١. اقتباسٌ من سورة التوبة (٩): ١٢٨.

٢. القلم (٦٨): ٤.

٣. النجم (٥٣): ٣.

٤. نسبه ابن حجر العسقلاني إلى الواقدي وأبي عبيد في الإصابة ٧: ٣٦٢، الرقم ١٠٦٨٠.

٥. وهو قول هشام بن عروة، خليفة، وابن حجر العسقلاني كما في الإصابة ٧: ٣٦٢، الرقم ١٠٦٨٠.

دماء المسلمين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة(١)، وبيعه الخمر علانية(٢) ومضارّته للأنصاري، وتمرّده على ما دعاه النبيّ ﷺ يومئذٍ إليه من الصلح، وزهده في الجنّة، على وجه يستفاد منه عدم إيمانه(٣). وشجّه رأس ناقة النبيّ(٤) استخفافاً وامتهاناً، إلى غير ذلك من بوائقه.

وناهيك من أبي محذورة أنّه من الطلقاء والمؤلّفة قلوبهم، دخل في الإسلام بعد فتح مكّة، وبعد أن قفل رسول الله ﷺ من حنين منتصراً على هوازن، ولم يكن شيء أكره إلى أبي محذورة يومئذٍ من رسول الله ﷺ، ولا ممّا يأمره به، وكان يسخر بمؤذّن رسول الله ﷺ فيحكيه رافعاً صوته استهزاءً، لكن صرّة الفضّة التي اختصّه

---

(١) نحيلك في تفصيل ذلك على ص ٣٦٣ من المجلّد الأوّل من شرح النهج الحميدي[١]، وما أخرجه الطبري منها في أحداث سنة خمسين من تأريخه الشهير[٢]، وما ذكرناه نحن منها في الفصل ٨ من فصولنا المهمّة.

(٢) فيما أخرجه الإمام أحمد من حديث عمر بن الخطّاب في ص ٢٥ من الجزء الأوّل من مسنده[٣].

(٣) كما في كتاب التجارة من الكافي، في باب الضرار، وفي الفقيه[٤] أنّه خالف رسول الله ﷺ ولم يرض بنخلة في الجنّة في قضيّة أوردها ابن أبي الحديد في ص ٣٦٣ من المجلّد الأوّل من شرح النهج[٥] حيث ذكر سمرة وفظائعه.

(٤) كما في روضة الكافي[٦].

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٧ ـ ٧٨.

٢. تاريخ الطبري ٥: ٢٣٦ ـ ٢٣٨.

٣. مسند أحمد ١: ٦٣، ح ١٧٠.

٤. الكافي ٥: ٢٩٢ ـ ٢٩٣، باب الضرار، ح ٢؛ مَن لا يحضره الفقيه ٣: ٢٣٣، ح ٣٨٦٢.

٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٨.

٦. الكافي ٨: ٢٧٣، ح ٥١٥.

بها رسول الله ﷺ، وغنائم حنين التي أسبغها على الطلقاء من أعدائه ومحاربيه، وأخلاقه العظيمة التي وسعت كلّ من اعتصم بأوّل الشهادتين من أُولئك المنافقين، مع شدّة وطأته على من لم يعتصم بها، ودخول العرب في دين الله أفواجاً، كلّ ذلك ألجأ أبا محذورة وأمثاله إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، ولم يهاجر حتّى مات في مكّة(١)، والله يعلم بواطنه.

بقيت كلمة لابن عبدالبرّ حول هذا الإنذار، إذ قال في ترجمة سمرة من الاستيعاب:

وكانت وفاته بالبصرة في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين، سقط في قدر مملوءة ماءً حارّاً، كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه، فسقط في القدر الحارّة فمات. قال: كان ذلك تصديقاً لقول رسول الله ﷺ له، ولأبي هريرة، ولثالث معهما: «آخركم موتاً في النار»[1]. انتهى.

قلت: هذا تأويل غريب لا يدلّ عليه اللفظ، ولا يفهمه منه أحد، والثلاثة المخاطبون به لم يرتابوا في مفاده المتبادر منه، ولذا كان كلّ منهم يتمنّى سبق صاحبيه إلى الموت كما هو ثابت عنهم، على أنّ تأخّر سمرة في الموت عن صاحبيه كليهما غير معلوم، ولا سيّما على ما جزم به ابن عبد البرّ من موته سنة ثمان وخمسين؛ لأن أبا هريرة قد مات ـ في قول الواقدي وابن نمير وابن عبيد وابن الأثير وابن جرير وغيرهم[2] ـ سنة تسع وخمسين، وفيها مات أبو محذورة. وقيل: بل مات أبو محذورة

---

(١) كلّ ما نقلناه هنا عن أبي محذورة موجود في ترجمته من الإصابة[3] وهو ممّا لا خلاف فيه.

تمّت التعليقة بتمام الأصل بقلم مؤلّفها الأقلّ عبد الحسين، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

---

١. الاستيعاب ٢: ٦٥٣ ـ ٦٥٤، الرقم ١٠٦٣.

٢. حكى عنهم ابن عبدالبرّ في الاستيعاب ٢: ١٧٥٢، الرقم ٣١٦٢.

٣. لم تذكر هذه المطالب في ترجمته من الإصابة، بل كلّها مذكور في الاستيعاب ٢: ١٧٥١ ـ ١٧٥٤، الرقم ٣١٦٢. وهذا من سهو قلمه الشريف، أو من أخطاء الطبع.

سنة تسع وسبعين[١]، ونصّ ابن الكلبي على أنّ أبا محذورة مات بعد موت سمرة[٢]، فتأويل ابن عبدالبرّ لهذه الكلمة ـ «آخركم موتاً في النار» ـ ممّا لا يصغى إليه.

وهذا آخر ما أردناه من تمحيص السنّة المقدّسة، وتنزيهها عن الدخل الشائن لجوهر الإسلام وروحه الرفيعة، والحمد لله على التوفيق لذلك، وإليه نبتهل في أن ينفع به المؤمنين، ويجعله ذخيرة ليوم الدين، وصلّى الله على سيّد النبيّين وخاتم المرسلين، وآله الطيّبين الطاهرين، وصحبه الهداة الميامين.

وكان الفراغ منه في مدينة صور يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٦٢هـ، الموافق ٢٣ أيلول سنة ١٩٤٣م، بقلم مؤلّفه أضعف المؤمنين عملاً، وأقواهم بعفو الله أملاً، عبد الحسين بن الشريف يوسف بن الشريف جواد بن الشريف إسماعيل بن محمّد بن محمّد بن شرف الدين واسمه إبراهيم، بن زين العابدين بن عليّ نور الدين بن نور الدين عليّ بن عزّ الدين الحسين بن محمّد بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن ابن محمّد ولقبه شمس الدين بن عبد الله ولقبه جلال الدين بن أحمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن أبي السعادات محمّد بن أبي محمّد عبد الله نقيب النقباء الطالبيّين في بغداد ابن أبي الحرث محمّد بن أبي الحسن عليّ ـ المعروف بابن الديلميّة ـ ابن أبي طاهر عبدالله بن أبي الحسن محمّد المحدّث بن أبي الطيّب طاهر بن الحسين القطعي بن موسى أبي سبحة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام الكاظم بن الإمام الصادق بن الإمام الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام أبي عبدالله الحسين سيّد الشهداء، وخامس أصحاب الكساء، وسبط خاتم النبيّين والمرسلين، وابن أمير المؤمنين، وسيّد الوصيّين، عليّ بن أبي طالب، صلّى الله على رسوله وعليهم أجمعين.

---

١. حكاه ابن عبدالبرّ في الاستيعاب ٢: ١٧٥٢، الرقم ٣١٦٢.

٢. حكى عنه ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٧: ٣٠٣، الرقم ١٠٥٠٨.

فهرس الموضوعات

(٣) الفصول المهمّة

(٤) أبُو هُرَيْرة